

عَيْنُ الْحَيَاةِ

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَقَالَاتٌ وَأُبْحَاثٌ . . فِي السَّيَرَةِ وَالْعَقِيدَةِ

الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ مُصْطَفَى مَصْرِيٍّ الْعَامِلِي

السَّلَامُ عَلَيْكَ

يَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

عَيْنُ الْحَيَاةِ

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

سلسلة العلم والإيمان (٩)

عَيْنُ الْحَيَاةِ

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَقَالَاتٌ وَأَحْكَامٌ . . فِي الْإِمَامَةِ وَالْإِمَامِ

الشيخُ مُحَمَّدُ مُصْطَفَى مَصْرِيِّ الْعَامِلِي

www.aliiman.net

mohammad@masrilb.net

الطبعة الأولى

بيروت، لبنان ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٤ م

منشورات

الجمعية العامليّة لإحياء التراث

للحصول على الكتاب:

من داخل لبنان: ٠٣٠٣٠٠٩٢

من خارج لبنان: ٠٠٩٦١٣٠٣٠٠٩٢

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين
الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

في محضر الإمام..
سَمِيَّ العَلِيِّ! ومعجزة النبي!
يحارُّ الفكرُ وخطراته.. والعقلُ وأوهامه!

بالإمام.. أشرقت الأرض! بنور ربها..
وبارتحاله.. بكى الجهاد.. وماجت البحار.. وضجت الملائكة بالدُّعاء..
تَغَيَّرَ أفق السماء! فأمطرت دماً! واعتصرت القلوبُ ألماً عليه!

سَمَّاهُ العَلِيُّ علياً! وجعله نوراً مُبيناً!
سيفاً لنبوة النبي! ومُعْجِزاً لرسالته!
وكتابَ الله الناطق! والمعبرَ عن كتابه الصامت!
وصراطَ الله المستقيم! والكهفَ الحصين.. والحبلَ المتين!

عليُّ.. أَيُّهَا الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَا!
أَيُّهَا الْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى!
يا طَعْمَ الْحَيَاةِ.. يا عَيْنَ الْحَيَاةِ..
يا سَحَاباً مَاطِراً.. يُطَهِّرُ اللَّهُ بِهِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ!
كُنْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ كَهْفاً.. وَحِرْزاً.. وَمَعْقِلاً.. وَمَوْثِلاً..
وَشَفِيعاً.. وَسَاقِياً.. مِنْ حَوْضِ الْكَوْثَرِ..

عليُّ.. أَيُّهَا الْإِمَامُ الْمَحْسُود..
مَا أَخْسَرَ الْمَكْذِبِينَ بِكَ.. وَالْحَاسِدِينَ لَكَ..
فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحُجَّةِ الْعَظْمَى! وَالْآيَةِ الْكُبْرَى!

آهَ يَا عَلِيُّ..
آهَ لَكَ وَلِبْنِكَ.. نَسْلُ الْمَطَهَّرَةِ الْبُتُولِ..
لَمُعِزِّ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسْمُومِ.. وَشَهِيدِ الْهُدَى الْمَقْتُولِ..
لِإِمَامِ الْأَحْزَانِ.. وَمَا رَأَى فِي عَاشُورَاءِ!
لِأُتَمَّةٍ كَانُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ! بُدُوراً مُنِيرَةً.. وَأَنْوَاراً سَاطِعَةً..
وَمَفْزَعِ الْعِبَادِ.. فِي الدَّاهِيَةِ النَّادِ..

في هذا الكتاب

أكثر من خمسين مقالاً وبحثاً.. حول أمير المؤمنين عليه السلام..
 حول الإمام.. والإمامة.. والأئمة الأطهار عليهم السلام..
 حول الولاية وأعيادها.. والبراءة.. وأسبابها..
 هي قبسات من نور الأئمة الأطهار..
 مَنْ أَلْبَسَهُمُ اللَّهُ تَاجَ الْوَقَارِ..
 وَغَشَّاهُمْ مِنْ نُورِهِ الْجَبَّارِ..

مُحَمَّدُ مُصْطَفَى مَصْرِي الْعَامِلِي

أنصار.. جنوب لبنان

قُبَيْلَ الْعُودِ إِلَى قُمَّ الْمُقَدَّسَةِ

الثلاثاء، الثاني عشر من شهر صفر ١٤٤٥ هـ

الموافق ٢٩ - ٨ - ٢٠٢٣ م

الفصل الأول: عليّ.. نور الله

١. عليّ.. نور الله المبين!

في ذكرى ولادة أمير المؤمنين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^(١).

في الثالث عشر من رجب الأصبّ، في يوم ولادة النور المبين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يتأمل الإنسان في هذه الآية الشريفة، حيث فُسر البرهان فيها بالنبي محمد صلى الله عليه وآله، والنور بعليّ عليه السلام^(٢).

يُخاطبُ الله تعالى (الناس) في هذه الآية، فلا يخصّ فئة دون أخرى، ليعلمهم بأنّه قد جاءهم ﴿بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

إنّ التنكير يُستعمل في أغراضٍ خاصّة في اللغة، ويُستبدل التعريف به لغايات منها التعظيم والتفخيم والتجليل، فيكون أولى وأجلى من (المعرفة)، وهذا حال (البرهان) و(النور) في الآية المباركة.

فالنبي صلى الله عليه وآله بُرْهَانٌ من الله، وأيُّ بُرْهَانٍ هو، فهو وإن كان مُظهِرَ البراهين، إلا أنّ الآية المباركة قد جعلته بُرْهَاناً من الله بنفسه، إما لأنّه أتى بأعظم البراهين من الله تعالى، أو لأنّ عظّمته بنفسها بُرْهَانٌ تامٌّ على نبوّته ووحدانية الله تعالى.

(١) النساء ١٧٤.

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٨٥.

أَمَّا عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو (نورٌ مُبِينٌ)، ظاهرٌ، جَلِيٌّ، لا يخفى أمره على أحدٍ من الناس، لأن الله تعالى هو الذي أنزله، إليهم جميعاً، وجعله (مُبيناً)، فلا يُعقل أن يخفى أمرُ نورِ أنزله الله مُبيناً!

لقد أفصحَ النورُ عن عظمة صاحبه في موطن شَتَّى، منها:

١. علي وأبو طالب

لقد روي عن النبي ﷺ أنه قال:

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنِي وَعَلِيًّا مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ.. فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ قَذَفَ بِنَا فِي صُلْبِهِ.. ثُمَّ أَطْلَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلِيًّا مِنْ ظَهْرِ طَاهِرٍ وَهُوَ أَبُو طَالِبٍ، وَاسْتَوْدَعَهُ خَيْرَ رَحِمٍ وَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ^(١).

هي الرِّعاية الإلهيَّة للنبي ﷺ والوصي عليه السَّلَام من عالم الأنوار.. عالمٌ أوجدتهم الله تعالى فيه قبل أيِّ خلقٍ آخر، ثم لما خُلِقَت الملائكة عرفت تعظيم الله تعالى وتمجيده بهم ﷺ.

والآن.. حَانَ وَقْتُ ظهور بعض علامات هذا النور للناس في هذه الدُّنيا، ذاك حينما استودع الله النور فاطمة بنت أسد ﷺ.

٢. علي وفاطمة بنت أسد

عندما حانت ساعة انتقال النور من أبي طالب لفاطمة بنت أسد ﷺ، أُتِيَ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِطَبَقٍ عَلَيْهِ مِنْ فَوَاكِهِ الْجَنَّةِ، رُطْبَةٍ وَعِنْبَةٍ وَرُمَّانٍ، فَتَنَاوَلَ أَبُو طَالِبٍ

(١) روضة الواعظين ج ١ ص ٧٧

مِنْهُ رُمَّانَةٌ^(١).

ثم: نَهَضَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ (رض) فَلَمَّا اسْتَوْدَعَهَا النُّورَ ارْتَجَّتِ الْأَرْضُ وَتَزَلْزَلَتْ بِهِمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ^(٢).

إِنَّ النَّاسَ يُولُونَ لِلْأَحْدَاثِ الْكُونِيَّةِ الْعَظِيمَةِ أَهْمِيَّةً كَبِيرَةً، وَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا عَجَبًا عِنْدَمَا حَمَلَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ بَعْلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لَكِنَّ النَّاسَ مَا كَانُوا قَدْ عَرَفُوا بَعْدُ سَبَبَ مَا يَجْرِي.. رَغْمَ اهْتِمَامِهِمْ بِهَذَا الْوَلَدِ الْعَظِيمِ، وَقَدْ أَصَابَ قَرِيشٌ شِدَّةً وَفَزَعًا.. فَاجْتَمَعُوا وَتَوَجَّهُوا إِلَى جَبَلِ أَبِي قَبَيْسٍ، لِيَسْأَلُوا آلَهُتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا رَفَعَ مَا وَقَعَ بِهِمْ.

لَكِنَّ الْجَبَلَ ارْتَجَّ بِهِمْ أَيْضًا: حَتَّى تَدَكَّدَكَتْ بِهِمْ صُمُّ الصُّخُورِ، وَتَنَاثَرَتْ وَتَسَاقَطَتِ الْأَلْهُةُ عَلَى وَجْهِهَا!

فَأَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَوْفَ فِيهِمْ أَوَّلًا، ثُمَّ أَظْهَرَ عِجْزَ آلَهُتِهِمْ بَلْ تَسَاقَطَهَا وَتَنَاثَرَهَا، فَأَبْطَلَ اللَّهُ تَعَالَى حُجْجَ الْمُشْرِكِينَ بَعْلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ سَاعَةِ حَمْلِ أُمِّهِ بِهِ.

ثُمَّ حَانَ وَقْتُ بَيَانِ السِّرِّ فِي ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَصَعِدَ أَبُو طَالِبِ الْجَبَلَ وَخَاطَبَهُمْ قَائِلًا: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَحْدَثَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ حَادِثَةً، وَخَلَقَ فِيهَا خَلْقًا إِنْ لَمْ تُطِيعُوهُ وَلَمْ تُقَرُّوا بِوَلَايَتِهِ وَتَشْهَدُوا بِإِمَامَتِهِ لَمْ يَسْكُنْ مَا بِكُمْ، وَلَا يَكُونُ لَكُمْ بَيْتُهُمْ مَسْكَنًا!

إِمَامَةُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ فَرَضًا لَازِمًا مِنْ قَبْلِ وِلَادَتِهِ، وَقَدْ ظَهَرَتْ بِالْآيَاتِ

(١) روضة الواعظين ج ١ ص ٧٧.

(٢) الفضائل ص ٥٦.

الساطعة، ورأى القوم عَظِيمَ ما يجري، فقالوا بمقالة أبي طالب، وأقروا بوجوب طاعة هذا الإمام الذي صار وديعةً عند فاطمة بنت أسد عليها السلام.

حينها بكى أبو طالب، وتوجه إلى الله تعالى، ودعاه بأصحاب الأنوار، وحججه على بريته، سأل الله تعالى: بِالمَحْمَدِيَّةِ المَحْمُودَةِ، وَبِالعَلَوِيَّةِ العَالِيَةِ، وَبِالْفَاطِمِيَّةِ البَيْضَاءِ، فنجى القوم بذلك.

فظهر شيءٌ من عظمة علي عليه السلام قبل أن تطأ قدماه الأرض!
هكذا يكون نور الله المبين.

٣. علي ساعة الولادة

لقد أظهر الله تعالى عظمة نور علي عليه السلام تارةً بعلامات وإشارات مخوفةٍ للناس، وأخرى بعلامات بهيجة! فإنه عليه السلام لما وُلد:

إِذَا هُوَ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ! قَدْ سَجَدَ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ يَقُولُ:
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ.

بِمُحَمَّدٍ يَخْتُمُ اللَّهُ النُّبُوَّةَ، وَبِإِيَّتِهِمُ الْوَصِيَّةَ، وَأَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^(١).

فظهرت العلامة فيه حيث بدا كالشمس الطالعة، بشرى للمؤمنين به.
ولأن هذه العلامة لا يراها إلا مَنْ كان قريباً، كان لا بدَّ من علامةٍ أخرى يراها كلُّ أحد، فهو نورٌ مُبِينٌ لكلِّ الناس، لذا تغيَّرت الأرض في الليلة التي ولد

(١) روضة الواعظين ج ١ ص ٧٩.

فيها، وصارَ ليُّها كالنَّهار.. ففي الحديث عن ليلة ولادته: أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ وَتَضَاعَفَتِ النُّجُومُ! (١).

هكذا لم يترك الله تعالى عُذراً لمعتذر، فظهر النُّور المبين من الله نوراً جلياً بنفسه وبآثار بركاته في الدُّنيا بأسرها، لتتم حجة الله تعالى على الناس أجمعين.

٤. عليٌّ بابُ الهداية

لقد استحقَّ عليٌّ عليه السلام بكفائه مرتبةً سامية، فأكرمه الله تعالى وعظَّم شأنه وفضَّله وجلَّله بأن خلقه نوراً.

ثم أظهر له وعلى يديه المعاجز والكرامات وخوارق العادات، لتتم الحجة على الناس، ويقرَّ الخلق بمنزلته وعظمته وصدقه، فيفتح لهم بذلك بابُ الهدى على يديه.

لقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعليٍّ عليه السلام كلمةً عجيبةً كان فيها:

وَالله يَا عَلِيُّ، مَا خُلِقْتَ إِلَّا:

١. لِيُعْبَدَ [بِكَ] رَبُّكَ!

٢. وَلِيُعْرِفَ بِكَ مَعَالِمُ الدِّينِ.

٣. وَيُصْلَحَ بِكَ دَارِسُ السَّبِيلِ.

وَلَقَدْ ضَلَّ مَنْ ضَلَّ عَنْكَ، وَلَنْ يُهْدَى إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْكَ (٢).

(١) الفضائل ص ٥٦.

(٢) الأُمالي للصدوق ص ٤٩٥.

بِعَلِيٍّ يُعْرِفُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَوْلَاهُ لَمْ يَعْرِفْ.. وَلَمْ يُعْبَد!
 بغير سبيله وطريقه لا يُعرف دين الله ويُتَّبَع، بل يسود دين الشيطان
 وأولياؤه!

بكل هذا يصيرُ عَلِيٌّ (نوراً مبيناً) أنزله الله تعالى لخلقه، ليهتدوا إلى معرفته،
 ويُصلح لهم سُبُلهم، ويأخذ بيدهم إلى الله تعالى.

لذا.. ليس غريباً أن يفتح البيت العتيق لتدخل إليه فاطمة بنت أسد عليها السلام
 بأمر الله تعالى.. وأن يُفَضِّلها الله تعالى على مَنْ تَقَدَّمَها من النساء، وأن تسمع
 الخطاب قبل خروجها من بيت الله، أن:

يَا فَاطِمَةُ سَمِّيه عَلِيًّا، فَهُوَ عَلِيٌّ، وَاللهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى يَقُولُ:

إِنِّي شَقَقْتُ اسْمَهُ مِنْ اسْمِي، وَأَدَبْتُهُ بِأَدْبِي، وَوَقَفْتُهُ عَلَى غَامِضِ عِلْمِي، وَهُوَ
 الَّذِي يَكْسِرُ الْأَصْنَامَ فِي بَيْتِي، وَهُوَ الَّذِي يُؤَدِّنُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِي وَيُقَدِّسُنِي
 وَيُمَجِّدُنِي، فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّهُ وَأَطَاعَهُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَهُ وَعَصَاهُ^(١).

فاسمه من اسم الله، وعلمه من علم الله، وولايته ولاية الله.. هو نور الله
 المبين، ليس فيه خفاء، أمره كالشمس في رابعة النهار.. وآثاره أعظم من أن تُنكَر.
 هذا هو إمام الشيعة وفخرهم وعزهم ومجدهم.. بعليٍّ يؤمنون، وله
 بالفضل يقرّون، ولأمره يتبعوه.. فطوبى لهم ثم طوبى لهم..
 والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) الأُمالي للصدوق ص ١٣٣.

(٢) الثلاثاء ١٣ رجب ١٤٤٣ هـ الموافق ١٥ - ٢ - ٢٠٢٢ م.

٢. عليّ.. معجزة الرسول!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(١).

لقد غالت بعض الأمم في أنبيائها وعظمائها، بعدما: جعل الله عزَّ وجلَّ لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها!

فَمِنْ طوفانٍ، إلى فلقٍ للبحر، فإبراءٍ للأكمه والأبرص، وإحياءٍ للموتى، وإخبارٍ عن المغيبات، وسواها..

كلُّها: كانت فعل القادر الذي لا يُشبهه المخلوقين.

فالله تعالى هو مجري هذه المعاجز على أيديهم، وهم بأنفسهم أهل فقر وفاقة إلى الله تعالى، وإن ظهرت المعاجز على أيديهم.

تفاوتت المعاجز وتغيَّرت، ولكن: ما مِنْ آيةٍ كانت لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ انْتَهَى إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا وَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ مِثْلُهَا أَوْ أَفْضَلُ مِنْهَا^(٢).

وأفضل معجزات النبي ﷺ.. عليّ! ثم القرآن! فكيف يثبت ذلك؟!

أولاً: عليّ أعظم آيات الله!

المعجزة آيةٌ وعلامةٌ من الله، تدلُّ على عظمة صاحبها عنده تعالى، وصدقه

في دعواه.

(١) التوبة ٣١.

(٢) الإحتجاج ج ١ ص ٣٦.

وتقترنُ المعجزةُ بالتحدي تارةً، كالقرآن الكريم حيثُ تحدّى الإنس والجنَّ أن يأتوا بمثله فعجزوا.

ويُكتفى فيها تارةً أخرى بدعوى النبوة، فلا يقع التحدي فيها بنفسها، كصيرورة النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، وتسبيح الحصى في كف الرسول صلّى الله عليه وآله، وانشقاق القمر ونبوع الماء من بين أصابعه صلّى الله عليه وآله، وغيرها.

فصارت كل الآيات معاجزَ للنبي لما ادّعى النبوة، ثم صار الأوصياء أبرز آيات الله تعالى ودلائله!

كما في قوله عز وجل ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قال عليه السلام: نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ كَذَّبُوا بِأَوْصِيَائِهِمْ^(١).

ثم كان عليٌّ أعظمَ هذه الآيات! وهو القائل: مَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ آيَةٌ هِيَ أَكْبَرُ مِنِّي، وَلَا لِلَّهِ مِنْ نَبِيٍّ أَعْظَمُ مِنِّي!^(٢).. أَنَا الْحُجَّةُ الْعُظْمَى وَالْآيَةُ الْكُبْرَى^(٣).

فصار يُزار بقولنا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا آيَةَ اللَّهِ الْعُظْمَى^(٤).

ثانياً: عليٌّ معجزة الرسول!

ورد في الزيارات الماثورة لأمر المؤمنين عليه السلام أن الله جعله:

١. سَيِّفًا لِنُبُوَّتِهِ: أي لنبوة النبي صلّى الله عليه وآله.

(١) تفسير القمي ج ١ ص ١٩٩.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٠٧.

(٣) الأُمالي للصدوق ص ٣٩.

(٤) المزار الكبير ص ٢٠٦.

٢. وَمُعْجَزَاتُ الرَّسَالَةِ!

٣. وَدَلَالَةُ وَاضِحَةِ حُجَّتِهِ^(١).

فما معنى أن يكون الإمام عليه السلام معجزاً لرسالة النبي صلى الله عليه وآله؟! إنَّ غَرَضَ الْمُعْجِزَةِ إثباتُ صِدْقِ صَاحِبِهَا، فَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِمَا يَعْجِزُ عَنْهُ النَّاسُ فَهُوَ لَيْسَ مِثْلَهُمْ، مَنْ حَيْثُ اتَّصَلَ بِهِ بِإِلَهِ قَادِرٍ عَلَى مَا لَا يَطِيقُونَهُ، فَيُظْهِرُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ أَمْرًا يَعْجِزُ النَّاسُ عَنْهُ، فَيَقَرُّ الْمُنْصَفُ مِنْهُمْ بِصَدَقِهِ، وَتَتِمُّ الْحُجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ بِذَلِكَ.

ولكن.. هل مِنْ مَخْلُوقٍ تَتَوَقَّرُ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ كَعَلِيِّ عليه السلام؟! فَيَكُونُ شَاهِدًا عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ فِي دَعْوَاهُ، أَكْثَرُ مِنَ الْمَعَاجِزِ الَّتِي رَأَاهَا النَّاسُ يَوْمًا؟! يرى النَّاسُ الْمُعْجِزَةَ وَيُدْرِكُونَ حَقِيقَتَهَا وَيَعْرِفُونَهَا، لَكِنْهُمْ يَعْجِزُونَ عَنْ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا.

أَمَّا عَلِيٌّ، فَيَعْجِزُونَ حَتَّى عَنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ: يَا عَلِيُّ.. مَا عَرَفَكَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَا!^(٢).

لَقَدْ عَرَفْنَا شَخْصَهُ، لَكِنْ مَا عَرَفْنَا حَقِيقَتَهُ! فَصَارَ عَجْزُ النَّاسِ عَنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ وَمَنَاقِبِهِ وَكَمَالِهِ، دَلِيلًا قَاطِعًا عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، كَمَا الْمُعْجِزَةُ. وَهُوَ عَلَى عَظَمَتِهِ هَذِهِ يَقُولُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي نَهْجِهِ الشَّرِيفِ: وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ!

(١) المزار للشهيد الأول ص ١٠٦.

(٢) مختصر البصائر ص ٣٣٦.

فَمَنْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا أَعْظَمَكَ! حَتَّى يَتَّبِعَكَ عَلِيٌّ هَكَذَا وَهُوَ الْآيَةُ الْعَظْمَى! ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ ﷺ! أَيُّ: عَبْد طَاعَتِهِ لَا غَيْرَ ذَلِكَ^(١).

أَيْنَ طُوفَانُ نُوحٍ! وَنَارُ إِبْرَاهِيمَ! وَآيَاتُ مُوسَى! وَإِحْيَاءُ عِيسَى! مِنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ كِرَامَاتِهِ وَعُلُومِهِ وَعَظَمَتِهِ مَا فَاقَ الْأَنْبِيَاءَ جَمِيعاً، وَمَا خَفِيَ أَعْظَمُ، فَلَوْ ظَهَرَ مَزِيدُ فَضْلٍ لَقَالَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ مَا قَالَتْ النَّصَارَى فِي عِيسَى!

ثَالِثاً: عَلِيٌّ كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ!

لَا رَيْبَ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَعْظَمَ مُعْجَزَاتِ الرَّسُولِ الْخَالِدَةِ، وَلَكِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ عَنْهُ لِأَصْحَابِهِ: هَذَا كِتَابُ اللَّهِ الصَّامِتُ، وَأَنَا الْمُعَبَّرُ عَنْهُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ النَّاطِقِ، وَذَرُّوا الْحُكْمَ بِكِتَابِ اللَّهِ الصَّامِتِ، إِذْ لَا مُعَبَّرَ عَنْهُ غَيْرِي^(٢).
يُظْهِرُ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ بِنَفْسِهِ، حِينَ عَجَزَ النَّاسُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ.

لَكِنْ تَمَامَ إِعْجَازِهِ يُعَلِّمُ بِتَعْبِيرِهِ وَتَبْيِينِهِ وَتَوْضِيحِ حَقَائِقِهِ وَدَقَائِقِهِ وَلَطَائِفِهِ، وَهَذَا لَا طَرِيقَ لَهُ غَيْرَ عَلِيٍّ، فَصَارَتْ أَعْلَى مَرَاتِبِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ لَا تَظْهَرُ إِلَّا بِعَلِيٍّ وَبَنِيهِ! مَنْ كَانَ عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْكِتَابِ، فَكَلَّمَا أَظْهَرُوا مَزِيدَ عِلْمٍ مِنْهُ بَانَ قَدْرُ إِعْجَازِهِ وَعَظَمَتِهِ..

(١) التوحيد للصدوق ص ١٧٤.

(٢) العمدة لابن بطريق ص ٣٣٠.

هكذا يفهم قوله عليه السلام: مَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ آيَةٌ هِيَ أَكْبَرُ مِنِّي!
فآيات الكتاب الذي هو أعظم معجزة.. به عليه السلام تُبَيَّن وتُعرَف، ويُعرَف
قَدْرُهَا..

فصار عليّ.. معجزة الرّسول..
ذاتاً.. حيث عجز الخلق عن إدراك حقيقته.
وعلماً.. حيث عنده من العلوم ما يعجز الكلُّ عن إدراك بعضه.
وعَمَلًا.. حيث أقرّوا جميعاً بالعجز عن الكون مثله، وكلُّ ما ظهر من
شجاعته وبأسه وقوّته وعبادته وإنسانيّته بَعْضُ ذلك..
فسلام الله عليك يا معجزة الرّسول!
سلامٌ عليك في أيام شهادتك.. عَظَّمَ الله لنا الأجر بك يا حبيب قلوبنا..
ولعن الله من خالفك وعاداك وسلبك حقك.. والويل لمن قتلك..
وإنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

(١) التاسع عشر من أيام شهر الله المبارك ١٤٤٢ هـ الموافق ٢ - ٥ - ٢٠٢١ م.

٣. يَوْمَ بُعِثَ مُحَمَّدٌ.. وَعَلِيٌّ!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(١).
 في ليلة المبعث النبوي الشريف، التي: نُبِّئَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَبِيحَتِهَا،
 والتي يُكْتَبُ: لِلْعَامِلِ فِيهَا مِنْ شِيعَتِنَا أَجْرُ عَمَلِ سِتِّينَ سَنَةً..
 وفي يوم المبعث الذي مَن صامه: كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صِيَامِ سَبْعِينَ سَنَةً..
 تَأْسَرُنَا كَلِمَةُ الزَّهْرَاءِ الْبَتُولِ الطَّاهِرَةِ، فِي حَقِّ أَبِيهَا ﷺ:
 أَنَارَ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ﷺ ظُلْمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا..
 فهذا لسانها يُفْرِغُ عَنْ لِسَانِهِ ﷺ، الذي أَنَارَ اللَّهُ بِهِ ظُلْمَ الْأُمَمِ الْعَاكِفَةِ عَلَى
 نِيرَانِهَا، وَالْعَابِدَةِ لِأَوْثَانِهَا، وَالْمُنْكَرَةِ لِلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا..
 وهو الذي: ابْتَعَثَهُ اللَّهُ إِمَامًا لِأَمْرِهِ..
 فصَارَ أَمْرُ اللَّهِ كُلُّهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ بِمَا أَرْسَلَ مِنْ رُسُلٍ وَبَعَثَ مِنْ أَنْبِيَاءٍ غَيْرِ
 تَامٍ، حَتَّى ابْتَعَثَ اللَّهُ خَاتَمَهُمْ وَسَيِّدَهُمْ، فَصَارَتْ بَعَثَتُهُ ﷺ إِمَامًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.
 ثُمَّ صَارَ أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرِ تَامٍ حَتَّى أَكْمَلَ بُولَايَةَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿الْيَوْمَ
 أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾..
 فبَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَانَتْ إِمَامًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَإِمَامَ الْبَعْثَةِ كَانَ بِالْوَلَايَةِ، فَصَارَتْ
 الْوَلَايَةُ وَالْإِمَامَةُ إِمَامًا لِأَمْرِ اللَّهِ.

ولعلّ قائلًا من المخالفين يقول:

هل تعتقدون إذاً أن علياً شريكٌ لمحمدٍ في بعثته؟! وهل صار عليٌّ نبياً؟! وهل تعتقدون فعلاً بأنّ جبرائيل قد غلط ونزل على محمد ﷺ دون عليّ ؑ؟! كثيراً ما يسمع الشيعةُ هذه التهمة من المخالفين، ويظنُّ بعضُنا أنّها نشأت في أحضان العوام منهم لجهلهم بمذهب الشيعة، فنسبوها وأمّالها لنا. لكنّ هذه التهمة قديمةٌ بِقَدَمِ الكذب على رسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار..

لقد نسب ابن قتيبة الدينوري (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) إلى فرقةٍ من الشيعة سمّاها الغرابية قولهم بأنّ جبرائيل قد أخطأ فنزل على رسول الله ﷺ دون أمير المؤمنين ؑ! يقول ابن قتيبة عن الرافضة:

ومنهم الغرابية، وهم الذين ذكروا أن علياً رضي الله عنه كان أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الغراب بالغراب، فغلط جبريل ؑ حين بُعث إلى عليٍّ لشبهه به^(١).

ثم يتبعه في ذلك ابن حزم^(٢)، ثم يوسّع ابن الجوزي الدائرة فيجعلها شاملةً لكلّ الرافضة، حين ينقل عن الشعبي (المتوفى سنة ١٠٠ هـ) قوله حول جبرائيل: الرافضة يقولون: غلط بالوحي^(٣).

(١) تأويل مختلف الحديث ص ٧٠.

(٢) كما في الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٣.

(٣) الموضوعات ج ١ ص ٣٣٩.

ويلحقهم ابن تيمية، رمزُ أعداء الإمامية فيقول: الرَّافِضَةُ يَقُولُونَ: غَلَطَ [جَبْرِيلُ] بِالْوَحْيِ عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

وينسب هؤلاء للشيعة قولهم:

غلط الأمين فجازها عن حيدرٍ * * * والله ما كان الأمين أميناً!!
ويتفنن المخالفون في الكذب علينا، كيف لا وقد نسبها لنا أعلم علمائهم!
فما هي عقيدة الرافضة حقاً؟!

ليس من كلام أكثر تعبيراً عن اعتقاد الشيعة من كلام مولى الموحدين، حينما
سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَنَبِيٌّ أَنْتَ؟
فَقَالَ: وَيْلَكَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبْدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).
عَبْدٌ مِنْ عَبْدِ مُحَمَّدٍ جعله محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه في آية المباهلة! وجعل الله ولايته
إكمالاً للدين وإتماماً للنعمة!

يقول عليه السلام في نهجه الشريف: وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِصَةِ..
وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً
وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ..

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءٍ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَتْ
وَاحِدٌ يَوْمٌ مِثْلَ الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا.

(١) منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٧ وص ٣٢.

(٢) الكافي ج ١ ص ٩٠.

أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ
حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟
فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا
أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ^(١).
لقد رأى ﷺ نور الوحي وشم ريح النبوة، وكان وزيراً للنبي ﷺ،
ولكنه ليس بنبي.. وليس في الشيعة من يعتقد بنبوته.. وإن اعتقدوا أنه شريك
النبي في أمره لا في نبوته، فهو ﷺ خاتم الأنبياء وحده..
لقد قال النبي ﷺ كما قال موسى ﷺ: ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾، فجعل
الله له علياً شريكاً.

بهذا وسواه صار عليّ شريكاً في بعثة الخاتم، دون أن يكون نبياً..
وكما حاز ﷺ من صفات الكمال أعلاها، كما قال أمير المؤمنين ﷺ:
وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ،
يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ..
كذلك كان حال أمير المؤمنين والأئمة من ذريته..
عن أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾..
قَالَ: خَلَقَ أَعْظَمُ مِنْ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ، كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ

مَعَ الْأَئِمَّةِ، وَهُوَ مِنَ الْمَلَكُوتِ^(١).

إِذَا تَبَيَّنَ عِظَمُ شَأْنِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُمْ قَوْلُهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَنَحْنُ مَعْدِنُ النَّبَوَّةِ، وَنَحْنُ مَوْضِعُ الرِّسَالَةِ^(٢).

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: المَعْدِنُ: مكان كل شيء، أصله ومبتدؤه^(٣).

فالنَّبَوَّةُ قد اختصَّ بها سيد الكائنات محمد ﷺ، لكنَّ العترة الطاهرة هم معدن هذه النبوة وأصلها ومبتدأها، فَمَنْ يُدْرِكُ عَظِيمَ مَنْزِلَتِهِمْ؟

وهم الذين صار جبريل خادماً لهم، و(الروح) طوع أمرهم..

فما جزاء من يفترى عليهم وعلى شيعتهم؟!

ذاك أمره إلى الله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

والحمد لله رب العالمين^(٤).

(١) الكافي ج ١ ص ٢٧٣.

(٢) بصائر الدرجات ج ١ ص ٦٣.

(٣) كتاب العين ج ٢ ص ٤٢.

(٤) الخميس ٢٧ رجب ١٤٤٢ هـ الموافق ١١ - ٣ - ٢٠٢١ م.

٤. عليّ.. رمز (الوحدة الإسلامية)!!

بسم الله الرحمن الرحيم

كثيراً ما يُقصدُ من الوحدة الإسلامية (التزام الجماعة وترك التفرقة)، وهي بهذا المعنى (منهج قرآني حق) لا لبس فيه! بل منهج إمامي، إمامه ورائده، ورمزه وقائده، والداعي إليه بعد النبي ﷺ هو عليّ بن أبي طالب ؑ! أما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١).

أما أوصى رسول الله ﷺ بصلاح ذات البين فقال: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ^(٢).

أما أرشد عليّ ؑ جنده إلى عدم التفرق حتى في القتال: إِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقُ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَأَنْزِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا رَحَلْتُمْ فَأَرْحَلُوا جَمِيعًا^(٣).

فما هي الوحدة المنشودة؟! وما موقف عليّ ؑ منها؟! ومن دُعائها في أيامنا؟! أيا منّا؟!

١. عليّ إمام الجماعة!

لقد سُئل عليّ ؑ عن (أهل الجماعة) فقال: أَمَّا أَهْلُ الْجَمَاعَةِ فَأَنَا وَمَنْ تَبِعَنِي

(١) الأنعام ١٥٣.

(٢) الكافي ج ٧ ص ٥١.

(٣) وقعة صفين ص ١٢٤.

وَأِنْ قُلُّوا!

وسئل عن أهل الفُرْقَةِ فقال أنهم: الْمُخَالِفُونَ لِي وَلِمَنِ اتَّبَعْنِي وَإِنْ كَثُرُوا! (١).
فليست الكثرةُ عندَ عليٍّ معيارَ صدقِ عنوان الجماعة، بل الحقُّ هو الميزان،
فمَنْ كان مع الحقِّ كان من أهل الجماعة، وعليٌّ مع الحقِّ والحقُّ معه، فشيئته
وأتباعه هم أهل الجماعة وإن قلُّوا..

أما قال النبي ﷺ عندما سئل عن الفرقة الناجية: الْجَمَاعَةُ الْجَمَاعَةُ
الْجَمَاعَةُ! (٢).

فلا يتقوّم مفهوم الجماعة إلا باجتماع أهل الحقِّ خلفَ إمامهم، وليس سوى
عليٍّ عليه السلام، فهو سبيلُ الله وصرّاطهُ المستقيم، وكلُّ سبيلٍ آخر يُفَرِّقُ الناسَ عنه.

٢. لا تفرّقوا عن عليٍّ!

قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾، (وَعَلَيْ حَبْلُهُ) كما عن
رسول الله ﷺ (٣).

وعن الباقر عليه السلام: أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى وَلَايَةِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا
يَتَفَرَّقُوا (٤).

هكذا يصيرُ التفرُّقُ عن عليٍّ زُهداً في حبلِ الله، وانغماساً في الجهل

(١) الإحتجاج ج ١ ص ١٦٨.

(٢) الخصال ج ٢ ص ٥٨٤.

(٣) تفسير فرات الكوفي ص ٩٠.

(٤) تفسير القمي ج ١ ص ١٠٨.

والضلال، وعصياناً لأمر الله تعالى فيما انحسرت به النجاة، فليس لمن لم يتبع علياً أن ينسب نفسه لأهل الجماعة والوحدة!

٣. عليّ ودعاة الوحدة!

ماذا يريد دعاة (الوحدة) منها اليوم؟

ألا يريدون منها (الاجتماع) دون (التفرُّق)؟!

فهذا منهجُ السماء على لسان الأنبياء والأوصياء..

ولكن.. الاجتماع على أي شيء يكون؟!

١. على الصراط المستقيم بالتمسُّك بحبل الله.

٢. أو على السُّبُل المتفرِّقة.

الثاني مُستحيلٌ عقلاً، فلا يُعقلُ الاجتماع والتفرُّق معاً!

والأوّل هو طريق الشيعة حينما والوا علياً، ولا زالت دعوتهم اليوم لكلّ الناس تلهج بقوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾^(١).

تَعَالَوْا: فأهل الحقّ قائمون على الصُّراط المستقيم، ويرشدون من سواهم إلى لزوم نبذ التفرقة، ولا يتم ذلك إلا بالاعتصام بحبل الله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والاتحاد تحت رايته، بأن يُعرضوا عن السبل المتفرقة و(يأتوا) إلى كلمة الحقّ، لا أن يترك المؤمنون الحق ويستبدلوه بالباطل!

أنتركُ سبيلنا ونَتبع السُّبُل المتفرِّقة فنضلّ عن صراط الله؟!

أَمْ نَتَيَقَّنُ أَنَّا (أَهْلُ الْجَمَاعَةِ) وَإِنْ (قَلَّ عَدَدُنَا)؟!
فدُعاة الوحدةِ والجماعةِ اليوم، إن تَمَسَّكُوا بِالْحَقِّ وَبَيَّنَّوهُ، وَتَرَقَّبُوا مَنْ يَرِيدُ
اتِّبَاعَهُ لِيَعْيُونَهُ، كَانُوا مِنْ أَهْلِهَا حَقًّا.

٤. مَجَالِسَةُ أَهْلِ التُّهْمَةِ!

المُؤْمِنُ كَيْسٌ فَطِنٌ، يَحْذَرُ مِنْ أَهْلِ التُّهْمَةِ، فَمَجَالَسَتُهُمْ تَشِيرُ الرِّيبَةَ: وَأَوَّلَى
النَّاسِ بِالتُّهْمَةِ مَنْ جَالَسَ أَهْلَ التُّهْمَةِ^(١).

وعن الصادق عليه السلام: مَا اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْجَاهِلِينَ إِلَّا حَضَرَهُمْ عَشْرَةٌ
أَضْعَافِهِمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ.. فَمَنْ ابْتَلَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ فَإِذَا خَاضُوا فِي ذَلِكَ فَلْيَقُمْ
وَلَا يَكُنْ شَرَكُ شَيْطَانٍ وَلَا جَلِيسُهُ^(٢).

إنَّ المؤمن لا يستعين بالجاهلدين وأهل النفاق والشقاق، ولا يكثر لكثرة
عددهم، ولا يُجالسهم، ولا يتقرب إليهم، ولا يمدحهم، ففي ذلك الغواية
والخسران المبين.. وغضبُ الله ولعنته إلى يوم الدين.

ففي الحديث: مَنْ جَالَسَ لَنَا عَائِبًا، أَوْ مَدَحَ لَنَا قَالِيًا، أَوْ وَاصَلَ لَنَا قَاطِعًا..
أَوْ وَالَى لَنَا عَدُوًّا.. فَقَدْ كَفَرَ بِالَّذِي أَنْزَلَ السَّبْعَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ^(٣).

هكذا يحذر المؤمن من الذين يكفرون بآيات الله ويستهزؤون بها، فلا يقعد
معهم لئلا يصير مثلهم، فالمؤمن وإن كان يُشَدُّ وحدة المسلمين، بل وحدة الناس

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٣٩٥.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٨٧.

(٣) الأُمالي للصدوق ص ٥٦.

أجمعين، واجتماعهم خلف راية الحق، إلا أنه لا يُفَرِّطُ بالحق، ولا يقدّم نفسه قرباناً على مذبح أعداء الله، وليس ممن يضع نفسه موضع تهمةٍ وتهاؤنٍ في أمور دينه.

يعلم المؤمن أن حجة الله تامة، ويبيّن الحق للمسترشد المستنصح، ثم يذر الظالمين في غيهم، ولا يجالس أهل الرّيب منهم، إلا مُكرهاً، مستنكراً بقلبه ذلك، ولا يصلّ أعداء الله بأدنى صلّة، وقد غَضِبَ الله عليهم وأعدّ لهم عذاباً أليماً.

هكذا هم أتباع عليّ عليه السلام، رمز الوحدة الإسلامية، ورمز اجتماع الأمة وجماعتها، فهو إمامها وسيّدُها وخيرها بعد رسول الله ﷺ.

وهكذا هم شيعته.. لا يفرّطون في دينهم قيد أنملة، ولا تغرهم الشعارات الفارغة والمظاهر الخادعة، ولا يُستقلّ من دينهم.

يُشدّون الوحدة والاجتماع، ويبغضون التفرّق والتشرذم، لكنهم يعلمون أن اجتماع الكلمة لا يكون إلا خلف راية الحق، وينتظرون ساعتها على يد الحجة من آل محمد ﷺ.

اللهم عجل فرجه، واجمع كلمتنا به على التقوى.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) ليلة الخامس من ذي القعدة ١٤٤٢ هـ الموافق ١٥ - ٦ - ٢٠٢١ م.

٥. الإمامُ عليٌّ.. بين (بطرس) و(الخلافة)!

بسم الله الرحمن الرحيم

أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا.

وَأَعْطَيْكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرَبِّطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مُحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ^(١).

هي فقراتٌ من إنجيل متى، يخاطبُ فيها عيسى ﷺ وصيه وخليفته من بعده (بطرس)، الذي يعرف أيضاً بـ(شمعون الصفا)، ويُعدُّ هذا النصُّ من أقوى النصوص التي استندت إليها الكنيسة الكاثوليكية، لما ذهبَت إلى (عصمة بطرس)، فكلُّ ما (يربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات)، وبيده مفاتيح ملكوت السماوات.

كذلك خاطب نبيُّ الإسلام محمد ﷺ وصيه بما دلَّ على عصمته، عندما جعله منه بمنزلة هارون من موسى، وعندما صرَّح بأنَّه خليفته من بعده، وأن الحقَّ يدور معه كيفما دار، حتى تبيَّنت الدنيا فضله وعلمه وعصمته.

ههنا يُطرح سؤال:

لماذا اتَّفقت الكنيسة الكاثوليكية مع المذهب الشيعي على لزوم عصمة خلفاء الأنبياء كالأنبياء؟!

قال العلامة الحلي رحمه الله، وهو أحد أبرز علماء الشيعة عبر التاريخ:
ويجب في النبي العصمة: ليحصل الوثوق فيحصل الغرض، ولوجوب
متابعته..

النبي تجب متابعته، فإذا فعل معصية: فإما أن تجب متابعته أو لا.
والثاني باطل لانتفاء فائدة البعثة.
والأول باطل لأن المعصية لا يجوز فعلها^(١).

إنَّ منشأ الحكم بلزوم طاعة الأنبياء هو حكم العقل، وأحكام العقل لا
تختلف ولا تتخلف، فمن وجبت متابعته وطاعته طاعة مطلقة دون أي استثناء
لزم أن يكون معصوماً، وإلا لزم عدم اتّباعه بل الإنكار عليه، وهو باطل جزمًا.
ولما كان المنشأ عقلياً اشترك فيه الكاثوليك والشيعة، وسرّت هذه القاعدة
إلى خلفاء عيسى ومحمد ﷺ، فقال الكاثوليك بعصمة بطرس لأنه (خليفة
عيسى) والصخرة التي بنى عليها كنيسته، وهو رأس الكنيسة وعمادها.
كذلك قال الشيعة من المسلمين بعصمة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، لأنهم
خلفاء النبي ﷺ، فلا يمكن الأمر بطاعتهم مطلقاً ما لم تثبت عصمتهم.
لكن يُلاحظ على الكاثوليك أمران:

الأمر الأول: مخالفتهم لنص الإنجيل

إنَّ القول بعصمة بطرس صحيحٌ وتامٌ، لكنّه مخالفٌ لنصّ الإنجيل الذي

(١) كشف المراد ص ٣٤٩.

يعتقدون بصحّته، حيث ذمّ بطرس وسلب منه صفة (العصمة).

فقد روي فيه أن عيسى عليه السلام انتهر بطرس وقال عنه أنّه شيطان!
فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبَطْرُسَ: اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْتَرِئُ لِي، لَأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ
بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ^(١).

ووصفه بقلة الإيمان: يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَّكَتَ؟^(٢).

فوقعوا في حيرة، إذ كيف يكون من وصفه عيسى بأنه شيطان معصوماً عن
الخطأ؟! ثم يكون خليفته من بعده.. فحصل التناقض الذي لا يمكن للعقل أن
يقرّ به أو يقبله.

الأمر الثاني: توسعة دائرة العصمة

إنّ الكنيسة الكاثوليكية وسّعت دائرة العصمة، لتشمل آباءها، فإنّها لما
جعلت (البابا: الأب) رئيس الكهنة هو (خليفة بطرس)، لم تجد بُدّاً من الحكم
بعصمته كـ(بطرس)، فأقرّ مجمع الفاتيكان المنعقد بروما عام ١٨٧٠م أنّ البابا
معصومٌ من الخطأ في كلّ الأمور الدينية، وأنّه وكيل المسيح في السلطة على
الكنيسة^(٣).

لكنّ الكنيسة الكاثوليكية لم تأتِ بدليلٍ تامٍ على ذلك، لذا رفضت قرارها
سائر الكنائس، حيث لم تتعلّق عصمة المختلفين فيما بينهم، فكم من خلافٍ بين

(١) متى ٢٣: ١٦، وقريبٌ منه: مرقس ٨: ٣٣.

(٢) متى ١٤: ٣١.

(٣) بين العقل والإيمان ج ١ ص ١٨٢.

الباباوات (المعصومين) قد ذكره التاريخ!

فوقعت الكنيسة الكاثوليكية في مناقضة للعقل من جهتين:

١. حين جعلت بطرس معصوماً وشيطاناً في آن!

٢. وحين جعلت آباءها المختلفين في مصاف العصمة معاً!

أما الشيعة.. فقد خلصت عقيدتهم من هذين الإشكاليين.. لمخالفتها لحكم العقل القطعي.

١. فإنّهم لما نزهوا الأنبياء والأئمة عن كلّ ما يشينهم، ولم ينسبوا لهم شيئاً من المعاصي والأخطاء، لم يقبلوا بحقهم أدنى ذمّ أو عيب، فتوافقت عقيدتهم مع العقل ولم تخالفه.

٢. ولما رجعوا لعلمائهم ومراجعهم، لم يذهبوا إلى عصمتهم، حيث لا قائل بين الشيعة ممن يعتدّ بقوله بعصمة أحد من العلماء، ولا بوجوب اتّباعهم إن لم يستندوا إلى حجةٍ وبينة، أو علّم فسقهم وضلالهم وانحرافهم أو خطوهم. وإنّما كان النبيّ والإمام معصوماً ليحصل الوثوق به وتجب طاعته مطلقاً، أمّا من سواه ممن لم تثبت عصمته فلا تجب طاعته كطاعة النبي والإمام، وإلا ثبت التناقض بحكم العقل.

لكنّ فرق المسلمين الأخرى سقطت كما سقطت الكنيسة، فإنّها لم تسلم من التناقض.

لقد أوجب المخالفون للشيعة طاعة (الخلفاء الثلاثة) مطلقاً مع (عدم وجوب عصمتهم)! وهذا يُبطل أدلة لزوم العصمة في الأنبياء، ويناقض العقل

القطعي، ومن نصوصهم المتكررة في ذلك قولهم: أَنَّ الْأُمَّةَ.. أَجْمَعَتْ عَلَى صَحَّةِ إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى أَنَّ الْعَصْمَةَ لَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً لَهُمْ! ^(١).
إِنَّ صَحَّةَ إِمَامَتِهِمْ تَعْنِي وَجُوبَ طَاعَتِهِمْ مُطْلَقاً، فَهُمْ مُخْبِرُونَ عَنِ السَّمَاءِ مُطْلَقاً.

وعدم وجوب عصمتهم يعني عدم وجوب طاعتهم مطلقاً، لاحتمال الخطأ فيهم.

فاجتمع بذلك (وجوب طاعتهم) و(عدم وجوب طاعتهم) معاً!
إِنَّهُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضِينَ..

وقع فيه النصارى في العصمة كما وقعوا فيه في التثليث..
ثم وقع فيه المخالفون للشيعة من المسلمين..

يَجْمَعُهُمْ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا مَأْمُونِينَ عَلَى عُلُومِ السَّمَاوَاتِ فِي الْأَرْضِ، وَلَا سَيَّرَتِهِمْ
الْبَصِيرَةَ إِلَى الْحَقِّ.. فَكَانُوا مِمَّنْ يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قُلُوبِهِمْ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ..
كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ، لَوْ أَصَبْتُ
لَهُ حِمْلَةً.. بَلَى أَصَبْتُ لَقِنَا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، وَمُسْتَظْهِراً
بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، أَوْ مُنْقَاداً لِحِمْلَةِ الْحَقِّ، لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي
أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، أَلَا لَا ذَا وَلَا ذَاكَ..

سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ.. يَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ..

جهلوك.. حتى قرنوك بمن ناووك..

(١) سيف الدين الأمدي المتوفي سنة ٦٢٣ هـ في أبحار الأفكار في أصول الدين ج ٥ ص ١٩٩.

جهل النصارى قدر بطرس فزعموه شيطاناً!
وجَهِلَتِ الأَمةُ قدركَ فقدّمت (الثلاثة) عليك.. مَنْ ليس لهم سابقةٌ في عِلْمٍ
أو دين!
إنّها الإمامة.. أوّل عروة نُقِضَتْ في الإسلام.. حتى ركبت الأَمة سُنن من
كان قبلها!
اللهم إنّنا معشر الشيعة نبرأ إليك من هؤلاء وهؤلاء.. ونوالي وليك ونعادي
عدوك. فكن لنا ولياً وناصرًا ومعيناً..
والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الأحد ٢٧ ربيع الثاني ١٤٤٢ هـ الموافق ١٣ - ١٢ - ٢٠٢٠ م.

٦. علي.. وتجار الضلال!

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ﴾^(١).
البيعُ والشرَاءُ من أكثر المعاملات المالية التي عرفها البشر، وأساسه طرفا
العقد: المشتري والبائع، وطرفا المعاملة: الثَّمَنُ والمُثَمَّن، فيطلب المشتري ما لا
يملك، ويعطي للمالك ثمنه.

لكن الآية المباركة تتحدّثُ عن بيعٍ من نوعٍ خاص، المشتري فيه هو الله
تعالى، وهو مالكُ كلِّ شيءٍ حقاً، فليس من شيءٍ خارجٍ سلطانه تعالى، رغم ذلك
يشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، وهو المالك لها، لا يناله منها ولا منهم نفعٌ
ولا ضررٌ، رغم ذلك اشتراها منها، فيقدّمون أنفسهم وأموالهم في سبيله رغم غناه
عنها.

وبالبائع: هو المؤمن، يبيع (نفسه وماله) لله تعالى، وقد تمكّن المؤمن من
التصرّف بإقدار الله تعالى، لا على نحو الاستقلال، والثمن مقابل ذلك هو
(الجنة).

هي تجارةٌ إذاً بين الله تعالى وبين المؤمنين، ويفسّر الإمام زين العابدين عليه السلام
المؤمنين هنا بأنهم الأئمة^(٢)، فهم المصدّق الأتم لمن باع نفسه لله مطلقاً، ومن
سواهم من المؤمنين دون ذلك.

(١) التوبة ١١١.

(٢) تفسير القمي ج ١ ص ٣٠٦.

وقد نزلت آية أخرى في أول الأئمة أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(١).

فعن الباقر عليه السلام: إنها أنزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام حين بذل نفسه لله ولرسوله، ليلة اضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله لما طلبته كفار قريش^(٢).

ولما بلغ النبي والأئمة تلك المنزلة، صاروا جزءاً من التجارة بين الله والمؤمنين، فصار أتباعهم بنفسه محل بيع وشراء بين الله تعالى وبين سائر العباد، فيشتري الله تعالى من المؤمن نفسه بأن يتبع نبية ووليّه، ويحصل مقابل ذلك على الجنة!

إن الإنسان لا يتمكن من التصرف بما لا يملك، والنفس ليست ملكاً للإنسان على نحو الإطلاق، وهو ليس مأذوناً بمطلق التصرف فيها، فليس له أن يقتل نفسه أو يوردها المهالك، إنما يملك منها ما ملكه الله تعالى، وما لم يكن تصرفه مأذوناً من المالك الحقيقي كان باطلاً.

هذا في نفسه وماله، فليس له أن يبيعها إلا بما يرضي الله تعالى..

لكن على القلب الآخر، فئة من الناس تباع وتتاجر بدين الله! وآياته عز وجل! فتقلب التجارة عند هؤلاء من تجارة الحق مع الله، إلى تجارة الضلال مع الشياطين!

فَمَنْ هُمْ تَجَارُ الضَّالَالِ هَؤُلَاءِ؟!

(١) البقرة ٢٠٧.

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ١٠١.

ما تركت آيات الكتاب الأمر مُبَهَّمًا، فذكرت نماذج منهم:

النموذج الأول: من يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً

قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَتْهُنَّ﴾^(١).

وفُسِّرَت في الروايات بجحود آيات الله المنزلة لنبوة محمد ﷺ وإمامة عليٍّ والأئمة من عترته^(٢).

فجاحدُ النبوة والإمامة ممن اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً.

النموذج الثاني: الذين يشترون الضلالة

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾^(٣).

وقد فُسِّرَت بأنهم الذين: (ضلُّوا في أمير المؤمنين) و(أخرجوا الناس من ولاية أمير المؤمنين)^(٤).

النموذج الثالث: الذين يكتُمون ما أنزل الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا

(١) البقرة ٤١.

(٢) تفسير الإمام العسكري ص ٢٢٩.

(٣) النساء ٤٤.

(٤) تفسير القمي ج ١ ص ١٤٠.

قَلِيلًا أَوْلَيْكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ^(١).

وقد فسّرت في الروايات بأنهم الذين يكتُمون ما أنزل من: ذِكرِ فضلِ مُحَمَّدٍ ﷺ على جميعِ النَّبِيِّينَ، وَفَضْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ على جميعِ الوَصِيِّينَ^(٢).

هي فئاتٌ ثلاثةٌ تجتمع في تجارة الضلال، محورُها مخالفة محمدٍ وآل محمد ﷺ، ومراتبها ثلاثة:

١. الجاحد للنبوّة أو الإمامة.

٢. الضالّ عن الإمامة والساعي لإضلال غيره عنها.

٣. الذي يكتُم فضل محمد ﷺ على الأنبياء، وفضل عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ على الأوصياء.

صار هؤلاء مَن عصى الله في أحب الأشياء إليه بعد التوحيد، فخالفوا الفطرة التي فطرَ الناسُ عليها في الإيمان بالنبی والإمام، فهؤلاء ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وفسّرت بأنه لا يكلمهم: بِكَلَامٍ خَيْرٍ، بَلْ يُكَلِّمُهُم بِأَنْ يَلْعَنَهُمْ وَيُخْزِيَهُمْ وَيَقُولُ:

بِئْسَ الْعِبَادُ أَنْتُمْ، غَيَّرْتُمْ تَرْتِيبِي، وَأَخَّرْتُمْ مَنْ قَدَّمْتُهُ، وَقَدَّمْتُمْ مَنْ أَخَّرْتُهُ، وَوَالَيْتُمْ مَنْ عَادَيْتُهُ، وَعَادَيْتُمْ مَنْ وَالَيْتُهُ^(٣).

(١) البقرة ١٧٤.

(٢) تفسير الإمام العسكري ص ٥٨٦.

(٣) تفسير الإمام العسكري ص ٥٨٦.

هذا حال من غيّر ترتيب الله تعالى، فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ على هواه.
فكم هو خطيرُ شأنُ هذا المذهب، وكم هو عظيمُ عقابُ من يتلاعب بدين
الله تعالى ويبدّل فيه، فيستمي إلى (نقابة تجّار الضلال)!
ما هو حال من يحدّ منقبةً من مناقب آل محمد، أو يُخرج الناس عن
ولايتهم، أو يكتُم شيئاً من فضائلهم.
مِنْ هَؤُلَاءِ التَّجَّارُ يَحْذَرُ الْمُؤْمَنُ، وَلَوْ خَطَّوْا كُتُباً، وَتَظَاهَرُوا بِالْوَرَعِ
وَالْخُشُوعِ، وَتَسَرَّبَلُوا بِسُرْبَالِ الْعُلَمَاءِ، وَتَصَنَّعُوا الْفَقَاهَةَ، وَادَّعَوْا الشَّجَاعَةَ.
فإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ.. وَأَعْدَاءُ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ..
نَبْرًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى نَبِيِّهِ وَوَلِيِّهِ مِنْهُمْ..
والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الخميس ٦ رجب ١٤٤٢ هـ الموافق ١٨ - ٢ - ٢٠٢١ م.

٧. ضجيجٌ في السماء! لِقَتْلِ إِمَامِ الْأَوْصِيَاءِ!

بسم الله الرحمن الرحيم

حِجَابُ الْهَيْكَلٍ قَدْ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقِ إِلَى أَسْفَلٍ.
وَالْأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، وَالْقُبُورُ تَفْتَحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ
أَجْسَادِ الْقَدِيسِينَ الرَّاقِدِينَ!

كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا.. وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ!

هاتان فقرتان من إنجيلي متى ولوقا^(١) تذكران ما حلَّ بالدنيا يومَ رُفِعَ
المسيح منها! وإن زعم متى أَنَّهُ ﷺ قد (أَسْلَمَ الرُّوحَ).

هو حَدَثٌ كونيٌّ عَظِيمٌ (إِنْ صَحَّتِ الْوَاقِعَةُ)، وليس ذلك ببعيد..

به يظهرُ تسخيرُ الله الكونَ للإنسان الكامل، وانقياده له على أكمل صورة
لو أراد، ثم تأثره به لو كان لله ولياً ومنه قريباً.

كان تاريخ ذلك الحدث: ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان المبارك!

ليلة شهادة أمير المؤمنين ﷺ! فأَيُّ صِلَةٍ بين الأمرين؟!

أولاً: عليّ.. وسلسلة الأنبياء.. والأوصياء!

لقد أشارَ أميرُ المؤمنين ﷺ قبيل شهادته إلى نوعِ صِلَةٍ بين منظومة الأنبياء
والأوصياء. وأنَّ ما جرى عليه من ضربٍ وشهادةٍ وافقَ أحداثاً جرت على من

(١) مَتَّى (٢٧: ٥١) ولوقا (٢٣: ٤٤).

تقدّم عنه من أنبياء وأوصياء، ففي الخبر عنه عليه السلام:

١. لَقَدْ ضُرِبْتُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا يُوشَعُ بْنُ نُونٍ.

٢. وَلَأُقْبَضُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي رُفِعَ فِيهَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ^(١).

ثمّ لما استشهد عليه السلام خطب الإمام الحسن عليه السلام وزاد الأمر وضوحاً فقال
عن ليلة شهادته: أَيُّهَا النَّاسُ:

١. فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ نَزَلَ الْقُرْآنُ.

٢. وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رُفِعَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام.

٣. وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قُتِلَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ.

٤. وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَاتَ أَبِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ^(٢).

وقال في حديث آخر:

وَلَقَدْ صُعِدَ بِرُوحِهِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي صُعِدَ فِيهَا بِرُوحِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ^(٣).

ثمّ بيّن الأئمة عليهم السلام أن الليلة الواحدة والعشرين:

١. هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُصِيبَ فِيهَا أَوْصِيَاءُ الْأَنْبِيَاءِ.

٢. وَفِيهَا رُفِعَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام.

٣. وَقُبِضَ مُوسَى عليه السلام ^(٤).

(١) شرح الأخبار ج ٢ ص ٤٣٥.

(٢) الأمالي للصدوق ص ٣١٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣١٣.

(٤) تهذيب الأحكام ج ١ ص ١١٤.

فاقترنت ليلة شهادته بنزول القرآن الكريم أولاً، وهو معجزة الرسول الخالدة. وبما وقع على الأنبياء والأوصياء..

فصارَ وقتُ شهادته وقت قبض موسى ويحيى بن زكريا، ورُفِعَ عيسى! وليلته ليلة الأنبياء والأوصياء.. إصابةً وقتلاً..

ثم من بعد ذلك صار ضجيج أبوي البشر: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَى ضَجِيعِكَ آدَمَ وَنُوحَ! فَمَنْ أَنْتَ يَا عَلِيّ؟! يَا سَرَّ الله فِي أَرْضِهِ..
يا ركن الهدى وعروة الله التي لا تنفصم..

ثانياً: ضربة ترتج لها الأرض!

ما بين ليلة الضربة، وليلة الشهادة.. أحداث عظام..
خَفِيَ الكثير منها.. وبلغنا اليسير..

وإذا كان متى ولوقا يتحدثان في إنجيليهما عن زلزلة الأرض وتشقق الصخور، وظلمة الشمس، وقد رُفِعَ عيسى ولم يُقتل كما نص القرآن، فما حال الدنيا عندما ضُربَ إمام الأوصياء ونفس خاتم الأنبياء؟!

وأين عيسى ذو الحرفين منك يا حامل حروف اسم الله الأعظم خلا ما حجبه الله تعالى؟!

لقد ورد في الخبر: ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ:

١. ارْتَجَّتِ الْأَرْضُ.

٢. وَمَا جَتِ الْبَحَارُ وَالسَّمَاوَاتِ.

٣. وَاصْطَفَقَتْ أَبْوَابُ الْجَامِعِ.

٤. وَضَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ بِالدُّعَاءِ.

٥. وَهَبَتْ رِيحٌ عَاصِفٌ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ^(١).

لئن كانت الأرض قد تزلزلت وارتجت عند رفع عيسى وضرِبِ علي عليه السلام،
فما حال السماوات وقد (ماجت) لضربه عليه السلام؟! ومَن ذا الذي يفهم ويُدرِك كيف
ماجت بسُكَّانها وهم من أقرب خلق الله إليه؟!

لقد ورد في دعاء أول يوم من شهر رمضان: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ:

١. تَرَعُدُ السَّمَاءُ وَسُكَّانُهَا.

٢. وَتَرْجُفُ الْأَرْضُ وَعُمَّارُهَا.

٣. وَتَمُوجُ الْبِحَارُ وَمَنْ يَسْبَحُ فِي غَمَرَاتِهَا^(٢).

فماذا أصاب السماء وسُكَّانها، حتى ماجت والبحارُ لضربته، وهي التي
ترعد وتموج من خشية الله!

هل خَشِيتَ غَضَبَ الْجَبَّارِ عندما ضُرِبَ الْكَرَّارُ؟! ذاك عالمٌ لا نفقهه..

لكننا ندرِك عجزنا عن إدراك مكانتك يا علي.. وقد ماجت السماوات
وارتجت الأرض عندما ضُرِبَ إِمَامُهَا وإِمَامٌ مَن فيها؟!

لقد عمَّ السماء ضجيجُ الملائكة بالدعاء.. فَمَنْ أَنْتَ يا علي؟! يا إمام
الأوصياء..

(١) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢٨٢.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٣ ص ١١٠.

ثالثاً: دماءُ في السماء!

وجاءت لحظة الوداع.. وداع الحسين وزينب لأبيهما..

يصف محمد بن الحنفية تلك الساعة فيقول: فلما أظلم الليل تغيرَ أفق السماء وارتجت الأرض^(١).

ويقول ابن عباس: لَقَدْ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْأَرْضِ بِالْكُوفَةِ فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ دَمًا^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا عَلِيٌّ صَلَّاهُ اللَّهُ عَلَيْهِ لَمْ يَرْفَعْ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ حَجَرٌ إِلَّا وَجَدَ تَحْتَهُ دَمٌ عَبِيطٌ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ^(٣).

هي المنظومة نفسها، جرى في هذه الليلة ما جرى يوم فقد هارون ويوشع، ويوم رُفِعَ عيسى، ويوم استشهد الحسين عليه السلام.

جماداتُ تأبى أن تودّع إمامها بغير الحزن والألم، ألم يعتصرُ البشرَ والمدرَ لفقد سيّد الأوصياء.

جمادُ له نوعٌ إدراكٍ يفوق إدراكَ الجهّال! وتسليم لا يبلغ شأنه المشككون!
هكذا يتغيرُ أفق السماء وتمطر دماً، فيما تقسو قلوبٌ فلا تعتصرُ ألماً لفقدك يا

عليّ!!

(١) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢٩٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليه السلام لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٤٦.

(٣) قصص الأنبياء عليه السلام للراوندي ص ١٤٣.

رابعاً: عَلِيٌّ أَعْظَمُ الْعُظَمَاءِ!

تَضَجُّ السَّمَاءُ وَتَرْتَجُّ الْبِلَادُ لِأَجْلِ عَلِيٍّ.. لَكِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَطْمَئِنٌّ يَرْمُقُ السَّمَاءَ بِطَرَفِهِ، وَلِسَانُهُ يَسْبِّحُ اللَّهَ وَيُوحِّدُهُ وَيَقُولُ: أَسْأَلُكَ يَا رَبَّ الرَّفِيعِ الْأَعْلَى!!

تَتَساقَطُ قَطْرَاتٌ مِنْ دُمُوعِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى وَجْهِهِ الشَّرِيفِ.. فَيَقُولُ لَهُ:

يَا بُنَيَّ يَا حَسَنُ مَا هَذَا الْبُكَاءُ!

يَا بُنَيَّ لَا رَوْعَ عَلَيَّ أَبِيكَ بَعْدَ الْيَوْمِ!

هَذَا جَدُّكَ مُحَمَّدٌ الْمُصْطَفَى وَخَدِيجَةُ وَفَاطِمَةُ وَالْحُورُ الْعَيْنُ مُحَدِّقُونَ مُتَتَظِرُونَ

قُدُومَ أَبِيكَ فَطَبَّ نَفْساً وَقَرَّ عَيْناً!

وَإِخْفُفْ عَنِ الْبُكَاءِ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ!

يَا بُنَيَّ أَتَجَزَعُ عَلَى أَبِيكَ وَغَدًا تُقْتَلُ بِعَدِي مَسْمُوماً مَظْلُوماً!

وَيُقْتَلُ أَخُوكَ بِالسَّيْفِ هَكَذَا! (١).

لَقَدْ طَابَتْ نَفْسُكَ وَقَرَّتْ عَيْنُكَ يَا إِمَامَ الْأَوْصِيَاءِ.. يَا نَفْسَ مُحَمَّدٍ ﷺ..

لَكِنْ مَنْ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ مِنْ بَعْدِكَ؟ مَنْ لَزَيْنَبِ؟ مَنْ لِلْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى؟!

عَرَفَ شَيْئاً مِنْ عَظَمَتِكَ جَبْرَائِيلُ فَقَالَ: تَهَدَّمَتْ وَاللَّهِ أَرْكَانُ الْهُدَى!

فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٢).

(١) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢٨٣.

(٢) العشرون من شهر الله المبارك ١٤٤٢ هـ الموافق ٣ - ٥ - ٢٠٢١ م.

٨. ما لي ولك يا علي!!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١).

في زمن الغيبة، غيبة ولي الأمر وصاحب العصر، وحجة الله على عباده وخليفته في أرضه وسمائه، غيبة التمهيد حتى يقال: مَاتَ، قُتِلَ، هَلَكَ، بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ^(٢)، وحتى يكون: الْمُتَمَسِّكُ فِيهَا بِدِينِهِ كَالْحَارِطِ لِلْقِتَادِ^(٣).

غيبة صار فيها الشيعة يحولون جولان الإبل يتغنون المرعى فلا يجدونه^(٤)، فيتلون الآية المباركة ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾، ويتساءلون عن سرّ هذا الثبات الذي يمنُّ الله به على من يشاء من عباده.

يؤمنون بقول الإمام الحجة عليه السلام: إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ، وَلَا نَاسِينَ لِدِكْرِكُمْ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمْ اللَّأْوَاءُ، وَاصْطَلَمَكُمُ الْأَعْدَاءُ^(٥).

ولكن.. لأنّ التفكير حياة قلب البصير، يتفكرون في أنفسهم ومصيرهم ومآلهم وحقيقة إيمانهم.. يراودهم خوفٌ من كثرة الفتن والبلايا والمحن، يُحَدِّثُ

(١) إبراهيم ٢٧.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٣٦.

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٣٥.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة ج ١ ص ٣٠٤.

(٥) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي) ج ٢ ص ٤٩٧.

أحدهم نفسه بالخوف من هذا الخوف! هل لهذا الخوف وجهٌ حقٌّ أم أنَّه علامة انحراف؟!

سرعان ما يستذكر أحدهم أنَّ الخوف والرجاء قرينا المؤمن في كل مراحلهِ، فليس هذا من مختصات الغيبة وإن كان فيها أجلى وأوضح.

لقد حفظوا وصية لقمان الحكيم التي نقلها صادق العترة عليه السلام: **أَعْجَبَ مَا كَانَ فِيهَا أَنْ قَالَ لِابْنِهِ: خَفِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِيفَةً لَوْ جِئْتَهُ بِرِّ الثَّقَلَيْنِ لَعَذَّبَكَ، وَارْجُ اللَّهَ رَجَاءً لَوْ جِئْتَهُ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَحِمَكَ.**

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: كَانَ أَبِي يَقُولُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا [و] فِي قَلْبِهِ نُورَانِ: نُورٌ خِيفَةٍ وَنُورٌ رَجَاءٍ، لَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا، وَلَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا^(١).

يَتَّهِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَلَا يَثْقُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، إِنَّمَا يَثْقُونَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَرْجُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَيَطْمَئِنُّونَ إِلَى حَسَنِ الظَّنِّ بِهِ، وَاللَّهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ بِهِ. أن يكون المؤمن مصداقاً للآية الشريفة ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ يعني أن يكون قلبه قد شارك أبدان آل محمد في مصدر الخلقة.. من طينة عليين، من أعلاها خلق محمد وآله، ومن أدناها خلق محبوبهم^(٢).

هي مسيرة تبدأ من عوالم الخلق الأولى.. حينما يُخلق الإنسان من طينة طيبة لِسَبَقِ علم الله تعالى بإيمانه وطاعته وحبّه ومعرفته لربه ونبيه ووليّه..

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٧.

(٢) بصائر الدرجات ج ١ باب ٩ ح ٩ و ٩.

وكذا عالم الذر حيث كان المؤمن مطيعاً لله، وعالم الدنيا حيث الابتلاء والامتحان الذي نعيشه.. وفيه نوعُ جزاءٍ على ما تقدّم من الطاعة بأن رُزق حبّ محمد وآله، وفيه امتحان للثبات على هذه الولاية العظيمة.

ففي هذه الدنيا جزاءٌ يسيرٌ، أمام امتحانٍ وبلاءٍ لعظيم جزاءٍ قادم.
لا جبرَ في البين، بل رعايةٌ إلهيةٌ يحب معها المؤمن أئمةً دون أن يكون مُكرهاً على ذلك، فهم مهوى الأفئدة والقلوب.

يدعو الله أن يثبته على دينه، بمعرفة الحق ومعرفة أهله.. والعلم بالزمان لثلا (تهجم عليه اللوابس)، ثم بالعمل الصالح.

فإن كان كذلك، ثبّته الله على التمسك بمعرفة (العصمة الكبرى) في الدار الآخرة بعد الدنيا، فعن الصادق عليه السلام حول احتضار الشيعي: إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ وَاحْتَضَرَ حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَبْرِئِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَدْنُو مِنْهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَأَحِبَّهُ. وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا جَبْرِئِيلُ إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَحِبَّهُ.

وَيَقُولُ جَبْرِئِيلُ لِمَلَكِ الْمَوْتِ: إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَحِبَّهُ وَارْقُبْ بِهِ.

فَيَدْنُو مِنْهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَخَذْتَ فَكَأَكْ رَقَبَتِكَ، أَخَذْتَ أَمَانَ بَرَاءَتِكَ، تَمَسَّكَتَ بِالْعِصْمَةِ الْكُبْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيُوفِّقُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: وَمَا ذَلِكَ؟

فَيَقُولُ: وَلَايَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١).

ههنا امتحانٌ وابتلاءٌ آخر، موالاة أعداء الله تعالى.

فالبراءة قرين الولاية، ليس للمؤمن أن يحيد عنها، ولئن حكم الله على من تشهد الشهادتين بالإسلام في دار الدنيا، فإنهم ما لم يؤمنوا بالولاية ليسوا أخوة للمؤمن حقاً، كيف وهم ذُرُؤُوا لجهنم خطباً؟! حيث يزعم أحدهم الإسلام ويوصف في الدار الآخرة بالكفر رغم الشهادتين!

فعن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: يُقَالُ لِلْكَافِرِ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الله.

فَيُقَالُ: مَنْ نَبِيِّكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ.

فَيُقَالُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: الْإِسْلَامُ.

فَيُقَالُ: مَنْ أَيْنَ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ.

فَيُضْرِبَانِهِ بِمِرْزَبَةٍ لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا الثَّقَلَانِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ لَمْ يُطِيقُوهَا، قَالَ: فَيَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ ^(٢).

إنَّ المنافق من مصاديق هذا الحديث الشريف، وغير المؤمن بالولاية قرينه في جهنم، أما الناصبي فيخاطب علياً عند موته بقولٍ عجيب:

عَنْ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: كَانَ خَطَّابُ الْجَهَنِّيِّ خَلِيطاً لَنَا، وَكَانَ شَدِيدَ النَّصَبِ لِأَلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ يَصْحَبُ نَجْدَةَ الْحُرُورِيَّةِ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ أَعُوذُهُ

(١) الكافي ج ٣ ص ١٣١.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٢٣٩.

لِلْخُلُطَةِ وَالتَّقِيَّةِ، فَإِذَا هُوَ مُغْمًى عَلَيْهِ فِي حَدِّ الْمَوْتِ فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ: مَا لِي وَلَكَ يَا عَلِيٌّ!

فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: رَأَى وَرَبَّ الْكَعْبَةِ، رَأَى وَرَبَّ الْكَعْبَةِ^(١).

ما لي ولك يا علي! ما أعجب هذه العبارة! وما أجزأ القائل.

لقد رأى علياً عليه السلام، ولعله في تلك الحال كان مصداقاً لمن يقول عنه علي عليه السلام: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا كَانَ يُبْغِضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَأَبْغَضَهُ..

ثم إن ملك الموت: يُوَكَّلُ بِرُوحِهِ ثَلَاثُمِائَةِ شَيْطَانٍ كُلُّهُمْ يَبْزُقُ فِي وَجْهِهِ! ^(٢).

المؤمنُ إِذَا حَذَرُ فِي زَمَنِ الْغِيْبَةِ لئلا يوالي خطاب الجهنِّي وأضرابه ممن يَتَسَمَّوْنَ بِالْإِسْلَامِ! ولا يواخيهم ولا يجالسهم إلا بمقدار ما تلزمه به التقية.

والمؤمن حَذَرُ فِي زَمَنِ الْغِيْبَةِ من أن يضلَّ طريقه عن (العصمة الكبرى)، وباب النجاة والحبل المتصل بين الأرض والسماء.

يعلم أن باب النجاة في زمن الغيبة بمعرفة الإمام.. الذي تسنم منصباً: ضَلَّتِ الْعُقُولُ، وَتَاهَتِ الْحُلُومُ، وَحَارَتِ الْأَلْبَابُ.. وَعَيَّيَتِ الْبُلْغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ، أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ!

يعلم أن باب النجاة منحصر بإمام ورد في وصفه أنه: وَاحِدٌ دَهْرِهِ، لَا يُدَانِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُعَادِلُهُ عَالَمٌ، وَلَا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ وَلَا لَهُ مِثْلٌ وَلَا نَظِيرٌ.

(١) الكافي ج ٣ ص ١٣٤.

(٢) الكافي ج ٣ ص ١٣٢.

يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ الْإِمَامَ لَا تُدْرِكُ عَظَمَتَهُ وَلَا يَقُومُ مَقَامَهُ سِوَاهُ: كَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ وَيُغْنِي عَنْهُ؟ الْإِمَامُ هُوَ الَّذِي لَا يَرْقَى إِلَيْهِ الطَّيْرُ وَلَا يَنْحَدِرُ عَنْهُ السَّيْلُ.

هُوَ وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ لَوْلَاهُمْ لَمَا خَلَقَ اللَّهُ الْأَفْلَاكَ..

فَإِنْ قَالَ الْمُخَالَفُ: مَا بَالُ الزَّمَنِ تَوَقَّفَ عِنْدَكُمْ أَيُّهَا الشَّيْعَةُ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ؟! لَمْ يَلَمْ يَعِدْ أَحَدُكُمْ يَرَى فِي الْكَوْنِ نَظِيرًا لِإِمَامِكُمُ الْغَائِبِ وَلَا بَدِيلًا عَنْهُ؟! وَإِنْ وَصَفْنَا الْمُخَالَفَ بِالتَّخَلُّفِ وَالرَّجْعِيَّةِ، لَأَنَّا لَا نَقِيسُ الْإِمَامَ بِغَيْرِهِ كَمَا فَعَلْ، وَتَمَسَّكْنَا بِالْعَصْمَةِ الْكُبْرَى الَّتِي مَا عَرَفَهَا حَقَّ مَعْرِفَتِهَا..

فَإِنَّ عُذْرَنَا فِي ذَلِكَ اتِّبَاعُنَا لِأَسْيَادِ الْخَلْقِ، مَنْ كَانَ كُلُّ الْخَلْقِ عَالَةً عَلَيْهِمْ. الْخَلْقُ جَمِيعًا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ.. يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ، وَالْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ، وَالْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ.

بِهَذِهِ الْمَوَالَاةِ حَفِظَ الشَّيْعَةُ عَقِيدَتَهُمْ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ.. وَأَهْلُ الْإِخْلَاصِ مِنْهُمْ لَا يَرُومُونَ لَهَا بَدَلًا.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى دِينِكَ، وَوَحْدَ كَلِمَتِنَا خَلْفَ رَايَةِ وَلِيِّكَ، وَعَجِّلْ لَهُ الْفَرَجَ وَالظَّهْرَ، فَإِنَّهُمْ يَرُونَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا.. وَكُلُّ قَرِيبٍ آتٍ.. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١).

٩. علي.. كهف الزائرين!

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أسكن إبراهيم خليل الرحمان ﷺ بعضاً من ذريته عند بيت الله الحرام، ثم دعا ربه عز وجل لبقية هذه الذرية بقوله ﴿فَجَعَلَ أَفئدةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾^(١).

استجاب الله تعالى دُعاءه ﷺ، وكانت تلك البقية آل محمد ﷺ، فقال الباقر ﷺ: إِنَّ اللهَ خَلَقَنَا مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِنَا مِمَّا خَلَقْنَا مِنْهُ، وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي إِلَيْنَا، لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خَلَقْنَا مِنْهُ^(٢). ولقد بين النبي ﷺ من قبل أن القلوب التي تهوي إليهم هي قلوب شيعتهم^(٣).

وعن الباقر ﷺ في تفسير الآية: آل محمد، آل محمد، ثم قال: إلينا إلينا^(٤). وهكذا تكثرت الروايات عن العترة الطاهرة، فدلّت بما لا يقبل الشك أن الله تعالى هو الذي تصرّف بقلوب الشيعة، فحبّ إليهم أئمتهم، وليّن قلوبهم لهم، وعطفها عليهم.

يُدرِكُ الزائرُ لأمير المؤمنين ﷺ سريعاً أن الله تعالى قد جعل الأفئدة تهوي

(١) إبراهيم ٣٧.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٤١١.

(٣) تفسير فرات ص ٢٢٤.

(٤) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٣٤.

إِلَيْهِمْ أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ، ويقول في زيارته عليه السلام: صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَجَعَلَ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْكَ^(١).

ثم يستذكر بعضاً من ثواب زيارته حياً وميتاً، ذاك قول النبي صلى الله عليه وآله للحسن عليه السلام: بُنِيَ مَنْ زَارَنِي حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، أَوْ زَارَ أَبَاكَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَرْوَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَخْلَصَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ^(٢).

هو ثوابٌ عظيمٌ يناله الزائر للنبي صلى الله عليه وآله أو لأمر المؤمنين عليهم السلام، لكن الزائر غالباً ما يزور غافلاً عن هذا الثواب، لا باعث له على الزيارة أعظم من حُبِّه لهم عليهم السلام، لذا يكرّر في مرقد أمير المؤمنين عليه السلام وفي سائر مرقدتهم قوله: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي أَوْلِيَائِكَ، وَحَبِّ إِلَيَّ مَشَاهِدَهُمْ، حَتَّى تُلَحِّقَنِي بِهِمْ.

يزرع الله تعالى محبة آل محمد في قلب المؤمن، ولما يأتي لزيارتهم يدعو الله تعالى أن يزيده من حبهم، فيستجيب الله له ذلك، وقد قال الصادق عليه السلام عن زيارة أمير المؤمنين عليه السلام:

فَإِنَّ زَائِرَهُ تَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ عِنْدَ دَعْوَتِهِ، فَلَا تَكُنْ عَنِ الْخَيْرِ نَوَامًا^(٣).
تلك بقعة (من بقاع الجنة) يستجيب الله تعالى فيها دعاء المؤمن، فيجد ويجتهد فيها قدر وسعه وطاقته.

يقول النبي صلى الله عليه وآله في وصف هؤلاء المؤمنين: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ قُلُوبَ نَجَبَاءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَصَفَوْتِهِ مِنْ عِبَادِهِ حَنُّنٌ إِلَيْكُمْ، وَتَحْتَمِلُ الْمَذَلَّةَ وَالْأَذَى فِيكُمْ، فَيَعْمُرُونَ

(١) المزار ص ٤٦.

(٢) كامل الزيارات ص ٣٩.

(٣) كامل الزيارات ص ٣٩.

قُبُورِكُمْ، وَيُكْثِرُونَ زِيَارَتَهَا تَقَرُّباً مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ، مَوَدَّةً مِنْهُمْ لِرَسُولِهِ^(١).
هكذا يفهم العاقل سرَّ حبِّ المؤمنين لآل محمد، فقلوبهم قد خُلِقَتْ مما خُلِقَ
منه الأئمة تكريماً من الله تعالى لهم، لأنَّهم صفوةٌ بعد الصفوة، ومنتجبون بعد
المنتجبين.

فكما أنَّ الله تعالى نظر إلى الأرض فاختار منها محمداً وآله عليهم السلام وفضلهم
على سائر الخلق، لعلمه بأنهم أطوع الناس له، وأشدَّهم امتثالاً لأمره، وانزجاراً
عن نهيهِ.

كذلك اختار منها شيعتهم لعلمه بأنهم يتلونهم في الفضل، ويسارعون في
طاعة الله تعالى، فخلق قلوبهم من طينة الأئمة الأطهار، وحنَّها عليهم وإليهم،
فبلغوا ما بلغوا من المكانة بحبِّهم لآل محمد عليهم السلام، وطاعتهم لله تعالى.

ولما كان لصاحب المرقد عند الله شأنًا لا تُدرِكُ عظمتُهُ، وكان الزائر له مُحَبَّبًا،
وبأذْياله متمسِّكًا، وبه إلى الله متوجهًا، أعطاه الله أماناً من النار.

قال الصادق عليه السلام:

والله يَا ابْنَ مَارِدٍ، مَا يُطْعِمُ اللَّهُ النَّارَ قَدَمًا اغْبَرَّتْ فِي زِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام
مَا شِئًا كَانَ أَوْ رَاكِبًا، يَا ابْنَ مَارِدٍ اكْتُبْ هَذَا الْحَدِيثَ بِمَاءِ الدَّهَبِ^(٢).

ليس عليٌّ وحده هو الذي يطفئ نوره لهب جهنم، إِنَّ الْغُبَارَ الذي يلتصقُ
بأقدام الزائرين يصيرُ جَنَّةً ووقايةً من النار!

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٢٢.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٢٢.

تلك النار التي سَجَرَهَا الْجَبَّارُ لِيُعَاقَبَ بِهَا الْعُصَاةَ، يَعصِي عَلَيْهَا أَنْ تَطْعَمَ
مَنْ تَغْبَرُ فِي زِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوُلْدِهِ!

ثُمَّ يَنْبُلُ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الزُّوَّارَ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً، يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ:
أُولَئِكَ يَا عَلِيُّ:

١. الْمُخْصُوصُونَ بِشَفَاعَتِي.

٢. وَالْوَارِدُونَ حَوْضِي.

٣. وَهُمْ زُؤَارِي غَدَاً فِي الْجَنَّةِ..

فَأَبَشِّرْ وَبَشِّرْ أَوْلِيَاءَكَ وَمُحِبِّكَ مِنَ النَّعِيمِ وَقُرَّةِ الْعَيْنِ بِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ
سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ^(١).

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنَالُ أَعْظَمَ مِنْ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَرِدُ حَوْضَهُ؟

إِنَّ صَاحِبَ الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ فِي الْجَنَّةِ يَزُورُ صَاحِبَ الدَّرَجَةِ الدَّانِيَةِ دُونَ
الْعَكْسِ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُكْرِمُ مَنْ يَكْثُرُ زِيَارَةُ آلِ مُحَمَّدٍ وَيَتَعَاهَدُ قُبُورَهُمْ بِأَنْ يُبَيِّحَ
لَهُ زِيَارَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الْجَنَّةِ!

ثُمَّ يُتَحَفُّ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ وَالزَّائِرُ بـ (قُرَّةِ الْعَيْنِ).. ذَاكَ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ
الْإِنْسَانِ وَلَوْ كَانَ مُؤْمِناً، وَلَوْ كَانَ مَخْلُوقاً مِنْ فَاضِلِ طِينَةِ الْأُتَمَةِ، لِأَنَّ الْمَنْزِلَةَ مَنْزِلَةُ
كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذِهِ الْكَرَامَةُ لَا تُنَاسِبُ هَذِهِ الدُّنْيَا، هُنَاكَ حَيْثُ
الْكَرَامَةُ وَالرَّفْعَةُ وَالشَّرَفُ وَالرِّضْوَانُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَا أَوَّلَ مَظْلُومٍ وَأَوَّلَ مَنْ غَضِبَ حَقُّهُ..

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٢٢.

يَا مَوْلَايَ إِنَّ كُلَّ مَزُورٍ عَلَيْهِ حَقٌّ لِمَنْ زَارَهُ وَقَصَدَهُ، وَأَنَا وَلِيُّكَ، وَقَدْ حَطَطْتُ
رَحْلِي بِفِنَائِكَ، وَأَلْجَأْتُ [لِجَأْتُ] إِلَى حَرَمِكَ، وَلُذْتُ بِضَرْحِكَ، لِعِلْمِي بِعَظِيمِ
مَنْزِلَتِكَ وَشَرَفِ حَضْرَتِكَ..

هو لسانُ حالِ كُلِّ مؤمنٍ بالله تعالى ورسوله ووليّه، ففناءً عليٍّ محطُّ الرّحال،
وحرمة ملجأ المؤمنين، وضرئجه ملاذ الموالين.

وَلَا أَجِدُ حِرْزاً وَلَا مَعْقِلاً، وَلَا كَهْفاً وَلَا لَجَأً إِلَيْهِ سِوَى تَوَسُّلِي بِكَ إِلَى
خَالِقِي، وَاسْتِشْفَاعِي لَدَيْكَ، فَهَذَا أَنَا ذَا نَازِلٍ بِفِنَائِكَ، وَلَكَ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ،
وَالْوَسِيلَةُ الشَّرِيفَةُ^(١).

لقد أوى فتيةً يوماً إلى كهفٍ فهيّا الله لهم من أمرهم رَشْداً، وأوينا إليك يا
أمير المؤمنين، وأنت يا مولاي الكهفُ الحصين، وغيث المضطرين، وعصمة
المعتصمين.

اللهم اربط على قلوبنا كما ربطت على قلوب أصحاب الكهف، وانشر علينا
من رحمتك كما نشرت عليهم، وزدنا من فضلك بما فضّلت به عليّاً عليه السلام على من
سواه، إنك سميعٌ مجيب.

اللهم لَا تُخْلِنَا مِنْ هَذِهِ الْمَشَاهِدِ الشَّرِيفَةِ، وَالْمَوَاقِفِ الْكَرِيمَةِ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ
عليهم السلام، وَعَجِّلْ فَرَجَهُمْ، وَسَهِّلْ مَخْرَجَهُمْ.
والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) المزار الكبير ص ٢٦٠.

(٢) الخميس ١٦ ذو القعدة ١٤٤٣ هـ الموافق ١٦ - ٦ - ٢٠٢٢ م.

١٠. أبو طالب.. ناصرٌ حيثُ لا ناصر!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١).

كيف ينصرُ المؤمنُ ربَّه؟!

أليس الله تعالى هو الغنيُّ الحميد؟! أليس هو الإلهُ القدير؟!

أليس ربُّنا القاهرُ فوق عباده؟!

لا ريب في أنَّ نصرَ المؤمنِ لله تعالى يعني نصرَ دينه، وأبرزُ مصاديقه نصرُ أنبيائه ورُسله، المبلَّغون لرسالات السماء، فَمَنْ نصرَ رُسلَ الله تعالى صارَ لله ناصراً، وأثابَهُ الله نصرًا من عنده وثباتاً حين تزلُّ الأقدام.

وليس نصرُ الرُّسلِ على طَرزٍ واحدٍ، وسنخ فارد، فليس المخلصُ في نصرته والصادق فيها والباذل مهجته كالناصر طمعاً، أو كالمؤمن كرهاً.

وليس يصحُّ عند ذوي الألباب أن يُقرَنَ بين السابقين السابقين، الذين جعلهم الله من المقربين، وبين المتردِّية والنطيحة من المنافقين!

فَمَا حَالُ السَّابِقِينَ فِي الذَّبِّ عَنْ خَيْرِ رُسلِ الله تعالى؟ وأيُّ مرتبة من القُربِ منه عزَّ وجلَّ ينالُ هؤلاء؟!

ثمَّ ما حال من كان ناصراً حيثُ لا ناصر؟! ومُعِيناً حيثُ لا معين؟!

ذاك شيخُ بني هاشم، وفخرُ قُرَيشٍ والعَرَبِ، عبدُ مناف بن عبد المطلب،

أبو طالب، وأبو علي بن أبي طالب عليه السلام!

وهو الغني عن شهادة الخلق بعد شهادة الخالق له!

أحتاج أبو طالب لشهادة الناس في مكانته بعدما شهد الله تعالى له بالنصرة لرسوله على لسان ملائكته المقربين؟!!

قال الإمام الصادق عليه السلام: لَمَّا تُوفِّيَ أَبُو طَالِبٍ نَزَلَ جَبْرَائِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اخْرُجْ مِنْ مَكَّةَ، فَلَيْسَ لَكَ فِيهَا نَاصِرٌ! ^(١).

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: وَقَدْ كَانَتْ خَدِيجَةُ مَاتَتْ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنَةٍ، وَمَاتَ أَبُو طَالِبٍ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ بِسَنَةٍ، فَلَمَّا فَقَدَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ الْمَقَامَ بِمَكَّةَ، وَدَخَلَهُ حُزْنٌ شَدِيدٌ، وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَشَكَا إِلَى جَبْرَائِيلَ عليه السلام ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: اخْرُجْ مِنَ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، وَهَاجِرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَيْسَ لَكَ الْيَوْمَ بِمَكَّةَ نَاصِرٌ ^(٢).

يُستفاد من هذين الخبرين الصحيحين أمور:

١. أن هذه الأيام كانت أيام (حزنٍ شديدٍ) لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لفقد اثنين من أعز الناس على قلبه، سيدتنا خديجة وسيدنا أبو طالب عليه السلام، وحُزن الرسول عليهما كاشفٌ عن عظيم مكانتهما عنده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي لا يوالي ولا يعادي إلا في الله تعالى، فسكنأته وحركاته وفرحه وحزنه وأحوال نفسه لا تخرج بحالٍ عن رضا الله عز وجل.

(١) الكافي ج ١ ص ٤٤٩.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٤٠.

٢. أَنَّهُمَا كَانَا قَدْ فَرَّجَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَرْبَتَهُ فِي مَكَّةَ أَثْنَاءَ حَيَاتِهِمَا، وَبَفَقْدِهِمَا (سَيِّمَ الْمَقَامَ بِمَكَّةَ).

٣. أَنَّ النَّبِيَّ رَغِمَ كُلُّ الْمَخَاطِرِ وَالْأَذَى مَا كَانَ مُشْفِقاً عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَرِيشَ بَلْ كَانَ آمِناً إِلَى أَنْ فَقَدَ أَبَا طَالِبٍ.

٤. أَنَّ أَبَا طَالِبٍ خَيْرُ نَاصِرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي مَكَّةَ، بَلْ أَنَّهُ (عُنْوَانُ نُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ) فِي مَكَّةَ، وَعِمَادُ خِيْمَةِ الذَّبِّ عَنْهُ، وَمَنْ أُبْرَزَ مُصَادِقُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

وبفقده فقدت الخيمة عمادها، فغادر النبي مكة.

ثُمَّ إِنَّ لَهُ فِي نُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ سَهْمَانِ: أَوَّلُهُمَا: النَّصْرُ بِنَفْسِهِ، وَثَانِيَهُمَا: بِابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ!

الأول: نصرة النبي بنفسه!

لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ جَعَلَهُ فِي أَكْرَمِ مَنَابِتٍ وَأَعَزَّ أَرْوَمَةٍ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ شَجَرَةِ الطَّهْرِ وَالنَّقَاءِ، وَهَذَا جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ كَانَ مُؤْمِناً بِهِ مُذْ كَانَ غُلَاماً، فَكَانَ يُجْلِسُهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَيَقُولُ: إِنَّ لَهُ لَشَأْناً عَظِيماً، إِنِّي أَرَى أَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ يَوْمٌ وَهُوَ سَيِّدُكُمْ!

وَلَطَالَمَا أَوْصَى عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بِهِ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ بِقَوْلِهِ: إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ لَشَأْناً عَظِيماً، فَاحْفَظْهُ وَاسْتَمْسِكْ بِهِ، فَإِنَّهُ فَرْدٌ وَحِيدٌ، وَكُنْ لَهُ كَالْأُمِّ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ بَشِيءٌ يَكْرَهُهُ!

حتى إذا حضرته الوفاة: بَعَثَ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، وَحُمِّدَ عَلَى صَدْرِهِ، وَهُوَ فِي

غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَهُوَ يَبْكِي وَيَلْتَفِتُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ وَيَقُولُ:
يَا أَبَا طَالِبٍ انْظُرْ أَنْ تَكُونَ حَافِظًا لِهَذَا الْوَحِيدِ الَّذِي لَمْ يَشَمَّ رَائِحَةَ أَبِيهِ، وَلَا
ذَاقَ شَفَقَةَ أُمِّهِ، انْظُرْ يَا أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَكُونَ مِنْ جَسَدِكَ بِمَنْزِلَةِ كَبِدِكَ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ
بَنِي كُلَّهُمْ وَأَوْصَيْتُكَ بِهِ!!

ليست هذه الوصية إلا وصية السماء، ليست وصية جدٍ يفضّل ابنه لعاطفةٍ
جياشةٍ فقط، إنما خصّه بهذه الرعاية لأنّه أعلمُ الناس بمكانته عند الله تعالى، حيث
قال لأبي طالب:

يَا أَبَا طَالِبٍ إِنِ ادْرَكْتَ أَيَّامَهُ فَأَعْلَمْ أَنِّي كُنْتُ مِنْ أَبْصَرِ النَّاسِ وَأَعْلَمِ النَّاسِ
بِهِ: الأُمم تترقب ظهور آخر نبيٍّ، وعبد المطلب يحمله منذ صغره على صدره،
ويحوطه ويرعاه ويعلم شأنه وفضله وقدره، ثم يوصي أبا طالب به قائلاً:
فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَتَّبِعَهُ فَأَفْعَلْ، وَأَنْصُرْهُ بِلِسَانِكَ وَيَدِكَ وَمَالِكَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ
سَيَسُودُكُمْ وَيَمْلِكُ مَا لَمْ يَمْلِكْ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آبَائِي!

سارع أبو طالب لقبول وصية عبد المطلب، وأشهد الله تعالى على ذلك،
فاطمأن عبد المطلب، لما يعلم من خصال أبي طالب، وأنه أهلٌ للوفاء بذلك،
وسرعان ما ظهر عمله بالوصية جلياً، حينما: ضَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ إِلَى نَفْسِهِ لَا يُفَارِقُهُ
سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، وَكَانَ يَنَامُ مَعَهُ حَتَّى لَا يَأْتِمُنْ عَلَيْهِ أَحَدٌ^(١).

فعمل أبو طالب بوصية الله التي صدرت عن لسان عبد المطلب، فكان
ناصر النبي بلسانه ويده وماله، بل وولده!

(١) كمال الدين وتمام النعمة ج ١ ص ١٧٢.

الثاني: نصره النبي بعلي!

لقد تعهد أبو طالب بأن يكون النبي من جسده بمنزلة كبده! فيدفع عنه بكل ما يملك.

لكنه دَفَعَ عنه حتى بأعزّ أولاده إليه، وأحبّهم إلى قلبه، عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأَيُّ معرفةٍ هذه التي كانت تحتضنها نفس أبي طالب، وأيُّ مودةٍ كان يحويها قلبه.

تُشير الأخبار إلى مبيت أمير المؤمنين عليه السلام مكان النبي ليلة مضى صلّى الله عليه وآله إلى الشعب، فضلاً عن المبيت المشهور ليلة خروجه إلى الغار!

فإنه صلّى الله عليه وآله استشار أبا طالب حينها، فأشار عليه بذلك:

ثُمَّ تَقَدَّمَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنْ يَضْطَجَعَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله لِيَقِيَهُ بِنَفْسِهِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا نَامَتِ الْعُيُونُ جَاءَ أَبُو طَالِبٍ وَمَعَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وَأَضْجَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ^(١).

فكان أبو طالب هو صاحب التخطيط والتدبير في المبيت الأول، وبه دَفَعَ أبو طالب عن النبي صلّى الله عليه وآله بعليّ عليه السلام، حيث تقدّم إلى ابنه أمير المؤمنين ليمت مكان الرسول صلّى الله عليه وآله، ثم قال له:

أَصْبِرْ يَا بُنَيَّ فَالْصَّبْرُ أَحْجَى * * * كُلُّ حَيٍّ مَصِيرُهُ لِشُعُوبٍ
قَدْ بَدَلْنَاكَ وَالْبَلَاءُ شَدِيدٌ * * * فِدَاءِ النَّجِيبِ وَابْنِ النَّجِيبِ

فَصَبَرَ عَلَى بَلَاءِ التَّضْحِيَةِ بِأَحَبِّ أَبْنَائِهِ إِلَيْهِ، فِدَاءً لِحَيْرِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وما كان أعجب منه إلا جواب ابنه علي عليه السلام:

أَتَأْمُرُنِي بِالصَّبْرِ فِي نَصْرِ أَحْمَدَ * * * وَوَاللَّهِ مَا قُلْتُ الَّذِي قُلْتَ جَارِعاً

وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ إِظْهَارَ نُصْرَتِي * * * وَتَعَلَّمْتُ أَنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ طَائِعاً

وَسَعْيِي لَوَجْهِ اللَّهِ فِي نَصْرِ أَحْمَدَ * * * نَبِيِّ الْهُدَى الْمَحْمُودِ طِفْلاً وَيَافِعاً

هكذا هم أركان هذه الأسرة المباركة.. يتوارثون الكمال كابراً عن كابر،

ويرث علي عليه السلام نصرته محمد من أبيه أبي طالب، فيصير خير ناصرٍ ومعين.

سلام الله عليك يا أبا طالب يوم ولدت ويوم تموت ويوم تُبعث حياً، سلامٌ

عليك قبيل يوم وفاتك.. حشرنا الله معك ومع آبائك في جوار رسول الله ﷺ.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الإثنين ٦ شهر رمضان المبارك ١٤٤٢ هـ الموافق ١٩ - ٤ - ٢٠٢١ م.

١١. أبو طالب.. نورٌ من نور الله!

بسم الله الرحمن الرحيم

عن أمير المؤمنين عليه السلام: وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، إِنَّ نُورَ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيُطْفِئُ أَنْوَارَ الْخَلَائِقِ إِلَّا خَمْسَةً أَنْوَارَ:

كُلُّ مَا سَوَى اللَّهِ تَعَالَى مَخْلُوقٌ، وَجُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ لَيْسَ لَهَا نُورٌ فِي الدُّنْيَا، أَمَّا الْآخِرَةُ فَلَهَا قَانُونُهَا، حَيْثُ يُعْطِي اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ وَالشَّهَدَاءَ وَالصَّدِيقِينَ نُورًا: ﴿هُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَصْحَابِ النُّورِ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

وَأَصْحَابُ الْأَنْوَارِ لَيْسُوا عَلَى رَتْبَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمِنْ أَنْوَارِهِمْ قَوِيٌّ وَضَعِيفٌ، ثُمَّ إِنَّ لِبَعْضِ الْأَنْوَارِ خُصُوصِيَّةً، وَهِيَ أَنَّ قُوَّتَهَا تَطْغَى عَلَى سَائِرِ الْأَنْوَارِ، حَتَّى كَأَنَّهَا قَدْ انْطَفَأَتْ أَمَامَهَا، أَوْ أَنَّهَا تَطْفِئُهَا حَقِيقَةً.

وَمِنْ هَذِهِ الْأَنْوَارِ نُورُ أَبِي طَالِبٍ، فَهُوَ مَنْ أَرْفَعَ النَّاسَ مَنْزِلَةً، بَلْ هُوَ أَرْفَعُهُمْ مَرْتَبَةً، وَفَوْقَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا خَمْسَةً أَنْوَارٍ.. فَنُورُهُ تَالِي هَذِهِ الْأَنْوَارِ وَسَابِقُ أَنْوَارِ كُلِّ الْخَلَائِقِ!

وَلِعَظْمَةِ هَذَا الْمَعْنَى صَدَّرَهُ الْإِمَامُ الْمُعْصُومُ بِالْقَسَمِ: وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ!

وَتِلْكَ الْأَنْوَارُ هِيَ أَنْوَارُ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، ذَكَرَهَا الْإِمَامُ بِقَوْلِهِ:

نُورَ مُحَمَّدٍ، وَنُورَ فَاطِمَةَ، وَنُورَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَنُورَ وَلَدِهِ مِنَ الْأَيْمَةِ: فَلَمْ يَذْكُرِ الْإِمَامُ نَفْسَهُ، وَلَا كَوْنَهُ نَفْسَ النَّبِيِّ، وَلَعَلَّهُ لئَلَّا يُتَوَهَّمُ تَرْفَعُهُ عَلَى أَبِيهِ حَتَّى فِي

ذلك العالم مع كونه إماماً له، ثم عدّ أنوار الأئمة واحداً، فصار أبو طالب تالي المعصومين الأربعة عشر عليه السلام، ثم قال عليه السلام: أَلَا إِنَّ نُورَهُ مِنْ نُورِنَا، خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ بِالْفِي عَامٍ^(١).

هذه شَمَّةٌ من منزلة أبي طالب: نورُهُ من نورهم، ونورهم من نور الله! فَمَنْ ذا الذي يعرف أبا طالب؟! وَمَنْ الذي يزعم الإحاطة بشيء من شؤونهِ؟!!

إنَّها منزلةٌ يعصى على العقل إدراكها، وعلى الخلق الإحاطة بها، فكما لا تَصْمُدُ أنوارُ المؤمن منهم أمام نوره، تعجزُ عقولهم عن معرفة عظمتِهِ ومنزلته، لكنَّها تتلمَّسُ نِزراً يسيراً مما أُرشدنا إليه أبواب الهدى عليه السلام. ولعل سائلاً يسأل:

ماذا فعل أبو طالب حتى بلغ ما بلغ؟ وبماذا وصل إلى تلك المرتبة؟!

أولاً: محمدٌ وآله ميزانُ التفاضل!

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُخْبِرُوا أُمَّهُم بِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، وَنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ، وَيُبَشِّرُوهُمْ بِهِ وَيَأْمُرُوهُمْ بِتَصْدِيقِهِ^(٢).

وبَيَّنَ الإمام الصادق عليه السلام معنى أخذ الميثاق والنصرة في قوله تعالى

(١) كنز الفوائد ج ١ ص ١٨٣.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ص ١٢٠.

﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرَنَّهُ﴾^(١) حينما قال: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا إِلَّا وَآخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ لِحَمْدِ النَّبِيِّ، وَلِعَلِّي بِالْإِمَامَةِ^(٢).

فصار الإيمان بالنبي ﷺ ووصيه عليه السلام ميثاقاً مأخوذاً على الأمم السابقة، وعليهم الالتزام بأمرين:

الأول: معرفته ﷺ ومعرفة وصيه حيث وردت صفاته في كتبهم.

والثاني: تصديقه ونصرته بنصرة وصيه عليه السلام.

ولما صار محمد وآله هم الباب المبتلى به الناس، فهم أعظم امتحانٍ للخليقة، صارت المفاضلة بين الأنبياء موقوفةً على سبق الإيمان بالنبي وآله، والتصديق لهم، وتحقيق النصر.

لذا اعتقد الشيعة: أَنَّ الله تعالى أعطى كل نبيٍّ على قدر معرفته بنبيِّنا، وسبقه إلى الإقرار به. وَأَنَّ الله تعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته عليه السلام^(٣).

ولما تقدّم أبو طالب على كلّ الخلائق، عرفنا أنّه أكثر الناس معرفةً بمحمدٍ وعليٍّ والعترّة عليهم السلام.

ثانياً: معرفة أبي طالب بالنبي!

لقد كشف موقف أبي طالب من النبي ﷺ في أولى مراحل حياته عن معرفة عميقة به وبمنزلته، ثمّ يبيّن أبو طالب هذه المعرفة بلسانه كلّما سنحت له

(١) آل عمران ٨١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ص ١٢١.

(٣) اعتقادات الإمامية للصدوق ص ٩٣.

الفرصة، حتى قال في يوم خطبته ﷺ للسيدة الجليلة العظيمة خديجة عليها السلام:
 إِنَّ ابْنَ أَخِي هَذَا - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - مِمَّنْ لَا يُوزَنُ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ
 إِلَّا رَجَحَ بِهِ: لَقَدْ عَرَفَ أَبُو طَالِبٍ قَدَرَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّهُ لَا يُوزَنُ بِأَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ
 كِبَارَهَا وَصِغَارَهَا، وَقُرَيْشٌ حِينَهَا أَيْمَةُ الْعَرَبِ، لَكِنْ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَزْنٌ أَمَامَهُ
 ﷺ.

ثم قال أبو طالب:

وَلَا يُقَاسُ بِهِ رَجُلٌ إِلَّا عَظُمَ عَنْهُ: لَعَلَّ أَبَا طَالِبٍ مِنْ أَوَّلِ مَنْ أَثَرَتْ عَنْهُمْ بَيَانُ
 هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ اشْتَهَرَ عَنِ الْأَيْمَةِ عليها السلام قَوْلُهُمْ: نَحْنُ أَهْلَ
 الْبَيْتِ لَا يُقَاسُ بِنَا أَحَدٍ، وَهَذَا أَبُو طَالِبٍ أَكْثَرُ النَّاسِ مَعْرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُقَاسُ بِرَسُولِ
 اللَّهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، وَهُوَ لَمْ يُبْعَثْ بَعْدُ!

ثم هو مؤمنٌ بأنَّه لا نظير للنبي ﷺ في الخلق قاطبةً، وهو مفاد واحدةٍ من
 أعظم العقائد الحقة، قال أبو طالب:

وَلَا عِدْلَ لَهُ فِي الْخَلْقِ.. وَلَهُ وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ حَظٌّ عَظِيمٌ، وَدَيْنٌ شَائِعٌ وَرَأْيٌ
 كَامِلٌ^(١).

فهو عالمٌ بصفات النبي ﷺ، وبشخصه وعظمته، وبمآل دعوته ودينه!

ثالثاً: معرفته وبشارته بأمر المؤمنين!

لأنَّ الإمامةَ أَسَّ الإسلام، كان العظيم أبو طالب هو المبشِّرُ لفاطمة بنت

(١) الكافي ج ٥ ص ٣٧٥.

أسد بولادة ابنها، أول الأئمة أمير المؤمنين عليه السلام!

فعن الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ جَاءَتْ إِلَى أَبِي طَالِبٍ لِتُبَشِّرَهُ بِمَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: اصْبِرِي سَبْتًا أُبَشِّرُكَ بِمِثْلِهِ إِلَّا النُّبُوَّةَ.

وَقَالَ: السَّبْتُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، وَكَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ثَلَاثُونَ سَنَةً^(١).

وفي رواية أخرى قال لها: إِنَّكَ تَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ بِوَصِيٍّ وَوَزِيرِهِ^(٢).

فكيف تزل قدم بعد ثبوتها، إذا كانت قدّم المبشّر بالوصي، الذي بمولاته تُحفظ الأقدام عن الزلات؟!

لقد بلغ أبو طالب ما بلغ، ففتح الله لمحبيه طريقاً إلى الجنة، وللشكاك فيه طريقاً إلى النار!

١. طريق النار: الشك في إيمان أبي طالب!

لما سئل الإمام الرضا عليه السلام عن الشك في إيمان أبي طالب كتب عليه السلام للسائل: إِنَّكَ إِنْ لَمْ تُقَرَّرْ بِإِيمَانِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ مَصِيرُكَ إِلَى النَّارِ^(٣).

فصار التشكيك بإيمانه وعدم الإقرار به سبيلاً إلى النار، وكيف لا يدخل النار من لا يقرّ بنوره، ونوره من نور الله!

٢. طريق الجنة: شفاعته أبي طالب!

(١) الكافي ج ١ ص ٤٥٢.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٥٤.

(٣) كنز الفوائد ج ١ ص ١٨٣.

ثم أعطاه الله تعالى الشفاعة، فصار شفيعاً لكل من أحبه، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام: وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لَوْ شَفَعَ أَبِي فِي كُلِّ مُذْنِبٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لَشَفَّعَهُ اللَّهُ^(١).

فهنيئاً لكم أيّها الشيعة..

آمتّم بقومٍ كان للمأموم فيهم فضيلةُ الشفاعة في كل أهل الأرض.. وهو أبو طالب عليه السلام.

فكيف بمن كان له نبياً وإماماً؟! ابن أخيه محمد صلى الله عليه وآله، وابنه عليّ عليه السلام. هي سلالة الطهر يواليها الشيعة، ويدّخرونها ليوم الفقر والفاقة، يوم يطغى نورُ أبي طالب على الخلائق.

ويتوسّلون إلى الله تعالى في يوم وفاة أبي طالب أن يجعله وابنه وابن أخيه شفعاء لهم يوم القيامة، وأن يفرّج عنهم بفرجه. وعظم الله أجورنا وأجوركم^(٢).

(١) كنز الفوائد ج ١ ص ١٨٣.

(٢) سابع شهر الله ١٤٤٢ هـ، ذكرى وفاة أبي طالب عليه السلام الموافق ٢٠ - ٤ - ٢٠٢١ م.

١٢. أبو طالب.. شَفِيعُ الْأُمَّةِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما الذي جرى في التاريخ حتى صار أبو طالب ﷺ شخصيةً خلافية؟!
وهو شيخُ بني هاشم، وفخرُ قُرَيْشٍ والعَرَبِ؟!
لماذا اختلفَ تقيُّمُ هذا الرَّجُلِ؟ بين قائلٍ أَنَّهُ حازَ أعلى مراتب الإيمان
وأرفعها، وآخر قائلٍ أَنَّهُ ماتَ كافرًا؟!
ما الذي فعله حتى أحبه قومٌ ونقمَ عليه آخرون؟!
هل يرتبطُ الأمرُ بشخصه؟ أم بقرباته؟ أم بمواقفه؟

أولاً: لتحذونَ حذو الأمم السابقة

روى البخاريُّ في صحيحه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ
قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ.
قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟
قَالَ: فَمَنْ؟^(١).

ما كشفَ عنه النبي ﷺ هو استجراؤُ لما فعلته الأمم السابقة، واتباعُهم
في باطلهم، من أهل هذه الأمة.

فلا جبرَ من الله تعالى لهم في ذلك، ولا قَهْرَ لعباده على الانحراف والضلال،

(١) صحيح البخاري ج ١١ ص ٣٦٩ ح ٦٥٥١.

حاشاه تعالى، وهو الذي سَهَّلَ لهم سبل الهداية، ودعاهم إليها، وواتر إليهم رسله.. وهكذا صارَ اتِّباعُ سُنَنِ اليهود والنصارى منهجاً عند المسلمين!

ولكن.. هل يلزم أن يصدر منهم عينُ ما صدرَ مِنَ اليهود والنصارى؟ وعلى نفس الصورة والشاكلة؟ كما قد يوحي به الحديث؟

أم يكفي المشابهة من بعض الجوانب ليصدق أنَّهم اتَّبَعُوا سننهم؟

قد يُقال برجحان الثاني، لشهادة الوجدان على ذلك، فلا يلزم أن يكون العجلُ المعبود في هذه الأمة مثلاً عِجْلاً له خوارٌ كخوار عجل بني إسرائيل، بل يكفي المشابهة في جانبٍ.. كأن يُنَزَلَ إنسانٌ منزلة العجل المعبود، فيطاع، ويعصى الله.. فتكون الأمة قد فُتِنَتْ بعجلها الخاص، الذي يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف.. دون أن يُصنَعَ كما صُنِعَ عجل اليهود.

ويُستفاد من هذا الحديث الذي روى الشيعة أيضاً نظيره، في فهم أبعاد وخلفيات المواقف التي تؤخذ تجاه شخصيّاتٍ إسلامية عظيمة كأبي طالب.. فكيف ذلك؟

ثانياً: تكذيب الأنبياء وقتلهم

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(١).

لقد عمد بنو إسرائيل إلى تكذيب الرُّسل، فلم يقرُّوا غالباً لهم بالصدق، وإن علموا ذلك منهم.. واتَّهموهم بالسحر والخداع! أو الجنون! ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ﴾^(١).

ولقد نصَّ تعالى في غير موضعٍ على قتلهم الأنبياء، فذكر في سورة النساء اتخاذهم العجل من بعد ما جاءتهم البينات، ثمَّ عفو الله عنهم، وأخذه منهم ميثاقاً غليظاً، ثمَّ نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ﴾.

وهكذا.. جَرَتْ سُنَنُ بني إسرائيل في هذه الأمة.. بدءً من التكذيب.. وانتهاءً بالقتل.. فكذبوا النبيَّ ﷺ: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾^(٢).

ولمَّا عجزوا عن قتله، وظهر منه ﷺ ما قَهَرَهُمْ به، وكَسَرَ شوكتهم، مستنصراً بعمِّه أبي طالب.. ثم ابن عمِّه حيدر الكرار.. أسلم كثيرٌ منهم خوفاً أو طمعاً.. فدخلوا في دين الله أفواجاً.

لكنَّ محاولات قتله ﷺ لم تتوقف، ففشل أكثرها، إلى أن قضى مسموماً شهيداً مقتولاً، صلوات ربي وسلامه عليه، فشابهت هذه الأمة الأمم السابقة في قتل الأنبياء.

ثالثاً: الطعن في الحواريين

لقد امتدَّح الله تعالى حواريين عيسى ابن مريم ﷺ في كتابه، لأنَّهم كانوا أنصاره تعالى، بنصرهم عيسى ابن مريم ﷺ، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يحذوا

(١) الذاريات ٥٢.

(٢) ص ٤.

حذوهم وينصروا نبّيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾^(١).

ولقد كان الحواريون من أخلص الناس لعيسى عليه السلام، ومن المسلمين الصادقين، حتى ورد عن الرضا عليه السلام: فَسُمِّيَ الْحَوَارِيُّونَ الْحَوَارِيِّينَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُخْلِصِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَمُخْلِصِينَ لِغَيْرِهِمْ مِنْ أَوْسَاخِ الذُّنُوبِ بِالْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ^(٢). فكانوا من أهل الطهارة، الذين يدعون الناس إلى الله تعالى، ويخلصونهم من أوساخ الذنوب.

وكان شمعون الصفا أو بطرس وصيّ عيسى عليه السلام، ورأس الحواريين، وهو الذي ينجو من تولاه، ويهلك من خالفه أو عاداه.

وقد قال عنه عيسى عليه السلام في الإنجيل الذي يعتقد به النصاري: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ^(٣).

لكنَّ بُطْرُسَ والتلامذة ما نجوا من طعن بني إسرائيل فيهم!

فقد نسب لهم الإنجيل الشكَّ في عيسى عليه السلام تارةً!^(٤)

ووصفهم تارةً أخرى أنهم قليلو الإيمان!^(٥)

(١) الصف ١٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٧٩.

(٣) متى ١٦: ١٨-١٩.

(٤) متى ٢٦: ٣١.

(٥) متى ٨: ٢٦.

ونفى عنهم ثالثةً أن يكون لهم حبةٌ خردلٍ من الإيمان! ^(١).

والأخطر من كلِّ ذلك.. أنَّ النصارى آمنوا بكتابٍ يُطعنُ فيه بطرس ويُحقرُ.. بما يثير التعجب.. ثمَّ نسبوا ذلك لعيسى عليه السلام!

ففي إنجيل متى ومرقس أن عيسى عليه السلام قال لبطرس: اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْتَرِئُ لِي! ^(٢).

لقد طعنوا في بَطْرُس.. وإنَّ عَدُوَّهُ رَأْسَ الْكَنِيسَةِ! فَصَارَ رَأْسَ الْكَنِيسَةِ شَيْطَانًا! مع ذلك.. ظلَّ بَطْرُسُ مَقْدَسًا عندهم! مع كونه شَيْطَانًا!

أمَّا بولس.. الذي كان يضطهد الكنيسة.. وهو عَدُوُّ الْمَسِيحِ عليه السلام.. فقد صار مَقْدَمًا.. حيث تُنسب إليه أربعة عشر (١٤) رسالةً من أسفار الإنجيل السبعة والعشرين (٢٧)، فصار لبولس نصيبُ الأسد في دعوة عيسى عليه السلام، فيما صار بطرس شَيْطَانًا!

هكذا كان حال بني إسرائيل مع الحواريين! ولقد حذا المسلمون حذوهم! فخالفوا أمر الله في الأوصياء الإثني عشر.. وفي أولهم أمير المؤمنين عليه السلام.. وفي أبيه أبي طالب عليه السلام.

رابعاً: الطعن في أبي طالب

لقد جهد القوم في محاربة عليٍّ عليه السلام.. بشخصه وشخصيته..

(١) متى ١٧: ١٩.

(٢) متى ١٦: ٢٣.

فأرادوا قتله حينما قاتلهم إلى جانب الرسول ﷺ، وأرادوا هدم كيانه ومكانته وشخصيته كما سعوا مع الرسول.

لكنهم فشلوا في الأمرين.. فلم يجدوا شيئاً يُطعنُ به على عليّ عليه السلام، وهو الطاهر المطهر، الكامل المكمّل.. وقد طبقت مناقبه وخصاله الخافقين، فلم يقدروا إلا أن يقولوا: فيه دُعاة! وأنه امرؤٌ تلعبه!

ولما عجزوا عن إسقاطه.. لجؤوا إلى الطعن بأبيه.. كما طعنوا بعبد الله والد النبي ﷺ.. فقالوا أن عبد الله بن عبد المطلب، وأبا طالب بن عبد المطلب، كافران! وأنهما من أهل النار! كل ذلك بغضاً للنبي ﷺ، ولوصيه أمير المؤمنين عليه السلام!

لكنهم خسروا.. فأبَاء الأنبياء والأوصياء من أهل الشرف والكرامة، والعز والإيمان والطهارة، سيما آباء أشرف الخلق على الإطلاق، النبي الأكرم والوصي الأعظم صلوات الله عليهما وآلهما.

أما عبد الله عليه السلام، فللهديث عنه محل آخر.

وأما أبو طالب عليه السلام، فقد روي: أنه كان وصياً لحجة الله تعالى، وقد روى الشيخ الصدوق: أن عبد المطلب كان حجة، وأبا طالب كان وصيه^(١).

ولقد بالغ القوم في الطعن بأبي طالب، فروى البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة والمسيب أن النبي ﷺ عرض شهادة التوحيد على أبي طالب عند وفاته فلم يشهد بها!

(١) اعتقادات الصدوق ص ١١٠.

وروا أن النبي ﷺ قال: هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ! (١).

فزعموا أن عذابه في الضحضاح، وهو الموضع القريب من القعر، هو نوع تخفيفٍ ببركة النبي ﷺ!

ونسبوا للنبي ﷺ قوله: لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاحِهِ! (٢).

ولقد نشروا هذا القول وبثوه بين الناس، حتى صار عقيدة أغلب المسلمين اليوم، كما فعل النصارى ببطرس والحواريين! حين سلبوهم حبة خردلٍ من إيمان! مع كونهم أقرب الناس لعيسى ﷺ!

بل فاقوا النصارى في ذلك، فإن النصارى لم يتركوا هذه النصوص على ظواهرها! فإنهم وإن انتقصوا من بطرس والحواريين، وخطئوهم، والتزموا بصدور المعاصي منهم، إلا أنهم أقرروا بأنهم من أهل النجاة! بخلاف ما فعل الأجلاف مع أبي طالب ﷺ!

ولقد تعمّدوا إيذاء أمير المؤمنين في أبيه ﷺ، ومن ذلك لما قام إليه رجلٌ وهو جالسٌ في رحبة الكوفة والناس حوله، فقال له الرجل:

إِنَّكَ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْزَلَكَ اللَّهُ، وَأَبُوكَ مُعَذَّبٌ فِي النَّارِ!
فَقَالَ لَهُ: مَهْ، فَضَّ اللَّهُ فَاكَ، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لَوْ شَفَعَ أَبِي فِي

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٩٢ ح ٣٤٤٠.

(٢) صحيح البخاري ج ١٠ ص ١٨٦ ح ٥٨٥٠.

كُلُّ مُذْنِبٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لَشَفَعُهُ اللَّهُ!
أَبِي مُعَذِّبٍ فِي النَّارِ وَابْنُهُ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ! (١).
فأبي معنى عظيم هذا؟!

لقد أعدَّ الله تعالى الشفاعة لأهل الذنوب، فقبل عزّ وجل شفاعة الأنبياء والأوصياء في أهل المعاصي، تخفيفاً عنهم، وتكريماً لأصحاب الشفاعة، وتعظيماً لشأنهم.

ولقد كشف أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ لأبي طالب مقام الشفاعة لـ (كُلِّ مُذْنِبٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ)! فلو شفع لهم جميعاً لقبل الله شفاعته!
لكنَّ القوم سلبوه هذه المنقبة.. بل زعموا أنَّه قريبٌ من قعر جهنم! بشفاعة النبي صلَّى الله عليه وآله!

لقد أوهموا الناس أنَّ منزلته سيئةٌ إلى درجة أنَّ الشفاعة لا تنفع معه! إلا بنقله من أسفل دركٍ إلى ما يقرب منه! والحال أنَّ شفاعته هو مقبولةٌ في كُلِّ مذهب.. فهو: مِنْ رُفَقَاءِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ (٢).

بل إنَّ له فوق ذلك منزلةً عجيبةً، ومقاماً رفيعاً يتحيَّرُ فيه العقل.. ذاك ما بيَّنه أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال:

وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، إِنَّ نُورَ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيُطْفِئُ أَنْوَارَ الْخَلَائِقِ إِلَّا خَمْسَةً أَنْوَارٍ:

(١) كنز الفوائد ج ١ ص ١٨٣.

(٢) كنز الفوائد ج ١ ص ١٨٣.

نُورَ مُحَمَّدٍ، وَنُورَ فَاطِمَةَ، وَنُورَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَنُورَ وُلْدِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ.
 أَلَا إِنَّ نُورَهُ مِنْ نُورِنَا، خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ بِالْفَيِّ عَامٍ^(١).
 لقد استغنى أبو طالب عن شهادة الخلق بعد شهادة الخالق له! بنصره للنبي
 ﷺ.. وشهادة أوليائه المعصومين له بهذه المناقب..
 لكنَّ أبا طالبٍ استحقَّ كُلَّ طَعْنٍ وتكفيرٍ وانتقاصٍ من أعداء الله ورسوله،
 لأنَّه ناصرُ النبيِّ.. بنفسه.. وبابنه عليٍّ بن أبي طالب ﷺ.
 لقد حقد القومُ عليه مُذْ كان يقهرهم ويبهتهم ويكسر شوكتهم دفاعاً عن
 النبيِّ ﷺ، ثُمَّ ازدادوا حقناً وحقداً وحسداً عليه، لَمَّا أبغضوا علياً ﷺ،
 فدعاهم ذلك إلى مزيد عداوةٍ مع كُلِّ من يمتُّ إليه بصلة.
 فازدادوا عداً لأبيه، ثُمَّ عادوا أبناءه من بعده!
 ولئن أخفوا السبب في اعتقادهم كفر أبي طالب.. فلقد أظهره في قتلهم
 الحسين ﷺ، حين قالوا له في كربلاء: إِنَّا نقتلك بغضاً لأبيك!^(٢).
 لقد أتى أبوه وجدُّه لهم بخير الدُّنيا والآخرة، لكنهم مصاديق حديث أمير
 المؤمنين ﷺ: وَلَنَا مُبْغِضِينَ لَوْ الْعَقْنَاهُمُ الْعَسَلَ مَا اِزْدَادُوا إِلَّا بُغْضاً^(٣).
 مِنْ ثُمَّ صار الجاحدُ لإيمان أبي طالب.. ولمنزله عند الله.. حَطَباً لجهنم!

(١) كنز الفوائد ج ١ ص ١٨٣.

(٢) ينابيع المودة ج ٣ ص ٨٠.

(٣) نواذر المعجزات ص ١٥٨.

فعن الرضا عليه السلام: إِنَّكَ إِنْ لَمْ تُقَرَّرْ بِإِيمَانِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ مَصِيرُكَ إِلَى النَّارِ! ^(١).
 فما همّنا بعد هذا الحديث ما قالوا فيه، حيث صار الإقرار بإيمانه شرطاً
 لدخول الجنة، فمن لم يقرّ بإيمانه، كان من أهل النار.. لا ندري.. أفي قعرها
 سيُحشَرُ أم في ضحضاحها.
 لكنّا لا نشكُّ في أنّ لأبي طالبٍ في ذلك من المجد والشرف والعزّ ما يبهر
 الأبصار.. ويسلب الألباب.
 فهنيئاً لمن كان أبو طالب له شفيعاً.
 جعله الله من شفّعائنا، وجعلنا من شيعة نجله الكرّار قولاً وفعلاً، وثبتنا
 على ولايتهم.
 والحمد لله رب العالمين ^(٢).

(١) كنز الفوائد ج ١ ص ١٨٣.

(٢) الجمعة ٩ شهر رمضان المبارك ١٤٤٤ هـ، الموافق ٣١-٣-٢٠٢٣ م.

الفصل الثاني: الإمام.. عين الحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الإمامة محور الخلاف الأوسع في دائرة الإسلام.. وإليها يرجع أسُّ الخلاف بين المسلمين.

دارت مدارها كثيرٌ من الأبحاث، وطُرِحَتْ حولها تساؤلات وتساؤلات، ومن ذلك:

لماذا تركيز الشيعة أو الرافضة على عقيدة الإمامة؟ وما الداعي لبذل الغالي والنفيس للحفاظ عليها؟

ألا يغالي الشيعة في عقيدتهم بأئمتهم؟ ألا يساوون النصارى في قولهم؟

ما هو موقف العقل من الإمامة؟

ثم كيف نفسر استضعاف الأمة للإمام مع كونه خليفة الله؟ ألا يطعن استضعاف الأمة له بإمامته؟! أين محلُّ ولايته على الكون إذا؟

ما هي حقيقة هذه الإمامة؟

أسئلة كثيرة وإشكالات عديدة يرددها المخالفون للشيعة تارةً، وبعض الشيعة أو المنتسبين للشيعة تارة أخرى.

هذه الأسئلة وغيرها كانت محور أبحاثٍ ألقيناها في شهر رمضان المبارك للعام (١٤٤١ هـ) على شبكة الإنترنت، وقام بعض الأخوة الأعزاء بَرَقِمْها مشكوراً مأجوراً، فكان الفصل الثاني من هذا الكتاب.

١٣. الإمامُ عَيْنُ الْحَيَاةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

لقد جعل الله تعالى عبرةً في فَتَقِ السماوات والأرض، وفي إحياء كل شيء بالماء.. وكان الإنسان هو المخاطب الذي يؤمل منه الاعتبار، وهو الذي يعيش على الأرض، وتظله سماءها، وهو الذي يتلمس مضمون الآية فيرى أن كل شيء يحيا بالماء.

وللإنسان صلة لا تنفك عن الماء، الذي جعل الله به كل شيء حيًّا، وقد صار الإنسان حياً بالماء منذ تكوينه ولا يزال، حيث كان خليط الإنسان الأول من طينٍ وماء، وكان قوامُ حياة الإنسان بالماء، منذ اليوم الأول لخلقه، وإلى آخر ساعات حياته.

ولما عَجَزَ غاصبُ الخلافة عن إجابة سؤال رأس الجالوت عن أصل الأشياء، أجاب أمير المؤمنين عليه السلام بأن أصل الأشياء هو الماء، واستشهد بهذه الآية المباركة المتقدمة.

وَسَأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأْسُ الْجَالُوتِ بَعْدَ مَا سَأَلَ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ يَعْرِفْ: مَا أَصْلُ الْأَشْيَاءِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ الْمَاءُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٢).

(١) الأنبياء ٣٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٢ ص ٣٥٨.

من آثار الماء

لقد ذكر الله تعالى الماء في آياتٍ مباركةٍ مختلفة، وذكر أن به حياة الأرض بعد موتها: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(١).

وأن به إخراج الثمرات والنبات:

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾^(٢).

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣).

والماء يغطي اليوم أكثر من ثلثي الأرض، ويتكوّن أكثر من ثلثي جسم الإنسان من الماء حسب ما يقول العلماء، ويقولون أيضاً أن الماء هو الوسيط الرئيسي في جميع الكائنات الحيّة.

يقال أيضاً أن اكتشاف سحابة هائلة من بخار الماء في الكون مؤشرٌ على أن الماء موجود في الكون منذ بداية نشأته.

كل هذه مؤشراتٌ علميةٌ تتطابق مع ما ورد في الشريعة المقدسة، سواءً في الكتاب الكريم أو على لسان أمير المؤمنين عليه السلام.

وبهذا يتبين أن الماء قد اقترن بالحياة، فحيث وُجد الماء وُجدت الحياة.

(١) النحل ٦٥.

(٢) البقرة ٢٢.

(٣) الأنعام ٩٩.

طعم الماء طعم الحياة!

لكن سؤالاً يُطرح ها هنا: ما هو طعم الماء يا ترى؟
كلنا يتذوق الطعم الحلو والحامض والمالح، ويتفنن الناس في ألوان الطعام وأذواقه، وكلنا يشرب الماء أيضاً، وللماء طعمٌ بلا شك ولا ريب، وله نكهةٌ خاصة، لكنها لا تُعرَفُ بالحلاوة ولا بالحموضة ولا بشيءٍ مما تُعرَفُ به سائر الأطعمة، وقد لا يرتوي الإنسان بغير الماء أبداً.

يقول العلماء المعاصرون أن الماء عديم اللون والرائحة والطعم!
لا طعم للماء إذاً عندهم.. لأنّه خلا من الحلاوة والحموضة والملوحة، فهو عديم المذاق لديهم!

لكنّ مفارقةً لطيفةً تُسجَّلُ هنا.. وهي سؤالٌ غريبٌ طرحه رجلٌ غريبٌ على إمامنا الصادق عليه السلام حينما سأله عن (طعم الماء).

كان للإمام كلامٌ آخر مغايرٌ لكلام هؤلاء العلماء.. جوابٌ مُحيرٌ.. قال له عليه السلام: سَلْ تَفْقَهَا وَلَا تَسْأَلْ تَعْتَبَا.

كأنّ الإمام رأى في سؤال السائل تعتياً لا تعلماً، رغم ذلك أجابه عليه السلام فقال له: طَعْمُ الْمَاءِ طَعْمُ الْحَيَاةِ! ^(١).

هي كلمةٌ عظيمةٌ تحتاج إلى تأملٍ وتدبُّرٍ.

وقد سئل الإمام السؤال نفسه في مجلسٍ آخر: ما طعم الماء؟

فظن الحاضرون أن السائل زنديقٌ، فصار الصادق عليه السلام يتأمل بالرجل، ينظر إلى أعلاه وأسفله، ثم قال له: «وَيْلَكَ، طَعْمُ الْمَاءِ طَعْمُ الْحَيَاةِ، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يَقُولُ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾»^(١).

كيف يكون طعم الماء طعم الحياة؟ هل أن طعم الماء طعم الحياة بمعنى أن الماء هو أصل الحياة؟ أم بمعنى أن كل شيء يحيا بالماء؟ فالماء سبب الحياة في الكائنات، فإذا شرب الإنسان الماء تذوق طعم الحياة بنفسها؟

هل هذا مراد الإمام عليه السلام؟ أم أن له أبعاداً خلف هذا؟ وهل سيتمكن أحدنا من سبر أغوار هذه الكلمة الجميلة للإمام عليه السلام؟ طعم الماء طعم الحياة.

ماذا عن ماء الأنفس والأرواح؟ ماذا عن حياة النفوس في شهر الله تعالى؟ كيف تكون حياتها؟ أ بالماء أيضاً؟

إنّ المؤمن والكافر يشتركان في التمتع بنعمة الحياة عبر الماء، لكن ماءً من نوع آخر يشير إليه إمامنا الرضا عليه السلام في حديثه حين يقول:

الإمام السحاب الماطر

الإمام السَّحَابُ المَاطِرُ! ^(٢).

فهل هو تشبيهٌ للإمام بالسحاب الذي يأتي لنا بالمطر؟

إنّ المطر ماءٌ ينزل من السماء، فكيف يكون الإمام هو السحاب الماطر؟ ما

(١) قرب الإسناد ص ١١٦.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٠٠.

هي آثار المطر الذي يتأتى من سُحُبِ الإمام الثقال؟! هل هو علم الإمام؟ أم بركة وجوده؟ أم رعايته لنا؟ أم أخذه بيد محبيه إلى الله تعالى؟! أم أَنَّ حياة المحيين تكون ببركة الإمام عليه السلام؟

كُلُّ هذه المعاني قد يتضمنها هذا الحديث، لكنَّ الله تعالى يصف السحاب في القرآن الكريم ويذكر آثارها فيقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، فتُبَشِّرُ الرياح بالرحمة، ثم تأتي الرحمة بعدما تقل الرياح السحاب فيقول تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

لقد ضرب الله تعالى مثلاً للسحاب الذي ينزل منه الماء فيخرج به من كل الثمرات، ثم جعل إخراج الموتى نظيراً له.. كان البلد ميتاً فأحياه الله تعالى كما يحيي الموتى.

أتى السحاب بالماء فُبُثَّت الحياة.. هذا كُلُّه في جانب، وفي الجانب الآخر: الإمام السحاب الماطر.

فهل يحيينا الإمام كما يحيي الماء الأرض الميتة؟ أم أننا بالغنا في المقابلة بين الآية والرواية؟

فَضْلُنَا كَفَضْلِ الْمَاءِ

إنَّ خير دليلٍ على مراد الإمام عليه السلام يذكره خيرُ خلق الله تعالى، النبي العظيم

محمد ﷺ، حينما حاوره يهودي فسأله عن فضله على النبيين وفضل عشيرته على الناس.. وكان مما أجاب به ﷺ جوابٌ يسلبُ الأبواب، ذاك حين قال ﷺ: **وَأَمَّا فَضْلُ عَشِيرَتِي وَأَهْلِ بَيْتِي وَذُرِّيَّتِي كَفَضْلِ الْمَاءِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ! بِالْمَاءِ يَبْقَى كُلُّ وَجِيحٍ، كَمَا قَالَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).**

التشبيه في محله إذاً، إذ أن فضلهم ﷺ على كل شيء كفضل الماء: بالماء يبقى كل شيء ويحيا، وبهم يبقى كل شيء ويحيا.

هل من حياة دون الماء؟ وهل من حياة دون الإمام؟

أي حياةٍ وأي نورٍ يمشي به من لا يعرف الإمام؟

لقد روي أن الخضر شرب من عين الحياة، ولا يزال حياً إلى يومنا هذا، تمرُّ الأيام ويموت أقوامٌ، وتتقلب الدنيا بين الأمم، ولا يزال الخضر حياً لما شرب من هذه العين.

كان ذاك الذي شربه الخضر ماءً، لكنه ليس ككلِّ ماء، إنه ماء الحياة الدائمة.

فالماء الذي نعرفه ييئس الحياة في الإنسان أمداً، ثم يحتاج إلى سواه.

أما ماء الحياة الذي شربه الخضر من عين الحياة، فقد بثَّ الحياة الدائمة فيه.

والسؤال: ماذا نفعل نحن للحصول على عين الحياة ومائها؟ وهل هناك

عينٌ أخرى بمعنى آخر تُدعى عين الحياة تكون بها حياتنا الدائمة؟ فتبقى أرواحنا حيةً بها كما بقي الخضر حياً بجسده؟

نحن عين الحياة

لقد ذُكِرَت عين الحياة عند إمامنا الصادق عليه السلام فقال:

أتدرون ما عين الحياة؟

قلنا: الله وابن رسوله أعلم.

قال: نحن عين الحياة، فمن عرفنا وتولّانا فقد شرب عين الحياة، وأحياه الله الحياة الدائمة في الجنة وأنجاه من النار^(١).

إنّ عين حياة الخضر قد أحيتته في الدنيا فلا يموت حتى يأخذ الله الأرض ومن عليها، أمّا الإمام والعترة الطاهرة فهم عين الحياة.

الغرفة منها تعني معرفتهم وولايتهم، الشراب منها لا سبيل له الا باتباعهم، فينال المتّبع الحياة الدائمة التي لا انقطاع لها.

إنّ عين الحياة التي شربها الخضر ينقطع أثرها عندما يُفني الله الأرض ومن عليها، ثم يعود الخضر مع المؤمنين بالإمام، الذين شربوا من عين حياته عليه السلام، يعود الجميع إلى جنان الله تعالى بعين حياتنا.. بالإمام المعصوم عليه السلام.

ولايتنا أعظم نعم الله

هذه هي الولاية، وهذه أبعادها، وبهذا صارت أعظم نعم الله تعالى على خلقه.

لقد أمرنا الله تعالى بذكر آلائه ونعمه التي لا تُعدُّ ولا تحصى، فكان أعظمها

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام ج ٣ ص ٤٩٤.

عين الحياة، ولما كانت ولايتهم هي عين الحياة، صارت أعظم نعم الله.
قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾: هِيَ أَعْظَمُ
نِعَمِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَهِيَ وَلَايَتُنَا^(١).

وإمامتهم هذه فيها تمام كل الفرائض.. كما قال الرضا عليه السلام: بِالْإِمَامِ تَمَامُ
الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَتَوْفِيرُ الْفَيِّءِ وَالصَّدَقَاتِ^(٢).

بَدِّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا

إن مقتضى قانون المقابلة، وقاعدة التنافر والتنافي، يكشف حال من تنزَّهت
عين الحياة عن أن يقربوا منها، الذين أنكروا الإمامة أو جحدوها، وصاروا
مصادقاً لكلمات أمير المؤمنين عليه السلام:

مَا بَالُ أَقْوَامٍ غَيَّرُوا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَدَلُوا عَنْ وَصِيِّهِ، لَا يَتَخَوَّفُونَ
أَنْ يَنْزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ؟! ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾..

ثُمَّ قَالَ: نَحْنُ النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، وَبِنَا يَفُوزُ مَنْ فَازَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ^(٣).

هي نعمةٌ مُخلِّقٌ بالإنسان عالياً في سماء القرب من الله تعالى، وتنقله من
حياض البهيمية والحيوانية إلى مراقي القدس والجلال، بابٌ فتحه الله لأولياءه

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٨١.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٠٠.

(٣) الكافي ج ١ ص ٢١٧.

لينزّهمهم عن صفات البهيمية، وقد قال إمامنا الحسن الزكي عليه السلام:
 وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَالْأَوْصِيَاءُ مِنْ وَلَدِهِ (عليهم السلام) كُنْتُمْ حَيَارَى كَالْبَهَائِمِ،
 لَا تَعْرِفُونَ فَرَضاً مِنَ الْفَرَائِضِ، وَهَلْ تُدْخِلُ قَرْيَةً إِلَّا مِنْ بَابِهَا^(١).
 نظرة عابرة سريعة في أيامنا هذه.. كم من الخلق لم يؤمنوا بالله رباً؟ وكم
 منهم لم يؤمنوا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبياً ورسولاً؟ وكم منهم لم يؤمنوا بأمر المؤمنين
 والإثني عشر أولياء؟

كل هؤلاء بمقتضى حديثه عليه السلام لا زالوا حيارى كالبهائم!
 لهذا كانت الإمامة! ولهذا اهتم الشيعة بها، وشكّلت عندهم محوراً ومفصلاً
 وأصلاً من أصول دينهم، فمهما عرف المسلم من فروع دينه كانت معرفته
 منقوصة لولا الإمامة، إذ بالإمام تمام الصلاة والصوم وسواهما.

أحيا الناس جميعاً

يتساءل بعض الأحبة في شهر الله تعالى عن أهم الفرائض وأسمائها: ما الذي
 يأخذ بيدنا إلى مراتب القرب من رب العباد؟ ما الذي يصفّي نفوسنا؟
 ولماذا القيل والقال وكثرة المقال في أبحاث الإمامة؟
 إذا كانت الحياة بالإمام أيها الأحبة، فكم هو عظيم إحياء نفسٍ بإخراجها
 من عمى جهل الإمام إلى حياة معرفة الإمام؟
 وهل من نفسٍ أعظم عند الإنسان من نفسه؟! إن هي إلا نفسٌ واحدةٌ

يملكها أحدنا، أفلا يكون التعرف على الإمام أو الزيادة في معرفته غوصاً في عين الحياة؟! ونوعاً من التقرب الى الله تعالى في أعظم ما يجب؟!

إنّ المؤمن إذا شرب شيئاً من هذه العين الطاهرة، لم ينس إخوته المؤمنين، ولم ينس نظراءه في الخلق المتعطشين للانتقال من الظلمات، ظلمات الجهل، إلى النور، نور الإمامة والعلم والمعرفة.

لقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام لما سئل عن قول الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

فَقَالَ: مَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى فَقَدْ أَحْيَاهَا، وَمَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ هُدًى إِلَى ضَلَالٍ فَقَدْ قَتَلَهَا^(١).

فهل هناك هداية أعظم من التعرف على إمامنا عليه السلام؟ ومعرفة مواطن رضاه ومحالها، فمن سواه يكون في رضاه رضا الرحمان؟

الطهارة بالإمام

أليست طهارة النفوس بالإمام عليه السلام؟

ألم يقل تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾^(٢).

(١) المحاسن ج ١ ص ٢٣٢.

(٢) الأنفال ١١.

إنَّ ماء المطر طاهرٌ مطهَّر، لكن هل يذهب ماء المطر برجز الشيطان وحده؟
 أم أننا بحاجة للإمام لتطهر نفوسنا كما تطهر أجسادنا بماء المطر؟!
 لقد سأل جابرُ إمامنا الصادق عليه السلام عن هذه الآية المباركة، فقال عليه السلام:
 السماء في الباطن رسول الله، والماء علي عليه السلام!
 الامامُ هنا لا يتحدث عن ظاهر الآية، بل عن باطنها، فان ظاهر القرآن أنيقٌ
 وباطنه عميق، يعلمه آل بيت النبوة والعترة، ولهم فيه وجوهٌ شتى.
 ثم يقول عليه السلام: جعل الله علياً من رسول الله صلى الله عليه وآله فذلك قوله: ﴿مَاءٌ
 لِيُطَهَّرَ كُمْ بِهِ﴾: فذلك عليٌّ يطهر الله به قلب من والاه^(١).
 أيُّ طهارة في شهر الله تعالى أعظم وأفضل من التعرف على باب الطهارة،
 على ماء الله عز وجل الذي ينزله تعالى ليطهر به النفوس والقلوب، قلوب الشيعة
 والمؤمنين.
 بعليٍّ، بالماء، برمز الإمامة، يربطُ الله على قلوبنا ويطهرها ويدفع عنا رجز
 الشيطان.
 فلا غرابة إذاً أن يكون الإمام عين الحياة، وأن يكون الإمام الماء الذي به
 نحيا، وأن تكون طهارتنا مقرونةً بمعرفتنا لإمامنا.

العيون الكدرة والعيون الصافية

في مطلع شهر الله تعالى، نتوسل إلى الله تعالى بأوليائه وأحبائه وأصفياه

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ٥٠.

وخير خلقه، أن يأخذ بيدنا لنغوصَ في عين حياتهم، وننهل من معينهم، فلا نكون كالذين ذهبوا إلى عيونٍ كدرةٍ.. بل ممن ذهب إلى عيونٍ صافية تجري بأمر ربها، لا نفاد لها ولا انقطاع.

سلام الله عليك يا أمير المؤمنين.. يا عين الحياة..

السلام عليكم يا أئمة الهدى..

لا نفاد لعيونكم الصافية ولا انقطاع، فمن أغنى من شيعتهم في هذه الأيام المباركة؟ حيث طرّقوا باب الله تعالى.

مَن طرق بابهم فقد طرق باب الله سبحانه وتعالى، وليس علينا الا التوسل بهم، والتوجه نحوهم، والتعرف على مقاماتهم، والتشرف بقربهم، والامتثال لأوامرهم، والانتفاء عن نواهيهم، ثم مع هذا كلّ البراءة من أعدائهم، والحذر من العيون الكدرة حتى في هذا الشهر المبارك.

إنّ إبليس وإن صُفِّدَ فيه وغلَّتْ أياديه.. إلّا أنّ بذور النفاق والخبائث التي زرعها في نفوسٍ أمارة بالسوء لا تزال عصيّة على الإقرار بالإمامة الكبرى وباب الله الذي منه يؤتى.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) أوّل أيام شهر رمضان المبارك ١٤٤١ للهجرة.

١٤. الإمامُ واحدٌ دهره

بسم الله الرحمن الرحيم
 الإمامُ وَاحِدٌ دَهْرِهِ: كلمةٌ من كلمات النُّور على لسان إمامنا الرضا عليه السلام،
 ثامن الحجج المعصومين.
 كلمةٌ عظيمةٌ عميقةٌ تختصرُ بعضاً من مقامات الإمام والإمامة.
 الإمامُ وَاحِدٌ دَهْرِهِ، لَا يُدَانِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُعَادِلُهُ عَالَمٌ، وَلَا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ، وَلَا
 لَهُ مِثْلٌ وَلَا نَظِيرٌ، مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ وَلَا اكْتِسَابٍ^(١).
 دُرَّرَ وجواهر في هذه الكلمات..

يقول الموحدون أن الله تعالى واحدٌ أحد.. متفرِّدٌ بالوحدانيَّة والعظمة
 والجلال، لكن الشيعة يقولون أيضاً أنَّ الإمامَ واحد داهره! لا يدنو من مقامه
 أحد، ولا يقرب من مكانته مخلوقٌ سواه!

يقولون أنَّ الله تعالى هو العالم بالغيب وبما في الضمائر، العالم بكلِّ شيءٍ قبل
 أن يكون، والعالم بما لم يكن لو كان كيف يكون. ويقولون أنَّ الإمامَ عالمٌ أيضاً،
 وأن لا علم يقاس بعلمه، ولا يعادله عالمٌ سواه.

وَلَا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ: أي أنَّ للإمام دوراً لا يقوم به أيُّ بديلٍ عنه.

الله تعالى ليس كمثله شيء.. والإمام ليس له مِثْلٌ وَلَا نَظِيرٌ!

كلماتٌ محيِّرةٌ فعلاً! كلُّ متكاملٍ متعلِّمٍ يكتسب ويطلب الكمال حتى يصل

(١) الكافي ج ١ ص ٢٠١.

إلى شيء منه، وكلنا نبحث عن الكمال ونعمل لنسلك في مدارجه ونترقى فيه، أمّا الإمام فمخصوص بالفضل كله!

ليس للإمام فضلٌ في جنبه دون أخرى، ولا يشاركه فيما خصّه به تعالى سواه (مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ وَلَا اكْتِسَابٍ): لم يكن خالياً من الفضل يوماً ثم اكتسبه بالطلب، إنّما اختصه الله تعالى به (كلّه) من غير طلب!

هذا نزرٌ يسيرٌ مما تدلُّ عليه ظواهر كلمات الإمام الرضا عليه السلام، وينفتح من كل بابٍ منها أبوابٌ وأبواب.

أي مغالاة هذه؟

لكن القارئ المخالف قد تثير فيه هذه الكلمات استغراباً ووحشة، ولعلّه يقول: أيُّ غلوّ هذا؟ أليس هذا نوعٌ تشبيهٍ للمخلوق بخالقه؟!

لقد جعلتم الإمام لا مثيل له، والله وحده هو الذي لا مثيل له ولا شبيهه، فهل صار الإمام عندكم هو الله؟ أم أنّ الإمام صار قائماً مقام الله؟ يحلّ محله! إنكم تقولون في زيارتكم عند زيارة إمامكم: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِحُكَّامٍ يَقُومُونَ مَقَامَهُ لَوْ كَانَ حَاضِرًا فِي الْمَكَانِ^(١).

فهل لله مكان يحضر فيه؟ أم أنّ الإمام يقوم مقامه فيحضر بدلاً عنه؟! أم تقولون أيها الشيعة أنّ الإمام صار جزءاً من الله؟ فتارة تقولون أنّه (وجه الله تعالى) وتارة (عينه) وأخرى (يده).. وما تركتم وصفاً ونسبةً لله تعالى الا

(١) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ١١٦.

ونسبتموها للإمام الذي تعتقدون بعصمته!

أيّ فرق بينكم وبين النصارى؟

فأيّ فرق بينكم وبين النصارى إذا؟

لقد قال النصارى بأن المسيح هو الله المتجسّد، يقولون كما في كتابهم المقدّس أنّ الله ظهر في الجسد! ويعتقدون بحرفيّة هذا المعنى! دون أن يحملوه على معنى مجازيّ! ويُسْنَعُ القرآن عليهم لقولهم بألوهية المسيح، ويحكم عليهم بالكفر. لكنكم أيها الشيعة وصفتم الإمام بصفات الله تعالى، فهل يكون الإمام هو الله المتجسد أيضاً؟ لتصيروا بهذا كفاراً بعدما صرتم رافضة؟

إشكالاتٌ قد تنقدح في الأذهان، وقد يعزّزها ما ألصق بالشيعة من تهمٍ وافتراءاتٍ على مرّ العصور.. وتكتمل سلسلة الحلقات ببعض الجهلة الذين لا يعرفون للإنصاف طريقاً ولا سبيلاً، ممّن يقتاتون على الكذب.. ويهيمون في بحار الافتراء.

وتكون النتيجة عند هؤلاء أن الشيعة من أهل الغلو! لقولهم أنّ الإمام واحد دهره لا مثل له ولا نظير!

الجواب: قال النصارى بألوهية عيسى

يتّضح الجواب على هذه الشبهة الرخيصة بأدنى مقارنة بين العقيدتين، ليظهر أنّ عقيدة الشيعة في أئمتهم تتنافى تماماً مع عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام. أما النصارى، فإنهم وإن صرّحوا بتوحيد الله تعالى، إلا أنهم قالوا بتثليثه في

عين توحيده! أي أن الله سبحانه وتعالى واحد، لكن لهذا الإله أقانيم ثلاثة، وقد فسّرت الاقانيم عندهم بتفسيراتٍ شتى.

لقد أطلق لفظ الأقنوم ليراد منه معنىً غير مفهوم كما ثبت في كلمات بعض علماء النصارى، وذهب بعضهم إلى أن الأقنوم يعني (الشخص) فصار الإله عندهم واحداً في الجوهر متعدداً في الأشخاص!

لا يقولون بالآلهة الثلاثة بل بإلهٍ واحد من حيث الجوهر (الحقيقة أو المفهوم أو الطبيعة) وله ثلاثة مصاديق هم أفراده وأشخاصه وتعيّناته!

إن أهم بنود قانون الإيمان المسيحي.. المعروف بالقانون النيقاوي القسطنطيني المتفق عليه بين النصارى هو قولهم: (نؤمن بإلهٍ واحد، الأب ضابط الكل وخالق السماء والأرض وكل ما يُرى وما لا يرى).

من هذه الفقرة التي تتصدّر قانون الإيمان المسيحي يخال القارئ أن القوم موحدون.

لكن القوم وقعوا في الضلالة لما لم يتبعوا من يستنقذهم من الجهالة.. أنبياء الباطن: العقول، وأنبياء الظاهر: المرسلون.

فعطّلوا العقول وجعلوها مصلوبةً أمام القول بالثالوث، وقتلوا الأنبياء، فكم من نبيٍّ من بني إسرائيل قد أذاقوه العذاب والويل، حتى أرادوا قتل المسيح عليه السلام، فلمّا لم يتمكنوا من قتله بشخصه، قتلوا اعتقاده، فقالوا بالثالوث!

إنّ الله تعالى منزّه عن الأبوة والأخوة والقراية، وعن صفات المخلوقات، والأبوة صفةٌ في المخلوقات لا في الخالق.

لقد قالوا في سائر فقرات قانونهم: (وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوي الآب في الجوهر، الذي على يده صار كل شيء).

صار عيسى رباً وابناً لله ومولوداً أزلياً، وإلهاً من إله! هو غير مخلوق عندهم، وهو أزليٌّ كالله تعالى، فالقديم ليس واحداً، وجوهر عيسى مساوٍ لجوهر الله تعالى!

هل هناك فرق بين الآب والابن اذا؟ هل يعني كونهم من جوهرٍ واحدٍ أنه لا فرق ولا تمايز بينهم؟ يقولون: كلا، هناك تمايزٌ جليٌّ، فالآب ليس الابن، الابن مولودٌ أزليٌّ من الآب.

على هذا نقول لهم: يلزم ان يصير الابن محتاجاً للآب، وعيسى يصرح بذلك في انجيلكم.

يقولون: ان وحدة جوهرهم تعني كما لهم وتساويهم حتى مع تمايزهم. هنا يحار العقل فيما يذهب اليه النصارى، فنغضُّ النظر عن كل الإشكالات العقلية والنقلية على عقيدتهم^(١)، ونكتفي بما يتراءى للناظر من بعيد أنها عقيدة باطلة تجعل عيسى هو الله، لنبيّن حقيقة الغلو الصريح في قولهم، وبراعة مذهبنا من هذا الغلو.

(١) وقد بحثناها مفصلاً في كتابي (الثالوث والكتب السماوية) و(الثالوث صليب العقل) فلترجع.

فما ذهبوا إليه هو الغلو الصريح، بل الشرك الصريح، بل الكفر بالله الواحد الأحد، وقد حكم الله تعالى على القائل بالثالوث بالكفر، لكن ما هو المحور الثالث في الثالوث؟

لقد أضافوا إلى الأب والابن الروح القدس: (ونؤمن بالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الأب، ومع الأب والابن، يُسجد له ويُمجّد).
فجعلوه رباً، وسجدوا له سجود عبادة لا سجود تعظيم واحترام.
هذه هي عقيدة النصارى.. فهل بينها وبين عقيدة الشيعة من تشابه أيها المتهم للشيعة بالغلو؟!

قلنا بأن الأئمة مخلوقون مربوبون

لقد كذب من افترى على الشيعة ونسبهم للغلو، فإنهم يقولون بأن الله تعالى هو الإله الخالق الأزلي، كان ولم يكن معه شيء، فخلق الأشياء كلها لا من شيء، لم يشاركه شيء منها في الأزلية، وكان أول ما خلق الله أنوار محمد وآله عليهم السلام.
نورهم أول نور خلقه الله، رغم ذلك فإنهم والأنبياء والأئمة عباد مخلوقون مربوبون.. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

إن قول الشيعة أن الإمام واحد دهره، وأنه لا مثل له، إنما يدل على كونه (لا مثل له في مخلوقات الله تعالى)، وليس بين الشيعة من يعتقد أن الإمام يترقى ويرتفع إلى مرتبة الإله الخالق الرازق المعطي، الذي جلّ عن النظر والمثيل والشبيه!

إن قمة الرفعة لهذه الثلة الطاهرة التي لا مثيل لها تتجلى في قمة عبوديتها،

وقد قال القرآن المجيد عن النبي المصطفى ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾^(١)، فوصف الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالعبودية، وكان ﷺ يقول: أفلا أكون عبداً شكوراً؟

إنَّ تخصيص الإمام بالفضل كله من غير طلب منه هو تخصيص من الله تعالى، وإلا فلا حَوْلَ لأحد من المخلوقات ولا قُوَّةَ إلا بالله تعالى.

هل يعلم الإمام بغير تعليم من الله تعالى؟! حاشا مقام الربوبية أن يشاركه أحد في علمه، وعلمه عين ذاته.

وإذا كان الإمام حادثاً فإن علمه حادثٌ كذلك، أو يكون الإمام حادثاً وعلمه أزلي؟!!

غاية الأمر أنه خُلِقَ عالماً، خلقه الله عالماً لسبق علمه بما سيكون عليه حاله. وهو تَفَضَّلَ من الله تعالى كما تَفَضَّلَ على الأنبياء المتقدمين بأن خلقهم معصومين مطهرين من غير جَبَرٍ ولا إكراه، ومنشأً هذا التفضل تفوقهم واستحقاقهم الكرامة لولاه.

وهكذا يسقط كل ما يتوهمه المستشكل غلواً عند الشيعة، وينكشف مقدار جهله بعقيدة الشيعة.

إنَّ الله تعالى منزَّهٌ عن المكان، ولا يباشر الناس بنفسه، فكان الأئمة كما الأنبياء أبواب الله وطرقه.. إنها معانٍ مجازية كما لا يخفى على الأطفال، لكنها تخفى على اللئام الذين اعتاشوا على الكذب والافتراء.

بهذا يتضح معنى قولنا: لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك وخلقك.
فإن العبودية تستبطن كل معاني الاختلاف: الاختلاف بين الرب والعبد،
بين الخالق والمخلوق.
نعم ليس للإمام مثل في المخلوقات إذاً، وأي جاهل يقارن الله بمخلوقاته؟
ويقارن الإمام المخلوق بالإله القدير الذي لا يوصف؟!
الشيعة إذاً منزّهون عن الغلوّ في أئمتهم وإن قالوا أن ليس لأئمتهم نظير في
الوجود بأسره.

تنزيه الإله يثبت لزوم بعث الأنبياء

بعدما ثبت أن الله تعالى حكيمٌ كاملٌ منزّه عن المكان والجسميّة ومماسّة
خلقه، دلّ هذا بنفسه على لزوم وجود النبيّ والامام المعصوم المسدّد.
لقد روي عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِلزُّنْدِيقِ الَّذِي
سَأَلَهُ: مِنْ أَيْنَ أَثَبَّتَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ؟
قَالَ: إِنَّا لَمَّا أَثَبَّنَا أَنَّ لَنَا خَالِقًا صَانِعًا مُتَعَالِيًا عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، وَكَانَ
ذَلِكَ الصَّانِعُ حَكِيمًا مُتَعَالِيًا، لَمْ يَجْزُ أَنْ يُشَاهِدَهُ خَلْقُهُ وَلَا يُلَامِسُوهُ، فَيُبَاشِرُهُمْ
وَيُبَاشِرُوهُ، وَيُحَاجُّهُمْ وَيُحَاجُّوهُ.

لا يمكن أن يتنزّل هذا الخالق المتعال بصفّةٍ وصورةٍ بشريّةٍ للناس، لذا:
ثَبَّتَ أَنَّ لَهُ سُفَرَاءَ فِي خَلْقِهِ يُعَبِّرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ، وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى
مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ وَمَا بِهِ بَقَاؤُهُمْ وَفِي تَرْكِهِ فَنَآؤُهُمْ، فَثَبَّتَ الْأَمْرُونَ وَالنَّاهُونَ

عَنِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ فِي خَلْقِهِ، وَالْمُعَبَّرُونَ عَنْهُ جَلَّ وَعَزَّ، وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ..

لكن قد يتساءل متسائل: لما لا يصح أن يكون الأنبياء مشاركين للناس في صفاتهم وخصائصهم؟ بل مَنْ قال أنهم يختلفون عن سائر الناس؟

لقد رأى الناس الأنبياء والأئمة والأوصياء، وقد قال تعالى عن خير خلقه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أفلا يعني هذا أنه بصفة الناس؟ وأن حاله كحال بني البشر؟ وما الحاجة لرفعه فوق الآخرين والقول بأنه واحدٌ دهره لا يدانيه أحد؟

يقول الإمام عليه السلام: غَيْرَ مُشَارِكِينَ لِلنَّاسِ عَلَى مُشَارَكَتِهِمْ لَهُمْ فِي الْخَلْقِ وَالتَّرْكِبِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَاهُمْ^(١).

إذا لم يرسل الحكيم من يتميز عن غيره فإن بعثته خلاف الحكمة، وما لم يرسل الكامل كاملاً، ولم يرسل معصوماً مسدداً ينتفي وجه الحكمة من البعثة.

والأئمة وإن اشتركوا مع الخلق في أصل الخلقة وفي التركيب، فالكلّ مكوّن من جسم ونفس وإن اختلفت الطينة، لكنهم: غَيْرَ مُشَارِكِينَ لِلنَّاسِ عَلَى مُشَارَكَتِهِمْ لَهُمْ فِي الْخَلْقِ وَالتَّرْكِبِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَاهُمْ.

إنّ السهو والجهل والخطأ والغضب في غير مواضعه وسوى ذلك من الصفات الذمومة منفية عن صفوة الخلق، وحجج الله على عباده، الذين لا يخلو منهم دهر ولا زمان.

إنَّهم ينفردون بالعلم والأخلاق والكمالات النفسية والصفات الروحية عن سائر الناس، حيث يعيش الإمام في عالم المعرفة، فلا يعزب عنه شيء مما علَّمه الله سبحانه وتعالى.

لذا كان الإمام واحد دهره.. لا يدانيه أحدٌ، ولا له مثْل ولا نظير.

هذه هي عقيدة الشيعة صافية نقية: ليس للإمام مثْل ولا نظير.. يستوي في ذلك الأنبياء والعلماء والحكماء، فضلاً عن الملأ الأعلى.

مقامهم مقام النبي ﷺ حيث دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.

حيث يقف جبريل عند أعتابهم.. والملائكة تحيط بهم وتتمنى خدمتهم، فهل لهم من نظير؟

وهل تُسمع دعاوى المدَّعين للإمامة سواهم؟ وهل يليق بأن يتبوأ منصبها أحد سواهم؟

والحمد لله رب العالمين^(١).

١٥. عليٌّ وعيسى.. وحيرة الألباب!

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(١).

لقد ذهب النصارى إلى أن الله هو المسيح ابن مريم، فحكم عليهم القرآن الكريم بالكفر، وبراً ساحة عيسى عليه السلام حين قال: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

لقد دعا عيسى عليه السلام الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد لكنهم عبدوه هو، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٢).

المسيح نبيٌّ من أنبياء الله تعالى، مؤمنٌ بربه، موحدٌ يدعو بني إسرائيل إلى عبادة الله الواحد الأحد، فيرفض النصارى دعوته، ويجعلوه إلهاً ورباً، أقنوماً من أقانيم الله، تنزّه ربنا عز وجل عن ذلك.

لقد شكّل عيسى عليه السلام شخصية لها فرادتها، فكانت صفاته وأفعاله محلّ تعجّبٍ من أكثر الخلق: إحياءه للموتى، وشفاءه للمرضى، وخلقته من الطين كهيئة الطير.. والخلق وإن كان خلق تقدير لا خلق تكوين.. إلا أن المعجزات والكرامات التي ظهرت على يديه جعلته إلهاً في عيون قومه! فكفروا بذلك.

(١) المائدة ١٧.

(٢) المائدة ٧٢.

قلّمَا عبد النَّاسُ شخصاً كَمَا عبد النَّصَارَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَوْ فَتَشْتَ كَتَبَ التَّارِيخَ وَسَبَرْتَ أَغْوَارَهُ لَتَرَى هَلْ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مِنْ شَبِيهِ، لَوَجَدْتَ أَنَّهُ يَشْبَهُ آدَمَ فِي التَّوَلُّدِ مِنْ غَيْرِ أَبِي، حَتَّى ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلًا بِهِمَا: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

لَقَدْ مِثَّلَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى بِآدَمَ تَارَةً، وَبشخصية أخرى لَا تُضَاهِي فِي عَظَمَتِهَا.. فَقَدْ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَالِساً ذَاتَ يَوْمٍ:

إِذْ أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ فِيكَ شَبَهَا مِنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَلَوْ لَا أَنْ تَقُولَ فِيكَ طَوَائِفُ مِنْ أُمَّتِي مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لَقُلْتُ فِيكَ قَوْلًا لَا تَمُرُّ بِمَالٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَخَذُوا التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ، يَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ الْبَرَكَهَ!

مَا هُوَ الشَّبهَ بَيْنَ عِيسَى وَعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ هَلْ هُوَ تَأْلِيهِ فِئَةٌ مِنَ النَّاسِ لِكُلِّ مِنْهُمَا؟ أَمْ أَنَّ هُنَاكَ اشْتِرَاكًا فِي الصِّفَاتِ بَيْنَهُمَا؟ فِي خَلْقِهِمَا؟ فِي خَلْقِهِمَا؟ فِي تَوَاضُعِهِمَا؟ مَا السِّرُّ فِيكَ يَا عَلِيٍّ إِذْ تَقَدَّسَتْ كَالْمَسِيحِ، فَعَالَى مِنْ غَالِي فِيكَ، وَالنَّبِيُّ لَمْ يَقُلْ بَعْدُ مَا أَحْجَمَ عَنْ قَوْلِهِ؟! خَوْفًا مِنْ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ كَمَا جَعَلُوا الْمَسِيحَ!

أَيُّ سِرِّ فِيكَ هَذَا يَا عَلِيٍّ؟! أَيُّ صِفَاءٍ وَطَهَارَةٍ وَإِخْلَاصٍ قَدَّمَتْهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدَّمَ الدُّنْيَا بَيْنَ يَدَيْكَ؟! فَقُلْتُ لِأَهْلِهَا إِنَّ وَلَا يَتَّهِمُ لَا تَسَاوِي عِنْدَكَ عَفْطَةً عَنِزًا إِلَّا أَنْ تُقِيمَ حَقًّا؟!

لَقَدْ أَثَارَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ (إِنَّ فِيكَ شَبَهَا مِنْ عِيسَى) حَفِيزَةَ الْأَعْرَابِيَّانِ

اللذان تلمّسا ورأيا بالعين ما ظهر من كراماتك الباهرة، وما اتّبع الحقُّ أبداً!
تقول الرواية: فَغَضِبَ الْأَعْرَابِيَّانِ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعِدَّةٌ مِنْ قُرَيْشٍ
مَعَهُمْ.

هؤلاء هم الصحابة الذين يزعم المخالفون عدالتهم! ويرفعونهم الى أرفع
المراتب، لقد غضبوا لكلام النبي ﷺ، فَقَالُوا: مَا رَضِيَ أَنْ يُضْرَبَ لِابْنِ عَمِّهِ
مَثَلًا إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ! (١).

هؤلاء لا يؤمنون بقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٢)، فيظنون أن هذا من سحر محمدٍ وكيده لإبقاء الخلافة في بني
هاشم، فأنزل الله تعالى بعد قولهم هذا على نبيه آية مباركة: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾.

لقد سَلَبَتْ أَلْبَابُ الْخَلِيقَةِ أَيْهَا الْمَسِيحِ الْعَظِيمِ! وَحَيَّرَتِ الْعُقُولَ.
لقد رأى الناس منك ما أطاح ألبابهم.. إذ أحييت الموتى يا نبيَّ الله بحرفين
من أحرف اسم الله الأعظم! فماذا كان عند عليٍّ من هذا الاسم؟
لقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قوله:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ اسْمَهُ الْأَعْظَمَ عَلَى ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ حَرْفًا.. أَعْطَى
عِيسَى مِنْهَا حَرْفَيْنِ وَكَانَ يُحْيِي بِهِمَا الْمَوْتَى، وَيُبْرِئُ بِهِمَا الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَأَعْطَى
مُحَمَّدًا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَرْفًا، وَاحْتَجَبَ حَرْفًا.

(١) الكافي ج ٨ ص ٥٧.

(٢) النجم ٣-٤.

وعن الباقر عليه السلام: وَعِنْدَنَا نَحْنُ مِنَ الْأَسْمِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ حَرْفًا^(١).
فما عند محمد صلى الله عليه وآله عند الأئمة عليهم السلام.

هذا مقام عيسى من مقام الامام..

لقد حَيَّرَتِ الأبواب يا عيسى بحرفين من اسم الله الأعظم، وعند محمد
وعلي والأئمة اثنان وسبعون حرفاً!

حمداً لك يا رب العباد، أن حافظت لنا على عقولنا لئلا تطيح كما طاحت
ألباب كثيرٍ من خلقك بعيسى حيث صار مَعَثَرَةً لهم.

فكيف لم يصير الإمام عليٌّ مَعَثَرَةً للخلق وهو أعظم من عيسى عليه السلام؟
نعم، لقد عَثَرَ به المغالون، لكنّ أتباعه وأشياعه عرفوا الحق فاتبعوه.
عليٌّ يا حيرة الأبواب.. أيُّ مقام جعلك الله فيه فصيرك إماماً وبنيك من
بعدك؟

هذا هو منصب الإمام، وهذا محله، ولما كان عيسى قد سَلَبَ الأبواب، وكان
منصبُ الإمامة أجلُّ شأنًا، طُرِحَتْ تساؤلات كثيرة حول الإمامة.. ومنها
سؤالان حول مقامها ودور العقل:

فهل يُسْتَدَلُّ على الإمامة بالعقل؟ وهل تُدْرِك حقيقتها؟

التساؤل الأول: هل يدلُّ العقلُ على لزوم الإمامة؟

نحن نعتقد أن الإمامة حاجةٌ ضروريةٌ، وأنَّ العقل يدلُّ على لزومها.

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٢٠٨.

لَكِنَّ قَائِلًا قَدْ يَقُولُ: إِنَّ زَعْمَكُمْ كَوْنُ الْإِمَامَةِ حَاجَةً وَضُرُورَةً عَقْلِيَّةً يَنَافِي كِمَالِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ.

وَيَقُولُ: أَلَا يَعْنِي ادِّعَاءُ ضَرُورَةِ الْإِمَامَةِ نِسْبَةَ النَقْصِ لِلَّهِ تَعَالَى؟ إِذْ يَقْدَرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْ يُعَرِّفَ النَّاسَ بِنَفْسِهِ دُونَ تَوْسُطِ الْإِمَامِ، وَإِنْ فَرَضْتُمْ أَيُّهَا الشَّيْعَةُ لَزُومَ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِمَامِ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ اِحْتِيَاجُ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ تَعَالَى مَنْزَهُ عَنِ الْحَاجَةِ.

فَنَقُولُ: إِنْ قَوْلُنَا بِحَتْمِيَّةِ الْإِمَامَةِ وَضُرُورَتِهَا لَيْسَ أَمْرًا خَارِجًا عَنِ الْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ تَكُونَ هِدَايَتُهُ قَهْرِيَّةً جَبْرِيَّةً، أَوْ أَنْ تَكُونَ بَلَا وَاسْطَةً، كَأَنْ يَزْرَعَ فِي الْإِنْسَانِ إِلَى جَانِبِ الْفِطْرَةِ مَا يَجْعَلُهُ مُلْزَمًا بِالْمَعْرِفَةِ وَالطَّاعَةِ، أَوْ يَخْلُقَ الْإِنْسَانَ كَالْمَلَائِكَةِ بِحَيْثُ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ.

إِلَّا أَنْ إِرَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَكِمَالَهُ وَحُكْمَتَهُ وَعَدْلَهُ الَّتِي اقْتَضَتْ أَنْ يُخَيَّرَ الْإِنْسَانُ بَيْنَ طَرِيقَيْنِ، فَيُثِيبَ الْمَطِيعَ وَيُعَاقِبَ الْعَاصِيَ، اقْتَضَتْ أَنْ لَا يُعَرِّفَ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ بِنَفْسِهِ.. وَأَنْ لَا يَبَاشِرَهُمْ حَتَّى يُمَثِّلَ الْوَحْيَ جَمِيعًا، وَإِنْ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَهُوَ مَا يَقْتَضِي حِينَهَا لَزُومَ وَجُودِ خَلِيفَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَلَيْسَ سِوَى الْإِمَامِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِقَوْلِهِ: .. إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ شَاءَ لَعَرَّفَ الْعِبَادَ نَفْسَهُ، وَلَكِنْ جَعَلْنَا أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ وَسَبِيلَهُ وَالْوَجْهَ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ^(١).

هي ضرورة عقلية ليس فيها ما ينازع الله سلطانه، لأنه إله عادلٌ اختار أن لا يعرف العباد نفسه كمعرفة الملائكة.. بل أراد أن تجري الأمور معهم بأسبابها، كما قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا^(١).

الإمام إذا كالنبي حاجة عقلية بضميمة عدم إرادة الله تعريف الناس بنفسه، ولا الإيحاء لهم جميعاً.

هكذا كانت كلمات المعصومين، تَعَلَّمَهَا مِنْهُمْ تِلَامِذُهُمْ، فأقرّ الصادق عليه السلام قول هشام بن الحكم: إِنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبًّا فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ لِدَلِكِ الرَّبِّ رِضًا وَسَخَطًا، وَأَنَّهُ لَا يُعْرِفُ رِضَاهُ وَسَخَطُهُ إِلَّا بِوَحْيٍ أَوْ رَسُولٍ، فَمَنْ لَمْ يَأْتِهِ الْوَحْيُ فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطْلُبَ الرُّسُلَ^(٢).

ههنا لا فرق بين النبي والإمام في ذلك، فهم خلفاء الله تعالى في أرضه، وأمناءه على دينه.. فإذا تبين هذا عُلِمَ سبب قول الصادق عليه السلام: الْحُجَّةُ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَمَعَ الْخَلْقِ، وَبَعْدَ الْخَلْقِ^(٣).

لا بدّ إذاً من تمامية الحجة الإلهية، دلّ على ذلك العقل بنفسه بعد إيمانه بالله الواحد الكامل الذي لم يباشر الناس بنفسه، فثبت بهذا أن الامامة لها دليلٌ عقليٌّ قطعيٌّ لا يتخلف.

(١) الكافي ج ١ ص ١٨٣.

(٢) الكافي ج ١ ص ١٦٩.

(٣) الكافي ج ١ ص ١٧٨.

التساؤل الثاني: هل تدرك حقيقة الإمامة؟

إذا كان عليٌّ قد حَيَّرَ العقول كما حيرها عيسى..
وإذا كان العقل قد دلَّ على لزوم الإمامة وضرورتها، أفليس لهذا العقل أن
يدرك حقيقة الإمامة ومراتبها وعظمتها؟
قد يظنُّ ظانٌّ أنَّ هناك تلازماً بين ضرورة الإمامة وبين إدراك حقيقتها
وكنهها وجوهرها ومراتبها.

وها هنا لا بدَّ من التمييز بين الأمرين، فكما أنَّ العقل يدلُّ على وجود الله
سبحانه وتعالى، وعلى اتصافه بصفات الكمال والجلال، ثم يدلُّ على أن الله
سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن الاحاطة بذاته، كذلك يدلُّ العقل على أنَّ الإمامة وإن
كانت ضرورية إلا أنَّ حقيقتها فوق حدِّ الإدراك.

وإن عجز العقل عن ذلك، أرشده حديث المعصوم من آل محمد عليه السلام، وفي
ذلك يقول الإمام الرضا عليه السلام:

إِنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلٌ قَدَرًا، وَأَعْظَمُ شَأْنًا، وَأَعْلَى مَكَانًا، وَأَمْنَعُ جَانِبًا، وَأَبْعَدُ
غَوْرًا، مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ، أَوْ يَنَالُوهَا بِأَرَائِهِمْ، أَوْ يُقِيمُوا إِمَامًا
بِاخْتِيَارِهِمْ.

بماذا صارت الإمامة أجلَّ من أن تُدركها العقول؟
أليس الله تعالى هو خالق الإمام وخالق العقل؟
لماذا ليس للناس أن ينصبوا إماماً باختيارهم؟
إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ: هل اختار الناس أنبياءهم؟

كي يختاروا أوصياءهم وأئمتهم؟

لماذا سلّمت البشرية بأنّ النبي لا بدّ أن يكون مختاراً من الله سبحانه وتعالى، متجبّاً ومرسلاً من قبله عزّ وجلّ، ثم لم يشترطوا هذا في الإمام، أليس هذا كيداً بمكيالين؟

إذا كانت الإمامة منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، فلا بدّ أن تكون أيضاً بتنصيب من الله سبحانه وتعالى.

وإذا كان العقل يدرك نبوة النبي لمكان الإعجاز.. أفهل يبلغ مقام النبوة والإمامة لمجرد إدراكه للمعجز؟ إنّ الكافر يعرف إعجاز المعجز لكنه لا يتمكن من أن يسبر أغوار النبوة والإمامة.

إنّ الإمامة خلافة الله: أننازع الله في سلطانه؟ فيختار الله إماماً ونختار إماماً سواه؟! هنا لبّ النزاع ومحلّ الخلاف وبيت القصيد: هل هي خلافة الله أم خلافة الأهواء؟

الإمام خليفة الله، وتريد الأمة أن تسلب الله حقه في اختيار الإمام! ثم تقرّر الأمة بالعقول الناقصة من يكون إماماً! فتقدم المفضول على الفاضل! فيصير أمرها سفالاً كما هو حال أمتنا اليوم، أمّة هوت إلى الحضيض، وستبقى الى ظهور الحجة عجل الله فرجه كذلك، لأنّ الإمام هو الوحيد الذي يقيم شأنها، هو الوحيد الذي يمثل الله في أرضه.

وَحِلَافَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَام، وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَام.. فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ؟ أَوْ يُمَكِّنُهُ اخْتِيَارُهُ؟

كلماتٌ ذهبية نقف عند شيء يسير منها، هي بنفسها دليلٌ على عصمة الإمام وعلى عظمته، بل هي بنفسها دليلٌ على عظمة الله سبحانه وتعالى، فالله القادر على أن يخلق إماماً بهذه العظمة وبهذه البلاغة وبهذه الفصاحة والعلم والعمق والدقة هو إلهٌ جديرٌ بالعبادة..

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، ضَلَّتِ الْعُقُولُ، وَتَاهَتِ الْحُلُومُ، وَحَارَتِ الْأَلْبَابُ!
عليٌّ يا حيرة الألباب..

العقل طريق الإدراك، قد ضلّ فيك يا عليّ..
الحلم .. والتثبت والأناة .. والعقل .. كلُّه لم يتمكن من الغوص في بحارك يا عليّ!

وَحَسَاتِ الْعُيُونُ، وَتَصَاغَرَتِ الْعُظَمَاءُ، وَتَحَيَّرَتِ الْحُكَمَاءُ، وَتَقَاصَرَتِ
الْحُلَمَاءُ، وَحَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ، وَجَهِلَتِ الْأَلْبَاءُ، وَكَلَّتِ الشُّعْرَاءُ، وَعَجَزَتِ الْأُدْبَاءُ،
وَعَيَّتِ الْبُلَغَاءُ: عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ..

نحن لا نريد معرفة حقيقة أمير المؤمنين عليه السلام، بل نريد وصف شأنٍ من شأنه أو فضيلةٍ واحدة من فضائله، فنعجز جميعاً كما يقرّ هؤلاء بالعجز والتقصير، وهم نخبة البشرية وصفوتها، عظماءها وحكامؤها وألباؤها وأدباؤها وبلغاؤها.
لقد وُصِفَ أمير المؤمنين عليه السلام بكثيرٍ من الأوصاف، فكيف تقولون أن هؤلاء جميعاً يعجزون عن وصف شأنٍ من شأنه أو فضيلة من فضائله؟!

إننا نسمع فضائله عليه السلام ونتلمّس شيئاً منها ونحوم حولها، لكننا لا ندرك حقيقتها لأنّ لها بُعداً لا ندركه ينبع من عظمة فاعلها، فعظمة فعل عليّ عليه السلام

بمقدار عظمته هو، وبمقدار قربه من الله سبحانه وتعالى، لذا تكون ضربة واحدة منه معادلة لعبادة الثقلين، فمن يدرك عبادة الثقلين؟! كي يدرك ضربة من ضربات عليّ السليمانية.

وَكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ وَيُعْنِي غِنَاهُ؟

لا يقوم أحد مقامه، فقد وصل إلى مقام النبي ﷺ.. هناك حيث قاب قوسين أو أدنى.. المنتهى من غايات القرب من الله عز وجل، فلا دُنُوَّ بعد هذا ولا اقتراب..

لَا، كَيْفَ، وَأَنْتَى، وَهُوَ بِحَيْثُ النَّجْمِ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِينَ، وَوَصَفِ الْوَاصِفِينَ. مَنْ مِمَّا يَتِمَكَّنُ مِنْ تَنَاوُلِ النَّجْمِ فِي السَّمَاءِ؟

عليّ.. بحيث النجم من يد المتناولين!

فَأَيْنَ الْإِخْتِيَارُ مِنْ هَذَا، وَأَيْنَ الْعُقُولُ عَنْ هَذَا، وَأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا، أَتَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟

كَذَبَتْهُمْ وَاللَّهُ أَنْفُسُهُمْ، وَمَتَّهْمُ الْبَاطِلِ، فَارْتَقُوا مُرْتَقَى صَعْبًا دَخَضًا تَرْلُ عَنْهُ إِلَى الْحَضِيضِ أَقْدَامُهُمْ..

أَيَّتْرُكُ مُحَمَّدٌ وَآلَهُ وَيَتَّبِعُ فَلَانٌ وَفَلَانٌ الْأَعْرَابِيَّانَ؟

تعيش أمتنا اليوم في الحضيض لأنها تركت آل محمد، الذين لا يوجد مثلهم في غير آل الرسول.

الإمام الماء العذب على الظما!

بعيداً عن هذا الخلق المنكوس المتعوس، الذي أعرض عن إمامه وذهب
يُمنَةً ويسرةً، ما حال الإمام بالنسبة لشيعته ومحبيه وأتباعه؟
يقول الإمام عليه السلام عبارةً تسلب الألباب والقلوب والعقول: **الإِمَامُ الْمَاءُ
الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَا، وَالذَّالُّ عَلَى الْهُدَى، وَالْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى.**
ما هَمَّنَا ظمأ الصوم في هذه الأيام يا مولاي..
فإنّا لظهورك نترقب.. وأنت الماء العذب على الظمأ.
أبغريك نحيا يا سيدي؟ لا ورب الكعبة.
فيك وبك الحياة.. يا منور قلوب المؤمنين.
**مَتَى نَرِدُ مَنَاهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَتَرَوَى، مَتَى نَتَنَفَّعُ مِنْ عَذْبِ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ
الصَّدَى.**

هذا لسان حال الشيعة يا سيدي ومولاي.
عذب مائك الذي يروي الظما يتلهف له كل مؤمن.
يا مولاي، يا صاحب العصر والزمان.. يا حامل إرث النبيين والوصيين..
عجل الله فرجك، وسهل الله مخرجك، وجعلنا من أشياعك واتباعك
والذايين عنك.. بحق هذه الأيام المباركة.. والحمد لله رب العالمين^(١).

١٦. الأئمة المحسودون!

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عز وجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾^(١).

لماذا يا ترى يرغب كثير من أهل الكتاب أن يعود المؤمنون كفاراً؟!

نُصِّرُح الآية الشريفة بسبب ذلك: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾.

فهل يحسد أهل الكتاب المؤمنين على إيمانهم بالله تعالى؟

إنَّ اليهود والنصارى يقولون أنهم مؤمنون بالله تعالى، ويعدّون أنفسهم من الموحدّين، فعلى أيّ شيء إذا يحسدون المؤمنين؟

لا بدّ وأن يكون شيئاً سوى التوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى.

لقد بيّن الامام العسكري عليه السلام ذلك في التفسير المنسوب اليه فقال: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ لَكُمْ بَأْنَ أَكْرَمَكُم بِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَآلِهِمَا الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ بِالْمُعْجَزَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ وَفَضْلِ عَلِيٍّ^(٢).

يودّ أهل الكتاب إذاً أن يردّوا المؤمنين عن إيمانهم بمحمد وعليٍّ والأئمة

عليه السلام.

(١) البقرة ١٠٩.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٥١٥.

وليس أحدٌ من المسلمين يؤمن بالأئمة اليوم سوى الشيعة، فمن سيكون محسوداً سواهم من أهل الكتاب؟!
لقد سعى أهل الكتاب هؤلاء ليردوا المؤمنين عن إيمانهم، ولكن ما هو أسلوبهم؟ يقول عليه السلام: بِمَا يُورِدُونَهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الشُّبْهِ!
ينبّه الإمام إلى شُبْهِ أهل الكتاب.. فما هي؟ إنَّ لبحثها محلاً آخر.. وههنا جهاتٌ ترتبط بالحسد.

١. ما هو الحسد؟

لو أردنا أن ننظر في كتب اللغة لتعرّف على معنى الحسد لتعجبنا، من أن أغلبها لا تُعرّف الحسد، بل تكتفي بالقول أَنَّهُ معنًى معروف، وذلك لشدة وضوحه..

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين: حسد: الحَسَدُ: معروف^(١).
والمعروف هذا قد ذكره بعض علماء اللغة فقالوا:
الحَسَدُ: أن تتمنى زوال نعمة المحسود إليك.

الحسد: تمنى زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعيً في إزالتها.

هو إذاً صفة نفسانية ذميمة قبيحةٌ بنفسها ولو لم يتعقبها فعلٌ آخر، كالسعي في سلب نعم الله عن الآخرين.

(١) كتاب العين ج ٣ ص ١٣٠.

وههنا أمران أو مرتبتان: أولاهما حالة نفسانية وهي تمني زوال النعمة عن الغير، والآخر السعي لسلب تلك النعمة عمّن استحقها أو وصلت إليه.

فهل الحالة الأولى التي لا تستتبع عملاً جوارحياً محرّماً قولاً أو لفظاً محرّمة بنفسها كما هو ظاهر جملة من النصوص؟

أم أنّها مذمومة وإن لم تكن محرّمة كما يشير إليه الحديث الشريف: **وُضِعَ عَنْ أُمْتِي.. الْحَسَدُ مَا لَمْ يَظْهَرْ بِلِسَانٍ أَوْ يَدٍ**^(١).

في المسألة خلافٌ وتفصيلٌ ليس هنا محل بحثه.

لكنّ المهم هو أنّ الحسد يدعو بنفسه الى ارتكاب القبائح والمحرمات بلا شكّ، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه الشريف:

وَالْحِرْصُ وَالْكِبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ.

فالحسد يدعو صاحبه للتّقحّم في الذنوب، سعيّاً في سلب النعم عن الآخرين، إما للحصول عليها لنفسه، أو لمجرد سلبهم إياها.

وأهل الكتاب في الآية المباركة يحسدون المؤمن على إيمانه، لا ليؤمنوا، فإنّهم عرفوا الحق ولم يرغبوا باتّباعه، وباب الحق مفتوح لهم كما هو مفتوح للمؤمن.

لماذا إذاً يريدون سلب الإيمان من المؤمن؟

لأنّ للمؤمن فضلاً خلا منه الحسود.. الفضل والنعمة التي حصل عليها المؤمن استدعت حسداً من الكافر ورغبة في زوالها.. وسعيّاً لذلك.

٢. متى بدأ الحسد؟ ومتى كان أوله؟

من أين بدأ الحسد يا ترى؟ ومتى كانت بدايته؟

يقول الإمام عليه السلام: فَأَمَّا إِبْلِيسُ فَعَبْدٌ خَلَقَهُ لِعِبَادَتِهِ وَيُوحِّدُهُ، وَقَدْ عَلِمَ حِينَ خَلَقَهُ مَا هُوَ وَإِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْبُدُهُ مَعَ مَلَائِكَتِهِ حَتَّى امْتَحَنَهُ بِسُجُودِ آدَمَ، فَاِمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ حَسَدًا وَشَقَاوَةً غَلَبَتْ عَلَيْهِ، فَلَعَنَهُ عِنْدَ ذَلِكَ ^(١).

كان سبب امتناع إبليس عن السجود لآدم وعن طاعة الله سبحانه وتعالى رغبته بأن ينال النعمة التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على آدم.

بدأ حالة نفسية قبيحة ذميمة وتطوّرت للامتناع عن طاعة الله سبحانه وتعالى، وقد ورد أن هذا الحسد صيّر إبليس إلى الكفر والشرك، وجعل إبليس في مرتبة الرادّ على الله تعالى، عندما أبى السجود لآدم عليه السلام ^(٢).

لذا ورد في الحديث: إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ ذَنْبٍ كَانَ مِنَ الْجَنِّ قَبْلَ الْإِنْسِ ^(٣).

لقد فتح إبليس باب الحسد واستمرّ ذلك.. واعترف بنفسه بهذا الأمر، ففي حديث شريف أنه: لَمَّا هَبَطَ نُوحٌ عليه السلام مِنَ السَّفِينَةِ أَتَاهُ إِبْلِيسُ فَقَالَ لَهُ: مَا فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ أَعْظَمُ مِنْكَ عَلَيَّ مِنْكَ، دَعَوْتُ اللَّهَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقِ فَأَرْحَتَنِي مِنْهُمْ. تَأَمَّلُوا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ، إبليس يشكر نوحاً عليه السلام على دعائه حيث أراحه الله

(١) الإحتجاج ج ٢ ص ٣٣٩.

(٢) تحف العقول ص ٣٧١.

(٣) دعائم الإسلام ج ٢ ص ٣٥٢.

بدعائه من هؤلاء الفساق، مع أنهم كانوا أتباعاً له، وقتلةً لأئمة الهدى!

ثم يقول إبليس لنوح عليه السلام: أَلَا أَعْلَمُكَ خَصْلَتَيْنِ:

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ فَهُوَ الَّذِي عَمِلَ بِمَا عَمِلَ.

وَإِيَّاكَ وَالْحِرْصَ فَهُوَ الَّذِي عَمِلَ بِأَدَمَ مَا عَمِلَ ^(١).

تَسَرَّبَ هذا الحسدُ من الجنِّ الى الإنس، حيث حسد ابنُ آدم أخاه فقتله، وكان أولُ حسدٍ على هذه الأرض بين أبناء آدم، ثم استشرى بين الشعوب والأقوام، وفي أمم الانبياء والمعصومين، حتى قالوا عليه السلام: وَكَانَتْ أَوَّلُ بُلُوَى نَزَلَتْ بِبِعْقُوبَ وَآلٍ يَعْقُوبَ الْحَسَدَ لِيُؤَسِّفَ لِمَا سَمِعُوا مِنْهُ الرَّؤْيَا ^(٢).

وهكذا نرى أنَّ للحسد دخالةً في كثيرٍ من أحداث التاريخ، بل في أهمِّ مفاصله، بدءاً من السجود لآدم، مروراً بأولاده عليه السلام، وإلى يومنا الحاضر.

٣. آثار الحسد وخطورته

فما هي آثار الحسد؟ وما خطورته؟ وبم يتميز عن غيره من الرذائل؟ ولماذا أوصِلَ إبليس إلى الكفر؟

لقد روي عن الصادق عليه السلام قوله: إِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ ^(٣).

(١) الخصال ج ١ ص ٥١.

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ٤٦.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٣٠٦.

لقد فَسَّرَ العلماءُ هذا المعنى بأنَّه نوعٌ من الاستعارة، يُرادُ منه أنَّ الحسدَ يُخْرِجُ صاحبه عن طاعته لله تعالى وينقله الى ساحة المعاصي، فيحوِّله من عزِّ الطاعة الى ذلِّ المعصية، فيخسر شرف الثواب، ويسقط في مهاوي الرذيلة.

فيكون شبيهاً بالنار التي تأكل الحطب، حينما يأكل حسنات الانسان، لما يأخذ بيده ويورده كل معصيةٍ وذنبٍ ومهلكة.

لذا ورد عن الباقر عليه السلام: الْحَسَدُ هُوَ أَصْلُ الْكُفْرِ^(١).

فهل أنَّ كثرة المعاصي الناتجة عن الحسد وتتبُّعها قد يُخرج الإنسان إلى حدِّ الكفر؟ أم أنَّ هناك معنى آخر؟

٤. لماذا صار الحسدُ أصلَ الكفر؟

يُبيِّنُ الإمام الصادق عليه السلام أمراً في غاية اللطافة والدقة والأهمية، حين ينقل حديثاً قدسياً يقول الله عز وجل فيه لموسى ابن عمران: يَا ابْنَ عِمْرَانَ، لَا تَحْسَدَنَّ النَّاسَ عَلَى مَا آتَيْتَهُمْ مِنْ فَضْلِي، وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى ذَلِكَ، وَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ:

هي إشارةٌ الى مقدار ما يتعرَّض له الحاسد من أذى في نفسه، حتى لكانَّ نفسه تموت على ما يرى في يد الآخرين، فجاء الأمر الإلهي: لا تجعل نفسك تذهب حسرات على ما آتيتُ الآخرين من فضلي.

وتألم الحسود يجعله في حالةٍ تكاد نفسه تخرج منه لذلك!

فَإِنَّ الْحَاسِدَ سَاخِطٌ لِنَعَمِي: ههنا محطُّ الرحال، الحاسدُ ساخطٌ لنعم الله،

غير راضٍ بما أنعم الله به على غيره!

النعمَةُ نعمةُ الله وليست نعمة هذا العبد، والله يخص من يشاء من فضله، لكن هذا العبد يسخط من إنزال الله سبحانه وتعالى لنعمه على من يشاء من عباده! صَادُّ لِقَسَمِي الَّذِي قَسَمْتُ بَيْنَ عِبَادِي، وَمَنْ يَكُ كَذَلِكَ فَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ مِنِّي^(١).

الله سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام، الرحيم العطوف، يتبرأ من هذا الحاسد، لاعتراضه على مشيئته تعالى، ورفضه لما قسمه الله سبحانه وتعالى بين عباده، وسخطه على توزيع نعم الله سبحانه وتعالى.

والحاسدُ فضلاً عن كونه ساخطاً لنعم الله، فَإِنَّهُ جاحِدٌ لفضل الله، فقد روي عن الصادق عليه السلام: الْحَاسِدُ يُضِرُّ بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يُضِرَّ بِالْمَحْسُودِ، كَأِبْلِيسَ، أَوْرَثَ بِحَسَدِهِ لِنَفْسِهِ اللَّعْنَةَ، وَلَا دَمَ عَلَيْهِ إِلَّا جِتَبَاءَ وَاهْدَى.. وَالْحَسَدُ أَضْلُهُ مِنْ عَمَى الْقَلْبِ وَالْجُحُودِ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

اجتمع في الحاسد إذاً إضراره بنفسه، وعمى قلبه، وسخطه لنعم الله، وجحوده لفضل الله، فأَيُّ داءٍ هو هذا؟!

٥. داء الأَمَدِ دَب في هذه الأَمَتِ

هذا حال الحسد منذ إبليس وامتناعه عن السجود، مروراً بابني آدم، وصولاً إلى بني إسرائيل حُساد المؤمنين.. ثم لما تصل النوبة إلى بعثة النبي ﷺ

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٠٧.

(٢) مصباح الشريعة ص ١٠٤.

يَحْصُلُ تَطَوُّرٌ خَطِيرٌ، يَحِيطُ بِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ.. لَا يَتِمُّثَلُ بِحَسَدِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَحَسَبَ.. بَلْ بِمَا تَفَشَّى فِي أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا إِنَّهُ قَدْ دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَهُوَ الْحَسَدُ، لَيْسَ بِحَالِقِ الشَّعْرِ لَكِنَّهُ حَالِقُ الدِّينِ^(١).

لَقَدْ تَفَشَّى الْحَسَدُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَالنَّبِيِّ ﷺ لَا يَزَالُ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمَهُ، فَكَانَ حَالِقًا لِلْأَدْيَانِ!

٦. تِسْعَةُ أَعْشَارِ الْحَسَدِ فِي قَرِيْشٍ

ههنا ننقل الكلام إلى المخالفين لنرى ما عندهم حول الحسد.. وليظهر مقدار تفشي الحسد بلسان الحساد أنفسهم.

لَقَدْ رَوَى عُلَمَاءُ الْعَامَةِ كَابُنَ أَبِي الْحَدِيدِ وَغَيْرُهُ قَوْلَ الْمَغِيرَةِ:
قَوَالَهُ لَوْ كَانَ هَذَا الْحَسَدُ يُدْرِكُ بِحِسَابٍ لَكَانَ لِقَرِيْشٍ تِسْعَةُ أَعْشَارِهِ،
وَلِلنَّاسِ كُلِّهِمْ عَشْرٌ!

لَمَّاذَا يَرَى الْمَغِيرَةُ ذَلِكَ؟ هَلْ لِكَوْنِهِ عَاشٍ بَيْنَ قَوْمٍ حَسَادٍ فَرَأَى مِنْهُمْ مَا جَعَلَهُ يَدْرِكُ أَنْ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ مِنْ حَسَدٍ بِمَقْدَارِ حَسَدِ قَرِيْشٍ؟!

لَمْ يَقْتَصِرِ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا، حَيْثُ يَرُدُّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى الْمَغِيرَةِ فَيَقُولُ لَهُ:
تَكِلْتَنَّاكَ أُمُّكَ يَا مُغِيرَةَ! وَمَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الْحَسَدِ! بَلْ تِسْعَةُ أَعْشَارِ الْعُشْرِ،
وَفِي النَّاسِ كُلِّهِمْ عَشْرُ الْعُشْرِ، بَلْ وَقَرِيْشٍ شُرَكَائُهُمْ أَيْضًا فِيهِ!

(١) مسائل علي بن جعفر ومستدركاتهما ص ٣٣٧.

لم يكتفِ عمر بن الخطاب بكلام المغيرة بل زاد عليه ما زاد.. فما الذي يقوله عمر ابن الخطاب؟! وما الذي يريد الوصول اليه؟

ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحْسَدِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا؟.. كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْقَى، وَهُوَ الَّذِي سَأَلْتُمَا عَنْهُ، كَانَ وَاللَّهِ أَحْسَدَ قُرَيْشٍ كُلِّهَا! ^(١).

لا يقصدُ عمر ابن الخطاب أن أبا بكرٍ حَسَدَ أمير المؤمنين على الخلافة، إنما يقصد أن أبا بكر حسده هو وأخَرُهُ عن الخلافة! فَعُمِّرَ يريد الخلافة لنفسه قبل صاحبه، ويعتقد أن أبا بكرٍ حسده فنَحَّاه عنها!

إنَّ الحسد هو تمنى زوال النعمة عن (مستحقِّها) أو (عَمَّن هي عنده)، ولكنَّ عمر ليس خليفةً للمسلمين، ولا يستحق أن يكون خليفةً، ولم يتسنَّ هذا المنصب في السقيفة، لكن رغم ذلك يرى أن أبا بكرٍ قد حَسَدَهُ!

فأبو بكرٍ عنده أَحْسَد قُرَيْشٍ كُلِّهَا، وفيها أكثر من ٩٩٪ من حسد الدنيا، فكان عمر يرى أن أعظم حاسدٍ في الوجود هو أبو بكر، وأنَّه سلبه الخلافة حَسَدًا منه له! هذه هي نظرة عمر بن الخطاب!

يتبيَّن هذا المعنى جلياً عندما يقول عمر: أما سمعتَ نداءهم من كل ناحيةٍ عندَ عَرَضِهَا عَلَيَّ: لا نريد سواك يا أبا بكر، أنت لها! فردتها إليه عند ذلك، فلقد رأيتُه التمع وجهه لذلك سروراً ^(٢).

يُدرِك عمر أن أبا بكرٍ رمى الكرة إليه لكي يرجعها له، ولكي يُظهر كوامنَ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣١.

(٢) شرح النهج ج ٢ ص ٣٣.

نفسه. وقد صرَّحَ عمر بحقيقة موقفه من أبي بكر عندما قال: لقد تقدَّمتني ظالماً! وخرج إليَّ منها أثماً! (١).

٧. نحن المحسودون

يؤكد الإمام الصادق أنَّ الحسد قد أهلك قريشاً، فيقول: إِنَّ بَنِي هَاشِمٍ وَقُرَيْشاً لَتَعْرِفُ مَا أَعْطَانَا اللَّهُ، وَلَكِنَّ الْحَسَدَ أَهْلَكَهُمْ كَمَا أَهْلَكَ إِبْلِيسَ (٢).

وقد أصاب المغيرة وعمر في اعتقادهم أنَّ عند قريشٍ حسداً عظيماً جداً، وفي أنَّ أحسد قريش هو أبو بكر، ولعلَّ عمرأً أصاب في أنَّ أبا بكرٍ يحسده، لكن المحسود الحقيقي ليس عمر بن الخطاب، فإنَّه يشترك مع أبي بكرٍ في حسد المحسودين حقيقة..

المحسود الحقيقي هو صاحب منصب الإمامة والخلافة والولاية حقاً، وليساً من أهلها..

لذا فسَّر الأئمة (عليهم السلام) قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بقولهم: نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَنَحْنُ الْمُحْسُودُونَ (٣).

على ماذا حسدتم يا آل محمد؟

نَحْنُ النَّاسُ الْمُحْسُودُونَ عَلَى مَا آتَانَا اللَّهُ الْإِمَامَةَ دُونَ خَلْقِ اللَّهِ (٤).

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٣٢.

(٢) كامل الزيارات ص ٣٢٩.

(٣) الكافي ج ١ ص ١٨٦.

(٤) بصائر الدرجات ج ١ ص ٣٥.

قالها الباقر عليه السلام.. فصارت الإمامة إذاً محور الخلاف، وإليها يرجع كثيرٌ من البلاء حتى الحسد.

٨. لماذا هم المحسودون؟

إذاً توفّر أحدٌ على الفضل صار ذلك مدعاةً لحسد الأدنى منه له. فيحسد الفقيرُ الغنيَّ، والجاهلُ العالم، والضعيفُ القوي، والكافرُ المؤمن، وهكذا.. الفاقدُ لخصلةٍ وفضيلةٍ يحسد الواجد لها.

فما بالك بمن جمع الفضل كله؟!

قال إمامنا الرضا عليه السلام في وصف الإمام بأنه: **مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ** ^(١). أيّ فضل هذا؟ كلُّ فضلٍ، وذلك باختصاص الواحد الوهاب! فلا يقفُ عند غنى النفس والروح، ولا عند العلم والإيمان والقوّة والقرب من الله تعالى، فكلُّ ما يُتَصَوَّر ولا يُتَصَوَّر من فضلٍ قد جمعه الله في الإمام: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ^(٢).

الله العظيم يصفُ الفضلَ بالعظيم، فيخصُّ الله الإمام بالفضل كله: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٣).

لقد جمع الإمامُ الفضل من أطرافه.. بأكمل صفاته النفسانية والجسدية.. كالعلم والحلم والكرم والسخاء والشجاعة وسواها.. فكلُّ صفات الكمال

(١) الكافي ج ١ ص ٢٠١.

(٢) آل عمران ٧٤.

(٣) آل عمران ٧٣.

مَجْتَمِعَةٌ فِيهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ . أَفَلَا تَحْسُدُهُمْ هَذِهِ الْأُمَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ !
لَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُوسَى وَالْحُضَرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ عَنْهُمَا :
لَا وَاللَّهِ مَا حَسَدَ مُوسَى الْعَالَمَ .. بَلْ أَقَرَّ لَهُ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَحْسُدْهُ كَمَا حَسَدْتُنَا هَذِهِ
الْأُمَّةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١) .

فَمَنْ حَسَدَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟
وَمَا هِيَ أَصْنَافُ الْحَاسِدِينَ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ ؟
مَنْ هُمْ حَسَادُ الْإِمَامَةِ ؟ هَلْ كُلُّهُمْ مُخَالِفُونَ ؟ أَمْ أَنَّ فِيهِمْ الْمُخَالَفَ وَالْمُؤَالَفَ ؟
هَذَا مَا نَتَعَرَّضُ لَهُ فِي الْبَحْثِ الْقَادِمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) .

(١) الاختصاص ص ٢٥٩ .

(٢) الثلاثاء ٤ شهر رمضان ١٤٤١ هـ .

١٧. حُسَادُ الْإِمَامَةِ.. مُخَالِفٌ وَمُؤَالِفٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١).

لقد روي عن إمامنا أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير الآية قوله: نَحْنُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ عَلَى مَا آتَانَا اللَّهُ الْإِمَامَةَ دُونَ خَلْقِ اللَّهِ^(٢).

لقد صار الأئمة هم المحسودون على عظيم المنزلة التي آتاهم الله، والإمامة من أعظم المنازل التي خَصَّهَ بها تعالى.

والحسد هذا هو من دواعي التَّقَحُّمِ في الذنوب، وهو أصلُ الكفر، لأنَّ الحاسد ساخطٌ لنعم الله تعالى، جاحدٌ لفضله عزَّ وجل، وقد دَبَّ في أَمْتِنَا كَمَا دَبَّ في الأمم السابقة.

وكَلَّمَا تعاظمت النِّعَمُ تعاظَمَ حسد الحُسَادِ.. فمن زادت نِعَمُهُ زاد حُسَادُهُ.. وَلَمَّا جُمِعَتِ النِّعَمُ والفضائلُ كُلُّهَا في المعصومين، صاروا هم المحسودون في الآية الشريفة، على ما آتاهم الله الإمامة.

فلم يكن في حسدهم ذنبٌ فقط، بل كان (مجمع الذنوب)! لاجتماع الفضائل فيهم، فاجتمع كُلُّ حسدٍ عليهم.

والجريمة تعظمُ بِعِظَمِ من تقع عليه، فليس قاتل الكافر كقاتل المؤمن!

(١) النساء ٥٤.

(٢) بصائر الدرجات ج ١ ص ٣٥.

إِنَّ الجرائم التي يرتكبها الإنسان كثيرةٌ، وكذا التي ارتكبتها أقوام الأنبياء..
حيواناتٌ كثيرةٌ تُقتلُ كلَّ يومٍ.. لكنَّ عَقَرَ الناقة صار سبباً في نزول العذاب
على قومٍ لأنها ناقةٌ نُسِبَتْ لله تعالى.

فكيف بجريمةٍ تقع على (خليفة الله) في أرضه وسمائه؟ وحيَّته على عباده؟
عن النبي ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَا تَنْظُرُ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى مَنْ
عَصَيْتَ^(١).

مَنْ هو الذي عُصِيَ حينما حُسِدَ الأئمة عليهم السلام؟
لم يكن المحسود إلا إمام الأئمة، وخليفة الله تعالى، ومن عُصِيَ في خليفته هو
رَبُّ السماء والأرض، فَأَيُّ ذَنْبٍ أعظم من هذا؟
إن الاعتداء على الإمام اعتداءً على البشرية قاطبةً، بل تجاوزَ على حق الله
تعالى في لزوم احترام خليفته وطاعته.

وللاعتداء على حقه صورٌ متكررة.. مِنْ تَمَنَّى زوال النعمة عنهم، الى السعي
في إزالتها قولاً وفعلاً.. وهو ما يجرُّ الى محاربتهم وقتالهم وقتلهم.. حتَّى وقع
عليهم من الظُّلم ما لا يحصىه الا الله تعالى.

وقد قُتلوا بأصناف القتل:

١. قَتْلُ أشخاصهم بسلب أرواحها.
٢. وَقَتْلُ شخصياتهم بإسقاط مكانتهم وتحريف دورهم والكذب عليهم.

لقد قال الإمام عليه السلام: حَسَدَتْنَا الْأُمَّةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن هم حُسَّادُ الْأُمَّةِ وَالْإِمَامَةِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ؟

هل هم من جاهر بالعداوة فقط؟ أم أَنَّ مَنْ يُظْهِرُ لَهُمُ الْمَوَدَّةَ أَيْضاً مَنْ قَدْ يَكُونُ لَهُمْ حَاسِداً؟

إِنَّ حُسَّادَهُمْ عَلَى أَصْنَافٍ وَفَتَاتٍ وَإِنْ تَدَاخَلَ بَعْضُهَا، وَمِنْهَا ثَلَاثَةٌ:

١. حُسَّادُ النَّبِيِّ فِي حَيَاتِهِ

الفئة الأولى: التي حسدت النبي وعترته في حياته.

لقد دلت الروايات أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُحْسُوداً، ففِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: فَلَمَّا جَاءَهُمْ كَفَرُوا بِهِ حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ^(١).

ولهؤلاء مشاربُ شتى، فمنهم اليهود، كما فِي التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ جَاءَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ ﴿مَا عَرَفُوا﴾ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَتِهِ ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ وَجَحَدُوا بُنُوَّةَ حَسَدًا لَهُ وَبَغْيًا عَلَيْهِ^(٢).

لقد كانوا يعرفون وصفه فِي كتبهم، وكانوا يترقبون ظهوره، لكنهم كفروا به حسداً.. بعدما تمنّوا أَنْ تكون النبوة فيهم لا فِي بني هاشم.

ومن الحُسَّاد من كان قريباً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأبي جهل، وهو القائل: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ

(١) الغارات ج ١ ص ١١٨.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٣٩٣.

السَّمَاءِ أَوْ اثْنَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، حَسَدًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).
 ليس أبو جهل باحثاً عن الحقيقة، فهو يتمنى نزول العذاب إن كان محمدٌ
 ﷺ رسول الله، لا يريد الحياة التي يكون فيها محمدٌ ﷺ مرسلًا من الله تعالى،
 لعجزه عن إبطاله دعوته وسلبه نعمة النبوة.
 وهو نموذجٌ معبرٌ من نماذج الحسد مع الإقرار بفضل المحسود.

٢. حساد الأئمة بعد النبي

الفئة الثانية: التي حسدته في حياته وحسدت عترته بعد وفاته.
 وقد تُرجمَ سوءهم وخبث سريرتهم بأوضح صوره بعد وفاته ﷺ، وإن
 ظهر قبل ذلك في مواطن عدة.
 وأبرز نماذج هذه الفئة رموز الخلافة وأعوانهم وأتباعهم.. هم السالبون
 لحق الإمامة، والظالمون للأئمة، والقاتلون لهم.. فهؤلاء ظلمة قريش وجُهالُ
 العرب وطغاتهم، كما وصفهم النبي ﷺ حينما قال:
 يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ مِنْ بَعْدِي مِنْ ظَلَمَةٍ قُرَيْشٍ وَجُهَالِ
 الْعَرَبِ وَطُغَاتِهِمْ تَعْبًا وَبَلَاءً وَتَظَاهُرًا مِنْهُمْ عَلَيْكُمْ، وَاسْتِدْلَالًا وَتَوَثُّبًا عَلَيْكُمْ،
 وَحَسَدًا لَكُمْ وَبَغْيًا عَلَيْكُمْ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي^(٢).
 جُهَالِ الْعَرَبِ: عنوانٌ فضفاضٌ واسعٌ يندرج تحته الكثير منذ زمانهم وحتى

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٢٧٧.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي ج ٢ ص ٩٠٧.

أيامنا هذه، مَنْ ظَلَمَ النبي ﷺ والعتره وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ وسار على نهجهم، فظلم شيعتهم إلى يومنا هذا.

ووصية النبي ﷺ هي الصبر على ذلك حفظاً للدين والنفس: فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي.. هي عينها وصية الحجة الغائب لشيعة في زمن الغيبة، الصبر حتى ظهوره عجل الله فرجه.

ما أكثر أهل هذه الفئة، التي كان من أبرز مصاديقها مَنْ غصب الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، وقد كان أحسد قریشٍ بحسب كلام شريكه الثاني، حتى أن حسده امتدَّ إلى منع الحقوق المالية لآل محمد ﷺ، فقد جعل الله تعالى لهم نصيباً في خمس الأموال، لكنّه منعهم إياها حسداً، ففي الحديث الشريف:

قد فرض الله في الخمس نصيباً لآل محمد ﷺ، فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم حسداً وعداوة، وقد قال الله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

لقد حسدَهُم وعاداهم فصار عدواً لله تعالى، فمن عاداهم عادى الله. أما الثاني، فله تاريخٌ أسود مظلم مع العتره الطاهرة، مع عليٍّ والزهراء ﷺ، بضعة الرسول ومهجة قلبه، ولقد تحدّث يوماً عن هجومه على الدار فقال:

وَأَخَذْتُ سَوْطَ قُنْفُذٍ فَضَرَبْتُ، وَقُلْتُ لِحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ:
أَنْتَ وَرِجَالُنَا هَلُمُّوا فِي جَمْعِ الْحَطَبِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُضَرِّمُهَا.
فَقَالَتْ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ رَسُولِهِ وَعَدُوَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَضَرَبْتُ فَاطِمَةَ يَدَيْهَا

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٢٥.

مِنَ الْبَابِ تَمَنُّعِي مِنْ فَتْحِهِ، فَرُمْتُهُ فَتَصَعَّبَ عَلَيَّ، فَضَرَبْتُ كَفَّيْهَا بِالسَّوْطِ فَأَلَمَّهَا، فَسَمِعْتُ لَهَا زَفِيرًا وَبُكَاءً، فَكِدْتُ أَنْ أَلِينَ وَأَنْقَلِبَ عَنِ الْبَابِ، فَذَكَرْتُ أَحْقَادَ عَلِيٍّ وَوُلُوعَهُ فِي دِمَاءِ صَنَادِيدِ الْعَرَبِ، وَكَيْدَ مُحَمَّدٍ وَسِحْرَهُ..

ليس هذا من المؤمنين بالله طرفة عين، ولا من المؤمنين بنبوة النبي ﷺ، بل من الطامعين الحاسدين أصحاب الكتاب الملعون..

يقول: فَرَكَلْتُ الْبَابَ وَقَدْ الصَقْتُ أَحْشَاءَهَا بِالْبَابِ تَرُسُهُ، وَسَمِعْتُهَا وَقَدْ صَرَخَتْ صَرْخَةً حَسِبْتُهَا قَدْ جَعَلَتْ أَعْلَى الْمَدِينَةِ أَسْفَلَهَا، وَقَالَتْ: يَا أَبْنَاهُ! يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَكَذَا كَانَ يُفْعَلُ بِحَبِيبِكَ وَابْنَتِكَ.

أَه يَا فِضَّةُ! إِلَيْكَ فَخَذِينِي فَقَدْ وَاللَّهِ قُتِلَ مَا فِي أَحْشَائِي مِنْ حَمَلٍ^(١).

هو وصاحبه ومن كان معهم أصحابة السقيفة الملعونة الذين قالوا بعدما قرن النبي بين الثقلين: كتاب الله وعترته، قالوا:

يُرِيدُ مُحَمَّدٌ أَنْ يَجْعَلَ الْإِمَامَةَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ.

فَخَرَجَ أَرْبَعَةٌ نَفَرٌ مِنْهُمْ إِلَى مَكَّةَ، وَدَخَلُوا الْكَعْبَةَ، وَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا وَكَتَبُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ كِتَابًا: إِنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ أَوْ قُتِلَ أَنْ لَا يَرُدُّوا هَذَا الْأَمْرَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ أَبَدًا.

هذا أثر الحسد، التواطؤ منذ حياته على سلب الخلافة أهلها من بعده.

وتستمر سلسلة الحساد الطويلة، حتى يرسل عليٌّ عليه السلام كتاباً إلى معاوية يقول فيه: تَبَوَّأَ مَقْعَدَكَ مِنْ جَهَنَّمَ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعيراً، نَحْنُ آلُ إِبْرَاهِيمَ

المَحْسُودُونَ، وَأَنْتَ الْحَاسِدُ لَنَا^(١).

إِنَّ فِتْنَةَ هَؤُلَاءِ الْحُسَّادِ عَرِيضَةٌ، يَجْمَعُ أَفْرَادَهَا وَمَصَادِقُهَا عُنُونَانِ:

أ. من زعم أنه إمام

الأول: من زعم أنه إمامٌ وليس بإمام، فهي تشمل كل رموز الجور وأئمتهم. لقد روي عن الصادق عليه السلام: مَنْ ادَّعَى الْإِمَامَةَ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا فَهُوَ كَافِرٌ^(٢). وعن الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾، قال: مَنْ قَالَ إِنِّي إِمَامٌ وَلَيْسَ بِإِمَامٍ..

يقول الراوي: قلت: وَإِنْ كَانَ عَلَوِيًّا؟

قَالَ: وَإِنْ كَانَ عَلَوِيًّا^(٣).

فهذا مشركٌ بالله سواء نفى إمامة الأئمة، أو أثبتها وأثبت معها إمامة غيرهم، علويًّا كان أم غير علويٍّ، فليس بين الله وبين أحدٍ قرابة، والكاذب على الله مَن يسودّ وجهه يوم القيامة.

وعن الصادق عليه السلام: مَنْ أَشْرَكَ مَعَ إِمَامٍ إِمَامَتُهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَنْ لَيْسَتْ إِمَامَتُهُ مِنْ اللَّهِ كَانَ مُشْرِكًا بِاللَّهِ^(٤).

(١) الغارات ج ١ ص ١١٧.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٧٢.

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٧٢.

(٤) الكافي ج ١ ص ٣٧٣.

ب. من انتهم بهم

الثاني: من زعم أن الله أمره بالائتِمام بهؤلاء.. وهم عموم هذه الأمة المتعوسة، الكارهة للحق، الجاهلة بمقام الإمام والإمامة.

فلو لم يكن للأول مُتَّبِعٌ وناصرٌ لم يتمكن ومن معه من سلب الخلافة أهلها، ومن ظلم عليٍّ عليه السلام، ولو وقفت الأمة موقف الحق إلى جوار وليها لما كان لأولئك حظٌ فيما فعلوا.

يُسأل الإمام عليه السلام عن الآية الشريفة: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فظاهر الآية لا ينسجم مع ما ينقل عن الأمم السابقة، إذ لم نسمع من زعم أن الله تعالى أمره بالفاحشة.

لذا يقول الإمام عليه السلام: إِنَّ هَذَا فِي أَيْمَةِ الْجَوْرِ، ادَّعَوْا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِالْإِئْتِمَامِ بِقَوْمٍ لَمْ يَأْمُرْهُمْ اللَّهُ بِالْإِئْتِمَامِ بِهِمْ، فَرَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا عَلَيْهِ الْكَذِبَ، وَسَمَّى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَاحِشَةً^(١).

فالفاحشة هي الكذب على الله تعالى في أمر الإمامة، حينما يزعم المخالف أن الله تعالى أمره باتباع هؤلاء الخلفاء.

من لا إمام له فهو ضال

يضاف إلى هؤلاء وهؤلاء من جهل الإمام.. ولم يتخذ إماماً.. والفارق بينه وبين المتقدمين أن أولئك اتخذوا أئمة الجور أئمة، أو اتخذوا أئمة الحق والجور أئمة

(١) الكافي ج ١ ص ٣٧٣.

معاً، وهؤلاء لم يتخذوا أئمة أصلاً.

يقول الباقر عليه السلام: كُلُّ مَنْ دَانَ لِلَّهِ بِعِبَادَةٍ يُجَاهِدُ فِيهَا نَفْسَهُ وَلَا إِمَامَ لَهُ مِنَ اللَّهِ فَسَعِيهِ غَيْرُ مَقْبُولٍ، وَهُوَ ضَالٌّ مُتَحَيِّرٌ، وَاللَّهُ شَانِيءٌ لِأَعْمَالِهِ ^(١).

الإمامة طريق الله تعالى، وهو تعالى يريد أن يُعبد كما يريد، فمن ردّ على الأئمة فقد ردّ على الله، ومن جهلهم فقد جهل الله، ومن مات من هذه الأمة ولا إمام له من الله مات ميتة كفرٍ ونفاق.. وإن كان على ظاهر الإسلام، وحرّم دمه وماله وعرضه في الدنيا.

٣. حُساد مؤلفون

الفئة الثالثة: يطيب لنا أن نسمي أهلها (الحُساد المؤلفون)!

وإن كان إِفْهَم في الظاهر، فإن المَحِبَّ لا يحسد حبيبه.

يريد هؤلاء الحُسادُ إنكار علوم آل محمد، فيسعون أولاً لقتل رواة علومهم! عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: ..إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ صَعْبًا شَدِيدًا مَحْمَلُهُ، لَوْ حَمَلْتُهُ الْجِبَالَ عَجَزْتَ عَنْ حَمْلِهِ، إِنَّ عَلِمَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ سَيُنْكَرُ وَيُطْلَى وَتُقْتَلُ رُؤَاتُهُ، وَيُسَاءُ إِلَى مَنْ يَتْلُوهُ بَغِيًّا وَحَسَدًا لِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عِتْرَةَ الْوَصِيِّ، وَصِيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢).

يُبَيِّنُ الحديثُ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَقْتُلُ حَمَلَةَ عِلْمِ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا حَسَدًا

(١) الكافي ج ١ ص ٣٧٥.

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٤٢.

لَمَّا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَتْرَةَ الْوَصِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولمّا عجز هؤلاء عن أن يبلغوا مرادهم لجؤوا إلى أساليب المكر والخداع، فقد تحدّث الإمام العالم بما أطلعه الله من الغيب عمّا سيجري، حينما روي عنه قوله: وَمِنْهُمْ قَوْمٌ نَصَابٌ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْقَدْحِ فِينَا، يَتَعَلَّمُونَ بَعْضَ عُلُومِنَا الصَّحِيحَةِ، فَيَتَوَجَّهُونَ بِهِ عِنْدَ شِيعَتِنَا.. ثُمَّ يُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ أَضْعَافَهُ وَأَضْعَافَ أَضْعَافِهِ مِنَ الْأَكَاذِيبِ عَلَيْنَا، الَّتِي نَحْنُ بِرَاءٍ مِنْهَا، فَيَتَقَبَّلُهُ (الْمُسْلِمُونَ) الْمُسْتَسْلِمُونَ مِنْ شِيعَتِنَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ عُلُومِنَا، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوهُمْ.

ليس كلُّ أحدٍ يتمكن من أن يقدح في محمد وآل محمد، فيأتي المراءوغون ليمزجوا الحقَّ بالباطل ويلقونه إلى الشيعة.

وَهُمْ أَضَرُّ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا مِنْ جَيْشِ يَزِيدَ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُمْ يَسْلُبُونَهُمُ الْأَرْوَاحَ وَالْأَمْوَالَ..

وَهَؤُلَاءِ عُلَمَاءُ السَّوِّ النَّاصِبُونَ، الْمُشَبَّهُونَ بِأَنَّهُمْ لَنَا مُوَالُونَ، وَلَأَعْدَائِنَا مُعَادُونَ، يُدْخِلُونَ الشَّكَّ وَالشُّبْهَةَ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا^(١).

هناك فئة إذا تدّعي وتزعم وتُظهر محبة محمد وآله وموالاتهم، وتأتي بشيء من علومهم الحقّة، وتبشها بين الشيعة ممزوجة بالكذب.

ويُدرِكُ الشيعة أنَّ عليهم البراءة من هؤلاء، حُسادُ الإمامة، ولو تمظهروا بمظهر الولاء، وزعموا حبَّ آل محمد، وتشبّهوا بهم في ظاهر أمرهم.

(١) التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ ص ٣٠١.

البراءة منهم

ورد في الحديث حول أعداء آل محمد وظالمهم: الْعَجَبُ لِمَا قَدْ أُشْرِبَتْ قُلُوبُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ حُبِّهِمْ وَحُبِّ مَنْ صَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ رَبِّهِمْ، وَرَدَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ. كيف يصدُّ هؤلاء الأمة عن دينها، ويجرفونها عن مسيرها، فيسلبونها أعظم ما أعطاه الله سبحانه وتعالى بعد النبوة، ثم يبقى حبُّ هؤلاء في قلوب الأمة؟! يقول عليه السلام: وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَامَتْ عَلَى أَرْجُلِهَا عَلَى التَّرَابِ، وَوَضَعَتِ الرَّمَادَ عَلَى رُءُوسِهَا، وَتَضَرَّعَتْ إِلَى اللَّهِ، وَدَعَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ أَضَلَّهُمْ وَصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.. لَكَانُوا مُقْصَرِّينَ فِي ذَلِكَ^(١).

نحنُ كلُّنا إذاً مقصِّرون في الدعاء على هؤلاء، وكيف لا ندعو عليهم ولا نبرأ منهم وهم سبب بلاء الأمة ومصيبتها!

يقول الإمام الصادق بعدما ينقل أمر النبي صلى الله عليه وآله باتباع الثقلين: فَلَمَّا خُولِفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَنَبَذَ قَوْلُهُ، وَعَصِيَ أَمْرُهُ فِيهِمْ عليهم السلام، وَاسْتَبَدُّوا بِالْأَمْرِ دُونَهُمْ، وَجَحَدُوا حَقَّهُمْ، وَمَنَعُوا ثَرَاثَهُمْ، وَوَقَعَ التَّمَالِي عَلَيْهِمْ «أي الاجتماع والتعاون» بَغْيًا وَحَسَدًا وَظُلْمًا وَعُدْوَانًا، حَقَّ عَلَى الْمُخَالِفِينَ أَمْرُهُ، وَالْعَاصِينَ ذُرِّيَّتُهُ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ، وَالرَّاضِينَ بِفِعْلِهِمْ مَا تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ^(٢).

لقد حقَّ العذاب عليهم وعلى من رضي بفعلهم واتبعهم.

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٧٠٣.

(٢) الغيبة للنعماني ص ٥٥.

هي فتنةٌ في الدين، قوامها العمى عن سواء السبيل.. وثمرتها التشّت والخبط والجهالة، وهو حال أمتنا اليوم.

وقد حَقَّ للشّيعَة أن يبرؤوا ممن يزعم الموالاة ولا يتبرأ من الأعداء.

اللهم إنا نبرأ إليك ممن ظلم عترة نبيك، ومن التابعين لهم، ومن الراضين بفعلهم.. ومن المعظّمين لأئمتهم، وإن تسربلوا بالخشوع، وأظهروا المودة لنبيك وعترته الطاهرة، فإنهم أهل النفاق والشقاق..

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الأربعاء ٥ شهر رمضان ١٤٤١ هـ.

١٨. عرفاء حُساد! للإمام وشيعته!

بسم الله الرحمن الرحيم

قال إمام البيان والكلمة، مولى الموحدين، وسيد العابدين في نهجه الشريف
قولاً يستحق أن يُكتب بهاء الذهب:

زُهِدْكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ.
كلمات واضحة، عميقة الدلالة، كثيرة الأبعاد، تكشف عن نقصان حظ
الإنسان إذا زهد فيمن رغب فيه، وعن ذُلِّ نفسه إن رغب فيمن زهد فيه.

وهنا لقائل أن يخاطب الإمامية فيقول:

إذا كان هذا كلام إمامكم أيها الشيعة، فما بالكم تزهدون فيمن رغب فيكم؟
وهم فئامٌ من الناس يُسمُّون بالصوفية والعرفاء؟!

ما بالكم أيها الشيعة صرتم قديماً وحديثاً من أشدّ الناس خلافاً مع
المتصوفة؟ وهم محبوبون لآل محمد ﷺ، قد اتخذوهم أئمة وقادة وقادة وقادة.

لماذا تخالفون قول إمامكم فتزهدون فيمن رغب فيكم؟ فينقص حظكم في
الدنيا والآخرة.. وتخسرون صديقاً في الدنيا، ومعيناً على نيل الآخرة وبلوغ
درجاتها العليا؟

أليس الأجدى هو فتح أبوابكم المقفلة بوجههم؟ والكفّ عن طرق أبواب
الخلاف معهم؟

هي أسئلة افتراضية قد تبني على حديث الإمام ﷺ، إمام الحديث، لطالما

سمعنا ما يشبهها.. وليس يمكن الإجابة عليها إلا بالتمييز حقيقةً بين هاتين
الفئتين اللتين ذكرهما الإمام، الراغبة فينا والزاهدة.

ونحن ننقل السؤال للقائل فنقول:

مَنْ قَالَ أَنَّ هَؤُلَاءِ رَاغِبُونَ فِيْنَا؟ أَلَيْسَ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ زَهَدْنَا وَبِأَيْمَتِنَا عَقِيدَةً
وَسُلُوكًا؟!

أليس هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الشَّبَهَاتِ الَّتِي يُؤْخَذُ مِنْهَا ضِغْثٌ فَيَمِزُجُ مَعَ
الْحَقِّ وَيُبْثُّ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَوِلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَهْلِهِ مِنْهُمْ؟

وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، وَكَانَ الْمُؤْمِنُ عَزِيزَ النَّفْسِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وَلَمْ يَكُنِ الْمُؤْمِنُ مُفَوَّضًا أَنْ يَذَلَّ نَفْسُهُ كَمَا وَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ
الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوَّضَ إِلَى الْمُؤْمِنِ أُمُورَهُ كُلَّهَا، وَلَمْ يُفَوِّضْ إِلَيْهِ أَنْ
يَكُونَ ذَلِيلًا^(١).

وَإِذَا كَانَتِ الرِّغْبَةُ فِيهِمْ ذَلًّا نَفْسًا، أَفَلَا يَكُونُ تَكْلِيفُ الشَّيْعَةِ هُوَ الْحَذَرُ مِنْهُمْ
وَالزَّهْدُ فِيهِمْ؟! وَإِنْ فَتَحَ الشَّيْعَةُ أَبْوَابَهُمْ كَمَا يَفْعَلُونَ لِكُلِّ مَنْ طَرَقَهَا طَمَعًا فِي
هُدَايَتِهِ وَإِرْشَادِهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْذَرُونَ مِنْهُ عَلَى دِينِهِمْ.

إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.. فَنَحْنُ إِذَا أَمَامَ رُؤْيَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ تَمَامًا، بَلْ مُتَنَاقِضَتَيْنِ:

الْأَوَّلَى: تَرَى فِي الْمُتَصَوِّفَةِ وَعُرَفَائِهِمْ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْمُوَدَّةَ وَالتَّوَلَّى لِكُونِهِمْ مِنْ
أَهْلِ الْحَقِّ، وَأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّقَرُّبِ لِلْأَيْمَةِ الْمُعَصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَمِنْهُمْ تَوْتَى أَبْوَابِ الْكَشْفِ وَالشَّهَادَةِ.

والثانية: ترى أنهم من أهل التلبس، أتباع إبليس، مع أنهم يُظهرون المودة لآل محمد ﷺ.

وهذان القولان متباينان لا يكادان يجتمعان.. فهل من كلمة حق تكون الفصيل في ذلك؟! وهل من ركنٍ وثيقٍ يلجأ إليه في رفع غائلة الاختلاف هذه؟! ألم يترك الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ والمعصومون ﷺ لنا طريقاً لحل هذا الاختلاف؟ أم تركونا - والعياذ بالله - نتخبط وما من طريق نسلكه ولا باب نقرعه يوصلنا ويأخذ بيدنا الى طريق الهداية؟

وإنما نقول هذا: لأن الشيعة هم أتباع الثقلين، ولأن في الثقل الأكبر كلاماً عظيماً نصه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١).

فصار الشيعة من أوّل أيامهم أهل التثبت والتحقيق والتبيين، وإنما يحصل ذلك بالنظر في كلمات القوم وفي كلمات المعصومين ﷺ، أي في مواقف الطرفين، وهذه جولة مع أئمة العرفاء الصوفية لنرى موقفهم من شيعة آل محمد، ثم لنرى موقفهم من آل محمد ﷺ، علّ النزاع يرتفع، بعدما تبين أن الأئمة هم المحسودون في كتاب الله، وأنّ من حُسادِهِم من هو مخالفٌ، ومنهم مؤالفٌ في الظاهر.

١. موقف المتصوفة والعرفاء من الشيعة

لزاعم أن يزعم أن كثيراً من المتصوفة يدعون حبَّ آل محمد ﷺ .
ولما يجاب:

ألا ينبغي لمن أحب محمداً وآله ﷺ أن يُحبَّ شيعتهم وأتباعهم وأحبابهم؟!
فلماذا يزعم هؤلاء المودة والمحبة ثم يطعنون في شيعتهم ومحبيهم!
يقول:

ما الدليل على ذلك؟ ومن أين جئتم بهذه الادعاءات؟
فنقول:

هذه كلمات بعض أكابرهم! ونحن لا نأخذ الجميع بجريرة البعض، لكنّ
قول جملة من الأئمة في كلِّ مذهبٍ وفنٍّ يكشف الكثير من معتقداته..

الشبلي

الشبليّ رمز من أكابر رموز التصوف، ولهم في الثناء عليه كلامٌ عجيب، وله
في ذمِّ الشيعة ما هو أعجب!

نُقل عنه في تذكرة الأولياء ما نصّه: ليس في فرق أهل الملل والنحل طائفةٌ
أخسُّ ولا أنزل وأذلُّ وأحقُّر من الروافض والخوارج! (١).

ثم عدّ الروافض ممّن: يضيِّعون أعمارهم، ويصرفون أوقاتهم في الخلق،

(١) تذكرة الأولياء ص ٥٤٢.

غافلين عن الحق، ومع هذا فهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا^(١).
لم يذهب الروافض الشيعة إلى عقيدة المتصوفة في وحدة الوجود، فزعم هو
وأمثاله أن الشيعة غافلين عن الله تعالى، وأنهم أخس وأندل وأحق من عليها!

ابن عربي: وذر الشيعة

أما إمامهم الأكبر ابن عربي، فإن له كلاماً شهيراً يُشَبَّه فيه الشيعة بالخنازير!
ويزعم دخول شياطين الجن عليهم بحب أهل البيت!
يقول: وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولا سيما في الإمامية منهم، فدخلت
عليهم شياطين الجن أولاً بحب أهل البيت واستفراغ الحب فيهم^(٢)..
ويتحدث عن حقيقة صورة الشيعة عند الكشف فيقول: فإن الله كشف له
عن بواطنهما في صورة خنازير! وهي العلامة التي جعل الله له في أهل هذا
المذهب!^(٣).

فهذا إمام المتصوفة الأكبر يعتقد أن علامة الشيعة هي ظهور بواطنهم
بصورة الخنازير! فلا عجب أن يكونوا أخس من عليها! وهو الذي يرفعه
المتصوفة إلى ما يقرب من مرتبة النبوة!

وقد روي عن إمامنا الصادق عليه السلام قوله: لَيْسَ النَّاصِبُ مَنْ نَصَبَ لَنَا أَهْلَ
الْبَيْتِ، لَأَنَّكَ لَمْ تَحِدْ رَجُلًا يَقُولُ أَنَا النَّاصِبُ (أُبْغِضُ) مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَلَكِنَّ

(١) تذكرة الأولياء ص ٥٤٣.

(٢) الفتوحات المكية ج ١ ص ٢٨٢.

(٣) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٨.

النَّاصِبَ مَنْ نَصَبَ لَكُمْ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَتَوَلَّوْنَا وَأَنَّكُمْ مِنْ شِيعَتِنَا^(١).

فالناصبُ العدا للشيعة مُنَزَّلٌ في الرواية منزلة الناصب لهم عليهم السلام، وإن لم يكن حكمه في الدنيا كناصر العدا لهم، لكنه في الآخرة من أهل العذاب.

وإن فتشت عن السبب، وجدت في هؤلاء حِقْدًا دفينًا يعجزون عن إخراجهم، وموقفًا قلبياً من المعصومين، يظهر في طيات كلماتهم، وإنما أبغضوا الشيعة لأنهم أهل الحق، وقد قال الصادق عليه السلام للشيعة: نَظَرْتُمْ حَيْثُ نَظَرَ اللَّهُ، وَاخْتَرْتُمْ حَيْثُ اخْتَارَ اللَّهُ، وَأَحْبَبْتُمُونَا وَأَبْغَضْنَا النَّاسَ، وَوَصَلْتُمُونَا وَقَطَعْنَا النَّاسَ، أَنْتُمْ وَاللَّهُ شِيعَتُنَا، وَأَنْتُمْ شِيعَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله^(٢).

هذا كلام الصادق في مدح الشيعة الذين اختاروا ما اختار الله، وهذا كلام إمام المتصوفة، يزعم فيه أن الشيعة في صورة الخنازير! وهذا مصداق من مصاديق الرد على الإمام، فهو لاء هم الرادون على الله ورسوله وإمامه.

٢. حسد أئمة التصوف للمعصومين

لقائل آخر أن يقول ههنا:

لماذا زعم الشيعة أن أئمة العرفاء المتصوفة حُسَّادٌ لآل محمد وهم يُظهرون حبهم لهم؟ وما تبرؤهم من الشيعة إلا موقفٌ مذهبيٌّ لا يكشف عن عداوة مع آل محمد عليهم السلام.

(١) ثواب الأعمال ص ٢٠٧.

(٢) الأصول الستة عشر ص ٢٤٦.

فنقول:

لا ريب في أنّ معاوية كان من حُساد عليّ عليه السلام، وقد صرّح أمير المؤمنين عليه السلام بذلك في رسالته له حينما قال: نَحْنُ آلُ إِبْرَاهِيمَ الْمُحْسُودُونَ، وَأَنْتَ الْحَاسِدُ لَنَا.

فهل كان حسد معاوية حالةً نفسانيةً فقط؟ أم أنّها تجلّت وظهرت في سلوكه، فكانت كاشفةً عن هذا الحسد؟

إنّ من علامات حسد معاوية هو طمسه لفضائل أمير المؤمنين، واختراعه فضائل تقابلها لمخالفه، فقد روى ابن أبي الحديد عن معاوية أنه كتب إلى عماله: إذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي ترابٍ إلا وتأتوني بمناقضٍ له في الصحابة، فإنّ هذا أحبُّ إليّ، وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب! ^(١).

فما أراد معاوية أن يترك فضيلةً مختصةً بأمير المؤمنين عليه السلام، وقد سعى في نشر الأخبار المكذوبة حتى تطبق شهرتها الآفاق، فما من فضيلةٍ لعليّ عليه السلام إلا وقد شاركه فيها غيره لكثرة الكذب.

هذه واحدةٌ من أهمّ علامات الحسد عند معاوية، وقد اشترك معه فيها المتصوّفة والعرفاء!

ما سار هؤلاء على طريق النور التي انتهجها الآل الأطهار، بل على طريق

(١) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٤٥.

معاوية في اختراع الفضائل لغير المعصومين، ثم الانتقاص من مكانة الأَطْهَارِ!
من هنا يُعْلَمُ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَوْدَةِ فَعَلَاءٌ أَمْ مِنْ أَهْلِ الْحَسَدِ وَالنِّفَاقِ وَالشَّقَاقِ.
فَهْهْنَا مَبْحَثَانِ:

الأول: موقفهم من فضائل الآخرين.

الثاني: موقفهم من فضائل آل محمد.

أ. اختراع الفضائل لغير المعصومين

أولاً: زعموا ثبوت مقام النبوة لأنمتهم

لقد قَضَ مضجع رموز المتصوفة أن يكون محمدٌ ﷺ مختصاً بالفضل من
الله تعالى، ومن بعده عترته الطاهرة.. فبدؤوا بالنبوة.
يقول ابن عربي، الذي يُطَبِّقُ جُلَّ المتصوفة لولا كَلَمَهُمْ على تنزيل كلماته منزلة
القرآن الكريم، ويعتقدون بعصمته، يقول:

إِنَّ النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي نبوة
التشريع لا مقامها، فلا شرع يكون ناسخاً لشرعه صلى الله عليه وسلم.. وهذا
معنى قوله صلى الله عليه وسلم: إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول
بعدي ولا نبي، أي لا نبي بعدي يكون على شرعٍ يخالف شرعي، بل إذا كان يكون
تحت حكم شريعتي! ولا رسول: أي لا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرعٍ
يدعوهم إليه، فهذا هو الذي انقطع وسُدَّ بابه لا مقام النبوة^(١).

(١) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٣.

هي نبوةٌ تحت نبوة النبي ﷺ، ولا تنافيهما بزعمه، وبعدما اعتقد بإمكانها هنا عاد وصرّح بثبوتها ووقوعها في محلٍّ آخر فقال: ان الله تعالى لطف بعباده، فأبقى لهم النبوة العامة، التي لا تشريع فيها^(١).

فلم يتحمّل هؤلاء اختصاص النبي ﷺ بصفة خاتم الأنبياء، فزعموا أنهم أنبياء أيضاً، ولكن لما كان القول بنبوة نبيٍّ غير نبينا ﷺ خروجاً عن الإسلام، زعموا أنها نبوة عامة في قبال نبوته الخاصة!

ثانياً: زعموا ثبوت مقام الإمام لأئمتهم

يزعم ابن عربي أن أبا بكر وعمر كانا وزيراً رسول الله ﷺ في حياته، ولما توفي أخذ أبو بكر منصب النبي! وأضيف وزيرٌ آخر مع عمر إليه! ولا يزال هذا هو الحال الى يوم القيامة، فقطب الدنيا اليوم هو أبو بكر ابن ابي قحافة!! أما مكانة القطب أبي بكر عنده فيقول فيها:

فأما القطب.. فهو المنعوت بجميع الأسماء تخلّقاً وتحقّقاً، وهو مرآة الحق ومجلى النعوت المقدسة، ومجلى المظاهر الإلهية، وصاحب الوقت، وعين الزمان، وسرّ القدر، وله علم دهر الدهور.. لا تعتريه شبهةٌ، ولا يخطر له خاطرٌ يناقض مقامه^(٢).

ويزعم أن الوزير إمامٌ فيقول:

ولهذا الإمام الشدة والقهر، وله التصرف بجميع الأسماء الإلهية التي

(١) كتاب المعرفة ص ٥٤.

(٢) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٥٧٣.

تستدعي الكون مثل الخالق والرازق والملك والبارئ على بعض وجوهه!
ثم يزعم ابن عربيّ هذا أن أبا بكرٍ كان أعرف الناس برسول الله ﷺ،
فيقول: وعلم أنّ الله تعالى قد نعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وهو
كان أعلم الناس به! (١).

وينسب للنبي ﷺ قوله: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً (٢).
أبو بكر هذا وصاحبه عمر، من أبرز غُصَّاب الخلافة، المعتدين على الإمامة،
السالين حقَّ علي ابن أبي طالب، المقتحمين لبית الزهراء، والمسقطين جنيهاً،
والمحرِّفين لكلام الله عن مواضعه، هؤلاء صاروا أقرب الناس للنبي ﷺ!
هكذا يرى إمام المتصوِّفة!

ولما كَبُرَ على المتصوِّفة أن يكون عليّ ؑ قد نشأ في حجر الرسول ﷺ
نسب إمامهم العزَّ بن عبد السلام هذه المنقبة للقوم أيضاً فقال:
وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما كان طفلاً في حجر تربية النبيّ صلى
الله عليه وسلم كان يلقمه مما كان يلقمه من لقم الغيب بواسطة قوله: ما صب الله
في صدري شيئاً إلا صببته في صدر أبي بكر! (٣).

ثالثاً: زعموا أن لهم كتباً كالقرآن الكريم

ثم انهم لم يكتفوا بذلك، فزعموا أنّ لهم كتباً تضاهي القرآن الكريم،

(١) الفتوحات المكية ج ١ ص ١٨١.

(٢) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٢٢.

(٣) حل الرموز ومفاتيح الكنوز ص ١٦٥.

كفصوص الحكم: كتاب ابن عربي، ويزعم المتصوفة والعرفاء ذلك حتى لو كانوا شيعة! يقول السيد حيدر الآملي حول كتاب فصوص الحكم:

هو منسوبٌ الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأعطاه للشيخ الكامل المكمّل، محيي الحق والملة والدين، أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد، المغربي الأندلسي الحاتمي الطائي - قدس الله سرّه - في النوم!^(١)

ويصفه بأنه: جامعٌ لأعظم الأسرار الإلهية، وأشرف الحقائق الربانية!^(٢). ويقول: إنّ الكتاب النازل عليه، الذي هو القرآن، أعظم كتب الله السماوية وأشرفها، وأنّ الكتاب الصادر منه، الذي هو الفصوص، أشرف الكتب المنسوبة الى الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين!^(٣).

أيّ دينٍ هذا يوضع فيه كتاب الفصوص لابن عربي الذي يتضمن الكفر وتقديم المنافقين إلى جنب كتاب الله! ويصبح أشرف الكتب المنسوبة الى الانبياء والرسل!

هذه عقيدة من يتلبس من المتصوفة بالتشيع أيضاً، حيث يعتقد الآملي بأنّ من أنكر نسبة كتاب الفصوص للنبي فهو متابعٌ للشيطان مطيع له!

رابعاً: زعموا أن لأئمتهم علوم المعصومين

ما اكتفوا بذلك، بل زعم هؤلاء أن لأئمتهم علوم المعصومين، ففي عوارف

(١) المقدمات من كتاب نص النصوص ص ١٢.

(٢) المقدمات من كتاب نص النصوص ص ٣٢.

(٣) المقدمات من كتاب نص النصوص ص ٤٣.

المعارف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق أبي بكر رضى الله عنه: (من أراد أن ينظر إلى ميتٍ يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر) إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى ما كوشف به من صريح العلم! (١).

أما روزبهان الشيرازي فإنه ينسب حديثاً للنبي ﷺ يزعم فيه أن أبا بكر من الصفوة أصحاب العلوم الإلهية اللدنية السرية النورية الملوكوتية! ومن سكر وصحى في لقاء سبحات ذات الله! حتى صار مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ (٢).

وما أكثر اختراعهم للفضائل مقابل فضائل العترة الطاهرة، ومن ذلك أنه لما ساءهم أن يكتب اسم علي أبي طالب عليه السلام على ساق العرش، زعموا أن اسم البسطامي أبو يزيد رمز التصوف قد كتب على كل ورقة تحت العرش! ومكتوب على كل ورقة ورد: أبو يزيد ولي الله! (٣).

خامساً: حسدهم للزهراء واختراع فضائل لعائشة وحفصة

لقد قرأوا كما قرأنا آية في كتاب الله تقول: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (٤).

فساء إمامهم ابن عربي أن تكون المتظاهرتان معروفتان، فجعلها منقبة!

(١) عوارف المعارف ج ٢ ص ٦٠٢.

(٢) الأنبياء ٧٣.

(٣) تذكرة الأولياء ص ٤٠٤.

(٤) التحريم ٤.

حيث نقل عمن يعبر عنه بـ (الثقة الأمين الصادق صاحب) الذي عاهده على أن لا يذكر إسمه، ينقل عنه كلاماً يدلّ على جلاله قدرهما! وعظمة أمرهما! حتى جعل الله تعالى نفسه في مقابلتهما! فيقول:

وعلمت لمن استندتا، ومن يقويهما، ولو لا ما ذكر الله نفسه في النصرة ما استطاعت الملائكة والمؤمنون مقاومتها! وعلمت أنهما حصل لهما من العلم بالله والتأثير في العالم ما أعطاهما هذه القوة! وهذا من العلم الذي كهيئة المكنون! فشكرت الله على ما أولى!!^(١).

نَظَرَ إمام الصوفية في الآية المباركة فرأى في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ قوةً من الله تعالى تستند عليها الأولى والثانية في التظاهر على النبي!! فجعل ذم الله سبحانه وتعالى لهما مدحاً!! وزعم أنهما قد أوتيتا من العلم الشيء الكثير!

ثم زعم أن عند عائشة وحفصة من العلم ما لا يوجد عند الناس فقال: وعرفناه عائشة وحفصة، فلو علم الناس علم ما كانتا عليه لعرفوا معنى هذه الآية: ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾^(٢).

فلم يكتفِ بتبرئتهما من التظاهر على رسول الله ﷺ، وهو ما يجعلهما مستحقّتين للعقاب الإلهي، بل عدّهما ممن عرفتا معاني الآيات حين جهلها الآخرون! وزعم أن الله أعطى لهما القوة والعلم الذي كهيئة المكنون!! وقد ساء المتصوّفة أن تختص الزهراء عِزَّتُهَا بأعظم الألقاب والصفات،

(١) الفتوحات المكية ج ١ ص ١٨٠.

(٢) الفتوحات المكية ج ١ ص ١٨٠.

فأغدقوا على رابعة العدوية وغيرها كثيراً من الألقاب العظيمة، ووصفوها بأنها (المخدرة بالخدر الخاص) و(المستورة بستر الإخلاص) وغير ذلك^(١).

ولو أردنا التعرُّض للمزيد من اعتقادهم فيمن خالف الأئمة عليهم السلام لطال بنا الحديث.. ومن ذلك أنهم:

- يزعمون أن النبي نودي بصوت أبي بكر!
- وأنَّ عمر محدث! وأنَّ له القدم الراسخة في علوم الغيب!
- وأنه معصومٌ لا تأخذه في الله لومة لائم!
- وأنَّ الشيطان يفر من ظلِّه، وما لقيه الشيطان في فجٍّ إلا سَلَكَ فَجًّا غيره!
- وأنَّ الحق ما ترك له من صديق!
- وأنَّ الغطاء لو كشف له لم يزدد يقيناً!
- وأنه لا يتحرك إلا عن أمرٍ إلهيٍّ!

ولعمري هل كان تحرُّكُه لحرق باب الزهراء عن أمرٍ إلهيٍّ أيضاً؟

ثم إنهم يزعمون العصمة لرموزهم! بل للسالكين! لذا يصير اتِّباع أمر أساتذتهم واجباً لازماً، لأنَّ الواحد منهم يفنى في الله تعالى، فيصير أمره أمر الله، ونهيهِ نهي الله!

وهكذا يُلبَّسون على الناس ويتحكمون بهم، ويبثون الرعب في قلوب أتباعهم، بزعمهم أن من يخالفهم ينزع الله نور الإيمان من قلبه، وأن إنكار

(١) تذكرة الأولياء ص ٢٥٩.

فضائلهم يودي إلى الكفر والزندقة!

هذا غيُص من فيض ما يقوله أئمة المتصوفة، ويذهب كثيرٌ من عرفاء الشيعة إلى قولهم هذا! وقد تسربت كثيرٌ من هذه المفاهيم لعرفاء الشيعة، حتى نقلوا عن حدادٍ عارفٍ قولاً يقول فيه: نحن في مقامٍ لا يقدر جبرائيل على الدنو منه! وإنه عاجز عن إدراك مرتبتنا الوجودية!^(١)

على أن من (عرفاء الشيعة) من يزعم أنه أفضل من كليم الله موسى!

بل أن مكان كليم الله لا يُعدُّ مقاماً رفيعاً نسبةً لما هم عليه!

ويزعم بعضهم أن منهم من وصل ليكون نفس أمير المؤمنين!

وأن عندهم الولاية التكوينية المطلقة!

وأنهم مطلعون على الضمائر!

لقد نسبوا لأقطابهم ورموزهم مثل هذه المقامات دون بينة ولا برهان، وزعموا ثبوت ذلك بكشفٍ وشهودٍ يزعمونه!

وها نحن نغضي عن كل ذلك لنرى كيف تعاملوا مع مقامات الإمامة.

ب. تنزيل مقام الإمامة

بعدما اكتملت خطة الأول، ومعاوية، وأشقائه المتصوفة، في اختراع الكرامات والفضائل لمن سوى المعصومين عليهم السلام، كان الشق الآخر هو الانتقاص من مكانة الأئمة والإمامة.

(١) حريم القدس ص ٥٧.

ابن عربي ونقض عصمة الأئمة

إن أرفع رموز المتصوفة هو ابن عربي، وهو يزعم أن عصمة الأئمة عليهم السلام منقوصة! فإنها عصمة يمكن معها أن يعصي هؤلاء بالظاهر فيعاقبوا!

يقول: ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة، فإنهم يُحْشَرُونَ مغفوراً لهم، وأما في الدنيا فمن أتى منهم حداً أقيم عليه! ^(١).

هي ليست عصمة عن ارتكاب المعاصي إذًا، بل قد يرتكب أحدهم المعصية فيقام عليه الحد بزعمه (نعوذ بالله)! إذ كيف يجتمع ذلك مع التطهير من الرجس الذي يعني كل قدر كما يعترف هو؟!

أوتعني العصمة في مفاهيمها أن لهم أن يعصوا ثم لا يعاقبهم الله تعالى أبداً فيغفر لهم ذنوبهم؟ ومن قال أن مغفرة الذنوب تُعَدُّ عصمة؟!

وكيف يجتمع التطهير مع الذنب؟!

أي عقيدة شيعية أخذها هؤلاء من إمام المتصوفة الأكبر؟

ثم يعود ليؤكد هذه العقيدة بقوله: وينبغي لكل مسلم مؤمن بالله وبما أنزله أن يصدق الله تعالى في قوله ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت إن الله قد عفا عنهم فيه! ^(٢).

فهي عنده معاصٍ عفا الله عنها بعد ارتكابها!

(١) الفتوحات المكية ج ١ ص ١٩٦.

(٢) الفتوحات المكية ج ١ ص ١٩٦.

الأئمة ليسوا بمعصومين

ثم يترقى أكثر فيصرح في محل آخر بنفي عصمة أئمة الشيعة الإمامية، حين يقول: الإمامية يقولون بعصمة الإمام، والواقع خلاف ذلك، فإنه ما من إمام إلا ويسهو في صلاته، وإن لم يسه عن صلاته^(١).

الطريقة الخلوتية والبكاء على الحسين

لقد قُصَّ قتل الإمام الحسين عليه السلام مضاجعهم، وأزعجهم بكاء الشيعة عليه على مر التاريخ ولم يناسبهم.

ولما كان في (مصر) مقام للإمام الحسين عليه السلام، يزوره الآلاف من المتصوفة وغيرهم، كرهت بعض فرق المتصوفة ذلك حسداً للحسين عليه السلام.

يقول شيخ إحدى الفرق وهو (البروسوي) صاحب تفسير روح البيان: وكذا الرافضة قد تغالت في الحزن لمصيبة الحسين رضي الله عنه، وأحدثت عليها، حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً لقتله رضي الله عنه، فيقيمون في مثل هذا اليوم العزاء، ويطيلون النوح والبكاء، ويظهرون الحزن والكآبة، ويفعلون فعل غير أهل الإصابة، ويتعدون إلى سب بعض الصحابة، وهذا عمل أهل الضلال، المستوجبين من الله الخزي والنكال، كأنهم لم يسمعوا ما ورد في النهي عن الحداد! ومن الله الرشاد^(٢).

يريد هؤلاء أن يكف الشيعة عن البكاء على الإمام الحسين عليه السلام واتخاذ

(١) الفتوحات المكية ج ٣ ص ١٩٤.

(٢) تفسير روح البيان ج ١ ص ٣٦٧.

مأتمه، والدين قد حُفِظَ بدم الحسين، وبالعزاء عليه.
وقد تأثر بعض الشيعة بمثل هذه الكلمات فأراد أن يُغَيِّرَ حالة البكاء إلى
حالة الفرح في يوم عاشوراء! بحجة أنه يوم الوصال!
هكذا تنطق بعض كتب العرفان الشيعي اليوم!

خلاصة القول وختامه

أَنْ يُرَوَّجَ لِلتَّصَوُّفِ نَهْجاً أَوْ رَمْزاً أَوْ عَقِيدَةً فِي بَيْتِنَا الشَّيْعِيَّةِ.. فهذه جريمة
بحق التشيع..

وإنَّ ما يناسب هؤلاء المتعرِّضين لسخط ربهم، الضالين عن معرفة أئمتهم،
الصادِّين عن سبيل الله، أن يكونوا في صفوف المخالفين لآل محمد ﷺ.
لقد روي أنَّ الإمام الصادق عليه السلام سئل: قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال
لهم الصوفية، فما تقول فيهم؟

فقال: إنهم من أعدائنا، فمن مال إليهم فهو منهم، وسوف يُخْشَرُ معهم،
وسيكون أقوامٌ يدَّعون حبنا، ويميلون إليهم، ويتشبهون بهم، ويلقبون أنفسهم
بلقبهم، ويؤولون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منا، وإنَّا منه برآء، ومن
أنكرهم وردَّ عليهم كان كمن جاهد الكفار بين يدي رسول الله ﷺ (١).

هُم من أعداء آل محمد، وأعداؤهم حُسادُهم، وههنا تحذيرٌ شديدٌ من
الإمام من (الميل) إليهم، ونظرةٌ ثاقبةٌ يعلمها بتعليم من الله تعالى حين يقول عليه السلام

(١) حديقة الشيعة ص ٧٤٧.

(وسيكون أقوامٌ يدعون حبنا)، ويكذبُ الإمام هذه الدعوى.

وتقع الطامة الكبرى عند تأويل كلمات هؤلاء، والتعامل معها كأنها آيات الكتاب الكريم، أو كلمات المعصومين التي تتضمن محكماً ومتشابهاً. يتبرأ الإمام من هؤلاء، ونحن نعيش بين أظهرهم، لكننا لا نُخدع بأساليبهم وتلاوينهم.

فالمؤمن كَيْسٌ فَطِنٌ.. عارفٌ بزمانه، لا تهجم عليه اللوابس.

المؤمن لا يغرّه تظاهر بعض الناس بحب محمد وآل محمد، وإقامة المآتم في ذكراهم، ما لم يركز في حُبِّه لهم على ركنٍ وثيق، فيواليهم ويعادي عدوهم، ويأخذ منهم دون أعدائهم.

إِنَّ فِي ذِمَّةِ ﷺ لِمَنْ يُؤْوُلُ أَقْوَاهُمْ جَوَاباً كَافِياً لِمَنْ يَقُولُ: لَمْ تَفْهَمُوا كَلَامَهُمْ، وَنَسَبْتُمْ لَهُمْ مَا هُمْ مِنْهُ بَرَاءً.

إِنَّ الدِّينَ لَيْسَ دِينَ الْغَاظِ..

فمن يزعم أن مخالفي الصوفية والعرفاء لم يفهموا كلماتهم فليبادر وليوضح مُرادهم بلسانٍ عربي مبين.

لقد تصفحنا كتبهم، وقلِّبناها ظهراً لبطن، فما وجدنا شيئاً منها خلى مِنْ حَسَدِ الْآلِ الْأَطْهَارِ، وَمِنْ مَزْجِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَمِنْ تَصَيُّدِ الْمُؤْمِنِينَ لِإِضْلَالِهِمْ.

فبرئنا من أصحابها أجمعين، وَنَبَّهْنَا أَحَبَّتَنَا إِلَى عَدَمِ الْمِيلِ إِلَيْهِمْ، وَنَهَيْنَاهُمْ عَنْ تَأْوِيلِ كَلَامِهِمْ، لئلا يبرأ منهم الإمام المعصوم، فنبرأ منهم تبعاً لإمامنا.

فإن قيل: الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها.

قلنا: يأخذها حيث وَجَدَهَا.. لَكِنَّهُ يَذَرُ سَنِبِلَهَا.

يقول الصادق عليه السلام:

إِنَّ لَنَا أَوْعِيَةً نَمْلَأُهَا عِلْماً وَحُكْماً، وَلَيْسَتْ لَهَا بِأَهْلٍ، فَمَا نَمْلَأُهَا إِلَّا لِتُنْقَلَ إِلَى شِيعَتِنَا؛ فَنَنْظُرُوا إِلَى مَا فِي الْأَوْعِيَةِ فَخُذُوا مِنْهَا، ثُمَّ صَفُّوْهَا مِنَ الْكُدُورَةِ، تَأْخُذُوا مِنْهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً صَافِيَةً. وَإِيَّاكُمْ وَالْأَوْعِيَةَ؛ فَإِنَّهَا وَعَاءٌ سَوْءٌ فَتَنْكَبُوهَا^(١).

لقد بَثَّ الأئمة إذاً شيئاً من علومهم في أوعية سوءٍ عندما انحصر إيصال هذا العلم للشيعَة بهذه الطرق، كالمخالف الذي لا يكذب، فإنه مأمونٌ على نقل الخبر والعلم، وإن لم يكن من أهل الحق.

ولئن تَحَيَّلَ بعض المؤمنين أن في الواردات والمكاشفات الصوفيَّة شيئاً من الحق، فإن ما خالف طريقة المعصومين كان باطلاً محضاً، ولما ثبت أن أوعيته أوعية سوءٍ تَنْكَبُهَا وَتَجَنَّبُهَا وَتَبَرَّأْنَا مِنْهَا.. براءتنا من كل مخالف للعترة الطاهرة.

موقفنا هذا ليس موقف انفعال، بل هو موقف الامام الصادق عليه السلام وسائر أئمة الهدى عليهم السلام، بالجمع بين ركني الولاية والبراءة.

هذا هو طريق محمد وآل محمد، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ مِنْ شِيعَتِهِمْ حَقّاً حَقّاً، وَعَجَلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا صَاحِبِ الْعَصْرِ وَالزَّمَانِ، كِي يَمْلَأَهَا قِسْطاً وَعَدلاً بَعْدَمَا مَلَأَتْ ظُلْماً وَجوراً.. إنه سميع مجيب^(٢)..

(١) الأصول الستة عشر ص ١٢٤.

(٢) ٧ شهر رمضان ١٤٤١ هـ.

١٩. المسيح.. والإمام الظالم!

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد في الإصحاح السادس من إنجيل لوقا عن المسيح ﷺ قوله: أَجِبُوا
أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، بَارِكُوا لِمَنْ لَا عِنْيَكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ
إِلَيْكُمْ^(١).

وروي عنه ﷺ ما يقرب من هذا اللفظ في بعض كتبنا أيضاً: أَحْسِنُوا إِلَى
مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ، وَاعْفُوا عَمَّنْ ظَلَمَكُمْ، وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْكُمْ^(٢).
حُبُّ العدوِّ، والإحسان إلى المبغض، ومباركة اللاعن، والصلاة للمسيء!
كلُّها مفاهيم برّاقة، عبر كلماتٍ في الإنجيل تدغدغ المشاعر لتفيض حباً
وحناناً، ورحمةً وإحساناً على كلِّ الخلق، فلا تستثني العدوَّ! ولا المبغض الكاره!
أيُّ رفعةٍ هذه التي صبغت دعوة عيسى ﷺ؟ وأيُّ تسامحٍ ومودةٍ غلّفت
كلماته؟!

ههنا قد يقول قائل:

إذا كان الدين عند الله واحداً، وكانت دعوة الأنبياء للتوحيد والمعرفة
والأخلاق واحدةً رغم اختلاف الشرائع، فكيف ساغ لكم أيها المسلمون أن
تخالفوا دعوة الإلفة والمحبة التي نطق بها عيسى كما ينقل عنه إنجيل لوقا؟!

(١) لوقا ٦: ٢٧-٢٨.

(٢) تحف العقول ص ٥٠٣.

بل كيف ساعَ لكم أيها الشيعةُ أن تطرحوا مفهومَ (البراءة) ممن لم يوال أئمتكم؟ وأنتم تدعون أن دينكم الإسلام هو دينُ الرحمة، وتبرؤون ممن تقولون أنهم أرجاس منافقون شوَّهوا صورته قديماً وحديثاً عندما أسسوا أساسَ الظلم والجور على أئمتكم بزعمكم أيها الشيعة - يقول القائل -.

إنكم تعملون على ترسيخ مفهوم البراءة إلى جنب مفهوم الولاية، فأين هذا من تسامح المسيح؟ أيعقل أن يخالف محمدٌ وعليُّ المسيح؟!

أين البراءة في قول الله عن رسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؟
أيجتمع الخُلُقُ العظيم مع التبرُّي من العدو؟ أم أنَّ حُبَّ العدو كما في إنجيل لوقا هو الأفضل والأسمى والأكمل؟!

أسئلةٌ تستحق الوقوفَ عندها فعلاً.. ونحن نطرحها هنا بصيغةٍ أخرى ونوزعها على محاور ثلاثة:

المحور الأول: هل يقول عيسى والنصارى بالبراءة أم لا؟

وهل يعتقدون بلزومها؟ ويتبرؤون من أعدائهم؟
وهل تدلُّ كلمات عيسى المتقدمة المنسوبة إليه على لزوم حُبِّ كل عدو؟
وهل فيها نهيٌّ عن البراءة من الأعداء؟ كلُّ هذا على فرض صحة نسبتها لعيسى عليه السلام.

لعل الجواب هو في التمييز بين نوعين من العداوة:

١. العداوة الشخصية.

٢. العداوة لله وفي الله.

فنقول: إن نبي عيسى عليه السلام عن معاداة العدو فعلاً، فلا بدّ من تخصيصه بالنوع الأول، أي العدو الذي يكون منشأ العداوة معه أمراً شخصياً، ولا يمكن أن يكون نبيه شاملاً للعداوة في الله، ولا يُعقل أن ينهى عن معاداة أعداء الله، ولنا على هذا القول شواهد من الكتب المقدسة نفسها.

وقد يُفسّر أمره بمحبة العدو هنا بحُبّ الهداية له، لا حب شخصه وأفعاله، لأنّه قدّر في نفسه إن كان عدواً لله سبحانه، كما هو قدّر في أفعاله..

فإن قيل: من أين فسرتم كلام المسيح بهذا المعنى؟

قلنا: بما ورد في الكتاب المقدس نفسه، فهلمّ إليه لنرى ما فيه:

أما من التوراة، فيما ورد من لعن الذين لا يسمعون كلام عهد الله: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: مَلْعُونُ الْإِنْسَانُ الَّذِي لَا يَسْمَعُ كَلَامَ هَذَا الْعَهْدِ^(١).

وهو واحدٌ من حوالي أربعين مورداً ورد فيها اللعن في التوراة، وهو هنا يشمل كلّ من لا يسمع كلام هذا العهد، أي من لا يؤمن بالتوراة، وهذا اللعن نوعٌ من أنواع التبري، وفيه دعاءٌ بالطرد من رحمة الله تعالى.

أما في الإنجيل ففي سفر رومية: لَأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمْ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ^(٢).

يتنزّل غضبُ الله إذاً ويُعلنُ من السماء على كلّ فجورٍ وإثمٍ، ولا يمكن أن

(١) أرمياء ١١: ٣.

(٢) رومية ١: ١٨.

ينزل غضب الله على أحدٍ ثم نواله ونجبه!

وأكثر من ثبت بحقهم هذا الفجور والإثم بحسب الإنجيل أيضاً، هم الذين لا يُحِبُّون المسيح، كما في رسائل كورنثوس من الإنجيل: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُحِبُّ الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ فَلْيَكُنْ أَنَاثِيًّا! مَا رَأَى أَنَا^(١).

وقالوا أَنْ كَلِمَةً: أَنَاثِيَّا اليونانية تعني أَنَّهُ (ملعونٌ) أو (محرومٌ) أي هالك. وفي الإنجيل أيضاً: مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»^(٢).

إذا كُلٌّ مَنْ أَنْكَرَ التَّوْرَةَ هُوَ مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ التَّوْرَةِ، وكل من لا يَثْبُتُ فِيهَا وَرَدَ فِي الْإِنْجِيلِ هُوَ مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ الْإِنْجِيلِ.

فهل يلتزم النصارى بمنهج الولاية دون البراءة؟

وما هو موقفهم من آيات التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ هَذِهِ؟

هل يبرؤون ويلعنون فئاتٍ من الناس ويذمُّونها كما فعل الكتاب المقدس؟ أم يلتزمون بمودة ومحبة كُلِّ النَّاسِ حَتَّى أَعْدَاءِ اللَّهِ؟

لَمَّا كَانَ هَذَا اللَّعْنُ وَالْبَرَاءَةُ هُوَ مَا يَنْصُ عَلَيْهِ كِتَابُهُمُ الْمُقَدَّسُ، فَقَدْ ذَهَبَ إِلَيْهِ كِبَارُ قَسَاوَسْتِهِمْ كَالْقَدِيسِ يُوْحَنَّا الدَّمَشَقِيِّ حِينَ يَقُولُ أَنَّ كُلَّ مَنْ لَا يَعْتَرِفُ بِعَقِيدَةِ الثَّالُوثِ هُوَ مَسِيحٌ دَجَالٌ!

يقول: إِنَّهُ لِمَسِيحٌ دَجَالٌ كُلُّ مَنْ لَا يَعْتَرِفُ أَنَّ ابْنَ اللَّهِ قَدْ أَتَى بِالْجَسَدِ، وَأَنَّهُ

(١) الرسائل الأولى ١٦: ٢٢.

(٢) غلاطية ٣: ١٠.

إلهٌ كاملٌ، وأنه قد صار إنساناً كاملاً بعد أن كان إلهاً^(١).

فهل وَصَفُ المخالف له بالعقيدة أَنَّهُ مَسِيحٌ دَجَالٌ هو نوع من التولي والتقرب إليه؟!

يبرأ النصارى إذاً ممن لا يعترف بتجسّد الله في المسيح! وبضرورة الإله الكامل إنساناً كاملاً! فيجعلون هذه العقيدة المناقضة للتوحيد ميزاناً للتولي والتبرّي، وهذه كلمات واحدٍ من كبار قساوستهم، وهو القدّيس يوحنا الدمشقي، وهو ابن سرجون، وما أدراك ما سرجون، فهو الذي أشار على يزيد بن معاوية بأن يولي الكوفة عُبيدَ الله ابن زياد لما علمَ بِقدومِ الحسينِ عليه السلام نحوها. والخلاصة أنّ البراءة منهجٌ نصراني كما هي منهجٌ إسلاميٌّ، لهج بها التوراة والإنجيل اللّذين يؤمن بهما النصارى.

فيا أيها السائل.. إن كنت من النصارى أو ممّن ترى أفضليّة في الكتاب المقدس على ما في الكتاب الكريم، أجبناك سريعاً متمثّلين بكلام الكتاب المقدس نفسه: لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَدَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَفْطَنُ لَهَا؟^(٢).

المحور الثاني: هل يقول النصارى بسقوط العقاب؟

ههنا تساؤل آخر: على فرض صحة الإنجيل، وصحة نسبة ما فيه لعيسى عليه السلام، وأنّه أمر بحب العدو، فهل أنه يمنع من الدفاع عن النفس؟ ويقول بسقوط

(١) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص ٢٧٣.

(٢) متى ٧: ٣.

العقاب للعاصي؟ فله أن يفعل ما شاء؟

إذ أنهم نسبوا له في الإصحاح الخامس من إنجيل متى أَنَّهُ قَالَ: لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيضاً^(١).

فهل هو نوعٌ تشجيعٍ على استمرارية الظلم؟ وعدم مقاومة الظالم؟
نقول: على فرض صحة كلمات عيسى المتقدمة، فلا ينبغي حمله على سقوط العقاب، لِنَصِّ الكتاب المقدس على ثبوت العقاب في الدنيا والآخرة.
أما في الدنيا، فلما ورد في سفر التكوين: سَافِكُ دَمِ الْإِنْسَانِ بِالْإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ^(٢).

لقد أقرَّ المبدأ الإنساني العقلاني بأنَّ العين بالعين والسنَّ بالسن، فسافِكُ دمِ الانسان بالإنسان يُسْفَكُ دَمُهُ، لأنَّ مَنْ أَمِنَ الْعُقُوبَةَ أَسَاءَ الْأَدَبَ وَلَآئِهٖ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ❁.

وهو مبدأ اتَّفَقَتْ عليه الشرائع السماوية والبشرية إلا ما شذَّ منها وندر، وان اختلفت في كيفية تطبيقه، أما العنوان العام والقاعدة الكبرى فهي محل اتفاق بين العقلاء والأديان السماوية.

ولم يبق هذا الحكم نظرياً، بل طبقه موسى ﷺ بحسب الكتاب المقدس حينما جمع بني لاوي، ففي سفر الخروج: فَقَالَ لَهُمْ: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ، وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ،

(١) متى ٥: ٣٩.

(٢) التكوين ٩: ٦.

وَأَقْتُلُوا كُلَّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ». فَفَعَلَ بَنُو لَأْوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ رَجُلٍ^(١).

نزل العقاب على من ظلم منهم على يد أخوته وأقربائه بأمر من موسى عن الربِّ إله إسرائيل.

كذلك كان الله يُنزل العقاب على يد الملائكة كما في سفر الرؤيا: وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ الْمَهْكِ قَائِلًا لِلْسَّبْعَةِ الْمَلَائِكَةِ: «امْضُوا وَاسْكُبُوا جَآمَاتِ غَضَبِ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ»^(٢).

ليس غضبُ الله كغضب الإنسان، غَضَبُ الله يكشف عن عميقِ معصية أتى بها هذا العاصي، فتبرأ الله سبحانه وتعالى منه حتى عاجله بعقوبة في الدنيا، ولم ينتظر به إلى يوم القيامة.

هي عقوبة دنيوية لا تدفع العقوبة الأخروية، ففي إنجيل متى: هَكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ الْعَالَمِ: يَخْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَيُفَرِّزُونَ الْأَشْرَارَ مِنْ بَيْنِ الْأَبْرَارِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي آتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ^(٣).

للملائكة دورٌ في التمييز بين المحق والمبطل، ونحن نعتقد بذلك أيضاً، وإن كنا نقول بأنهم يميّزون بين المسلمين بناءً على ولاية عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، فمن والاه دخل الجنة، ومن عاداه دخل النار.

فساغ لنا بل وجب علينا أن نوالي وليه ونعادي عدوه، وهذا منهج قرآني

(١) الخروج ٣٢: ٢٧-٢٨.

(٢) رؤيا ١٦: ١.

(٣) متى ١٣: ٤٩-٥٠.

توراتيَّ إنجيليَّ على فرض صحة الإنجيل والتوراة، ونحن نعتقد بصحة المعنى الذي دلَّ عليه هذا النصُّ وأمثاله لمطابقته لما في القرآن الكريم.

وصفوة القول: أنّه لا يصح بناءً على هذه النصوص تفسير كلام عيسى بنهيه عن مقاومة الشر مطلقاً، بل لا بد من تفسيره بنهيه عن مقاومة الشر بالشر، أي باستعمال الأساليب الملتوية، فلَكَ أن تقاوم الشر بما أباحه الله سبحانه وتعالى لك، ولكن ليس لك أن تقابل الظالم بظلمٍ إلا أن تأخذ حقاً بالعدل.

أو يُفسَّر بأنه نهْيٌ عن مقاومة الشرِّ للعاجز، فالعاجزُ حينما يرفعُ رأسه في مقاومة الظالم قد يُسبَّبُ مزيداً من الضرر لنفسه، فيكون على وزانِ التقية، أو غير ذلك من المعاني.

وقد نصَّ الإنجيل على أن الوُلاة بمثابة المرسلين من الله للانتقام من فاعلي الشر: **أَوَّلُ لَوْلَاةٍ فَكُمُرُ سَلِيلٍ مِنْهُ لِلْإِنْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ، وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ^(١).** إذاً نخلصُ من هذا أن موقف المسيح والكتب السماوية المتقدمة موافق لما ورد في القرآن الكريم، من لزوم التبري كلزوم التولي، ومن لزوم العقاب للظالم في الدنيا والآخرة، وإن تعدَّر في الأولى فلا مفرّ منه في الأخرى.

المحور الثالث: ما هو موقف المسيح من الإمام الظالم؟!

السؤال الأخير:

إذا كانت البراءة منهجاً للمسيح ﷺ أيضاً، فهل كان له موقفٌ واضحٌ من

الظلمة؟ ومن أئمتهم، ومن كلِّ إمامٍ ظالمٍ طالما تبرأ منه الشيعة، الذين عدُّوا البراءة منه جزءاً من دينهم.

ههنا نصٌّ عظيمٌ روي عن عيسى عليه السلام في تحف العقول، يقول فيه:
بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الْحَرِيقَ لَيَقَعُ فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَلَا يَزَالُ يَنْتَقِلُ مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ حَتَّى تَحْتَرِقَ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ، إِلَّا أَنْ يُسْتَدْرَكَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَيُهْدَمَ مِنْ قَوَاعِدِهِ، فَلَا تَجِدَ فِيهِ النَّارَ مَعْمَلًا.

على عادته في سرد القصص والتشابه، وهي عادة الكتب السماوية والأنبياء والمرسلين، حيث تسرد القصص لتقريب المفاهيم والأفكار إلى عقول عموم الناس، يضرب عليه السلام مثلاً في بيتٍ يقع فيه حريقٌ، ثم ينتقل من بيتٍ لآخر فيحرق الكثير من البيوت، ولا مفرٍّ من ذلك إلا بهدم البيت الأول من قواعده حتى لا تجد له النار طريقاً، وإلا فإنه سيستمر في إحراق المزيد والمزيد من البيوت حتى يأتي عليها كلها.

يقول عليه السلام بعد ذلك كلمة ذهبية:

وَكَذَلِكَ الظَّالِمُ الْأَوَّلُ: الظالم الأول كالبيت الأول الذي احترق وأحرق البيوت التي تجاوره حتى أتى عليها كلها، والظالم الأول يبقى يُحْرِقُ مَنْ حوله حتى يُهْدَمَ بيته ونهجه وخطه، ويجتثه من أساسه. والظالم الأول هو أول إمامٍ ظالمٍ. ثم يبين عليه السلام بعد ذلك الطريق الأوحـد للخلاص من ذلك فيقول عليه السلام:

لَوْ يُؤْخَذُ عَلَى يَدَيْهِ لَمْ يُوجَدْ مِنْ بَعْدِهِ إِمَامٌ ظَالِمٌ فَيَأْتَمُّونَ بِهِ!

لو أنَّ الأمة قد أخذت على يد الظالم الأول لما جاء من بعده ظالمٌ آخر، لما

جاء إمامٌ ظالمٌ تأتمَّ به الأمة، وكان المجال مفتوحاً أمام أئمة الهدى والحق ليؤدوا دورهم، ولانتظمت سلسلة الإمامة الإلهية، وظهرت دُرُرُها وجواهرُها، وعاش الناس في نعيمِ الولاية في الدنيا قبل نعيم الآخرة.

لَوْ يُؤْخَذُ عَلَى يَدَيْهِ لَمْ يُوجَدْ مِنْ بَعْدِهِ إِمَامٌ ظَالِمٌ فَيَأْتُمُونَ بِهِ، كَمَا لَوْ لَمْ تَجِدِ النَّارَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ خَشَباً وَالْوَحَا لَمْ تُحْرِقْ شَيْئاً^(١).

من ههنا أُتِيَتْ هذه الأمة، حيث لم تأخذ على يد الظالم الأول، فظهر بعده أئمةٌ ظلمةٌ، ولا يزال هذا المسلسل مستمراً، وسيبقى إلى أن يأمر الله وليه المهدي المنتظر عليه السلام بالخروج، فيأتي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام، ليستدركا البيت الأول فيُهدم من قواعده ذلك اليوم.

تكون الأمة قد قَدَّمتْ مئات السنين، وتكون البشرية قد ضحَّتْ بأهم ما أعطاه الله سبحانه وتعالى، وهم الأئمة المعصومون، وتكون خلافة الله في الأرض قد سُلِبَتْ من أصحابها طيلة قرون، كل ذلك لأن الناس لم يأخذوا على يد الظالم الأول، فتوالت من بعده سلاسل الظلمة.

هذا هو موقف المسيح من الإمام الظالم، وهو مطابق لموقف النبي محمد صلى الله عليه وآله، وللأئمة المعصومين عليهم السلام، وللشيعة الأَطْيَابِ الأَطْهَارِ المتبعين لهم جميعاً.

ولعله لهذا حذَّرَ المسيح من يسمونهم بالأنبياء الكذبة، ومنهم الإمام الظالم الضالُّ، حيث قال بحسب إنجيل متى: «إِحْتَرِزُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَذِبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمَلَانِ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلِ ذُنَابٍ خَاطِفَةٍ! مِنْ ثَمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ.

(١) تحف العقول ص ٥٠٤.

هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشُّوْكِ عِنْبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟^(١).

فهل ظهر من أئمة الجور غير الشوك والحسك؟! ما رأينا منهم سوى ذلك، لا عنباً ولا تيناً.. وهم يزعمون التنبؤ، يأخذون دور الأنبياء، لكنهم كذبة.

ليس ديننا دينُ الظلم أيُّها الأحبة، وقد أوصى نبينا محمد بن عبد الله ﷺ وصيّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: **وَأَتَّبِعِي مَظْلُومًا، وَلَا تَأْتِي ظَالِمًا**^(٢).

لقد وقع الظلم على محمدٍ وعليٍّ والأئمة عليهم السلام، ومن بعدهم على شيعتهم، ولم يكن بيد الشيعة من موقفٍ إلا البراءة من الظالمين بعد التولي للأولياء المعصومين.

لكنَّ الظلم كلَّ الظلم أن يُمنَعَ المظلومُ من البراءة ممّن ظلمه! فلا يُكتفى بسلبه حقه، وإيقاع الظلم عليه، بل يُلزمُ بموالاته عدوه!

اللهم إنّنا نبرأ إليك من كلّ ظالم، وممن أسس أساس الظلم على آل محمد، فإنّ المؤسسين هم أصحاب البيت الذي لا نسلّم ولا تسلم الأئمة إلا بهدم قواعده، وستهدم على يد المنتظر إن شاء الله. عجل الله فرجه، وسهل الله مخرجه. والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) متى ٧: ١٥-١٦.

(٢) المسترشد ص ٦١٠.

(٣) ٩ شهر رمضان ١٤٤١ هـ.

٢٠. الإمامة والاستقامة.. الغاية لا تبرر الوسيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(١).

الحديث في هذه الآية المباركة خاصٌّ بالموحِّدين، الذين قالوا ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، ولكنَّ توحيدهم لم يكن وحده كافياً لنيل الجنان، بل اقترن بأمرٍ آخر ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾.

فينبغي أن يُستكمل ويُستتبع التوحيد بالاستقامة، إذ كم من موحِّدٍ بالقول يخالف قوله فعله فلا يتولى أولياء الله، ولا يتبرأ من أعدائهم، ولا يكون مستقيماً عقيدةً أو قولاً أو فعلاً، فلا يكون مصداقاً للآية.

إنَّ للإيمان بالله تعالى ثمَّ الاستقامة ثماراً تذكرُ بعضها الآيةُ المباركة ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، وإنَّ لنزولِ الملائكةِ أسباباً متنوعةً، فتارةً تنزل للعذاب، وأخرى للتحذير، وثالثة للبشرى وهكذا.

وهؤلاء ممن تنزل عليهم الملائكة ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾.

الخوفُ والحزنُ صفتان من أشدَّ الصفات فتكاً بالإنسان، لكنَّ الملائكةَ تتكفل بطمأنينة هؤلاء والربط على قلوبهم، وتُبشِّرهم ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾، جناتٍ عرضها السموات والأرض ﴿بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

يُذَكِّرُ فِي آيَةٍ أُخْرَى أَتَرَى آخَرَ لِلإِسْتِقَامَةِ، لَكِنَّ تِلْكَ الْآيَةَ تُبَيِّنُ أَنَّ الإِسْتِقَامَةَ إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى طَرِيقَةٍ خَاصَةٍ مَعْهُودَةٍ، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْجَنِّ: ﴿وَأَلِّوْا اسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١)، أَي: مَاءً كَثِيرًا.

لَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَحْثٍ سَابِقٍ أَنَّ فَضْلَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَفَضْلِ الْمَاءِ، فَكَمَا أَنَّهُ بِالْمَاءِ يَحْيَا كُلُّ شَيْءٍ، كَذَلِكَ بِالْإِمَامِ يَحْيَا كُلُّ شَيْءٍ، فَمَا الْمُرَادُ مِنَ الْمَاءِ هُنَا؟
هَلْ هُوَ مَا أُرِيدَ فِي قَوْلِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ (الْإِمَامُ السَّحَابُ الْمَاطِرُ)؟
أَمْ هُوَ الْمَاءُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ لِيُنْبِتَ بِهِ الْأَرْضَ؟
أَمْ هُوَ مَاءُ طَهَارَةٍ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ وَنُفُوسِهِمْ بِالْإِمَامِ؟

لَقَدْ وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى وَلَايَةِ (أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا ضَلُّوا أَبَدًا^(٢).
وَوَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنْ اسْتَقَمْتُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَلَايَتِنَا، أُسْقِيتُمْ مَاءً غَدَقًا، وَأَكَلْتُمْ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِكُمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ^(٣).
وَهَكَذَا اجْتَمَعَتِ النِّعَمَتَانِ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالْآخِرَوِيَّةُ كَثِيرًا لِلإِسْتِقَامَةِ، وَهِيَ طَرِيقُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: وَإِنْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا اخْتَلَفَتْ كَلِمَتُكُمْ، وَشِمَتَ بِكُمْ عَدُوُّكُمْ: أَيِ إِنْ لَمْ تَتَّبِعُوا طَرِيقَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) الجن ١٦.

(٢) تفسير فرات الكوفي ص ٥١٢.

(٣) الأصول الستة عشر ص ٣٥٢.

وكذا يقول أبو جعفر الباقر عليه السلام في الآية المباركة: لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى وَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِهِ عليه السلام، وَقَبِلُوا طَاعَتَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ، ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ يَقُولُ: لَأَشْرِبْنَا قُلُوبَهُمْ الْإِيمَانَ^(١).

إذاً تجمع هذه الآية المعنيان:

١. لَأَشْرِبْنَا قُلُوبَهُمْ الْإِيمَانَ.

٢. إنزال الماء من السماء، والأكل من فوق الرؤوس ومن تحت الأرجل.
لأنَّ الإمام بركة الأرض وبه قوامها، فإنَّ اتِّباعه يفتح باب النِّعمِ الإلهية ماديةً ومعنويةً.

وَتَرَكُ الإِسْتِقَامَةَ بَعْدَ اتِّبَاعِهِ يَفْتَحُ البابَ أَمَامَ كُلِّ سَوْءٍ، حَيْثُ نَفُوسٌ مَرِيضَةٌ، وَحَيَاةٌ بَائِسَةٌ، وَحَيْثُ يَدُبُّ فِي الأُمَّةِ رُوحُ الإِخْتِلَافِ، وَرُوحُ الضَّعْفِ، حَتَّى يَتَسَلَّطَ عَدُوُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ.

هذا هو حال الأُمَّة.. حَيْثُ لَمْ تَتَّبِعِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ: وَإِنْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا اخْتَلَفَتْ كَلِمَتُكُمْ وَشَمِتَ بِكُمْ عَدُوُّكُمْ.

الصراط المستقيم هو الولاية

إنَّ كلَّ مسلمٍ مُصَلٍِّّ لله سبحانه وتعالى يطلب من ربه عزَّ وجلَّ كلَّ يومٍ أن يهديه للصراط المستقيم، عشر مرات أو يزيد، وفي هذا يتنافس المتنافسون، فيقولون: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿١﴾.

هي أكثر سورة تُتلى من كتاب الله كل يوم في مواعيد الصلاة وأوقاتها، لكن معظم المصلين يغفل عن معنى هذا الصراط، ويصير القرآن عندهم لقلقة لسان. ألم يقل النبي ﷺ: سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ^(٢). فماذا بقي من هذه الآية غير رسمها؟! حيث لم يعرف معناها معظم المسلمين، ولم يسلكوا صراط الله المستقيم، الذي لا ينفك عن اتباع عليّ عليه السلام، فأين معظم المسلمين اليوم من ذلك؟!

لقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه فسر الآية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بمعرفة الإمام فقال: الطَّرِيقَ وَمَعْرِفَةَ الْإِمَامِ.

وعنه في تفسير الصراط المستقيم: هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَمَعْرِفَتُهُ^(٣).

أما المغضوب عليهم ففسرها عليه السلام بـ (النُّصَابُ)، فمن ينزل عليهم غضب الله هم الذين نصبوا العداوة له عليه السلام، وأمّا الضالّين ففسرها عليه السلام بـ (الشُّكَاكُ وَالَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ الْإِمَامَ)^(٤).

هذان صنفان من الناس سوى الناصبي، فالناصب هو المغضوب عليه، وهذان الصنفان أحدهما يشك بالإمام والآخر لا يعرفه، وهما معاً من أهل الضلال، فصار الجاهل الذي لم يتبع الإمام ولم يسلك الصراط المستقيم قسيماً

(١) الفاتحة ٦-٧.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٣٠٨.

(٣) تفسير القمي ج ١ ص ٢٨.

(٤) تفسير القمي ج ١ ص ٢٩.

لِلنَّاصِبِي الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ.

ولقد أشار الله تعالى إلى الصراط المستقيم في آية أخرى بقوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾، وقد حدّته الآية جلياً ب (هذا).. لم تتركه صراطاً غير معروف، وأيّ صراط أعظم من صراط مَنْ قرّنه الله برسوله ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

وأيّ صراط أعظم من الذي قرّنه النبي بكتاب الله تعالى؟ حينما صار الكتاب والعتره حبلاً ممدوداً من السماء؟!!

وقد بين ذلك الصادق عليه السلام بقوله: نَحْنُ وَاللَّهُ سَبِيلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِ، وَنَحْنُ وَاللَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَنَحْنُ وَاللَّهُ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِمْ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَأْخُذْ هُنَا، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَأْخُذْ مِنْ هُنَاكَ، لَا يَجِدُونَ وَاللَّهُ عَنَّا مَحِيصاً^(١).

لذا قلنا في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ضَلَّ اللَّهُ وَأَضَلَّ مَنْ اتَّبَعَ سِوَاكَ، وَعِنْدَ عَنِ الْحَقِّ مَنْ عَادَاكَ.

هداية النبي للصراط المستقيم إذا صارت هدايته لولاية عليّ ابن طالب عليه السلام، لأنّها الطريق المستقيم التي من سلكها نجا، فكما لا يُكتفى بالتوحيد دون النبوة، لا يُكتفى بالنبوة دون الولاية.

قال الباقر عليه السلام: وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إِنَّكَ لَتَأْمُرُ

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٦٧.

بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَدْعُو إِلَيْهَا، وَعَلِيٌّ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ^(١).

كل هذا وأضعافُ أضعافه يكشفُ لنا أنَّ علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ والأئمةَ المعصومين هم الصراطُ المستقيمُ الذي أوجبَ اللهُ اتباعَهُ، هم الذين يوفِّقُ اللهُ المؤمنينَ لمعرفَتِهِمْ، فتَنَوَّرَ قلوبُ المؤمنينَ بذكرهم وذكرِ حديثهم ومعرفةِ أمرهم.

إذا تبين ذلك، نفتح بابين من محاور الاستقامة والانحراف:

أولهما: هل تشمل الاستقامة إثبات الحق بالباطل؟

ثانيهما: هل تشمل الاستقامة تثبيت الحق بالباطل؟

المحور الأول: هل تشمل الاستقامة إثبات الحق بالباطل؟

لما ثبت أن الإمام هو الصراط المستقيم، وأنَّ شيعته على هديهِ، حيث روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: إِنَّ النَّاسَ أَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً، وَإِنَّا وَشِيعَتُنَا هُدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ^(٢).

لَزِمَ أَنْ نَعْرِفَ:

هل توسَّل الإمامُ والشيعَةُ من بعده طُرُقاً غيرِ سُوِيَّةٍ لإثبات حقهم؟ أم أنه أُخِذَ في معنى كونهم (صراطاً مستقيماً) أن يكون الطريقُ لإثباتِ الحقِّ مستقيماً أيضاً ليتناسب مع الغاية الحقة؟ فيحصل التناسبُ والتناغمُ بين الغاية والأسلوب.

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٧٨.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٤٦.

هل يمكن أن نستثمر الكذب والتدليس والتلبيس في إثبات الحق؟

بين أيدينا رواية تنقل واقعة عظيمة تُبَيِّنُ منهج الأئمة عليهم السلام في ذلك، فقد روي أن رجلاً من أهل الشام ورد على إمامنا الصادق عليه السلام لينظر أصحابه، فطلب الإمام من الرواي (يونس بن عبد الرحمان) أن يخرج فينظر من يرى من المتكلمين الشيعة ليدخله، فهذا الشامي يطلب مناظرة الشيعة في حضرة الإمام.

أدخل (يونس) جملةً من المتكلمين كحمران بن أعين والأحول وهشام بن سالم وقيس بن الماصر، وما لبث أن ورد (هشام بن الحكم) وهو أول ما اختطت لحيته، فَوَسَّعَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَقَالَ: نَاصِرُنَا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ. وما أعظم هذا المديح والإطراء لهشام ناصر العترة.

ثُمَّ قَالَ: يَا حُمْرَانُ كَلِّمِ الرَّجُلَ، فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ حُمْرَانُ: أَيُّ غَلْبِهِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا طَاقِي كَلِّمَهُ فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ الْأَحْوَلُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا هِشَامَ بْنَ سَالِمٍ كَلِّمَهُ فَتَعَارَفَا: أَوْ تَعَارَكَا، أَيُّ لَمْ يَغْلِبْ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لِقَيْسِ الْمَاصِرِ: كَلِّمَهُ، فَكَلَّمَهُ، فَأَقْبَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَضْحَكُ مِنْ كَلَامِهِمَا مِمَّا قَدْ أَصَابَ الشَّامِيَّ: فَقَدْ حَارَ الرَّجُلُ فِي مَنَازِرَتِهِ لِقَيْسِ الْمَاصِرِ، فَبَعْدَمَا غَلْبَهُ اثْنَانِ وَتَسَاوَى مَعَ الثَّالِثِ جَاءَ قَيْسُ الْمَاصِرِ وَأَذْهَلَهُ فَضَحِكَ الْإِمَامُ مِنْ ذَلِكَ.

ثم قال الامام للشامي: كَلِّمْ هَذَا الْغُلَامَ، وَعْنِي بِهِ هِشَامُ ابْنُ الْحَكَمِ.

حاجَّ هِشَامُ ابْنَ الْحَكَمِ هَذَا الشَّامِيَّ، وَأَثْبَتَ لَهُ لَزُومَ الْإِمَامَةِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ

وحده لا يرفع غائلة الاختلاف دون إمام، ولما أراد الشامي معرفة الإمام عليه السلام أحاله هشام على الصادق عليه السلام فأخبره الإمام ببعض المغيبات: كيف كان سفره، وكيف كانت طريقه، ومن ثم أقر الشامي بإمامة الإمام وانتهت المناظرة معه، واتبع هذا الرجل الحق بعدما كلمه هشام وأظهر له الإمام ما يقطع به عذره.

كل هذا مقدمة لأمر في غاية الأهمية، حيث التفت الإمام عليه السلام إلى أصحابه وهم خمسة، غلب أربعة منهم الشامي وتساوى واحد منهم معه، وشرع الإمام في تقييم أصحابه وتقييم مناظرتهم.

تقول الرواية: ثُمَّ التَفَتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِلَى حُمْرَانَ فَقَالَ: تُجْرِي الْكَلَامَ عَلَى الْأَثَرِ فَتُصِيبُ: أَنْتَ يَا حُمْرَانُ تَحْتَجُّ بِالْأَثَرِ، وَلَعَلَّهِ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ، تَأْتِي بِأَثَرٍ بَعْدَ أَثَرٍ، فَتَتَوَالَى أَحَادِيثُكَ الَّتِي تَرْوِيهَا عَنِ الْمَعْصُومِ مَعْدَنَ الْحَقِّ، فَتُصِيبُ يَا حُمْرَانُ.

أقر الإمام فعل هذا الصحابي، لأن منطق مصيب مقتبس من حديث الأئمة عليهم السلام، وعدم قبول الشامي للحق حينها يعود لخلل عنده.

وَالْتَفَتَ إِلَى هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ فَقَالَ: تُرِيدُ الْأَثَرَ وَلَا تَعْرِفُهُ:

هشام هذا يريد أن يحتج على الشامي بالأحاديث، لكنه لم يكن عالماً بها، فلم يتمكن من إثبات الحق وإن رغب بذلك، فلم يكن أهلاً لينظر الشامي، لذا لم يتمكن من إثبات الحق أمامه فتعادلا.

مثل هذا كان حرياً به ألا يُنصَّب نفسه للكلام والمناظرة.

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْأَحْوَلِ فَقَالَ: قِيَاسُ رَوَاغٍ، تَكْسِيرٌ بَاطِلًا بِبَاطِلٍ، إِلَّا أَنْ بَاطِلُكَ أَظْهَرُ:

يريد الأحولُ أن يثبت الإمامة، والإمامةُ حقٌّ مطلق، لكنّه لم يتمكن من اثباتها بالحق، فلجأ إلى الأساليب الملتوية، حتى قال له الإمام: أنت تراوغ في حوارك وتقيس أمراً على أمر، والقياس ليس من الدين، بل به يُمحق الدين.

لعله يعتمد الحيلة والمكر فيكون فعله باطلاً، يريد أن يكسر باطلَ الشامي المخالف للإمامة، فانتهج طريقاً يتضمن باطلاً، وليس هذا طريق يرضى به الإمام عليه السلام، فقال له: قِيَاسٌ رَوَّاعٌ، تَكْسِرُ بِاطِلًا بِبَاطِلٍ.

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى قَيْسِ الْمَاصِرِ فَقَالَ: تَتَكَلَّمُ وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبْعَدُ مَا تَكُونُ مِنْهُ.

لا تكاد تصيب الحقَّ يا قيس حتى تُفسِّر الحديث تفسيراً لا يطابق المراد منه، لعل هذا هو مراد الامام عليه السلام من قوله، فكلما أردت يا قيس أن تحتجَّ بحديثٍ وقربت من مطلوبك أبعدك عنه عدم علمك وإمامك بقواعد فهم الحديث، أو بمراد النبي ﷺ، أو بلحن قولهم عليه السلام.

يكمل الامام عليه السلام: تَمَزُّجُ الْحَقِّ مَعَ الْبَاطِلِ، وَقَلِيلُ الْحَقِّ يَكْفِي عَنْ كَثِيرِ الْبَاطِلِ، أَنْتَ وَالْأَحُولُ قَفَّازَانِ حَاذِقَانِ.

لقد مَزَجَ قيس الحق بالباطل، وهذا قد نفعه في غلبة الشامي، لكنه ليس منهج أهل الصراط المستقيم، لأن منهجهم الذهبي عبر عنه الإمام عليه السلام بالعبرة المتقدمة: وَقَلِيلُ الْحَقِّ يَكْفِي عَنْ كَثِيرِ الْبَاطِلِ.

ثم قال عليه السلام: يَا هِشَامُ، لَا تَكَادُ تَقَعُ تَلْوِي رِجْلِكَ، إِذَا هَمَمْتَ بِالْأَرْضِ

طُرَتْ، مِثْلَكَ فَلْيُكَلِّمِ النَّاسَ، فَاتَّقِ الزَّلَّةَ، وَالشَّفَاعَةَ مِنْ وَرَائِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(١).
 هذا هو المؤهل ليكلّم الناس، الذي يكون موفقاً للتخلّص من الإشكالات بالحق، وإذا ما همّ بالوقوع طار، فليس كلُّ أحدٍ يقدر أن ينقل رسالة المعصومين، ويساهم في تشييد أركانها، فإنّ لذلك أهلاً وشروطاً، منها أن يتعلم علومهم الحقّة ويقتصر عليها دون أن يمزجها بالباطل قليلاً كان أو كثيراً، فإنّ قليل الحق يغني عن كثير الباطل.

ثم ينبغي بعد ذلك أن يتقي الزلّة، ويتنظر الشفاعة من وراء ذلك.
 ما أصعب هذا المنهج، منهج الإستقامة المطلقة، حيث تكون الغاية نبيلةً وساميةً، ويكون طريق إثباتها حقاً منزّهاً عن أدران الباطل، فليس للشيعيّ العاجز عن إثبات الحقّ بالحقّ أن يسعى لإثبات الحقّ بالباطل، وبالمراوغة والقياس.

فليصمت العاجز، وليترك الباب مفتوحاً أمام الآخرين الذين يقدرّون على ذلك.

إنّ الهدف النبيل دائماً ما يحتاج طريقاً مستقيماً، فقليل الحق يغني عن كثير الباطل.

المحور الثاني: هل تشمل الاستقامة تثبيت الحق بالباطل؟

هو سؤال قريبٌ من السؤال السابق، لكنّ الأول ناظرٌ إلى إثبات الحق،

(١) الكافي ج ١ ص ١٧٣.

والاستدلال عليه.. وهذا ناظرٌ إلى ما سواه، من طُرُقٍ يتم فيها تشييد أركان الحق وتقوية سلطانه.

فذاك بحث عقائديٌّ، وهذا بحثٌ سلوكيٌّ، وإن كانا من وادٍ واحد.

فهل لنا أن نستثمر الطرق الملتوية لإحقاق الحق؟

الغاية تبرر الوسيلة

هاهنا قاعدة معاصرةٌ شهيرةٌ استُفِدَتْ من كتابٍ للمفكر والفيلسوف والسياسي الإيطالي الشهير (نيكولو ميكافيلي) الذي عاش قبل خمسة قرون، وصارت هذه القاعدة أشهر من صاحبها، وعُرِفَتْ بـ (المبدأ النَّفْعِي الميكافيلي) وتُلَخَّصُها العبارة الأكثر شهرة: (الغاية تبرر الوسيلة).

وهي ترجع في حقيقتها إلى رأيٍ يقول أنه ينبغي النظر في الأمور لغاياتها وليس لوسائلها، ينبغي أن ننظر إلى الهدف وليس إلى الوسيلة، فما إن كانت الغاية شريفة حتى ساع لنا سلوك أي طريق للوصول إلى تلك الغاية الشريفة.

لقد أراد ميكافيلي صاحب هذه العبارة أو هذا المعنى الاستفادة منها في ما يخص مصلحة الدولة، إلا أنها صارت قاعدةً شهيرةً دخلت عالم الاقتصاد والدين والاجتماع، كما دخلت عالم السياسة وغيره.

وقد تَبَّهَ بعض المعاصرين الباحثين في الشأن الإسلامي إلى أن هذه القاعدة وإن اشتهرت عن ميكافيلي إلا أنَّها قاعدة معاوية ابن أبي سفيان، وأن معاوية هو الذي أسَّسها وشيَّد أركانها.

فهل كان معاوية فعلاً هو مؤسسها؟ هل كان يريد الحقَّ فعلاً ولكنه سلك

طرقاً باطلة لإحقاقه؟

وهل هذا هو حال الحركات السياسية الإسلامية المعاصرة؟ أنها تريد الحق لكنها تتبع طرقاً ملتوية لتحقيقه؟

وإن شئنا طرحنا السؤال بصيغة أخرى:

هل يكفي أن يكون الهدف شريفاً؟ أم لابد من أن يكون الصراط مستقيماً أيضاً؟

هل الغاية تبرّر الوسيلة؟ فيكفي أن تكون ساميةً كحفظ الدين، فلا نحتاج معها إلى سلوك الطريق المستقيم وسيلةً؟

هل لنا حينها أن نتوسل كلَّ سُبُلِ الحفاظ على الهدف النبيل حتى لو كانت طرقه ذات اليمين وذات الشمال؟!

هل ما انتهجته بعض التيارات الإسلامية السياسية سُنَّةً كانت أم شيعيةً هو منهج عليٍّ عليه السلام؟ أم منهج معاوية؟ أم منهج مفارق لهما؟

إبليس: لأقعدن لهم صراطك المستقيم

إن في كتاب الله آيةً تقشعر لها الأبدان، ينقل فيها الله تعالى كلمات إبليس اللعين حيث يقول: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا يَنصِتُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾.

أين المفرُّ من إبليس؟ ينتظرنا ليحرفنا عن الصراط المستقيم، ويأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا!

وإذا كان الصراط المستقيم هو عليٌّ والأئمة عليه السلام من ولده، فلا عجب أن

يفسّر الامام الصادق الآية بقوله عن الصراط: هو عليٌّ عليه السلام.

لكنّ أمراً في غاية الأهمية ينبّه إليه إمامنا الباقر عليه السلام حين يقول عن الآية: يَا زُرَّارَةُ إِنَّمَا صَمَدَ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ، فَأَمَّا الْآخِرِينَ فَقَدْ فَرَّغَ مِنْهُمْ^(١).

إنّ إبليس قد صمّد للشيعّة، لأنّ أمر الآخرين قد انتهى، فصاروا مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحِدْ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، فقد فرغ منهم حين انحازوا عن الصراط المستقيم وتجنّبوه، وسلكوا طريقاً آخر، وتفرّقت بهم الأسباب لما حادوا عن سبيل الله وصراطه.

وإذا كان إبليس قد فرغ من الآخرين، فهل يكون هؤلاء الآخرون مصداقاً لمن يريد إثبات الحق متوسلاً السُّبُل الخاطئة؟

أم أنّهم مصداق لقوله عليه السلام: لَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَاهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَذْرَكَه؟

ولقوله تعالى: ﴿ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾.

لقد قال بعض الباحثين المعاصرين: لم يكن الخليفة علي بن أبي طالب وشيعته بدهاء ومكر جبهة معاوية بن أبي سفيان، ومن يضمّ في مقدمة قاداته ودهاته كعمرو بن العاص، لذا خسر عليّ التحكيم (انتهى).

ولأمير المؤمنين عليه السلام كلمة خالدة تُكذّب هذه المقولة، حين قال عليه السلام: وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ!

يرى هذا الباحث أنّ معاوية كان أدهى من عليّ عليه السلام، لكنّ الأمر ليس

كذلك، حيث أن دهاء معاوية قائم على الغدر والفجور والمكر، والإمام يقول في نهجه: لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ولأن علياً عليه السلام يعتقد أن: الغالب بالشر مغلوب، فإنه يرى أن الغلبة ليست بالنصر الظاهري وحده، بل لا بُدَّ من أن تتم شروط هذا النصر، وأحد أهم أركانه أن تكون الغلبة بالحق لا بالباطل، وإلا كان الغالب مغلوباً، وهو يحسب نفسه غالباً.

عليّ عليه السلام هو صاحب الحق المطلق، لكنه لم يتوسل الغدر والفجور للحصول على حقه، لأنه يرى أن الغاية الشريفة تستدعي مقدمة وأسلوباً وطريقاً شريفاً، فهو إمام هذا المنهج، مقابل فتتين:

١. إحداها تنشد غاية شريفة بأسلوب باطل.

٢. وأخرى تروم غاية باطلة بطريق باطل.

على أن الأمر لم يبدأ من معاوية كما توهم المتوهمون، ولم يكن فعل معاوية من باب الغاية الشريفة التي تبرر الوسيلة.

فهو وأصحابه من أهل الطريق الآخر، الذين يطلبون الباطل بالباطل. ولم يكن هو بنفسه من خط هذا النهج ولا من أسسه، فقد سبقه إليه إبليس، لما أخرج آدم من الجنة، ثم جرى في أبناء آدم، واستمرت المسيرة.

كانت أهداف أكثر الأمم إبطال كلمة الحق، واستعمل الناس لأجل ذلك كل وسيلة، فلم يكن مراد غالب الناس الحق يوماً، لا مع نوح ولا مع إبراهيم ولا مع موسى ولا مع أنبياء بني إسرائيل المقتولين عليه السلام، ولا حتى مع عيسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومحاولتهم صلبه وتحريفهم لدينه، ولا حتى مع رسول الله ﷺ، منذ أن اجتمع أصحاب الصحيفة الملعونة واتَّفَقُوا على أن يزوروا الخلافة عن أهله، ولا حين الهجوم على الدار وغصب الخلافة وفدك.

كلا، لم يكن هؤلاء القوم من أهل الجهل، ولم تلبس عليهم المسائل، بل كانوا يعرفون ما يفعلون، حتى قال عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كلمته الشهيرة: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مُحَلِّي مِنْهَا مُحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى.

إنَّه يعلم ذلك، ويعلم ذلك الأولون جميعاً، فإنَّهم أصحاب الصحيفة والسقيفة! إنهم أول من دفع الأئمة عن مقامهم وأزاهم عن مراتبهم التي رتبَّهم الله فيها، وهم يعلمون من هم.. ثم ظلموا العترة وقتلوا الحسينين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فمن يشته عليه الأمر في سيد شباب أهل الجنة!!

قاتلوه واستحلُّوا دمه بغضاً منهم لأبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عَلِمَ القوم ما هم مُقَدِّمُونَ عليه، ألا لعنة الله على الظالمين.

اشترك الثلاثة ومن بعدهم معاوية ويزيد ومن تبعهم في أنهم يطلبون الباطل بالباطل، فليس الهدف سامياً إذًا، ولا المقاصد نبيلة، لذا أخطأ من ذهب إلى أن قاعدة هؤلاء تعتمد على مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة).

فليس هؤلاء كذلك، بل هم أسوأ من أصحاب هذه القاعدة، ومن تبعهم من تيارات تَسَمَّتْ بالإسلام، فليس هؤلاء من غاية شريفة.

إنَّهم مصداق من يريد إثبات الباطل بالباطل، ولئن كان اسم معاوية مقروناً بهذه القاعدة لما تميَّز به من غدرٍ ومكرٍ وخداعٍ كما في واقعة المصاحف وقضية

التحكيم، فإن معاوية الحاسد لآل محمد ﷺ بنصّ كلام أمير المؤمنين ﷺ يعلم الباطل، لقد طلب الباطل فأصابه.

حاله حال ثالث أنواع القضية الأربعة، كما يقول الإمام الصادق:
القُضَاءُ أَرْبَعَةٌ:

١. قَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ، فَهُوَ فِي النَّارِ.
٢. وَقَاضٍ قَضَى بِالْبَاطِلِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ بَاطِلٌ، فَهُوَ فِي النَّارِ.
٣. وَقَاضٍ قَضَى بِالْبَاطِلِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ بَاطِلٌ، فَهُوَ فِي النَّارِ.
٤. وَقَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ، فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ^(١).

هؤلاء جميعاً مصاديق لثالث القضية، قضوا بالباطل وهم يعلمون أنه باطل، وتوسلوا طرقاً باطلة لإثبات الباطل.. لذا صاروا أسوأ من على هذه الأرض.

ولمّا كانوا كذلك كان لعليّ ﷺ كلمة عظيمة يوجّهها لمعاوية، يقول فيها:
وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةَ، لَوْ تَرَحَّمْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، مَا كَانَ تَرْحُمِي عَلَيْكُمْ
وَاسْتَغْفَارِي لَكُمْ لِيُحَقِّقَ بَاطِلًا^(٢).

فلا يمكن لترحم أمير المؤمنين على هؤلاء أن ينقلهم من جانب الباطل إلى جانب الحق، فالباطل لا يصير حقاً!

معاوية هذا يشترك مع من وطأ له ظلم آل محمد ﷺ، وحمله على رقابهم، كما يشتركون معه في صفاته، تلك الصفات التي ذكرها أمير المؤمنين في كتاب إلى

(١) الخصال ج ١ ص ٢٤٧.

(٢) كتاب سليم ج ٢ ص ٧٧٠.

زياد ابن أبيه وقد بلغه أَنَّ معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه فقال عليه السلام :
وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَرْلُ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ، فَاحْذَرُهُ
فَإِنَّهُ هُوَ الشَّيْطَانُ، يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ^(١).

معاوية كالشيطان، قَعَدَا ونظائرهما صراط الله المستقيم، يأتون المؤمن من
الجهات الأربع، وههنا يُمتَحَنُ الإنسان في أيامنا:

١. هل يريد الحق ويسلك صراطاً مستقيماً للوصول إليه قولاً وفعلاً؟
 ٢. أم يريد الحق فيسلك سبلاً باطلاً في إثباته؟! فلعله يكون كالخوارج.
 ٣. أم يريد الباطل فيتلمس كل باطلٍ لتشيد أركانه؟
- ههنا يُمتَحَنُ الأفراد، وتُمتَحَنُ الدول والأنظمة المعاصرة، والأحزاب
والقوى، والتيارات المختلفة، حتى تلك التي ترفع لواء الاسلام ورايته.
أما السبيل الأول، فلن يتحقق بأبهى صورته إلا على يد المهدي عليه السلام، ويتبعه
شيعة في غيبته كلُّ بمقدار وُسْعِهِ وجهده.
وأما السبيلان الآخران، فيتنافس عليهما أهل الدنيا ومن تلبس بالدين
منهم.

نعوذ بالله من مضلات الفتن، ونسأله تعالى أن يثبتنا على الصراط المستقيم،
صراط عليّ وبنيه، قولاً وفعلاً، أسلوباً وهدفاً.
والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) نهج البلاغة ص ٤١٦.

(٢) ١٠ شهر رمضان ١٤٤١ هـ.

٢١. الإمامُ نظامُ الدين!

بسم الله الرحمن الرحيم

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للحسين عليه السلام قوله: أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم^(١). هي وصيةٌ تشملنا نحن الشيعة في زمن الغيبة أيضاً، فالأمير العطوف الشفيق الرحيم يوصي الأمة كلها كما يوصي ولديه المعصومين المطهرين الزكيين. أولى الوصايا هي تقوى الله: وما أعظمها من وصية لبلوغ رضا الرحمان، ذكرها الله سبحانه بهذا اللفظ وما يُشتق منه مئات المرات في كتابه، وهي خير زاد يتزود به الإنسان لمعاده.

ثاني الوصايا بعد تقوى الله: نظم أمركم.

فأي أمر هذا الذي يوصي الإمام بنظمه؟ وكيف للأمة أن تنظم أمرها؟! وما بال أمة خير الأنبياء والرسل مُذْ فارَقَهُمْ قد عجزت عن نظم أمرها، وتسافتت حتى رجعت إلى سابق عهدها؟

إذا كان المسلم يهتم بأمور المسلمين، فكيف لا يهتم بمصير أمة الإسلام؟

وكيف لا يهتم بمصيرهم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ومن قبله الله عز وجل؟!

لقد حذر الرسول الأمة مما يهدم قواعد الإسلام من أساسه، حينما قال صلى الله عليه وآله: مَا وَلَّتْ أُمَّةٌ أَمْرَهَا رَجُلًا وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، إِلَّا لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ يَذْهَبُ

(١) نهج البلاغة الرسالة ٤٧.

سَفَالاً، حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى مَا تَرَكُوا^(١).

في رواية أخرى: حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى مِلَّةِ عَبْدَةِ الْعِجْلِ.

ولاية أمر الأمة إذاً، هي التي يحصل بها نظم أمرها، وهي التي أوصى بها الإمامُ وَمِنْ قَبْلِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وينبغي أن يختص بها الأعلام من هذه الأمة، وإلا تسافت.

فحين يتصدّر الجاهل ويُقصي العالم، وحين يُزوي القادرُ الخير، والعالمُ البصير، تتخلفُ الأمة وتتسافل، وترجع إلى مِلَّةِ عبدة العجل، كما رجعت أمة موسى ﷺ إلى عبادة عجّلها، وكما عَبَدَت هذه الأمةُ عَجَلاً آخر بعد نبيّها!

إنما يبدأ نظم الأمر من رأس الهرم، فينبغي أن يكون رأس الأمة وقائدها وسائسها أعلم مَنْ فيها، وَمَنْ أعلم منك يا عليّ بن أبي طالب؟!

مَنْ قرنوا بك يا علي؟! وما هو مبلغ علمهم؟!

فكيف لا تنحدر هذه الأمة في وديان الجهالة والضلالة؟!

إن لمن يريد تولي أمر الأمة صفاتٍ يذكرها الإمام الرضا ﷺ حين يقول في حديثه المعروف^(٢):

الإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُبَرِّأُ عَنِ الْعُيُوبِ: عَصْمَةٌ وَكَمَالٌ يَفْتَقِدُهُ كُلُّ مَنْ تَوَلَّى أَمْرَ الْأُمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِوَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ.

الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ، الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ: خَصِيصَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى خَصَّ بِهَا

(١) الأماي للطوسي ص ٥٦٠.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٠٠.

الإمام بعد النبي، وراثته من رسول الله ﷺ، بالعلم كله، فالله تعالى لا يجعل خليفة في أرضه وسمائه إن سُئِلَ قال لا أعرف.

نظام الدين: الإمام هو نظام الدين، فإذا سلبت الدين نظامه انفرط عقده، وهُدِمت قواعده، واجتثت أركانه.

الإمام نظام الدين لأنه العالم بمواضع الأمور، والقادر على نظم أمور الأمة في معاشها ومعادها.

وعز المسلمين: لقد أعز الله الناس بمحمد ﷺ لما أسلموا على يديه، وبعلي عليه السلام لما رفع راية الإسلام خفاقة في أيام النبي ﷺ.

بالنبي كان عز المسلمين، وبالإمام بعده.. فأئ عز للمسلمين سيبقى فيما لو سلب عزهم عليه السلام؟ ونحى إمامهم عن منصبه، وزوي عن حقه وإرثه.

بهذا يرجع المسلمون أذلاء يتخطفهم الناس.. أليس هذا هو حالنا مُد تَقَمَّصها ابن أبي قحافة؟ وهو يعلم أن محل علي منها محل القطب من الرحي.

وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين: من الذي يقدر على معرفة المنافق وتمييزه؟ إن المنافق يُبطن ما لا يُظهر، فمن يعرف حقيقته غير الإمام؟ وكم يغتاز المنافق إذا ما كان ورقة مفتوحة أمام الإمام؟!

الإمام بوار الكافرين، فمن الذي أهلك الكفار في بدء الدعوة كي يهلكهم في لاحق الأيام غير الإمام المتّصف بالكمال؟ فحفظ للإسلام عزه ومجده.

إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين: يُعبر الإمام هنا تعبيراً مختلفاً، فهناك كان التعبير (الإمام نظام الدين)، وهنا: (الإمامة زمام الدين): الإمام إذاً

هو القِيَم على الدين، فهل يمكن نَظْم الأمر بغير القِيَم؟ بغير من كان (نظام المسلمين)؟ فما بالك لو صار هذا الدين خالٍ مَمَّن يمسك بزمامه! وما حاله لو اسْتُلبَ حقُّ الإمام؟

لقد أعرضت الأمة عن وصية الله والرسول والإمام، فخسرت صلاح أمرها، في الدنيا قبل الآخرة.

يقول عليه السلام عن الإمام أنه:

صَلَاحُ الدُّنْيَا وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ: لم يبقَ لدُنْيَانَا من صلاحٍ لَمَّا مُنِعَ الإمام حَقَّهُ، ولم يبقَ للمؤمنين من عِزٍّ ظاهر.

ألم يقل الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ لِلْحَقِّ دَوْلَةً وَلِلْبَاطِلِ دَوْلَةً، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي دَوْلَةِ صَاحِبِهِ ذَلِيلٌ^(١).

أليست دولتهم عليهم السلام هي آخر الدُّول؟ كما قالوا..

لقد صار المؤمن ذليلاً في دولة الباطل التي نعيشها، وفقد المؤمنون عزهم بفقدتهم لإمامهم.

إِنَّ عِزَّةَ نَفْسِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا تُفْقَدُ، لَكِنَّ الْعِزَّ الظَّاهِرَ قَدْ سُلِبَ.. وصلاح الدنيا قد فُقد.

يقول عليه السلام: إِنَّ الْإِمَامَةَ أَسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي وَفَرْعُهُ السَّامِي: وأُسُّ الشَّيْءِ أَصْلُهُ.. فكيف تكون الإمامة أصل الإسلام وفرعه معاً؟ أتجتمع هاتان الصفتان في شيء واحد؟

إن الفرع من كل شيء هو أعلاه أيها الأحبة، فلا يُرادُ منه الشيء المتفرع كفروع الشجرة، بل يُرادُ أرفع ما في الشيء وأسمى ما فيه وأعلاه. فالإمامة أصل الإسلام النامي، وأعلى ما فيه.. وهو الفرع السامي.

لماذا صار الإمام نظام الدين؟

لقائل أن يقول:

لماذا صار الإمام نظام الدين؟ بل بماذا صار كذلك؟ وما هي الصفات التي ينبغي توفرها فيمن يؤدي هذا الدور ويتسّم هذا المنصب؟ وأنتم تعدّونه منصب الخلافة الإلهية على الأرض؟ بل في عالم التكوين! أليس علينا أن نبحت عن تنوُّف فيه صفات الكمال والكفاءة بأعلى مراتبها؟

لقد احتجَّ أمير المؤمنين عليه السلام على معاوية بأن الله كفى الأمة أمر اختيار الإمام حيث اختاره تعالى لهم وجعله إماماً.

يصعب على الأمة أن تعرف إمامها لولا اختيار الله له، ولكن.. لو قدَّر للأمة أن تختار إمامها، ولو كان الاختيار بيدها وأرادت نظم أمرها بنفسها.. أليس عليها أن تختار الأكمل أيضاً؟

يذكر الإمام بعض الصفات التي ينبغي توفرها فيمن تختاره الأمة عليها إماماً لو لم يكن الله تعالى قد اختار لها إماماً فيقول عليه السلام:

إماماً عفيفاً عالماً ورعاً، عارفاً بالقضاء والسنة، يجمع أمرهم، ويحكم بينهم،

وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ حَقَّهُ، وَيَحْفَظُ أَطْرَافَهُمْ، وَيَجِبِي فِيئَهُمْ، وَيُقِيمُ حِجَّتَهُمْ
وَجُمُعَتَهُمْ، وَيَجِبِي صَدَقَاتِهِمْ^(١).

هي صفاتٌ يصعب الإحاطة بها.. لكننا لا نعدم علائقها..
نفتش بطون الكتب والتاريخ.. لنرى تجليها بأبهى صورها في أمير المؤمنين
عليه السلام وبنيه دون سواهم.
عَفِيفاً عَالِماً: نَمُرُّ سَرِيعاً عَلَى هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، وَنَكْتَفِي بِهِمَا، وَنَحْنُ نَحَاوُلُ
أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْهُمَا فِي عَصَرِنَا هَذَا..

عِفَّةُ الْإِمَامِ

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي إِمَاماً لِحَلْقِهِ، فَفَرَضَ عَلَيَّ التَّقْدِيرَ فِي
نَفْسِي وَمَطْعَمِي وَمَشْرَبِي وَمَلْبَسِي كَضَعْفَاءِ النَّاسِ، كَيَّ يَقْتَدِيَ الْفَقِيرُ بِفَقْرِي، وَلَا
يُطْنِي الْغَنِيِّ غِنَاهُ^(٢).

أَيُّ عِفَّةٍ عُرِفَتْ عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ يَا إِمَامَ الْخَلْقِ.. لَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ إِمَاماً
لِحَلْقِهِ، فَلَسْتَ إِمَاماً لِلنَّاسِ فَقَطْ، أَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي عَالَمِ التَّكْوِينِ بِأَسْرِهِ.. أَنْتَ
الْإِمَامُ، وَالْوُجُودُ بِأَسْرِهِ مَأْمُومٌ.. فَالْوُجُودُ تَبَعٌ لَكَ! وَقَدْ وَلَّاكَ اللَّهُ عَلَيْهِ! لِأَنَّكَ
خَيْرٌ مِنْ يَمْتَثِلُ أَمْرَهُ.. وَلَكِنَّكَ عِشْتَ كَأَفْقَرِ النَّاسِ، كَيَّ يَقْتَدِيَ الْفَقِيرُ بِفَقْرِكَ،
وَيَتَوَاضَعُ الْغَنِيُّ لِمَا يَرَى أَنَّ أَعْظَمَ مَنْ عَلَيْهَا هُوَ أَكْثَرُهُمْ تَوَاضِعاً.

يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ عَفِيفاً.. فَهَلْ مِنْ عِفَّةٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ؟ حِينَ عَفَّ عَنْ

(١) كتاب سليم ج ٢ ص ٧٥٢.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤١٠.

الدُّنيا بما فيها!

علمُ الإمام

لكن.. هل تكفي العفة وحدها؟ أم لا بدَّ من أن تقترن بالعلم كما قال عليه السلام:
عَفِيفاً عَالِماً؟

ههنا قصة في غاية الطرافة على عظيم شأنها..

لقد رأى بعض من لم يكن له نصيبٌ من العلم سيرةَ أمير المؤمنين عليه السلام هذه،
فظَنَّ أَنَّهُ هو أيضاً مُكَلَّفٌ بأن يكون مثله في ذلك، ولعلَّه تَوَهَّمَ أَنَّهُ قد يزيّدُ في فعّاله
عَمَّا فعله الإمام.

فهذا عاصم بن زياد فيما روي لِبَسَ العباء وترك الملاء.. تَرَكَ الثَّيَابَ اللَّيْنَةَ،
فجاء أخوه يشكوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أَنَّهُ قَدْ غَمَّ أَهْلَهُ وَأَحْزَنَ وَلَدَهُ بِذَلِكَ!
تجاوزَ عاصمُ الحدَّ، فجيء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام: فَلَمَّا رَأَاهُ عَبَسَ فِي وَجْهِهِ:
الإمام البشوش عَبَسَ في وجه عاصمٍ لعظم ما ارتكبه!
فَقَالَ لَهُ:

أَمَّا اسْتَحْيَيْتَ مِنْ أَهْلِكَ؟

أَمَّا رَحِمْتَ وَلَدَكَ؟

أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَخَذَكَ مِنْهَا؟

أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

أَتَظُنُّ يَا عَاصِمُ أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الْحَلَالَ لَكِي تَتَجَنَّبَهُ؟!

أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ لَكَ أَنْ تَسْتَفِيدَ مِنْ نِعْمِهِ؟!

حاشا لله ذلك.. ثم يقول عليه السلام:

فَبِاللَّهِ لَا بُدَّ أَلْ نِعَمِ اللَّهِ بِالْفَعَالِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ ابْتِدَآلِهَا بِالْمَقَالِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُحَدِّثَ الْعَبْدَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ بِلِسَانِهِ، لَكِنَّ بَذَلَ النِّعْمَةِ بِالْفِعَالِ أَحَبُّ مِنْ بَذْلِهَا بِالْمَقَالِ.. أَيَّ أَنَّ الْإِنْفَاقَ عَلَى النَّفْسِ، وَالتَّوَسُّعَ عَلَى الْعِيَالِ، وَتَرْكَ التَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ، أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ إِظْهَارِ النِّعْمَةِ بِاللِّسَانِ.

فَالْفِعْلُ أَبْلَغُ فِي التَّعْبِيرِ مِنَ الْقَوْلِ.

فَقَالَ عَاصِمٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَلَى مَا اقْتَصَرْتَ فِي مَطْعَمِكَ عَلَى الْجُشُوبَةِ وَفِي مَلْبَسِكَ عَلَى الْخُشُونَةِ؟

من ها هنا تؤتى الشبهات، فقد قاسَ عاصمُ أميرَ المؤمنين على نفسه، دون أن يسمعَ منه أمراً بذلك، ولعله قد سمع آيات الكتاب وأحاديث الإمام التي تحثُ على التزُّين والتجمل، وعلى استغلال النعم الإلهية واستثمارها فيما يرضي الله سبحانه، وعلى إظهارها، لكنَّه خالفَ ذلك كله، لما رأى أميرَ المؤمنين عليه السلام على نهجٍ خاص، فأراد أن ينتهج نهجاً خاصاً أيضاً مخالفاً أمر السماء.. بل أراد أن يحتجَّ على أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: فَعَلَى مَا اقْتَصَرْتَ فِي مَطْعَمِكَ عَلَى الْجُشُوبَةِ؟!

قال له الإمام حينها:

وَيْحَكَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ عَلَى أُمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَّبِعَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ.

لقد رحم الله تعالى الفقير، فأمرَ أكملَ النَّاسِ أن يواسوه بأنفسهم، لئلا

يتهيّج به الفقر، ولا يتألّم من فقره.

هو حُكْمٌ خاصٌّ بإمام الأُمّة، يساوي فيه الإمامُ نفسه بأضعف الناس، والجهلُ بذلك أودى بعاصمٍ إلى معصية الله، وإلى أذية أهله، لكنّ الإمام عليه السلام، العفيف العالم، بيّن له السرّ في ذلك: فَالْقَى عَاصِمُ بْنُ زِيَادٍ الْعَبَّاءَ، وَلَبَسَ الْمَلَأَ^(١). ليس هذا الحديثُ عن علم السماء والأرض، بل حديثٌ عما قد يُبتلى به الإنسان المؤمن كلّ يومٍ من أيّامه.

فقد يظنُّ مؤمنٌ أنّ الزُّهدَ هو ترك الطيبات التي أنزلها الله لعباده، وأنه يعني لبس الخشن وصعوبة الحياة حصراً.

ولكن.. عِنْدَ عَلِيٍّ يَجْتَمِعُ الْعِلْمُ مَعَ الْعِفَّةِ، وسائر صفات الكمال، التي بها صارَ إماماً.. هادياً الناس إلى الصراط المستقيم.

هذا نَزَرٌ يسيرٌ من علم عليّ عليه السلام، وكلّما طرقت باباً وجدت بحارَ علم عليٍّ سَبَاقَةً فيه.

هاتان صفتان من صفاته، حارَ فيهما الناس.. ولقد كان من سائر صفات الإمام:

عَارِفًا بِالْقَضَاءِ وَالسُّنَّةِ، يَجْمَعُ أَمْرَهُمْ وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ: فمن أعرف من عليٍّ؟! ومَن جامع الكلمة على التقوى سواه؟ لو أطاعوه..

(١) الكافي ج ١ ص ٤١١.

عليٌّ في كلام الرسول

لئن خفيَ على أحدٍ شخص الإمام، الذي يأخذ للمظلوم حقه من الظالم، فما عليه إلا أن يحتكم إلى كلام رسول الله ﷺ.

ولقد فتح النبيُّ باب تشخيص الإمام جلياً بقوله: **إِنْ تَسْتَخْلِفُوا عَلِيًّا - وَمَا أَرَاكُمْ فَاعِلِينَ - تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، يَحْمِلُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ^(١).**

لقد جعل الله علياً خليفةً له، وأنتم أيها الناس بين خيارين:

١. إما أن تستخلفوه، أي تقبلوا بجعل الله له خليفةً.

٢. وإما أن ترفضوه، وهو ما حصل.. حينما ردَّ الناس أمر الله فيه ﷺ.

ولو أنكم استخلفتموه فأطعتم الله لكان خيراً لكم، لكن نفوسكم تستصعب المحجَّةَ البيضاء، ولا تقرُّ بالحقِّ لأهله.

لقد كان حديثُ النبيِّ هذا قبل رفضهم استخلاف الله لأمر المؤمنين ﷺ، ولقد كان له ﷺ حديثٌ بعد سلب الحق فقال:

أَيُّهَا الْأُمَّةُ الْمُتَحِيرَةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا، أَمَّا إِنَّكُمْ لَوْ قَدَّمْتُمْ مَنْ قَدَّمَ اللَّهُ، وَأَخَّرْتُمْ مَنْ أَخَّرَ اللَّهُ، وَجَعَلْتُمْ الْوِلَايَةَ وَالْوَرَاثَةَ حَيْثُ جَعَلَهَا اللَّهُ، مَا عَالَ وَلِيُّ اللَّهِ!
هكذا كان يُحدِّثهم ﷺ بآثار أفعالهم.

تشكو هذه الأمة من الفقر والمصائب والتشتت والتمزق، ولو أطاعت الله في عليٍّ لما احتاج وليٌّ من أولياء الله لشيءٍ أو لأحد!

(١) مناقب آل أبي طالب ﷺ ج ٣ ص ٨٣.

وَلَا طَاشَ سَهْمٌ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، وَلَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ فِي حُكْمِ اللَّهِ: وكيف تضيع فرائض الله لو كان عليٌّ ولياً عليها؟ وكيف يختلف الناس في حكم الله إذا كان المتصدّي لبيانه هو العالم بتعليم الله، والحاكم بقضاء الله؟

وَلَا تَنَازَعَتِ الْأُمَّةُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا عَلِمَ ذَلِكَ عِنْدَنَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: إذا كان الحاكم والمتمكّن من رقاب الأمة هو العالم فلماذا التنازع؟ إنها يحصل التنازع بين غير الكمّل، ولو ردّوه الى العالم لحكّم العالم بينهم بالحق، والعالم عالم بالكتاب، الذي فيه تبيان كل شيء، وبيده رفع غائلة اختلاف الأمة لو قبلته.

لكنهم جحدوا حقّه.. فقال لهم: فَذُوقُوا وَبَالَ مَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ^(١).

وها هي الأمة تجني ثمار ما فعلت.. لقد أطبقت الأمة على تأخير من قدّم الله فأصابها خزيٌّ وعار.

ولكن.. لماذا رفضت الأمة الإمام؟ هل كان فيه نقصٌ وعيبٌ؟ حاشاه..

هل كانت تسعى لإمام أكمل منه وأعظم؟

كلمات الزهراء تكشف عن حقيقة القوم، في وثيقة خالدة الى آخر الدهر، فقد قالت عليها السلام: مَا الَّذِي نَقَمُوا مِنْ أَبِي حَسَنِ؟ نَقَمُوا - وَاللَّهِ - مِنْهُ شِدَّةَ وَطْأَتِهِ وَنَكَالَ وَقْعَتِهِ، وَنَكِيرَ سَيْفِهِ، وَتَبَحُّرَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَتَنَمُّرَهُ «غضبه لله» فِي ذَاتِ اللَّهِ.

إنما كانت نقمتهم عليه لاستقامته! وصلاحه! وشدّته في ذات الله! فهو الوديع الذي يألّف ويؤلّف في أيامه، لكنه الغضوب في ذات الله.

لقد حسدوه على تبخّره في كتاب الله! ألا يحسد الجاهل العالم؟ سيّما لو كان

الجاهل عديم الغيرة، سيء النفس، ذنبيها.

ثم قالت عليها السلام: «وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ تَكَافَوْا «كفوا أيديهم» عَنْ زِمَامٍ نَبَذَهُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ لَا عَتَلَقَهُ «اخذه بيده» ثُمَّ لَسَارَ بِهِمْ سَيْرًا سُجْحًا «سهلاً».. وَلَا نَفْتَحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَكِنَّهُمْ بَعَوْا فَسِيًّا أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^(١)».

لم يكف هؤلاء أيديهم عن زمام نبذه رسول الله إلى علي.. فما هو هذا الزمام؟

إنه زمام الإمامة.. الإمامة زمام الدين كما عبر الإمام الرضا عليه السلام.. وهو الذي نبذه له رسول الله صلى الله عليه وآله، حين نصبه إماماً بأمر الله، لكنهم تطاولوا وسلبوه.. ولم يقبلوا أن يسير بهم على صراط الحق.. فحرموا أنفسهم من بركات السماء ببعيهم.

ثم قالت عليها السلام: «أَبْشُرُوا بِسَيْفٍ صَارِمٍ، وَهَرَجٍ شَامِلٍ، وَاسْتَبْدَادٍ مِنَ الظَّالِمِينَ، يَدْعُ فَيْئَكُمْ زَهِيدًا، وَجَمْعَكُمْ حَصِيدًا، فَيَا خُسْرَى لَكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ وَقَدْ عَمِيَتْ عَلَيْكُمْ؟ أَنْزَلُكُمْ مُكْمُوها وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ؟!»

هل من كلمات تُصَوِّرُ واقع الأمة أبلغ من هذه الكلمات؟! مُذْ غُصِبَتِ الخلافة حتى ظهور الحجة؟! عمى يعقبه خسرانٌ مبینٌ في الدنيا والآخرة.

لقد صارت كل هذه المعاني راسخة في عقول الشيعة وقلوبهم، كما في رواياتهم وتراثهم، وفكرهم ونهجهم.

فكل حرمانٍ تتعرض له البشرية، وكل ظلم يقع على الأمة اليوم، يرجع إلى

(١) دلائل الإمامة ص ١٢٧.

غضب الخلافة. وكلُّ بركة تُرفعُ من الأرض يتحمل وزرها الأوَّل.. وأتباعهم.. ولكن..

كيف وصلت الأمة إلى هنا؟ وما كانت الحُجَّةُ في سلب زمام الإمامة؟
لقد تحجج بعضهم بأن لهم عقولاً تُخَوِّهُم أن يختاروا إماماً من أنفسهم..
لكن كذَّبَتْهم هذه العقول.

وقد وصف الإمام هذه العقول بأنها حائرة باثرة ناقصة..

يقول الإمام الرضا عليه السلام:

رَأَمُوا إِقَامَةَ الْإِمَامِ بِعُقُولٍ حَائِرَةٍ بَائِرَةٍ نَاقِصَةٍ: فهي أعجز من أن تعرف
صلاح أمرها فضلاً عن صلاح أمة الإسلام.

وَأَرَاءٍ مُضِلَّةٍ: لأنه ليس بعد الهدى إلا الضلال.. فمن رغب عن الهدى
غرق في بحور الضلال مهما نَمَّقَ رأيه وكلامه.

فَلَمْ يَزِدْ أَدْوَامُهُ إِلَّا بُعْدًا، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ، وَلَقَدْ رَأَمُوا صَعْبًا وَقَالُوا
إِفْكَاءً، وَضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا، وَوَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ إِذْ تَرَكُوا الْإِمَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ: ليس
غُصَّابُ الخلافة من أهل الجهل، إنَّهم يعلمون أنه إمامٌ مفترض الطاعة، وقد
تركوه عن بصيرة، بصيرة بأنهم انتقلوا من الهدى إلى الضلال! بصيرة بأنهم سلبوا
الحق أهله.. وليس بعد ذلك إلا الحيرة.

وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ: لقد
استبصروا بمحمد صلَّى الله عليه وآله، ثم ارتدوا بعد ما صَدَّهُمُ الشيطان عن السبيل.

رَغِبُوا عَنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ وَاخْتِيَارِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ،

وَالْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾.
فكيف يُرْتَجَى الخير لمن زهد في اختيار الله؟ وَرَدَّ أَعْظَمَ فَرِيضَةٍ فِي الْأُمَّةِ،
وَحَارَبَ اللَّهَ فِي أَسْسِ دِينِهِ وَأَسَاسِهِ، فِي الْإِمَامَةِ الشَّرِيفَةِ.
حَرَّيْتُ بِالْأُمَّةِ أَنْ تَأْخُذَ حَقَّهَا مِنْ هَؤُلَاءِ.. وَحَقَّ لِلْأُمَّةِ أَنْ يَأْخُذُوا حَقَّهُمْ
مِنْهُمْ وَمِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُتَخَاذِلَةِ، وَسَيَأْتِي ذَلِكَ الْيَوْمَ حَيْثُ تَقْرَأُ عَيُونَ الْمُؤْمِنِينَ.
جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْ أَتْبَاعِ مَنْ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَعَجَّلَ فِي فَرْجِ وَلِيهِمْ.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١).

٢٢. الأئمة مختلف الملائكة!

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام السجّاد عليه السلام: مَا يَنْقُمُ النَّاسُ مِنَّا؟ فَنَحْنُ وَاللَّهُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ^(١).

يتحدّث الإمام هنا عن ظلامَةٍ وقعت على آل محمد عليهم السلام، والظلامَة هي نقمةُ الناس منهم!

ولكن.. علام تنقم الأمة من شجرة النبوة؟ لولا نقمتها على النبي صلّى الله عليه وآله؟!
علام ينقمون من بيت الرحمة؟

ألا ينبغي أن يُعزّزَ هذا البيت ويكرّم؟ ويُرفع قدره وشأنه؟ وأهلُه معدنُ العلم والتّقى..

لكنّ الناس نقموا من أهلِه! وهم أيضاً: مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ..
هو لفظٌ أطلق في رواياتٍ متكرّرة على المعصومين عليهم السلام.
فما المراد منه؟

إنّ الاختلافَ في اللّغة هو (التردّد)، وكأنّ المراد به هو كثرةُ الزيارة، فكانت الملائكة كثيراً ما تزورهم في حياتهم، كما لا زالت تزور مراقدهم المطهّرة ف: مَا يَنْ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِلَى السَّمَاءِ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ^(٢).

(١) الكافي ج ١ ص ٢٢١.

(٢) كامل الزيارات ص ١١٤.

ههنا محوران:

المحور الأول: ما حقيقة اختلاف الملائكة إليهم؟ وما الفضل في ذلك؟ فإنَّ الملائكة تفرشُ أجنحتَها حتى لطالب العلم؟
والمحور الثاني: ما قصةُ غلوِّ الناسِ بالملائكةِ والنبينِ والأوصياءِ الطاهرين؟

المحور الأول: بماذا تختلف الملائكة؟ وما الفضل في ذلك؟

لقد وردَ أنَّ بيوتَ الأئمةِ عليهم السلام مهبطُ الملائكةِ، وأنها تزاحمهم على نمارقهم، وتحضرُ مواعِدَهم، وتصافحهم على فرشهم وتطوُّها، بل تتعفَّرُ بها، وأنهم عليهم السلام يوسِّدونَ الملائكةَ في منازلهم، وأنَّ الملائكةَ تقلُّبُ أجنحتَها عليهم، وتمرُّ بأجنحتَها على رؤوسِ صبيانهم، وأنها ألطفُ بصبيانهم منهم عليهم السلام، وأنَّ ريشها وفضل زغبها في بيوتهم.. وغيره مما دلَّت عليه النصوصُ المباركة.

ولقائل هنا أن يقول:

ما الفضل في ذلك؟ أما رويتم: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِهِ؟

وأن: مَلَكَ الْمَوْتِ يَتَصَفَّحُ وُجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِنْدِ حُضُورِ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ؟

أما رويتم عن علي عليه السلام قوله: لِلْمُصَلِّي ثَلَاثُ خِصَالٍ:

١. مَلَائِكَةٌ حَافِينَ بِهِ مِنْ قَدَمَيْهِ إِلَى أَعْنَانِ السَّمَاءِ.

٢. وَالْبَرُّ يَنْتَثِرُ عَلَيْهِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِهِ.

٣. وَمَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ^(١).

الملائكة إذا تحفُّ المؤمن المصلي، وتضع أجنتها لطالب العلم، فما هي الخصوصية في الامام حتى صار مختلف الملائكة؟

لنا أن نجيب: بأن نزول الملائكة ليس على منوال واحد، ولا على شكل وصنف فارد، فمن خصوصيات الإمام عليه السلام أن كل أمر من الله تعالى يهبط من السماء الى عالم الوجود وينزل به الملك إنما يهبط به إلى الإمام عليه السلام ويعرضه عليه. يقول الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام:

مَا مِنْ مَلَكٍ يُهْبِطُهُ اللَّهُ فِي أَمْرٍ إِلَّا بَدَأَ بِالْإِمَامِ فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَإِنْ مُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ^(٢).

نفى يعقبه استثناءً فيفيد الحصر، إذ كل أمر ينزل من السماء يبدأ نزوله إلى الإمام عليه السلام، فمنهم البدء إذاً، حيث يعرض عليهم ما يهبط به الملائكة قبل أن يصل لسائر الناس، فتقدموا بذلك على الناس في معرفتهم بكل ما يهبط به الملائكة من أمر الله تعالى، فيما جهل الناس ذلك.

والملائكة تنزل اليوم على صاحب الأمر منهم، الولي الغائب الحجة عليه السلام، وقد ورد في زيارتهم عليهم السلام: إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ، وَتَصْدُرُ مِنْ

(١) المحاسن ج ١ ص ٥٠.

(٢) بصائر الدرجات ج ١ ص ٩٥.

بُيُوتِكُمْ.

ليس الهبوط لمجرد الاطلاع، بل إِنَّ الأمرَ يصدر من بيتِ الامام عليه السلام، بعدما ينزل به الملك من السماء.

لقد تقدّم الإمام إذاً على كل الخليفة تقدّم الإمام على مأمومه، تقدّم العالم على الجاهل، والوسيلة على من يحتاجها، والفاضل على المفضول، والسيد على عبده في الطاعة.

فإن كنا تبعاً لهم لا يكون حينها نزول الملائكة على المصلي منا كنزولها على الإمام، وهي التي تأتي الإمام لتصلي معه.

يقول أبو عبد الله الصادق عليه السلام: وَتَأْتِينَا فِي وَقْتِ كُلِّ صَلَاةٍ لِتُصَلِّيَهَا مَعَنَا. وَمَا مِنْ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَيْنَا وَلَا لَيْلٍ إِلَّا وَأَخْبَارُ الْأَرْضِ عِنْدَنَا، وَمَا يَحْدُثُ فِيهَا، وَمَا مِنْ مَلِكٍ يَمُوتُ فِي الْأَرْضِ وَيَقُومُ غَيْرُهُ إِلَّا وَتَأْتِينَا بِخَبَرِهِ، وَكَيْفَ كَانَ سِيرَتُهُ فِي الدُّنْيَا.

أخبار الأرض كلها عندهم.. فَمَنْ يُقَرِّنُ بِهِمْ؟ ومن يسمو لمنزلتهم؟
تصلي الملائكة معهم.. وقد صلت من قبل خلف رسول الله صلى الله عليه وآله عندما عرج به إلى السماء، فقدّمه جبرائيل للصلاة بهم بعد أن طال شوقهم إليه، يقول صلى الله عليه وآله: فَصَلَّيْتُ بِسَبْعِينَ صَفًّا.. الصَّفُّ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ.

سَلَّمَ الملائكة على النبي بعد صلاته بهم، وأظهروا أن لهم حاجة، يقول صلى الله عليه وآله: قُلْتُ: مَا حَاجَتُكُمْ (يا) مَلَائِكَةَ رَبِّي؟

قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْأَرْضِ فَأَقْرِئْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ مِنَّا السَّلَامَ، وَأَعْلِمْهُ بِأَن قَدْ طَالَ شَوْقُنَا إِلَيْهِ!

هكذا تشتاق الملائكة للنبي والإمام عليه السلام، فتنزّل إليهم وتصلّي معهم..

وكيف لا تشتاق لمن تعلمت منهم التّسبيح والتحميد والتهليل والتكبير؟

ألم تقل الملائكة لهم عليهم السلام: كُنَّا نَمُرُّ بِكُمْ وَأَنْتُمْ تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ وَتُهَلِّلُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتُجَدِّدُونَ وَتُقَدِّسُونَ، فَنُسَبِّحُ وَنُقَدِّسُ وَنُجَدِّدُ وَنُكَبِّرُ وَنُهَلِّلُ بِتَسْبِيحِكُمْ وَتَحْمِيدِكُمْ وَتَهْلِيلِكُمْ وَتَكْبِيرِكُمْ وَتَقْدِيسِكُمْ وَتَجْدِيدِكُمْ، فَمَا نَزَلَ مِنَ اللَّهِ فَالْيَكُمُ، وَمَا صَعِدَ إِلَى اللَّهِ فَمِنْ عِنْدِكُمْ^(١).

لقد رسخت ولاية المعصومين عليهم السلام في قلوب الملائكة، فشكوا الله تعالى لفراقهم، فأراهم نبيه صلى الله عليه وآله في السماء، وخلق لهم ملكاً في صورة علي عليه السلام: وَأَقْعَدَهُ عَنْ يَمِينِ عَرْشِهِ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ بِالْذُرِّ وَالْجَوَاهِرِ. لقد أنزل الله علياً إلى الأرض، لكنّ الناس ما اتّبعوه، وما قبلوه، ولا اشتاقوا إليه، إلا الشيعة الأبرار.

أمّا الملائكة فإنّهم لشدة شوقهم إليه طلبوا من الله حلاً لشوقهم، فخلق الله لهم على صورة علي عليه السلام ملكاً.

هي صورة علي في السماء يأنس بها هؤلاء الملائكة، ونحن نأنس بصورة علي عليه السلام المزروعة في قلوبنا، إذ لم نر صورة له بأبصارنا.

وإذا كان هذا مقدار فضلهم على الملائكة، ومقدار شوق الملائكة لهم.. لم

(١) تفسير فرات الكوفي ص ٣٧٣.

يَكُنْ غَرِيباً أَنْ يَسْأَلَ كُلَّ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الرَّحْمَنُ رَبَّهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي زِيَارَةِ قُبُورِهِمْ..
فَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقاً أَكْثَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
كُلَّ مَسَاءٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ
انْصَرَفُوا إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَسْلُمُونَ عَلَيْهِ ثُمَّ يَأْتُونَ قَبْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَيَسْلُمُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَأْتُونَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَسْلُمُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَعْرَجُونَ إِلَى السَّمَاءِ
قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ تَنْزِلُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ^(١).

الْأَمْرُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى عَدَدٍ مُحَدَّدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، بَلْ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْمَلَائِكَةِ
الْمُقَرَّبِينَ، وَالْأَنْبِيَاءَ الْمُرْسَلِينَ، فَعَنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَلَيْسَ مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ إِلَّا
وَهُوَ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَزُورَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَفَوْجٌ يَهْبِطُ وَفَوْجٌ يَصْعَدُ^(٢).

وَقَدْ بَوْرَكَتِ الْبَقَاعُ الَّتِي حَلَوْا بِهَا، كَمَا قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ بِخُرَاسَانَ لَبَقْعَةً
يَأْتِي عَلَيْهَا زَمَانٌ تَصِيرُ مُحْتَافَةً الْمَلَائِكَةِ، فَلَا يَزَالُ فَوْجٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَفَوْجٌ يَصْعَدُ
إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ^(٣).

مَا قَصَتْ غُلُوبُ النَّاسِ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْأَوْصِيَاءِ؟

لَقَدْ اتَّخَذَ الْيَهُودُ عَزِيزاً ابناً لِلَّهِ، وَغَالَى النَّصَارَى فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَعَلُوهُ ابْنَ
اللَّهِ بَلْ جَعَلُوهُ اللَّهَ، وَتَبِعَهُمُ الْغُلَاةُ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
هَذِهِ أَنْوَاعُ الْغُلُوبِ الْمَشْهُورَةِ.

(١) كَامِلُ الزِّيَارَاتِ ص ١١٤.

(٢) كَامِلُ الزِّيَارَاتِ ص ١١٥.

(٣) الْأَمَالِيُّ لِلصَّدُوقِ ص ٦٣.

لكن القرآن الكريم يحدثنا عن غلو آخر: هو غلو في ملائكة الله تعالى!
قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ
بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

لقد ذُكر في تفسير الآية أنه: كان قومٌ يعبدون الملائكة، وقومٌ من النصارى
زعموا أن عيسى رب، واليهود قالوا عزيز ابن الله^(٢).

لكن الله تعالى قال: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ
لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾^(٣).

لقد نزهت الآية المباركة الباري تعالى عن اتخاذ الأنثى، وعن أن يكون
الملائكة بنات الله.

وقد قال تعالى في آياتٍ أخرى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ * أم اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا
ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّ وَهُوَ فِي
الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ
سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾^(٤).

كيف جعلوا الله من عباده جزءاً؟

لعلهم لما قالوا بأن الملائكة بنات الله، وكانت البنت كالولد بضعة من

(١) آل عمران ٨٠.

(٢) تفسير القمي ج ١ ص ١٠٦.

(٣) الإسراء ٤٠.

(٤) الزخرف ١٥-١٩.

الوالد، صاروا كمن جعل الله من عباده جزءاً.

ولعل الأقرب هو أن (الجزء) هنا لا يُراد منه (بعض الشيء)، بل يراد منه (البنات)، ففي كتب اللغة: وَأَجْزَأَتِ الْمَرْأَةُ: إِذَا وَلَدَتْ بِنْتًا. وَابْنَتُ عِنْدَهُمْ: الْجُزْءُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ: وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا^(١).

فيكون المراد من الآية ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ أي جعلوا له من عباده بناتاً أو بنات.

وههنا قد ينقدح في بال قارئ الآيات الكريمة تساؤل:

لماذا قال الناس بربوبية الملائكة؟

لقد رأى الناس عزيزاً وعيسى وعليّ عليه السلام، رأوا منهم ما يُبهر العقول، كراماتٍ ومعجزاتٍ خارقة للعادة، فجعلوهم أرباباً من دون الله، لكن الملائكة لم يظهروا للناس حتى يجعلونهم أرباباً.

ولقد جرت عادة المغالين على تأليه من يرون صدور الكرامات على يديه، فلماذا صارت الملائكة آلهة تُعبد عندهم؟

لعلَّ السبب في ذلك هو أن للملائكة خصالاً تطيحُ بالألباب!

فإن: مِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضَيْنِ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ! وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَائُهُمْ! وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ!

أي معنى هو هذا؟! أي عقل من عقولنا يتصور وجوداً كهذا الوجود للملائكة؟ وهو صنف من أصنافهم المتكثرة.

(١) المحيط في اللغة ج ٧ ص ١٥٣.

لم يشاهد الناس هؤلاء الملائكة، لكن لربما سمعوا من الأنبياء المتقدمين شيئاً في وصفهم، فلم يخفَ خبرهم عليهم وإن لم يروهم.

ولطالما ذَكَرَ أنبياء الله تعالى ملائكةَ الرحمان العظام، الذين ينزلون بالوحي من السماء، والذين يدبرون أمر العباد والبلاد، والذين يقبضون الأرواح، وملائكة الجنة والنار.. وغيرهم.

عَظُمَ ذلك على فئامٍ من الناس فقالوا بربوبيتهم تارة، وبأنهم بنات الله تارة أخرى.

ألم يصف الإمام الملائكة بأوصافٍ في غاية الجلال والاکرام؟ فقال:
مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنَتْهُمْ سَمَواتِكَ، وَرَفَعَتْهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ، لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ الْمُنُونِ:

ليس لهؤلاء الملائكة صفات البشر.. لا يسكنون الأصلاب ولا تحويهم الأرحام، ولا يتوالدون كالناس من ماءٍ مهين، ولا يلاحقهم الموت ملاحقة ابن آدم في كل أنفاسه.. ألهذا جعلوهم آلهة؟

رغم مقامهم الشريف هذا، فإنهم: لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ!

لقد عرف الملائكة أنهم لم يعبدوا الله حق عبادته، وأقروا بذلك.
عرفوا قدرهم وأنهم عبادٌ مكرمون.. وأنَّ الله هو الإله القوي العظيم القادر

الحكيم، فتبرؤوا ممن يغالي بهم ويعبدهم، وستظهر هذه البراءة يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾^(١).

هو احتجاجٌ ليتبرأ الملائكة كما تبرأ عيسى ممن عبده.. فلم يرضوا بأفعالهم. فإذا كان هذا حال بعض الناس الذين عرفوا شيئاً من شأن الملائكة، فما حالهم لو علموا أنّ الله قد أمر هؤلاء الملائكة العظام بالسجود لآدم، إكراماً لمن في صلبه.. ورفعاً لعظيم منزلته.. وهم محمد وآله عليه السلام!

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

لقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، لكن السرّ في ذلك هو الأنوار التي أودعها الله فيه، فإنهم لما كانوا أنوار أشباح نقلهم تعالى من أشرف بقاع عرشه إلى ظهر آدم، وقال لآدم: وَلِذَلِكَ أَمَرْتُ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَكَ إِذْ كُنْتَ وَعَاءً لَتِلكَ الْأَشْبَاحِ.

ولما صار آدم وعاء لهم صار في مرتبة أمر الملائكة بالسجود له: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(٣)، وقد جمع الله تعالى في الآية اللفظين معاً: (كلهم) و(أجمعون)، مع أنّ لفظاً واحداً يكفي للدلالة على الشمول للجميع! لكنّه تأكيد لا استثناء فيه على الإطلاق.

(١) سبأ ٤١.

(٢) البقرة ٣٤.

(٣) الحجر ٣٠.

هذا حال الملائكة.. ومقدار خضوعهم للنبي والآل.. وحال من غالى فيهم فعبدهم وجعلهم بنات لله.

وهذا حال المسجود لأجله تكريماً.. محمد وآله.

لقد أشفق النبي وآله على الملائكة لما رأت الملائكة عظيم أمرهم، فسبحوا الله ليعلم الملائكة أنهم مخلوقون وأنهم ليسوا أرباباً! يقول الإمام الرضا عليه السلام:

ثُمَّ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ فَلَمَّا شَاهَدُوا أَرْوَاحَنَا نُورًا وَاحِدًا اسْتَعْظَمَتْ أَمْرُنَا: في مرحلة خلق الملائكة وهي مرحلة متأخرة في عوالم الوجود، استعظمت الملائكة أمرهم، فظهرت شفقة النبي وآله على الملائكة، عندما خافوا أن يلتبس الأمر على الملائكة، فأظهروا عبوديتهم لله تعالى.

يقول عليه السلام: فَسَبَّحْنَا لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ أَنَّا خَلَقْنَا مَخْلُوقُونَ، وَأَنَّهُ مُنْزَعٌ عَنْ صِفَاتِنَا، فَسَبَّحَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِنَا وَنَزَّهَتْهُ عَنْ صِفَاتِنَا.

فَلَمَّا شَاهَدُوا عِظَمَ شَأْنِنَا هَلَّلْنَا لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَا عَبِيدٌ وَلَسْنَا بِأَلْهَةٍ يَجِبُ أَنْ تُعْبَدَ مَعَهُ أَوْ دُونَهُ، فَقَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^(١).

وهكذا يشفق الأطهار على سائر الخلق، فيظهرون ما يدفع شبهات المغالين في هذه النشأة، وينبّهون الناس على أنهم عبادٌ مربوبون، ويحذرون من سلوك الطريق الأعوج في الاعتقاد بهم، ثم يبرؤون ممن سلكه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: يَهْلِكُ فِي اثْنَانِ وَلَا ذَنْبَ لِي: مُحِبُّ مُفْرِطٍ، وَمُبْغِضٌ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٢٦٣.

مُفَرِّطٌ، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِمَّنْ يَغْلُو فِيْنَا وَيَرْفَعُنَا فَوْقَ حَدِّنَا كِبَرَاءَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّصَارَى^(١).

وَمِنْ نَمَازِجِ الْمَغَالَاتِ الَّتِي يَبْرَأُ مِنْهَا الْإِمَامُ:

١. مَنْ ادَّعَى لِلْأَنْبِيَاءِ رُبُوبِيَّةً.

٢. وَادَّعَى لِلْأَئِمَّةِ رُبُوبِيَّةً أَوْ نُبُوَّةً.

٣. أَوْ لغيرِ الْأَئِمَّةِ إِمَامَةً.

فَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

كُلُّ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، أَوْ أَنَّ هُنَاكَ نَبِيًّا بَعْدَ نَبِيِّنَا بِأَيِّ نَحْوٍ مِنْ أَنْحَاءِ النُّبُوَّةِ، فَهُوَ مُنْحَرِفٌ عَنْ جَادَةِ الصَّوَابِ، سَوَاءٌ كَانَ (ابن عربي) أَوْ ابن عجمي! وكلُّ مَنْ نَصَبَ إِمَامًا سِوَى مَنْ نَصَّبَهُمُ اللَّهُ هُوَ عَلَى حَدِّ مَنْ ادَّعَى لِلْأَئِمَّةِ الرُّبُوبِيَّةَ! فَكِلَاهُمَا فِي مَخَالَفَةِ أَمْرِ السَّمَاءِ سَوَاءٌ.

إِنَّهُمْ عَلَى عَظَمَتِهِمْ عِبَادُ اللَّهِ تَعَالَى.. وَقَدْ قَالَ أَفْضَلُهُمْ وَخَيْرُهُمْ ﷺ: لَا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيًّا.

هِيَ الْعِبُودِيَّةُ إِذَا.. الَّتِي تَسْتَبْطِنُ كُلَّ فَرْقٍ بَيْنَ الْإِلَهِ الْقَدِيرِ.. وَعَبْدِهِ الْفَقِيرِ.

النَّبِيُّ عَلَى عَظَمَتِهِ فَقِيرٌ إِلَى اللَّهِ، وَكُلُّنَا إِلَى اللَّهِ فَقَرَاءٌ، كُلُّ خَلْقِهِ تَعَالَى إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَإِنْ كُنَّا نَحْتَاجُ إِلَى النَّبِيِّ بَعْدَ أَنْ أَغْنَاهُ اللَّهُ، وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْنَا لِاسْتِغْنَائِهِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يَبْرَأُ النَّبِيُّ وَآلُهُ مِنَ الْغُلُوِّ، وَبَعْضُنَا الْيَوْمَ صَارَ يَغَالِي فِيهِمْ، أَوْ فَيَمُنُ سِوَاهُمْ،

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٠١.

فيرفعه إلى مرتبتهم، أو إلى مرتبة الله تعالى، تحت مسميات العرفان تارة.. والسير والسلوك أخرى.. وطى مراتب القرب الثالثة.. والغوص في سباحات الجلال رابعة.. وخامسة وسادسة.

تتكثر الألفاظ وتُزخرف وتُزَيَّن ويُلبَّس فيها على عموم الناس.

وقد يغالي بعضهم باتخاذ الزعيم والقائد وكبير العشيرة وغيرهم أئمة كالإمام.. ينزلونهم منزلة المعصوم فيصبح قولهم قول الله! أو يتعصَّبون لهم تعصباً يخرجهم من الحق إلى الباطل.

عندما نعتقد في قائدٍ أو رئيسٍ أنه في منزلة المعصوم، وأنه مُنَزَّهٌ عن الخطأ على الإطلاق، فقد جعلناه إماماً مع الإمام، فيبرأ حينها منّا إمامنا.

يختصر القرآن الكريم الجواب بقوله عز وجل: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

اللهم انا نبرأ اليك من كل اسم ما أنزلت به من سلطان، اللهم انا لا نوالي إلا أئمتنا الاثني عشر، وكل من رفع غيرهم الى مرتبتهم فنحن منه براء، مهما كان لونه وشكله وعلمه ومبلغه.

اللهم انا نسألك حسن العاقبة.

والحمد لله رب العالمين^(١).

٢٣. الإمام والعصبية.. وحمية الجاهلية!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾^(١).

المُخَاطَبُ في هذه الآية هو الله تعالى، الخالق العليم، مرسل الأنبياء والمرسلين.

والمُخَاطَبُ هو سَيِّدُ الرُّسُلِ والخلائق أجمعين، محمد بن عبد الله ﷺ.

مضمون الخطاب أو الخبر: ما أرسلنا من قبلك يا محمد من نذيرٍ إلا رفضه الجبابرة والمترفون المتنعمون، الذين يرفضون الحجة والدليل والبرهان.

ما السبب في ذلك؟ لماذا يرفض هؤلاء خبر السماء؟ ولماذا يردون كلام الرسل؟

الجواب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾!

وإن تكونوا أيها القوم قد وجدتم آباءكم على ملَّةٍ، أفهل معيار الحق وسبيله هو اتباع الآباء لهذا الطريق أو ذاك؟!

قال القرآن عنهم في موضع آخر: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا الْفَيْئَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾ ثم حَاجَّهَم فقال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٢).

(١) الزخرف ٢٣.

(٢) البقرة ١٧٠.

لماذا اتّباع الآباء إذا وهم لا يعقلون؟ أَيْضَحِّيْ أَحَدُنَا بِعَقْلِهِ عَلَى مَذْبَحِ الْأَبْوَةِ
وَالْبَنُوَّةِ وَالْقَرَابَةِ؟! أَيْصِيرِ الْعَقْلَ وَالْهَدَايَةَ تَرْفًا يَصَحُّ الْإِسْتِغْنَاءُ عَنْهُ؟!

لقد ذكرت كتب اللغة كلمةً تختزل هذا التصرف الأرعن، الذي لطالما
واجهت به الأمم أنبياءها، وتُبَيَّنُهُ هذه الكلمة عميقاً، حينما عرّفت لفظ (العصبية)
فقالت:

العَصَبِيَّةُ: أن يدعو الرجل إلى نُصْرَةِ عَصْبَتِهِ والتألب معهم على من يناوئهم،
ظالمين كانوا أو مظلومين. وقد تعصّبوا عليهم إذا تجمّعوا^(١).

وهكذا كان.. فتألّبت الأمة وتعصّبت وأجمعت أمرها على مناوئة محمد
ﷺ، كما فعلت الأمم مع من تقدم عنه ﷺ. فماذا فعلت هذه الأمة؟
دعا النبيُّ إلى عبادة الإله الواحد الاحد، فأنكرت وجوده، وعبدت
أصنامها، ورفضت الإيمان بنبوته ﷺ.

بل تجرّأت على الله تعالى بأن وَرَّعَتْ أصنامها حول الكعبة، حتى ورد أنّه:
دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَالْأَصْنَامُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ ثَلَاثِمِائَةً
وَسِتِّينَ صَنَمًا^(٢).

هذه هي عصبية الأمم السابقة.. وعصبية الجاهلية الجاهلاء.. وما كان لها
من محطّم إلا أبو الحسن عليّ ؑ، وهو الذي ينقل قول النبي ﷺ له: اصْعَدْ
عَلَى كَتِفِي.

(١) تهذيب اللغة ج ٢ ص ٣٠.

(٢) الأماي للطوسي ص ٣٣٧.

ثم يقول: ثُمَّ انْحَنَى النَّبِيُّ فَصَعِدْتُ عَلَى كَتِفِهِ فَقَلَبْتُ الْأَصْنَامَ عَلَى رُءُوسِهَا وَنَزَلْتُ وَخَرَجْنَا مِنَ الْكَعْبَةِ.

حَتَّى أَتَيْنَا مَنْزِلَ خَدِيجَةَ (رض) فَقَالَ لِي: أَوَّلُ مَنْ كَسَرَ الْأَصْنَامَ جَدُّكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ أَنْتَ يَا عَلِيُّ آخِرُ مَنْ كَسَرَ الْأَصْنَامَ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَهْلُ مَكَّةَ وَجَدُوا الْأَصْنَامَ مِنْكُوسَةً مَكْبُوبَةً عَلَى رُءُوسِهَا فَقَالُوا: مَا فَعَلَ هَذَا بِأَهْلِنَا إِلَّا مُحَمَّدٌ وَابْنُ عَمِّهِ، ثُمَّ لَمْ يُقَمْ فِي الْكَعْبَةِ صَنَمٌ^(١).

لقد سقطت الأصنام التي أحاطت بالكعبة بفعلِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم تَقَمْ لها قائمةٌ بعد ذلك.

لكنَّ أصنامَ الجاهلية وأوثانها وعصبياتها بقيت في النفوس عَصِيَّةً عَلَى الْكَسْرِ.. إذ كَسَرُهَا فِي النُّفُوسِ يَعْنِي الْإِسْتِقَامَةَ وَالصَّلَاحَ وَالْفَلَاحَ وَالنَّجَاحَ، وَالْإِقْرَارَ بِالْفَضْلِ لِأَهْلِهِ، وَكَيْفَ لِنُفُوسٍ تَرَبَّتْ عَلَى الْحَقْدِ وَالْكَرَاهِيَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَمُلِئَتْ حَسَدًا عَلَى الْحَقِّ وَأَهْلِهِ، كَيْفَ لَهَا أَنْ تَخْضَعَ لِدِينٍ يَسْتَوِي فِيهِ الشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ؟ وَتَتْرَكَ نَهْجَ آبَائِهَا!

إِنَّمَا الْعَصَبِيَّةُ.. الَّتِي اقْتَرَنَتْ مَعَ الْحَسَدِ وَالْجَهْلِ وَالْحِمَاقَةِ فَأُضْحَتْ دَاءً لَا دَوَاءَ لَهُ!

لَمْ تَكُنْ أَوَّلَى سَاحَاتِ الْعَصَبِيَّةِ أَيَّامَ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكُلُّ مَنْ تَقَدَّمَ عَنْهُ ﷺ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ وَوَجَهُ بِالْعَصَبِيَّةِ. وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَسِيرَ أَغْوَارَ التَّارِيخِ وَنَذْهَبَ فِي أَعْمَاقِهِ، لَوَصَلْنَا إِلَى مَرَحَلَةٍ تَسْبِقُ حَيَاتِنَا الْأَرْضِيَّةَ، نَقْلُهَا لَنَا مَنْ عِنْدَهُ خَبَرُ

(١) الفضائل لابن شاذان القمي ص ٩٧.

السموات والأرض، ذاك أمير المؤمنين عليه السلام حين يقول:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا
جَمِيًّا وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ
عِبَادِهِ، ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمَيِّزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ..
هو امتحان من الله تعالى لملائكته ومن شَرَّكَهُمْ في العبادة، بأن يسجدوا لآدم

عليه السلام، لِيَمَيِّزَ الْمُتَكَبِّرَ مِنْهُمْ وَيَنْفَصِلَ عَنْهُمْ.

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ، اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ
بَخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ.

فَعَدُّوا اللَّهَ إِمَامًا الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ! الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصْبِيَّةِ!
وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ^(١).

هي العصبيَّة إذاً، واضع أساسها إبليس.. إمام المتعصبين.. عدو الله.. فمن
اتخذهُ ولياً صار لله عدواً.. ومن عاداه وخالفه في عصبية وأطاع الله صار لله ولياً.
طريقان لا يجتمعان.. إما طاعة الله تعالى أو طاعة عدوّه إمام المتعصبين..
وإمام المتعصبين هذا لا يدع المسلمين وشأنهم.. إنما قعد لهم صراط الله المستقيم،
وأَتَاهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ.

فماذا يريد منهم هذا الخبيث؟

إنه يُشْعِلُ مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصْبِيَّةِ، وَيَلْهَبُ نَفُوسَهُمْ وَيَحْرِضُهُمْ
عَلَى تِلْكَ الْعَصْبِيَّةِ لِيَرُدَّهُمْ إِلَى أَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَحَقِّقَ نَصْرَهُ بِهَذَا، وَوَعْدَهُ

(١) نهج البلاغة ص ٢٨٦.

بالإضلال والغواية لمن اتبعه وأطاعه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام مُسْتَبَقًا محاولات إبليس هذه:

فَاطْفُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ^(١).

هي نيرانٌ كامنةٌ في قلوب الناس، إما أن يطفئوها، وإما أن يسمحوا لإبليس بإشعالها، فتحرق النفوس المؤمنة، وتُلْهِب هذه الأرواح، فيخرج الإنسان بها عن ربة الإيمان.

أما خطرات الشيطان، ونخواته، ونزغاته ونفثاته، فذاك عالم خفيٌّ عنا، لكننا نتلمس بعض آثاره من قول أمير المؤمنين عليه السلام: اعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّدْلِيلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ، وَالْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ.

من ذلَّل نفسه لله تعالى وتواضع له عزَّ وجلَّ خمدت في قلبه نيران العصبية وأحقاد الجاهلية، وعنه عليه السلام:

احْذَرُوا (مَنَافِخَ) الْكِبَرِ، وَغَلَبَةَ الْحَمِيَّةِ، وَتَعْصَبَ الْجَاهِلِيَّةِ^(٢).

لماذا؟ لأن: مَنْ أَخَذَتْهُ الْعَصِيَّةُ جَارًا!

ففي العصبية جَوْرٌ على النفس بترك الحق واتباع الباطل، وجَوْرٌ على الدين بمحاربتة، لأنَّ المتعصَّب تأخذه العزَّة بالإثم.. فيحارب الله ورُسُلَهُ وأولياءه.

لقد ورد عن المعصومين عليهم السلام تحذيرٌ عجيبٌ من التعصُّب، فعن الصادق

(١) نهج البلاغة ص ٢٨٨.

(٢) عيون الحكم ص ١٠٥.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ تَعَصَّبَ أَوْ تُعَصَّبَ لَهُ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِيمَانِ مِنْ عُنُقِهِ^(١).

المتعصب، ومن يُتعصب له وهو راضٍ، كلاهما قد خرجا من الإيمان.. إما حقيقة وإما تنزيلاً.

أي أن المؤمن إن كان من المتعصبين أو الآمرين والراضين بالتعصب: إما أن يخرجه ذلك من الإيمان حقيقة فيصبح غير مؤمن.. أو أنه لشدة مخالفته لأمر الشريعة يُنزل منزلة غير المؤمن.

لماذا كل هذا الأثر إذا؟

لأنَّ العصبية تنقله من جبهة الحق إلى جبهة الباطل.. فالمؤمن عدوُّ لأعراب الجاهلية، لكنَّ العصبية تجعله وإياهم في وادٍ واحد.. ذلك أنه سلك مسلكهم ونهج طريقهم، سواءً كان التعصب للزعيم والقائد الرئيس، أو للعشيرة والأخ والقومية.

إن الإنسان يُحاسبُ على فعّاله لا على أقواله فقط، فمن قال بلسانه أنه مؤمن ثم خالف فعله قوله ما كان مؤمناً عند الله سبحانه وتعالى حقاً.

وعن النبي ﷺ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ عَصَبِيَّةٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَعْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ^(٢).

ههنا لا تنفع الوسطية.. إما إلى جانب الحق أو إلى جانب الباطل.

فمن لم يتخلَّ عن العصبية لم ينفعه شيء.. كما في يوم عاشوراء: فإما إلى

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٠٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٣٠٨.

جانب الحسين عليه السلام وإما إلى جانب يزيد.

ومن لم يكن خالصاً من العصبية كان مع أعراب الجاهلية، الذين تعصبوا على الحسين فقتلوه بغضاً منهم لأبيه، فصاروا مصداقاً للحديث الشريف: مَنْ تَعَصَّبَ عَصَبَهُ اللَّهُ بِعِصَابَةٍ مِنْ نَارٍ^(١).

ولعلَّ قارئاً يتهاون في مثل هذا الحديث، فما أيسر أمر العصابة من النار.. وكأنها كالعصابة التي نضعها لألم الرأس مثلاً!

كلا أيُّها الأحبة.. فَإِنَّهُ لَمَّا وُضِعَتْ منافخ النار جاء جبرائيل إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله قاطباً.. فأخبره أَنَّ الله تعالى أمر بالنار فَنُفِخَ فيها ألف عام حتى ابْيَضَّتْ، وألف عام حتى احْمَرَّتْ، وألف عام حتى اسْوَدَّتْ، ثم قال جبرائيل لرسول الله صلى الله عليه وآله:

لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الصَّرِيعِ قَطَرَتْ فِي شَرَابِ أَهْلِ الدُّنْيَا لَمَاتَ أَهْلُهَا مِنْ نَتْنِهَا!
وَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنَ السَّلْسِلَةِ الَّتِي طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً وُضِعَتْ عَلَى الدُّنْيَا
لَذَابَتِ الدُّنْيَا مِنْ حَرِّهَا^(٢).

أيستهن أحدنا بنارٍ سَجَّرَهَا جَبَّارُهَا لغضبه؟! لا غرو إذاً أن تحرق حلقة من سلسلتها الدنيا من حرِّها.

أمَّا ماذا تفعل العصابة من النار؟ فعلمها عند ربي.. أجارنا الله تعالى منها ومن عذاب ذلك اليوم العظيم.

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٠٨.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٨١.

كيف النجاة من العصبية؟

إذا كانت العصبية مقيتةً إلى هذا الحد، وعظيمة الأثر، وشديدة الخطر، فما السبيل إلى الخلاص منها؟ وهل يمكن أن يُجَرَّ الإنسان إليها جَرًّا من حيث لا يشعر؟

إنَّ تَجَنَّبَ أهل العصبية يُساعدُ المؤمن على تَوْقِيها، ومن هؤلاء فئتان ينبغي الحذر منها:

الفئة الأولى: السادة والكبراء

يقول أمير المؤمنين في نهج البلاغة: **أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبَرَائِكُمُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ.. فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَاسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِرَازِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَادًا، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا^(١).**

إنَّ أكابر الأمة وساداتها، الذين تَسَيَّدُوا بِالتَّسَلُّطِ والتَّجَبُّرِ والتَّكَبُّرِ، والجحود والحسد والإنكار، هم المتعصبون ضد سادات الخلق والحُسادُ لهم.

هؤلاء أساس العصبية في هذه الأمة، وإبليس أساسها الأول.

هؤلاء دعائم أركان الفتنة، الذين أوقعوا الأمة في كل مصيبة، وكُلُّ تَعْصِبٍ يرجع إليهم وإلى إمامهم إمام المتعصبين إبليس عدو الله. وعلى المؤمن الحذر من هؤلاء، لأن السَّيْرَ في رِكَابِهِمْ مدعاةٌ للهلكة، أجازنا الله من ذلك.

(١) نهج البلاغة ص ٢٩٠.

الفئة الثانية: العلماء المتعصبون للباطل

روي عن إمامنا العسكري عليه السلام تمييزه بين صنفين من العلماء:

١. العلماء الذين يُعرفون بالفسق والعصبية الشديدة، فتقليد هؤلاء كتقليد اليهود لفسقة فقهاءهم.

٢. العلماء الذين سلموا من العصبية، وصانوا أنفسهم، وحفظوا دينهم، وهؤلاء ممن ينبغي الرجوع إليهم.

فَعَنهُ عليه السلام: وَكَذَلِكَ عَوَامُّ أُمَّتِنَا، إِذَا عَرَفُوا مِنْ فُقَهَائِهِمُ الْفِسْقَ الظَّاهِرَ، وَالْعَصَبِيَّةَ الشَّدِيدَةَ وَالتَّكَالِبَ عَلَى حُطَامِ الدُّنْيَا وَحَرَامِهَا..

فَمَنْ قَلَّدَ مِنْ عَوَامِّنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْفُقَهَاءِ، فَهُمْ مِثْلُ الْيَهُودِ الَّذِينَ ذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّقْلِيدِ لِفَسَقَةِ فُقَهَائِهِمْ.

الميزان عند هؤلاء هو العصبية، فهم يرون شخصاً يستحق إصلاح أمره، ويستحق الإكرام والإعزاز والعون، فيهلكونه تعصباً!

ويرون آخر عدواً لله يستحق الإذلال والإهانة، فيرفقون به ويحسنون إليه تعصباً.. وهؤلاء كفقهاء اليهود الفسقة، لا يصح الرجوع إليهم ولا الأخذ عنهم.. إنما يؤخذ الدين ممن وصفهم الإمام فقال: فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ، حَافِظًا لِدِينِهِ، مُحَالِفًا لِهَوَاهُ، مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلَّدُوهُ^(١).

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٣٠٠.

علامة العصبية

فإن سأل سائل: ما علامة العصبية في هؤلاء السادة والكبراء، أو الفقهاء الفسقة المتعصبين.. أو غيرهم من عوام الناس؟ هل لنا أن نتلمّس علامة نكتشف بها أن هذا من أهل العصبية أو أنه ليس منهم؟!

يأتي الجواب عن لسان الإمام زين العابدين عليه السلام لما سئل عن العصبية فقال: **الْعَصِيَّةُ الَّتِي يَأْتُمُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا أَنْ يَرَى الرَّجُلُ شِرَارَ قَوْمِهِ خَيْرًا مِنْ خِيَارِ قَوْمِ آخَرِينَ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَصِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصِيَّةِ أَنْ يُعِينَ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ^(١).**

إنّ الأقربين أولى بالمعروف والمحبة، فينبغي على المؤمن أن يحسن إلى قرابته وقومه قبل غيرهم، لكن ليس له أن يرى المسيء منهم خيراً من المحسن إن كان من سواهم!

ليس لأحدنا أن يزعم أن أخاه المسيء خيرٌ من خيار قوم آخرين.

ولا أن ابن عشيرته المسيء خيرٌ من خيار قوم آخرين.

ولا ابن منطقته أو بلده.. ولا من انتمى لحزبه أو فئته.

نعم أيها الأحبة.. الحزبية المقيتة واحدة من عناوين التعصّب الأعمى التي تفتك بالمجتمع.

لقد قعد لنا إمام التّعصّب إبليس صراط الله المستقيم.. فلم يترك باباً إلا

طرقه.. والعصبية أحد أبوابه.. فلا ينبغي أن تأخذنا العزة بالإثم.

إِنَّ الدِّينَ يَأْمُرُ بِحُبِّ الْأَوْطَانِ.. وبالإحسان إلى الأهل والإخوان والجيران ومودّتهم.. لكنه لا يأمر بإعانتهم على الظلم أبداً.

إِنَّ الدِّينَ يَأْمُرُ بِنَظْمِ الْأَمْرِ.. وللناس أن ينظموا أمورهم بأي صورة تُصلح دُنياهم وآخرتهم.. مهما تعددت عناوين ذلك.. كالجمعيات.. والبلديات.. والتنظيمات.. وحتى الأحزاب.. على أن لا يخرجهم ذلك من حقٍّ إلى باطل.

وأكثر ما يخرج الإنسان من الحق ويدخله في الباطل هو الحزبية المقيتة التي يرى فيها المحازبُ شرّاً قومَه خيراً من خيار قوم آخرين.

ينسحبُ ذلك إلى صراعاتٍ بألوانٍ وأشكالٍ شتى، تتغير أساليبها بتغير البلدان، لكنَّ جوهرها واحدٌ.. إنَّه عصبية إبليس.. التي قد توصل الإنسان إلى سفك دم أخيه المؤمن، أو هتك عرضه، أو إسقاط حرمة!

فالحذر الحذر أيها الأحبة..

وها نحنُ نتمثّل قولَ أمير المؤمنين عليه السلام حينما حدّر من عصبية المال أيضاً، وفتح باباً أمام عصبية حقّة واحدة لا شريك لها فقال:

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النَّعَمِ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ.

هذا حال المترفين الذين قال الله عنهم: ﴿إِلَّا قَالِ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾.

فليكن تعصبكم لمكارم الخصال

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصِيَّةِ، فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَتَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَتَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمَجْدَاءُ وَالنَّجْدَاءُ مِنْ بَيُوتَاتِ الْعَرَبِ.. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ، مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ^(١)..

إِنْ كَانَ لَا بُدَّ.. فَالتعصب للحق إذا.. هذا مفاد كلام قرين الحق، وأمير المُحِقِّينَ والمؤمنين، علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كُلُّ عَصِيَّةٍ مَقِيَّتَةٌ.. إِلَّا الْعَصِيَّةُ لِلْحَقِّ إِذَا..

فَمَنْ تَعَصَّبَ لِلْإِمَامِ.. فَتَزَهَّهْ عَنْ تُرَاهُتِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَالْعُرَفَاءِ..

وَمَنْ تَعَصَّبَ لِلْإِمَامِ.. فَتَزَهَّهْ مَقَامَهُ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَيْدِي الْمُتَطَوِّلِينَ، فَهُوَ كَالنَّجْمِ لَا يَدَانِيهِ أَحَدٌ.. وَتَزَهَّهْ الْإِمَامَ عَنْ أَنْ يَأْمُرَ بِطَاعَةِ غَيْرِ الْمَعْصُومِ كَمَا يَنْبَغِي طَاعَةَ الْمَعْصُومِ.. مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ مُتَعَصِّبًا لِلْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَإِذَا كَانَ التَّعَصُّبُ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَخِلَالِ الْحَمْدِ حَسَنًا.. فَكَيْفَ يَكُونُ التَّعَصُّبُ لِلْإِمَامِ الْمَكَارِمِ وَسَيِّدِهَا.. لِلْإِمَامِ الْحَقِّ وَرَائِدِهِ.. لِلْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

فَهَنِيئًا لِمَنْ تَعَصَّبَ لِإِمَامِهِ وَدِينِهِ، وَمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَتَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ..
اللَّهُمَّ عَجِّلْ فِي فَرَجِ وَلِيِّكَ.. وَسَهِّلْ مَخْرَجَهُ.. وَاجْعَلْنَا مِنْ أَنْصَارِهِ فِي اجْتِثَاتِ جَذُورِ الْعَصِيَّةِ لَغَيْرِ الْحَقِّ، إِنَّكَ نَعَمَ الْمَوْلَى وَنَعَمَ النَّصِيرُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢).

(١) نهج البلاغة ص ٢٩٦.

(٢) ١٤ شهر رمضان ١٤٤١ هـ.

٢٤. الإمام الغضوب.. في ذات الله!

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام الصادق عليه السلام: **الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ**^(١).

وقد وافق هذا المعنى ما في مزامير داوود من الكتاب المقدس: **كُفَّ عَنِ الْغَضَبِ، وَاتْرُكِ السَّخَطَ**^(٢)، فَإِنَّ النِّهْيَ عَنِ الْغَضَبِ غَالِبًا مَا يَكُونُ لارتباطه بالشر.

وفي محل آخر من الكتاب المقدس: **لَا تُسْرِعْ بِرُوحِكَ إِلَى الْغَضَبِ، لَأَنَّ الْغَضَبَ يَسْتَقِرُّ فِي حِضْنِ الْجَهَالِ**^(٣).

هي كلمات تتكرر عند أصحاب الأديان السماوية، تنهى عن المسارعة للغضب، وتأمّر بالكف عنه، وتبيّن مساوئه حيث صار مفتاح كل شر..

والشّرور في هذه الدنيا كثيرة: كالقتل.. والبغضاء.. والحسد.. والفحش.. والشّامة.. والعصبية.. وغيرها من الصفات الذميمة.. وكلّها مما قد يؤدي إليها الغضب.. فهو مفتاح (كل شر)..

إذا كان الامر كذلك.. فما هي حقيقة الغضب؟ ولماذا صار مفتاح كل شر؟

وهل نهى الأديان عنه نهياً مطلقاً؟ فيشمل كل أنواعه وصوره وحالاته؟

أم أن الغضب ينقسم إلى غضب سيء مذموم وآخر حسن ممدوح؟

(١) الزهد: ٢٧.

(٢) المزامير ٣٧: ٨.

(٣) الجامعة ٧: ٩.

ثمّ ما هو حال الكُمَّل من أنبياء الله ورسله وأوصيائهم؟ وعموم المؤمنين؟ هل يُتصوّر صدور الغضب منهم فيكون حقّاً؟ أم ينبغي أن ينزّهاوا أنفسهم عنه لأنّه أصل الشرور؟!

وما هو موقف هذه الأديان مما تضمّنته كتبها من نسبة الغضب لله تعالى؟ فكيف يوصف الإله العظيم المنزّه عن صفات البشر بالغضب؟ والغضب صفة نفسانية ذميمة عند الناس، ألا يدل هذا على مشابهة الله لخلقه؟

فهيها محاور ثلاثة:

المحور الأول: لماذا صار الغضب مذموماً؟

المحور الثاني: هل يغضب النبيّ والإمام؟ وكيف يفسر موقفهم؟

المحور الثالث: كيف يغضب الله تعالى وهو منزّه عن صفات المخلوقين؟

المحور الأول: لماذا صار الغضب مفتاح كل شر؟

لقد تقدم في الأبحاث السابقة أنّ إبليس حسدَ آدم على ما آتاه الله، عندما أمره بالسجود له، وقد كان السجود له تعظيماً للأنوار التي جعلها الله فيه، وجعله وعاءً لها.

لكن الحسد لم يكن السبب الوحيد الذي دعا إبليس إلى التمرد على أمر الله، فإن الغضب كان قريناً للحسد في منعه من السجود، وعصيانه أمر الله تعالى، فعن الصادق عليه السلام:

إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْسَبُ أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ فِي عِلْمِ

اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا أُمِرَ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ حَمِيٍّ وَغَضِبَ، فَأَخْرَجَ اللَّهُ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ بِالْحَمِيَّةِ وَالْغَضَبِ^(١).

الغضبُ إذا صفة شيطانية.. جمرَةٌ يشعلها إبليس اللعين ويوقدها في قلب ابن آدم، فتحرق صاحبها قلباً وقالباً.. تحرق نفسه الطيبة، فتخرجها من الحق إلى الباطل، وتحرق جسمه برفع مستوى التوتر الذي يصيبه.. وكثير الغضب لا يأنس في حياته.. فلا يألف ولا يؤلف.

وإبليس هذا لغضبه وحسده قد عصى جبار السماوات والأرض، وأيُّ شرٍّ وسوء أعظم من هذا؟

عن الباقر عليه السلام: إِنَّ هَذَا الْغَضَبَ جَمْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، تُوقَدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، وَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا غَضِبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ فِيهِ^(٢).

لقد صار الغضب إذا باباً من أبواب إبليس، يدخل منه إلى ابن آدم.. فهو عدوُّنا الذي يتسلط علينا بأساليبه الماكرة.. وأحد طرق تسلُّله هذا الغضب.. وإذا ما تسلل إلينا به صار مفهوماً قول رسول الله صلى الله عليه وآله: الْغَضَبُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ^(٣).

فإذا كان إبليس عدوَّ الله وعدوَّ المؤمنين يحاربهم في إيمانهم، وإذا كان الغضب باباً من أبوابه، لم يكن غريباً أن يفسد الإيمان كلما وجد عدوّه موطناً له في نفس الإنسان، فيفسد حلاوة الإيمان بخبثه وسوء نيته.

(١) الزهد ٢٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٣٠٥.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٣٠٢.

ولما كان الإنسان مترابط الجهات والأجزاء، أثر الغضب على قلبه وعقله، كما أثر على جسده، حتى قال أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقُ عليه السلام: **الْغَضَبُ مَحَقَّةٌ لِقَلْبِ الْحَكِيمِ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَمْلِكْ غَضَبَهُ لَمْ يَمْلِكْ عَقْلَهُ**^(١).

لقد صار الغضب إذاً سلاحاً فتاكاً في يد إبليس.. يمحق به قلب الحكيم، ويسلب من العاقل قدرته على التصرف وفق تقديرات عقله.

فينتقل الغضب بالإنسان من حالٍ إلى آخر، ويفقد الحكيم حكمته، والعاقل تعقله.

المحور الثاني: هل يغضب النبي والإمام؟ ولماذا؟

إذا كان الغضب ذمياً إلى هذا الحد وأصلاً للشرور، فكيف يُنسبُ للأنبياء والأولياء؟

لقد ورد في معاجم اللغة أن الغضب: **أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ**، يقال: **إِنَّ الْغَضْبَةَ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ**. قالوا: ومنه اشتقَّ **الْغَضَبُ**، لأنَّه اشتدادُ السُّخْطِ^(٢).

فهل يمكن وصف رسول الإنسانية صلى الله عليه وآله بالغضب؟ وهل يمكن وصف الإمام الذي يمثل خلافة الله على الأرض بالغضب؟!

ههنا ميزانٌ تُدْفَعُ به كل شبهة.. وهو كلام المعصوم عليه السلام.. حينما يُبيِّن أنَّ الغضب بمعنى القوة والشدة ليس مذموماً على إطلاقه، إنما يصير مذموماً لما يكون

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٠٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة ج ٤ ص ٤٢٨.

غضباً للنفس أو الهوى أو العصبية.. غضباً للباطل يتزع الإنسان من نعيم الحق، ويرمي به في حظيرة الباطل.. حينها يكون الغضب مذموماً عقلاً ونقلاً..

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ثَلَاثُ خِصَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ اسْتَكْمَلَ خِصَالَ الْإِيمَانِ:

١. إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ.

٢. وَإِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ الْغَضَبُ مِنَ الْحَقِّ.

٣. وَإِذَا قَدَّرَ لَمْ يَتَعَاطَ مَا لَيْسَ لَهُ^(١).

قد يكون الرضا إذا أسوأ من الغضب، إذا ما أخرج الإنسان من حقٍّ إلى باطل، كالراضي عن الأوائل ظلام آل محمد، فيدخله رضاه في الضلال والانحراف، والبُعد عن أئمة الحق.. وإذا غضب وتعصّب كان تعصبه للباطل، فيصير مفتاحاً لكل شر.

لقد اتفقت الأديان السماوية على هذا المعنى، أما الإسلام فموقفه واضح، وأما النصرانية، فلما ورد في الإنجيل: اِغْضَبُوا وَلَا تُخْطِئُوا. لَا تَغْرِبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ^(٢).

فكيف ينهى التوراة عن الغضب ويأمر به الإنجيل؟ وهما عند النصارى من الكتب المقدسة؟! من الكتب المقدسة؟!

إنَّ الغضب المذموم هو الذي يخرج من الحق للباطل، والغضب الممدوح هو الغضب للحق.. كما كان التعصب لخصال الحمد حسناً، ولغيرها قبيحاً.

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٣٩.

(٢) الرسالة إلى أهل أفسس ٤: ٢٦.

يجمع هذا الأمر عنواناً ساماً رفيعاً، ينقل الغضب إلى مراتب القرب من الله تعالى، حينما يكون غضبه لله عز وجل، لا للباطل.

عن الباقر عليه السلام:

مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظَهَرَ الْمُؤْمِنِ.
وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْفَ الْمُنَافِقِ وَأَمِنَ كَيْدَهُ.
وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ.

وَمَنْ شَنَّى الْفَاسِقِينَ غَضِبَ اللَّهُ، وَمَنْ غَضِبَ اللَّهُ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ ^(١).

الإنسان المؤمن يتجنب اتباع حمية الجاهلية.. ويسعى لأن يكون ممن يأمر بالمعروف فيشدّ ظهر المؤمن، وينهى عن المنكر فيرغم أنف المنافق، وممن يغضب لله ولرسوله ولوليه.. فيغضب الله تعالى له.

والكَمَل أنفسهم ما غضبوا إلا لله تعالى، فصار رضاهم رضا الله، وغضبهم غضب الله.

من ههنا يفهم قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الزهراء عليها السلام، وهي خيرة الكَمَل:
فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ، مِنِّي مَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي، يَرْضَى اللَّهُ لِرِضَاهَا وَيَغْضَبُ لِعُضْبِهَا، وَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ^(٢).

لقد اشتهر هذا القول عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنها عليها السلام لا تغضب غضباً يُخرُجُها من حقٍّ إلى باطل، فهي المعصومة المطهرة التقية النقية الزكية التي لا تغضب إلا لله..

(١) الكافي ج ٢ ص ٥١.

(٢) إرشاد القلوب ج ٢ ص ٢٣٢.

ومن غضب لله غضب الله له.

لم يكن غضبها على الأول إلا لانتهاكهم حرمة الإسلام، وغضبهم خلافة الله، وأذيتهم رسول الله ﷺ وعترته الطاهرة، الذين أمر الله باتباعهم.. وهي منهم.

وهكذا يُفهمُ غَضَبُ النَّبِيِّ وَالْإِمَامِ، فلا ضير أن يكون الإمام إذاً غضوباً في الله.. شديد البأس، قوياً، متممراً في ذات الله.. فينقم منه مخالفوه لذلك.

وإذا تبين أن الغضب ليس مذموماً على إطلاقه، وأن الغضب لله حسنٌ ممدوحٌ، عرفنا حينها الوجه فيما روي من غضب النبي ﷺ وغضب المعصومين عليه السلام، وبه فسرنا النماذج المتكررة التي قد يلحظها المتتبع للروايات الشريفة وللتاريخ.

ومن هذه النماذج ما روي من قول أمير المؤمنين عليه السلام: ثُمَّ مَرَرْتُ بِالصُّهَاجِيِّ يَوْمًا فَقَالَ لِي: مَا مَثَلُ مُحَمَّدٍ إِلَّا كَمَثَلِ نَخْلَةٍ نَبَتَتْ فِي كُنَاسَةٍ!!
والكناسة مُلْقَى الْقُمَامِ!

لقد بلغ هؤلاء القوم منتهى الوقاحة، حيث يقولون لعلي عليه السلام أن محمداً ﷺ كالنخلة التي نبتت في ملقى القمامة! فهم يُعرِّضون بأقاربه ﷺ، بل بالصفوة التي اختارها الله تعالى.

فَغَضِبَ النَّبِيُّ وَخَرَجَ، فَأَتَى الْمُنْبَرَّ، وَفَزَعَتِ الْأَنْصَارُ فَبَجَاءَتْ شَاكَةً فِي السَّلَاحِ لِمَا رَأَتْ مِنْ غَضَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لقد استدعى غضبه ﷺ استنفار الأنصار، فخرجوا بسلاحهم لغضب رسول الله ﷺ.

فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُعَيِّرُونَنِي بِقَرَابَتِي؟ وَقَدْ سَمِعُوا مِنِّي مَا قُلْتُ فِي فَضْلِهِمْ وَتَفْضِيلِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ؟^(١).

لقد غضب النبي ﷺ لما عَيَّرَ في قرابته، وهي العترة الطاهرة، أفلا يغضب المؤمن إذا ما انتقص من عترة النبي ﷺ؟!!

وقد غضب الرسول ﷺ في موردٍ آخر لاتهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنه قد أخذ جاريةً من المغنم! فغضب رسول الله ﷺ غضباً لم يُرَ قبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ غَضَبٌ مِثْلُهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَتَرَبَّدَ وَانْتَفَحَتْ أَوْدَاجُهُ، وَارْتَعَدَتْ أَعْضَاؤُهُ، وَقَالَ: مَا لَكَ يَا بَرِيدَةُ أَذَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْذُ الْيَوْمِ؟^(٢).

ثم غضب ثالثةً عندما منعه فرعونُ هذه الأمة من أن يكتب كتاباً يؤكد فيه على أمر الخلافة: فغضب رسول الله ﷺ وَقَالَ: إِنِّي أَرَاكُمْ تُخَالِفُونِي وَأَنَا حَيٌّ (فَكَيْفَ بَعْدَ مَوْتِي) فَتَرَكَ الْكَتِفَ^(٣).

مِنْ ثُمَّ نُقِلَ غَضَبُ الْأُئِمَّةِ لِلْعَقِيدَةِ الْحَقَّةِ مَرَاراً..

فهذا أمير المؤمنين يغضب عندما طُلِبَ منه وصف الله تعالى وصفاً يشابه وصف المخلوقين، يكون فيه انتقاصٌ من الذات الإلهية المقدسة: فغضب وخطب الناس فقال: فيما عليك يا عبد الله بما ذلك عليه القرآن من صفته^(٤).

وهكذا يكون غضب المؤمن لأجل العقيدة غضباً مبرراً تماماً، فهو غضبٌ

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي ج ٢ ص ٦٨٥.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ١٣٧.

(٣) كتاب سليم ج ٢ ص ٧٩٤.

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص ١٦٣.

لله سبحانه وتعالى.

وعلى هذا المنوال جرت سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام، فقد انتقص من قدر النبي صلى الله عليه وآله في محضر الباقر عليه السلام، وذلك بالانتقاص من قدر شفاعته، والاستهزاء بها: فَعَضِبَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام حَتَّى تَرَبَّدَ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ يَا أَبَا أَيَّمَنِ، أَغَرَّكَ أَنْ عَفَّ بَطْنُكَ وَفَرَجُكَ؟ أَمَا لَوْ قَدْ رَأَيْتَ أَفْرَاعَ الْقِيَامَةِ لَقَدْ احْتَجَّتْ إِلَى شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ^(١).

فلا يستغني المؤمن عن شفاعته النبي صلى الله عليه وآله في أهوال ذلك اليوم. وهكذا غضب السَّجَاد عليه السلام لما قيل له: إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام سَارَ فِي أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِخِلَافِ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي أَهْلِ الشَّرْكِ: فَإِنَّ فِي هَذِهِ الدَّعْوَى طَعْنَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، إذ خالف سيرة الرسول صلى الله عليه وآله، بل طعن بالولاية والإمامة.

قَالَ: فَعَضِبَ ثُمَّ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: سَارَ وَاللَّهِ فِيهِمْ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ^(٢). وهكذا تتعدَّد النماذج، حيث يغضب الإمام الباقر لمن سأله عن ولاية علي عليه السلام أَمِنْ اللَّهِ أَوْ مِنْ رَسُولِهِ! فهذا يطعن في عصمة النبي صلى الله عليه وآله حيثُ يحتمل أن يأتي في مثل الولاية بشيء من عنده دون أمر الله!

ويغضب الإمام الباقر على من زعم أن ابن الحنفية إمامٌ.. فيكون غضبه للإمامة الشريفة.

ومن قبل: غَضِبَ أَبُو طَالِبٍ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَكَانَ مِنْ يَهَابِهِ

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٠٢.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٣٣.

الرَّجَالُ وَيُكَرُّهُ غَضَبُهُ^(١).. وذلك عندما استقلَّ بعضُ قُرَيْشٍ من قدر النبي ﷺ لما خطب خديجة.

هي إذاً سنةٌ من أبي طالب، إلى النبي ﷺ، ثم أمير المؤمنين عليه السلام، فسائر الائمة المعصومين.

فكيف لا يكون الشيعة على هديهم؟! وكيف لا يغضب الشيعة لغضب الله تعالى؟

كيف لا يغضبون عند الإنتقاص من التوحيد؟ أو عند الطعن في النبوة والإمامة؟ إنه غضبُ الله.. ومثل هذا الغضب مفتاحٌ لرضا الرحمان.

المحور الثالث: كيف يغضب الله تعالى؟!

لقد اتفقت كلمة أصحاب الكتب السماوية على نسبة الغضب لله تعالى. ففي التوراة: فَصَعِدَ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللَّهِ، وَقَتَلَ مِنْ أَسْمَنِهِمْ، وَصَرَخَ مُخْتَارِي إِسْرَائِيلَ^(٢).

وفي الإنجيل: لَأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمْ^(٣).

وفي القرآن الكريم: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ

(١) الكافي ج ٥ ص ٣٧٥.

(٢) المزامير ٧٨: ٣١.

(٣) سفر رومية ١: ١٨.

جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا^(١).

اتفقت الكتب الثلاثة على نسبة الغضب لله تعالى، ولكن.. كيف يغضب الله تعالى؟ والغضب صفة نفسانية تتضمن معنى التغيُّر والتبدُّل والانتقال من حالٍ الى حال.. والله تعالى منزّه عن ذلك.
ههنا جوابان، بل معنيان:

المعنى الأول: غضب الله غضب أوليائه

إنَّ من أساليب اللغة اسناد الفعل إلى غير فاعله لمسوِّغ، مع نصب قرينة على ذلك.. ومثاله ما لو وَصَفَ الله سبحانه وتعالى نفسه بالأسف، ودلت الأدلة على أنه تعالى لا يأسف كأسفنا، كان لا بد من حملها على معنى آخر غير المعنى الذي نفهمه من الأسف.

ومن هذه المعاني أن المراد منها أسف أوليائه، الذين جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه، وهكذا في الغضب والرضا وأمثال ذلك..

وقد قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾:

إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأْسِفُ كَأَسَفِنَا، وَلَكِنَّهُ خَلَقَ أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِهِ يَأْسِفُونَ وَيَرْضَوْنَ، وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ، فَجَعَلَ رِضَاهُمْ رِضًا نَفْسِهِ، وَسَخَطَهُمْ سَخَطَ نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ جَعَلَهُمُ الدُّعَاةَ إِلَيْهِ وَالْأَدْلَاءَ عَلَيْهِ فَلِذَلِكَ صَارُوا كَذَلِكَ، وَلَيْسَ أَنَّ ذَلِكَ يَصِلُ إِلَى اللهِ كَمَا يَصِلُ إِلَى خَلْقِهِ..

فَكُلُّ هَذَا وَشِبْهُهُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ.

وَهَكَذَا الرِّضَا وَالْغَضَبُ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَشْيَاءِ مِمَّا يُشَاكِلُ ذَلِكَ.. لِأَنَّهُ إِذَا دَخَلَهُ الْغَضَبُ وَالضَّبَرُ دَخَلَهُ التَّغْيِيرُ^(١).

المعنى الثاني: غضب الله عقابه

وهنا معنى آخر لغضب الله تعالى، وهو إنزاله العقاب على المستحقين، فيعبر عن إنزال العقاب بالغضب.

وقد سئل الباقر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾: مَا ذَلِكَ الْغَضَبُ؟

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: هُوَ الْعِقَابُ، يَا عَمْرُو إِنَّهُ مَنْ رَعِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ زَالَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَقَدْ وَصَفَهُ صِفَةً مَخْلُوقٍ^(٢).

الثمرة

بهذا يتضح أَنَّ غضب الله يعني غضب أوليائه، ويعني عقابه. وَأَنَّ الغضب وإن كان مفتاح كل شر، وجمرة من الشيطان، ومُفسِداً للإيمان، فهو مخصوص بالغضب الذي يُخْرِجُ العبدَ من الحقِّ إلى الباطل. أما الغضب لله تعالى، والشدة في الله، فهو غضبٌ للحق، ومن غضب لله غضب الله له.

(١) الكافي ج ١ ص ١٤٤.

(٢) الكافي ج ١ ص ١١٠.

وهكذا كان غضب النبي والإمام، الغضوب في الله.. وهكذا كان غضب السيدة الزهراء عليها السلام على من ظلمها، غضباً لله وفي الله.
وهكذا غضب النبي على من طعن بأهل بيته وبالأئمة عليهم السلام.. ومثله غضب الأئمة عليهم السلام على من تجاوز على العقيدة.
فلا يُعَابُ المؤمن إن تشبه بهم عليهم السلام.
أو تشبه بأبي طالب عليه السلام حينما غضب للنبي صلى الله عليه وآله.
فغضب الشيعة للحق ولأئمتهم ممدوح.. كما كانت عصبيتهم للإمام وللحق ممدوحة.. بخلاف عصبية من سواهم.
نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن ينتصر به لدينه، وأن يعجل فرج وليه.
والحمد لله رب العالمين^(١).

٢٥. الإمامة.. وتقديم المفضل!

بسم الله الرحمن الرحيم

يُدرِكُ أولُوا الأبواب أَنَّ العالمَ لَا يَسْتَوِي مع الجاهلِ بِحالٍ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أولُوا الأبوابِ﴾^(١).

ويعلمون أَنَّ أحوال العالم مع الجاهل قد تكون على صُورٍ ثلاثة:

أولها: أن يتقدَّم العالم ويتأخر الجاهل، وهو الخيار القويم.

ثانيها: أن يتساوى العالم والجاهل.. وهو خلاف العدل والكمال، لأنَّ اتِّصافَ العالم بما افتقده الجاهل يقتضي تقدُّمَ العالم، فكيف تَسَاوَيَا؟

ثالثها: أن يتقدم الجاهل ويتأخر العالم! وهو ظُلْمٌ فاحشٌ، وخطأٌ فظيع!

ولما كانت الصورة الأولى هي المناسبة مع حكم العقل، استنكرت الآية المباركة الصورة الثانية، التي يتساوى فيها العالم والجاهل، واحتجت على الناس بالعقل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أولُوا الأبوابِ﴾، فالوجه في عدم قبول ذلك هو حكم العقل ببطلانه، إذ لا يمكن بحكم العقل أن يتساوى العالم والجاهل.

لكنَّ الآية لم تتعرض صريحاً للصورة الثالثة، ذلك أنَّه لا يحتمل بحكم العقل المصير إليها والتسليم بها، فدَلَّت الآية على ذلك بالأولوية القطعية، بمعنى أنَّ من حكم ببطلان الثانية حكم ببطلان الثالثة جزماً لأنَّها أسوأ منها.

فَمَنْ أنكر التساوي بين العالم والجاهل أنكر تقدُّمَ الجاهل على العالم، كما في

قوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٌّ﴾، الذي يدلُّ بالأولوية القطعية على قُبْحِ الصراخ على الوالدين، وشتمهم وضربهم، والإتيان بأي نوع من أنواع الإساءة، وقد ذُكِرت ﴿أَفٌّ﴾ لصِغَر شأنها عند الناس، فكلُّ ما كان أعظم منها كان محرماً بالأولوية القطعية.

بهذا يتبيَّن أنَّ مَنْ ساوى بين العالم والجاهل قد دخل في المرحلة الأولى من مراحل الإنحدار.. على مستوى الفرد أو الأمة.

أما مَنْ قدَّم الجاهل على العالم، فقد بلغ منتهى الإنحدار وأسوأ صوره!

الشيعَةُ أولُو الألباب!

إذا أردنا أن نتعرَّف على موقف الشيعة وفهمهم لهذه الآية، نظرنا إلى ما نقلوه عن أئمتهم الأطهار عليهم السلام.

فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال:

١. نَحْنُ ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾.

٢. وَعَدُوُّنَا ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٣. وَشِيعَتُنَا ﴿أُولُوا الألبابِ﴾^(١).

الأئمة هم أهل العلم، وأعداؤهم هم أهل الجهل، والعقل يحكم بأنَّهما لا يستويان، فمن لم يؤمن بذلك لم يكن من ذوي العقول والألباب!

لقد صار الشيعة هم أصحاب العقول، ذلك أنَّهم قد حكّموها فعرفوا بها

(١) المحاسن ج ١ ص ١٦٩.

أَنَّ الْفِتْنَانَ لَا تَسْتَوِيَانِ، فَقَدَّمُوا الْعَالَمَ عَلَى الْجَاهِلِ.
يقول الصادق عليه السلام: أَنْتُمْ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

فَابْشُرُوا، فَأَنْتُمْ عَلَى إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ مِنَ اللَّهِ:
١. أَمَّا إِنَّكُمْ إِنْ بَقِيتُمْ حَتَّى تَرَوْا مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ رِقَابَكُمْ، شَفَى اللَّهُ صُدُورَكُمْ،
وَأَذْهَبَ غَيْظَ قُلُوبِكُمْ، وَأَذَالَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾.
٢. وَإِنْ مَضَيْتُمْ قَبْلَ أَنْ تَرَوْا ذَلِكَ مَضَيْتُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ الَّذِي رَضِيَهُ لِنَبِيِّهِ
وَبَعَثَهُ عَلَيْهِ^(١).

هذا هو منشأ قول الشيعة حينما رفضوا المساواة بين العالم والجاهل، كما
رفضوا تقديم الجاهل على العالم، وقالوا بلزوم تقديم العالم على الجاهل، امتثالاً
لحكم العقل القطعي، ولأمر السماء.
لكن ماذا فعلت الأمة؟ وما كان موقف عموم الناس، الذين قال تعالى عن
أكثرهم أَنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ؟!

الأمة وتقديم المفضول!

يُلَخِّصُ فِعْلَ الْأُمَّةِ عَالَمٌ كَثِيرٌ مِنْ عِلْمَائِهَا، أَقَرَّ بِأَفْضَلِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى
مَنْ عَدَاهُ، لَا فِي الْعِلْمِ فَقَطْ، بَلْ فِي كُلِّ خِصَالِ الْحَمْدِ، فَإِذَا كَانَتْ أَشْرَفَ هَذِهِ

(١) المحاسن ج ١ ص ١٧٠.

الخصال عنده، هل يفضلُه أحدٌ في صفةٍ من صفات الكمال؟!
لقد أقرَّ ابن أبي الحديد كجَمَلَةٍ من علماء المخالفين بأفضلية أمير المؤمنين،
لكنه ذهب مذهباً بعيداً حينما قال في مطلع شرحه لنهج البلاغة:
الحمد لله الذي تَفَرَّدَ بالكمال، فكلُّ كاملٍ سواه منقوص، واستوعب عموم
المحامد والممادح، فكل ذي عمومٍ عداه مخصوص.. وَقَدَّمَ المفضول على الأفضل
لمصلحةٍ اقتضاها التكليف^(١).

هذا الرَّجُلُ يصفُ الله تعالى بالكمال، وقد أنزل هذا الإله الكامل كتاباً كاملاً
على نبيه الكامل ﷺ، يَبَيِّنُ فيه أَنَّ أُولَى الْأَبَابِ لا يقولون بالتساوي بين العالم
والجاهل.

لكن الله الكامل عند ابن أبي الحديد قد (قَدَّمَ المفضول على الأفضل)!
عليٌّ ﷺ هو الأفضل، لكنَّ الله قَدَّمَ الْأَوَّلَ والثاني والثالث عليه!
كيف يتقدم المفضول على الأفضل وأولوا الأبواب يرون هذا نقصاً وعيباً يا
ابن أبي الحديد؟!

يقول: (لمصلحةٍ اقتضاها التكليف)؟!
إِذَا صَارَت الآية المباركة غير ذي أهمية! بل صارت عبثية! إِذْ أَنَّهَا تَكْشِفُ
عن قاعدةٍ عقليةٍ، والقاعدة العقلية التي لا تختلف ولا تتخلف، لكنَّها هنا
سَقَطَتْ! وتَخَلَّفَتْ! بدعوى موافقة ذلك (للمصلحة)!

أي مصلحة هذه يا تُرى؟

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣.

أهي مصلحة الأمة في أن يتقدم جُهَّالُها ويتأخر علماؤها؟!
 أهي مصلحة الأمة في أن يتقدم حُسادُها ومنافقوها؟
 أهي مصلحة الأمة في أن ترجع إلى سَفال؟!
 أي مصلحةٍ لهذه الأمة في مخالفة العقل والنقل؟
 ثمَّ من أين عَلِمْنَا أنَّ الله تعالى قدم المفضول؟! والمفضول قد تَقَدَّمَ بالقوة
 والمكر والخديعة؟
 هل نَصَبَهُ الله تعالى إماماً فَقَدَّمَهُ بذلك؟ أم اختاره بعض من في هذه الأمة
 المنكوسة الذين لا يعقلون؟
 أليس هذا الفكر هو الذي بَرَّرَ قَتْلَ الحسين عليه السلام حينما قيل: قَتَلَ الله
 حسيناً؟!
 ألا يستلزم ذلك الجبر، ليكون كُلُّ فعلٍ قبيحٍ قد فعله الله تعالى؟!

أين العقل من ذلك؟!

يحاول ابن ابي الحديد أن يعطي صبغةً عقليةً لتقديم المفضول، بحجة
 المصلحة! أي أنَّ الفعل القبيح يصيرُ حَسَنًا إذا رأى هؤلاء أنَّ فيه مصلحة!
 هذا المنهج هو نفسه منهج معاوية بن أبي سفيان.. على ما فيه من شيطنةٍ
 ومكرٍ وخديعة.. فليس هو العقل بحال.
 لقد سئل الإمام الصادق عليه السلام في حديثٍ مشهور: مَا الْعَقْلُ؟
 قَالَ: مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ، وَاكْتُسِبَ بِهِ الْجَنَانُ!

فسئل عن الذي كان في معاوية فقال:

تِلْكَ النَّكَرَاءُ! وَتِلْكَ الشَّيْطَنَةُ! وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالْعَقْلِ! وَلَيْسَتْ بِعَقْلٍ! ^(١).

في محاولة ابن أبي الحديد هذه تحريفٌ للحقائق وتحويرٌ لها، وتحويلٌ لأمر الله باتباع عليٍّ عليه السلام الى وجوب اتباع من لم تجعل السماء له نصيباً في ذلك!

هل تُكْتَسَبُ الجنان بعقلٍ كعقل ابن أبي الحديد؟ وهل يُعْبَدُ به الرحمن؟ أم يُعْبَدُ به رَبُّ يَاقِدِ الْمَفْضُولِ عَلَى الْأَفْضَلِ؟ وآيات الله تنفي ذلك!

إذا كان العقل هو دليل الشيعة الأول على لزوم اتباع أمير المؤمنين عليه السلام، لكونه الأفضل بإقرار المؤلف والمخالف.

وإذا كان القرآن الكريم دَلَّ على ذلك أيضاً.

وإذا كانت الشيطنة تشبه العقل، ألا ينبغي ان يكون هناك علامةٌ يُمَيِّزُ بها كُلُّ مَنْهَا؟

لقد كشفت الأحاديث الشريفة أَنَّ الله تعالى أَمَرَ (الدِّينَ وَالْحَيَاءَ) أَنْ يَكُونَا مع العقل حيث كان، فَمَنْ فَقَدَ الدِّينَ أَوْ الْحَيَاءَ فَقَدَ الْعَقْلَ!

فَأَيُّ حَيَاءٍ يَتَّصِفُ بِهِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِتَقْدِيمِ الْمَفْضُولِ؟!

أي عقلٍ هذا الذي يحتج به ابن أبي الحديد وأيُّ مصلحة هذه؟ أيخالف العقل الدين؟

أيأمر الله تعالى بطاعة الإمام المعصوم وينهى عن التسوية بينه وبين غيره.. ثم يأمر بطاعة الجاهل وتقديمهم عليه؟

(١) المحاسن ج ١ ص ١٩٥.

إنَّ من آثار هذه العقيدة فساد الأمة وفساد العقل ونسبة النقص لله تعالى..

أولاً: فساد الأمة

إنَّ في تقديم المفضول الجاهل فسادُ الأمة، فقد قال رسول الله ﷺ:

مَنْ عَمِلَ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ^(١).

إنَّ مَنْ تقدَّم على أمير المؤمنين كان عاملاً بغير علم بإقراره، فكان ما أفسده في هذه الأمة أكثر بكثير مما أصلح.

لقد ترك النبي ﷺ الأمة بعد ما بين لها أحكام دينها، فهل أوضح المتقدِّمون على عليٍّ عليه السلام للناس ما خفي عنهم؟ أم تَفَنَّنُوا في الكذب على رسول الله، وفي تحريف أحكام الله تعالى؟!

قال الإمام الصادق عليه السلام: الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، لَا يَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا بُعْدًا!

وفي الحديث: مَا وَلَّتْ أُمَّةٌ أَمْرَهَا رَجُلًا وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ يَذْهَبُ سَفَالًا حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى مَا تَرَكُوا^(٢).

ثانياً: فساد العقل

إنَّ البشرية اليوم بأنظمتها وقوانينها، بكافة مؤسساتها ومراكزها العلمية، في مختلف الدوائر ومراكز القرار، وفي شتى المجالات الاقتصادية والسياسية

(١) المحاسن ج ١ ص ١٩٨.

(٢) الأُمالي للطوسي ص ٥٦٠.

والدينية وغيرها، كُلُّهَا تَرَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ اعْتِمَادِ مَبْدَأِ الْكَفَاءَةِ، وَإِنْ خَالَفَتْهُ أَحْيَانًا، فَإِنَّهَا عِنْدَمَا تَخَالَفُهُ تَقَلُّلٌ مِنْ فُرْصِ التَّقَدُّمِ وَالْإِزْدِهَارِ.

إِنَّ مِنْ سَبِيلِ تَرْقِيٍّ النَّاسِ وَالْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ وَضَعُ الشَّخْصِ الْمُنَاسِبِ فِي مَكَانِهِ الْمُنَاسِبِ، وَتَقْدِيمِ الْأَعْلَمِ عَلَى الْعَالِمِ، وَالْعَالِمِ عَلَى الْجَاهِلِ.

فَهَلْ هُنَاكَ طَرِيقٌ يَسْلُكُهُ الْعُقَلَاءُ غَيْرَ تَقْدِيمِ الْأَعْلَمِ وَالْأَقْدَرِ عَلَى تَنْظِيمِ الْأُمُورِ وَضَبْطِهَا وَإِصْلَاحِ أَمْرِهَا؟!

إِنَّ الْبَشَرِيَّةَ لَا تَزَالُ تَجَاهِدُ لِلْوُصُولِ إِلَى أَفْضَلِ قَانُونٍ، وَلَا يَزَالُ الْمُسْتَقِيمُونَ فِيهَا يَكْأَفَحُونَ، لَا يَزَالُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَأْرَبٌ خَاصٌّ يَسْعَى لِإِصْلَاحِ الشَّخْصِ الْقَدِيرِ إِلَى سِدَةِ الْحُكْمِ، إِلَى حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ، وَمَا هَذَا إِلَّا لِأَنَّ طَرِيقَ التَّقَدُّمِ مَوْقُوفٌ عَلَى تَقْدِيمِ الْأَفْضَلِ، وَأَوَّلُ عِلَامَاتِهِ أَنَّهُ الْأَعْلَمُ، مَعَ اجْتِمَاعِ سَائِرِ الْعِلَامَاتِ.

فَأَيُّ عَقْلِ بَشَرِيٍّ يَرْفُضُ قَاعِدَةَ تَقْدِيمِ الْأَفْضَلِ؟!

لَقَدْ جَرَى عَلَى لِسَانِ بَعْضِ مَنْ تَقَدَّمَ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِقْرَارٌ بِتَفْضِيلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ، لَكِنَّ السُّؤَالَ لَهُ وَالْأَمْثَالَ وَاتِّبَاعَهُ:

كَيْفَ تَتَصَدَّى لِهَذَا الْمَنْصَبِ وَلَسْتَ بِخَيْرِهِمْ؟!

أَنْتَ بِنَفْسِكَ تَقَرَّرُ وَتَعْتَرِفُ بِأَنَّكَ لَسْتَ الْأَفْضَلُ، وَحِينَئِذٍ صَدَرَتْ كَلِمَةُ الْحَقِّ عَلَى لِسَانِكَ طَلِبْتَ مِنْهُمْ أَنْ يَقِيلُوكَ، وَقَدْ تَقَاسَمَتْهَا مَعَ صَاحِبِكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مُحَلَّ عَلِيٍّ مِنْهَا مُحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرِّحَى!

ثالثاً: نسبة النقص لله تعالى

قال الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

فمن هو المصداق الأول لها؟!

روي عن الباقر عليه السلام:

فَأَمَّا مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ فَهُمْ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ مِنْ بَعْدِهِ.
وَأَمَّا مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَهُوَ مَنْ خَالَفَ مَنْ فُرِشَ وَغَيْرِهِمْ أَهْلَ بَيْتِهِ
مِنْ بَعْدِهِ^(٢).

لقد قرع الله تعالى الذين لم يوجبوا اتباع الأفضل الذي يهدي إلى الحق وقال:
﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، ثم زعم هؤلاء أن الله تعالى أمر باتباع المفضول!
وَمَنْ نَسَبَ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ نَفَىٰ حِكْمَتَهُ وَعَدْلَهُ.

فلا يخلو الحال من أن يكون العقل دالاً على لزوم اتباع الأفضل، أو لا يكون
كذلك.

فإن قلنا أنه لا يدل على لزوم اتباع الأفضل، ويمكن أن يأمر الله باتباع
الجاهل، نسبنا النقص لكتاب الله وأبطلنا آياته، حينما قرن بين العقل وبين تقديم
العالم ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.
وإن قلنا أن العقل يدل على لزوم اتباع العالم الأفضل.. ثم قلنا أنه تعالى أمر

(١) يونس ٣٥.

(٢) تفسير القمي ج ١ ص ٣١٢.

باتباع الجاهل، أثبتنا النقص في الله تعالى من جهة أمره بلزوم اتباع المفضول، مع كون العقل الذي جعله حجةً على الناس يأمرهم بلزوم اتباع الأفضل.

فيلزم اختلال الحكمة الإلهية، لأنه أمرٌ بالشيء ونقيضه!

ويلزم سقوط الحجة الإلهية، وهي العقل القطعي!

ويلزم سقوط العدل الإلهي، إذ عقاب غير المقصّر العامل بعقله القطعي

الذي هو حجة الله قبيح!

وهكذا كلما قَلَبَتِ المسألة ظهراً على بطنٍ وجدتها لا تستقيم، ولا يقبلها

العقل بوجهٍ من الوجوه، بل تتضمن نسبة النقص لله تعالى.. حاشى ربنا عز وجل أن يكون كذلك.

وقد قال الشاعر:

قد خان من قدم المفضول خالقه *** ولإله فبالمفضول لم أحن

وقال الشاعر:

وقالوا رسول الله ما اختار بعده *** إماماً ولكننا لأنفسنا اخترنا

أقمنا إماماً أن أقام على الهدى *** أطعنا وإن ضلّ الهداية قومنا

فقلنا إذا أنتم إمامكم *** بحمدٍ من الرحمن تهتم ولا تهنا

إن في هذه الايات إشارة مهمة: (فقلنا إذا أنتم إمامكم)!

لقد كانت وظيفة الإمام أن يُقَوِّمَ الأئمة، ولكنه عندهم قد يزيغُ فتقوّمهُ

الأئمة، فيكون مأموماً وهم الأئمة!

وقد قالها قائلهم: إن زغت فتقوموني!

فصار الإمام مأموماً لأمّةٍ تحتاجه ليقومها! ويحتاجها لتقومه!

فيا لله وللألباب!

بهذا يظهر أن الشيعة قد انفردوا بحكم يوافق العقل.. وهو لزوم العصمة في الإمام، ووجوب تفضيله على جميع الأمّة، وإلا نسبنا النقص لمن جعله إماماً.. جلّ ربنا عن ذلك.

لكنّ للقوم ربّاً آخر.. ربا مجسّماً يرسل نبياً غير معصوم في كلّ أحواله، ربّاً يُقدّم المفضول على الأفضل! والجاهل على العالم!

إنّها الشيطنة.. كشيطنة معاوية، يتنبه لها العقلاء، أولوا الألباب، شيعة الأطهار، وقد فهموا كلام أئمتهم عليهم السلام:

إِنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلٌ قَدْرًا وَأَعْظَمُ شَأْنًا وَأَعْلَى مَكَانًا وَأَمْنَعُ جَانِبًا وَأَبْعَدُ غَوْرًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُوبِهِمْ، أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ، أَوْ يُقِيمُوا إِمَامًا بِاخْتِيَارِهِمْ! إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ.

لكنّهم رغبوا عن اختيار الله الى اختيارهم.. فَضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً.

اللهم إنا نعوذ بك منهم.. والحمد لله رب العالمين^(١).

٢٦. ما أعجز أئمتكم أيها الشيعة!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

إنَّ مضمون هذه الآية المباركة من الأمور الواضحة والمسلّمة عند الإنسان المسلم، بداهة أنَّ الله تعالى هو الخالق العظيم القادر على كل شيء، وهو المالك للسموات والأرض.

ولما كان تعالى هو المالك لكل شيء، كان له أن يعطي الملك من يشاء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

فكلُّ شيءٍ تحت سلطان الله، والله تعالى هو الذي يعطي الملك وينزع الملك، وهو الذي يعزّ ويذلّ.

ههنا يطرحُ على الشيعة سؤال:

إذا كنتم أيُّها الشيعة تعتقدون أن أئمتكم هم خلفاء الله تعالى في أرضه وسمائه، وحيثه على عباده، بل أئمة الوجود بأسره.

فكيف يستقيم قولكم مع ما يُرى فيهم من ضعفٍ ظاهر؟

وكيف يُفسَّرُ استضعاف الأئمة للإمام مع كونه خليفة الله؟ ألا يطعن هذا في

(١) آل عمران ١٨٩.

(٢) آل عمران ٢٦.

إمامته؟! أين ولايته على الكون إذا؟

إنّا إذا نظرنا إلى الأئمة واحداً واحداً، بل إذا نظرنا إلى أولهم ورمز قوتهم وشجاعتهم.. إلى أبيهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو مجندل الأبطال وقاهر الأشرار.. وجدناه عاجزاً عن أخذ حقه حينما سلب منه!

فأين هي القدرة التي تنسبونها لهم أيّها الشيعة؟!

كيف تُستَلَبُ إمامةٌ أعطاهها الله للإمام، مقرونةً بالقدرة على التصرف في الكون كما يتصرّف فيه ملائكة الرحمن؟!

كيف يكون إماماً من قُتِلَ وظلِمَ واضطهد؟

لقد قُتِلَ من الأئمة أحد عشر إماماً، ولو لم يغيب الثاني عشر لأصابه ما أصابهم!

أسئلةٌ كثيرةٌ يطرحها المخالف في الدين تارة، وفي المذهب أخرى، والمؤمن بالولاية الثالثة..

لذا يتعدّد الجواب والحديث، فمنه نقضيّ يقطع ألسن المعاندين، ومنه حليّ يوضح الأمر للباحثين المنصفين.

الحديث الأول: مع المخالف في الدين

إنّ المخالفين لنا في الدين على أصنافٍ شتى، لا يسعنا التعرّض لها كلّها، فنكتفي بفرقتين من أهم فرقهم: أولهما الملحدون، وثانيهما النصارى.

وقفتم مع الملاحد

أما المُلَحِد.. فإن هالَهُ كيف يكون الإمام قادراً ثم يظهر في الحياة عاجزاً، قلنا له: ليس هذا بأشدَّ ولا أصعب من عقيدتك في الإلحاد!

إنك أيها الملاحد تقرُّ بأنَّ لهذا الكون نظاماً وقانوناً.. لكنك تزعم أنَّ هذا القانون قد نشأ بشكل عشوائيٍّ! أو عفويٍّ.. كما يقول كثيرٌ من أئمة الإلحاد المعاصر.

العفوية والاعتباطية والعشوائية إذاً هي التي تحكم الكون! أو ينبثق عنها الكون، أو يسير بها، وإن كان كلُّ ذلك يحصل ضمن نظمٍ ونسقٍ فريدٍ لا تخفى عظمته على عالمٍ من العلماء!

ثمَّ تنبثق من هذه العفوية أنظمتُ في غاية الدقة في مختلف العلوم! كما يقرُّون! فلم لا تكون العشوائية والعفوية (أيها الملاحد) هي السبب أيضاً في أن يكون الإمام قادراً قوياً ثم يظهر عاجزاً ضعيفاً في بعض أحواله كما ترى! ليس للملاحد أن يسأل عن السبب.. فهذا الاحتمال العشوائي العفوي كافٍ على مبناه!

بل لم لا يكون الإمام قادراً قوياً غير عاجزٍ ثم لا يُعْمَل قدرته وسلطانه.. بشكل عفويٍّ.. ودون مصلحة.. بل لأمرٍ اعتباطيٍّ! كلُّ هذا على مبنى الملاحد العقيم..

فإن قال الملاحدون: إن هذا خلاف حكمة الحكيم!

قلنا: وهل تنسجم حكمة الحكيم مع مبانيكم في نشوء الكون من عفوية

واعتباطية وعشوائية؟! ما لكم كيف تحكمون!

أتقبلون بمثل هذه التبريرات الواهية في أعظم المسائل وأهمها، وتنكرونها على من يجيبكم على قدر عقولكم في مسألة النبوة والإمامة والرئاسة والقيادة؟! ألا ترون أنكم صرتم بهذا محلّ سخريّة أيها الملحدون؟

فإن أردتم الخروج من هذه الدوامة.. والحوار بالتي هي أحسن.. نقلنا البحث إلى إمكان وجود الكون دون مُوجد.. وهو من المستحيلات العقلية.

لا يقرّ عقل امرء بإمكان حدوث مُحدث دون محدث، ولا بإمكان وجود معلول دون علّة.

وإذا ظهرت عظمة الكون، وتناسقه، وقوانينه الدقيقة، جزمنا أن الصدفة لا يعقل أن تكون الموجدة لكل ذلك!

وأنتم تقرّون بذلك في قرارة أنفسكم، لكنم تنكرونها بألستكم!

فكفوا ألستكم.. لنبحث وإياكم في زعمكم أن ليس للكون خالق، مع اعترافكم بالعجز عن نفي وجوده.. ففقدتم بذلك كل مصداقية ومقبولية.

هذا جوابٌ أوّل لو كان السائل ملحداً.

وقفة مع النصراني

أما لو كان المخالف لنا في الدين نصرانياً.. والنصارى يشكلون اليوم فئة كبيرة جداً على وجه البسيطة.

فإن قالوا: كيف يكون امامكم قوياً ثم يكون مستضعفاً؟

خاطبتناهم بما ورد في انجيلهم: لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَدَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْحَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَفْطِنُ لَهَا؟^(١).

أتعيبون على المؤمنين اضطهاد الناس لأئمتهم وضعفهم في ظاهر الأمر، مع ما هم عليه من القدرة والقوة باعتقادنا، وَتَنْسَوْنَ ضَعْفَ مَنْ نَسَبْتُمُوهُ لِلْأُلُوهِيَةِ والربوبية؟!!

أتزعمون أن عيسى هو الله تعالى.. ثم مع ذلك تزعمون أنه قد اضطهد وظلم وصُلب وقُتل؟!!

أيهما أعظم أيها النصارى؟

١. ضَعْفٌ ظَاهِرٌ فِي إِمَامٍ مَخْلُوقٍ لِلَّهِ تَعَالَى، فَقِيرٌ لَهُ عِزٌّ وَجَلٌّ، مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ؟

٢. أَمْ ضَعْفٌ ظَاهِرٌ بَيْنَ جَلِيِّ فِي الرَّبِّ وَالْإِلَهِ! يُؤَدِي إِلَى قَتْلِهِ!

أما تعتقدون بما ورد في إنجيل متى حيث قال عن عيسى ﷺ:

فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلَايَةِ، وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكُتَيْبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَالْبُسُوهُ رِدَاءً قَرْمِزِيًّا، وَصَفَرُوا إِكْلِيلًا مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلَامُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!»^(٢).

أيستهزء بربكم وإلهكم؟ أين هي قدرته إذا؟

وفي كتابكم: وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ!

أَيَنْفُلُ عَلَى إِلَهِكُمْ؟! وَيُضْرَبُ عَلَى رَأْسِهِ؟

(١) متى ٧: ٣.

(٢) متى ٢٧: ٢٧-٢٩.

أَيُّ رَبِّ هَذَا وَأَيُّ إِلَهٍ عاجزٍ لا يقدر على الدفاع عن نفسه؟
وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَالْبِسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضُوا بِهِ لِلصَّلْبِ..
وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا..

الله أكبر! إله يصلب!

وَنَحَوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا
شَبَقْتَنِي؟» أَيُّ: إِلَهِ، إِلَهِ، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟

عيسى إله بزعمةكم.. لكنَّ له إلهًا فوقه قد تركه!

فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ.

أليس المسيح عندكم هو الله الذي ظهر في الجسد؟ أيكفي أن تُفَرِّقُوا بين
ناسوته ولاهوته كي يرتفع إشكال قتل إلهكم والسخرية منه؟
ساء ما تحكمون..

ألم تنقلوا في إنجيل مرقس: وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجِدُّونَ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَهْزُونَ
رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: «آه يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ!

خَلَّصَ نَفْسَكَ وَأَنْزَلَ عَنِ الصَّلِيبِ!»

وَكَذَلِكَ رُؤُوسَاءُ الْكَهَنَةِ وَهُمْ مُسْتَهْزِئُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَعَ الْكُتَّابَةِ، قَالُوا: «خَلَّصَ
آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا!

لِيَنْزِلَ الْآنَ الْمَسِيحُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الصَّلِيبِ، لِنَرَى وَنُؤْمِنَ!»^(١).

فمن أراد أن يحاجنا من الملاحدة والنصارى وأصحاب الأديان الأخرى، عليه أولاً أن يجيب على ما هو أشنع عنده، ثم بعد ذلك يستمع لما يأتي من جوابنا. ثم لو تنزلنا وقبلنا بما ذهب اليه النصارى من أن عيسى مات بطبيعته البشرية، ساغ لنا أن نقول: أليس عيسى بطبيعته هذه مرسلًا من الله سبحانه وتعالى؟ أليس الله قادراً على الدفاع عنه؟

إما أن تنسبوا العجز لله سبحانه وتعالى والعياذ بالله، أو أن تذهبوا الى سبيل آخر، فما كان جوابكم كان جوابنا في الدفاع عن أئمتنا عليهم السلام.

الحديث الثاني: مع المخالف في المذهب

أما المخالف لنا في المذهب.. فإن قال: ما الحاجة لإمام ضعيفٍ أو سجينٍ لا يقدر على شيء؟ بماذا تميّزتم أيها الشيعة عنا وفُضِّلْتُم؟

قادتنا قد تسيّدوا وتصدّروا وتسنّموا أرفع المناصب!

وأئمتكم أيها الشيعة قُتِلُوا وسجنوا وقهروا وظلموا، ثم مع ذلك تزعمون أنّ لهم ولايةً عظمى! وأنهم خلفاء الله في أرضه!

فأين هذه الخلافة التي عجزوا معها عن إرجاع حقهم؟!

ولئن كرّر المخالف ما طرحه أصحاب الأديان الأخرى، قلنا له أما ترى أن أنبياء الله ورسله في خلقه قد استضعفوا كما نصّ القرآن الكريم؟!

أما حكى القرآن الكريم ما عانى نوحٌ من قومه مئات السنين؟ وما عانى إبراهيم لما رموه في النار فأنجاه الله؟

أما سمعتم ما تعرّض له موسى عليه السلام، حتى قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

أما سمعتم قوله لقومه: ﴿بِسْمِ خَلْقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾. أما سمعتم قوله أخيه له: ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

أي ظلامه هذه التي وقعت على هؤلاء الأنبياء، حتى على عيسى عليه السلام الذي أحيى الموتى وشفى المرضى! وقد استضعفه القوم حتى ظنوا أنهم قتلوه: ﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾^(٣).

لم تسمعوا بما تعرّض له نبي الإسلام محمد ﷺ من ظلم قريش وأذاهم له ولمن آمن معه.. حتى نصره الله بعلي، وبأبي طالب، وبثلة من الكمل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٤).

لطالما انتظر الأنبياء نصر الله سبحانه وتعالى لما تعرضوا له من ظلامات وقهر وغضب، إلى أن جاء نصر الله تعالى.

(١) القصص ٢١.

(٢) الأعراف ١٥٠.

(٣) النساء ١٥٧.

(٤) البقرة ٢١٤.

فما تفسير هذا إذا؟ أوليس هؤلاء أنبياءُ أرسلهم الله سبحانه وتعالى؟
أيها المخالف لنا، إنَّ نفي الحاجة لإمام ما استجابت له الأمة، يضاهي قول
القائل: ما الحاجة لِربِّ في دنيا أكثر أهلها ظالمون؟ والحق فيهم قليل، ومُتَّبِعُهُ
ذليل؟

وما الحاجة لنبيٍّ لا يستجيب له قومه، بل يقهرونه ويقتلونهم؟
أفهل يعجز الله تعالى أن يبطش بمن عليها؟
أم أنه لحكمته يؤخرهم لذلك اليوم الموعود؟
قال تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ﴾^(١).
أوهل يدل إملة الله تعالى للكفار على عجزه؟ وقد قال تعالى:
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا
إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٢).

ألم تقتضي حكمة الله تعالى أن يعاجل قوماً بالعقاب ويؤجل آخرين وقد
قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ
مَنْ نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٣).

حكمة السماء

ههنا حكمة عامّة جرت وفقها مقادير السماء مع الأنبياء والمرسلين، بينها

(١) هود ١٠٤.

(٢) آل عمران ١٧٨.

(٣) يوسف ١١٠.

أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، حين يقول:
وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ، وَمَعَادِنَ
العِقْيَانِ، وَمَعَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوَحْشَ الْأَرْضِ مَعَهُمْ لَفَعَلَ!
ليس الله تعالى إذاً بعاجزٍ على أن يرسل الأنبياء بقدراتٍ لا تضاهي، ويسوِّغ
لهم استعمالها في كلِّ حين.

وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَجَبَ
لِلْقَائِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلَيْنِ، وَلَا حَقَّ الْمُؤْمِنِينَ ثَوَابُ الْمُحْسِنِينَ.. وَلِذَلِكَ لَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ
السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاؤُ عَنِ النَّاسِ
أَجْمَعِينَ.

وَلَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولَى قُوَّةٍ فِي عِزَائِهِمْ نِيَّاتِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى
الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مِنْ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونُ غَنَاؤُهُ، وَخَصَاصَةٍ تَمَلُّ
الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَ أَذَاؤُهُ.

وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ يُمَدُّ نَحْوُهُ أَعْنَاقُ
الرَّجَالِ، وَيُسَدُّ إِلَيْهِ عُقْدُ الرِّجَالِ، لَكَانَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِخْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ
فِي الْإِسْتِكْبَارِ، وَلَا مَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتْ النِّيَّاتُ
مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً.

وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ،
وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِمَطَاعَتِهِ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا

شَائِبَةً، وَكُلَّمَا كَانَتْ الْبُلُوى وَالْإِخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتْ الْمُثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ^(١).
 هي حكمة ربانية إذاً، اقتضت أن تجري الأمور بأسبابها الظاهرة، وأن لا يستفيد الأنبياء والمرسلون مما أعطاهم الله، ومن إنزال الملائكة لنصرهم إلا في مواطن خاصة اقتضت ذلك فيها إرادة السماء.
 نعم أظهر الأنبياء بعض ما أقدرهم الله عليه في مواطن خاصة بأمره تعالى،
 كموسى عليه السلام عندما ضَرَبَ بعصاه البحر، وعيسى عليه السلام حينما أحيا الموتى،
 وهكذا فعل الأئمة في حالات خاصة، بأمر الله سبحانه.
 هذا حديثنا مع المخالف لنا في المذهب.

الحديث الثالث: مع المؤمن بالولاية

أما الحديث مع أهل الولاية، فبأن ما ذكرناه مع المخالف كله يجري هنا..
 يضاف إليه أن الإمام قد عرّفنا على بعض الحكم الخاصة، والأسباب المحددة.
 فهذا أمير المؤمنين عليه السلام، أوّل مظلوم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لم يرفع سيفاً
 لقتال القوم، مع عظيم قوّته التي قلع بها باب خيبر، وبأسه وشدّته في قتال الكفار
 والمشركين والمنافقين.
 ما قام عليه السلام لأسباب وأسباب، منها أنّه كان خائفاً على دين الله، وعلى هذه
 الأمة، وهو القائل: لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهُ لَأُسْلِمَنَّ مَا

سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَى خَاصَّةٍ^(١).

وقد ورد هذا المعنى في روايات عدة بصيغ مختلفة:

منها: خَوْفًا أَنْ يَرْتَدُّوا.

ومنها: مَخَافَةً أَنْ يَرْجِعُوا كُفَّارًا.

ومنها: إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى نَفْسِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَنْ يَكُونُوا ضَلَالًا، لَا يَرْجِعُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَدْعُوهُمْ فَيَأْبُوا عَلَيْهِ فَيَصِيرُونَ كُفَّارًا كُلُّهُمْ^(٢).

ومنها: لَمْ يَمْنَعْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى نَفْسِهِ إِلَّا نَظَرًا لِلنَّاسِ وَتَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ فَيَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ وَلَا يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْأَحَبُّ إِلَيْهِ أَنْ يُقَرَّهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنِ جَمِيعِ الْإِسْلَامِ^(٣).

رحمته بالأمة إذا هي التي منعه عن القيام.. فضلاً عن أسباب آخر..

لكن.. هل تصح مثل هذه الأسباب؟ ألا يُتَّهَمُ الإمام حينها والعياذ بالله

بالتقصير؟

الإمام يؤتى ولا يأتي!

ههنا معنى في غاية الرفعة والسمو..

(١) نهج البلاغة ص ١٠٢.

(٢) الروايات الثلاثة في علل الشرائع ج ١ ص ١٤٩ و ١٥٠.

(٣) الكافي ج ٨ ص ٢٩٦.

لقد تقاعست الأمة عن نصرته الإمام، ولم يجد أعواناً يستعين بهم، ولم يكن له معينٌ كالزهراء عليها السلام، وها هي تبين لمن يسألها واحداً من أسمى منازل الإمامة عند الناس، جهله الجُلُّ لولا الكلُّ في تلك الأيام، فتقول نقلاً عن رسول الله أنَّ مثل الإمام مثل الكعبة إذ تؤتى ولا تأتى!

عبارةٌ حقٌّ أن تكتب بقاء الذهب.

فكما أنَّ الواجب على الناس أن يحجوا إلى بيت الله، دون أن تدعوهم الكعبة إلى الحج إليها!

كذلك لا يجب على الإمام أن يدعو الناس إلى نفسه بعدما بينَّ النبي صلى الله عليه وآله وجوب اتباعه من أول أيام الدعوة، في حديث الدار والطائر المشوي وسواهما، إلى غدير خمٍّ، وغير ذلك.

ولذا فإن الإمام لو دعا الناس إلى نفسه فهو فَضْلٌ منه يتفضَّلُ به على الأمة، والإمام مُستغنٍ عنهم غنى السيّد عن عبده، والأمة محتاجةٌ له حاجة الجاهل إلى مُعلِّمه، والفقير إلى من يغنيه من علمه وعمله، والضال الذي يبحث عمن يأخذ بيده، وفاقد النّظم الذي يحتاج إلى من يسوقه إلى ما فيه صلاحه، ويدبر له أمر معاشه ومعاده.

لقد روي أنّه: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَتْ فَاطِمَةُ تَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ، وَتَأْتِي قَبْرَ حَمْزَةَ وَتَبْكِي هُنَاكَ.

حينها سُئِلَتْ عن نصِّ النبيّ على أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة، فأثبتت ذلك، وأكدت استخلافه صلى الله عليه وآله لعلِّي عليه السلام يوم غدير خمٍّ، فلما سُئِلَتْ عن سبب قعوده

عن حقه، قالت عائشة: لَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَثَلُ الْإِمَامِ مَثَلُ الْكَعْبَةِ إِذْ تُؤْتَى وَلَا تَأْتِي. أَوْ قَالَتْ مَثَلُ عَلِيٍّ.

ثُمَّ قَالَتْ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ تَرَكُوا الْحَقَّ عَلَى أَهْلِهِ وَاتَّبَعُوا عِثْرَةَ نَبِيِّهِ لَمَا اخْتَلَفَ فِي اللَّهِ تَعَالَى اثْنَانِ^(١).

ثم روي هذا المعنى عن الإمام الباقر عليه السلام: يَا جَابِرُ، مَثَلُ الْإِمَامِ مَثَلُ الْكَعْبَةِ إِذْ يُؤْتَى وَلَا يَأْتِي^(٢).

والنتيجة أن الأمة مكلفة بأن تدور مدار الإمام، وتسلم قيادها له، وتأتية طائعة صاغرة، وقد بلغ النبي ﷺ أمر الله تعالى في لزوم اتباع الإمام ونص عليه مراراً، فإذا ما جحدت الأمة أمر الله تعالى، لم يكن الواجب على الإمام أن يقاتلهم لذلك مطلقاً، إلا أن يجد أنصاراً، ويأمره الله تعالى بذلك، أو يكون في ذلك صلاح الإسلام والمسلمين، فليس القتال واجباً على الإمام كيفما اتفق، ولا هو الحكم الأولي الذي يلجأ إليه الأنبياء وأوصياؤهم، وليس العمل المسلح هو أول سبلهم، بل له ظروفه وأحكامه الخاصة.

ثُمَّ إِنَّا إِنْ رَأَيْنَا الْإِمَامَ سَاكِنًا أَيْقَنَّا أَنَّ ذَلِكَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ انْتِقَاصٌ مِنْهُ وَلَا مِنْ قُدْرَتِهِ وَقَدْرِهِ، كَمَا لَمْ تَنْقُصْ مَعْصِيَةُ الْعَاصِينَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُلْطَانِهِ.

حتى لقد قال رأس الظالمين عنه عليه السلام: سُقَّتْهُ إِلَى الْبَيْعَةِ سَوْقًا، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ

(١) كفاية الأثر ص ١٩٨.

(٢) كفاية الأثر ص ٢٤٨.

عِلْمًا يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ لَوْ اجْتَهِدْتُ أَنَا وَجَمِيعُ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ جَمِيعًا عَلَى قَهْرِهِ مَا قَهَرْنَاهُ، وَلَكِنْ لِهَنَاتٍ كَانَتْ فِي نَفْسِهِ أَعْلَمُهَا وَلَا أَقْوَمُهَا^(١).

الإمام إذا خليفة الله في أرضه وسماؤه، ما منعه غير أمر الله له بالسكون لحكمة، ذلك أن جريان الأمور بأسبابها خير عند الله من قهر الله للعباد بالإمام، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

هذه هي عقيدة الشيعة، لا تهزُّها الرياح.. وستبقى حتى ظهور الإمام الحجة عجل الله فرجه..

ما ضَرَرْنَا أَنْ قَالَ قَائِلٌ: غَابَ الْإِمَامُ لضعفه!

أَوْ قَالَ آخِر: مَاتَ! هَلَكَ! فِي أَيِّ وَادٍ سَلَكَ؟!

ما ضَرَرْنَا لَوْ انْحَرَفَ مِنْ انْحَرَفَ.. أَوْ اتَّخَذَ بَعْضُ النَّاسِ غَيْرَ الْإِمَامِ أئمة.. أَوْ شَنَعَ الْمَخَالَفَ عَلَيْنَا..

إِنَّهُ التَّمَحِيصُ وَالْغَرْبَلَةُ..

وسيبقى من المؤمنين ثلَّةٌ لا تغيِّرُها الدهور ولا الأيام، تعتقد بإمامته وولايته، وتنتظر فرجه.

اللهم عجل له الفرج والمخرج، واجعلنا ممن يعرف المزيد من حقه، ووفقنا لطاعته، والامتثال لأمره فهو أمرك.

والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٩٥.

(٢) ١٩ شهر رمضان ١٤٤١ هـ.

٢٧. الإمام.. وبيت الرأفة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إِنَّكَ رَبُّ الرَّؤُوفِ، الْمَلِكُ الْعَطُوفُ، الْمُتَحَنِّنُ الْمَلُوفُ..

هذه كلمات من قنوت مولانا الإمام الحسن عليه السلام، يصف فيها سيد شباب أهل الجنة ربه عز وجل بأنه (الرؤوف) و(المتحنن)، فيما يصفه القرآن الكريم بأنه (رؤوف رحيم) في عدّة من السور والآيات.

قد يقال بأن هاتان الصفتان صفة واحدة، فتكون الرأفة هي الرحمة، وقد يقال بأن الرأفة أخص من الرحمة وأرق.

وأياً يكن.. فإنّ ما يُبرز أهمية الرأفة والرحمة في معرفة الله سبحانه وتعالى قول الإمام زين العابدين عليه السلام: إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعْرَفَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْعِزَّةِ وَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ وَالْعُلُوِّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ^(١).

في معرفة الله عز وجل بالوحدانية نفى الآلهة الأخرى، فهو إله واحد لا شريك له، وهذا أصل التوحيد.

ثمّ يذكر الإمام بعده معرفة الله (بالرأفة والرحمة) قبل معرفته بـ(العزة والعلم والقدرة)، مع أنّ العلم والقدرة مثلاً من صفات الله الذاتية، إلا أنّ الإمام قدّم الرأفة والرحمة بالذكر على العلم، فهل يرجع ذلك لارتباطنا نحن المخلوقات بالرأفة والرحمة؟! أو لحاجتنا إليها؟ مع ما نرتكب من ذنوب وآثام فنحتاج إلى

(١) الكافي ج ٥ ص ٣٦.

مزيد رحمة في العفو عنها.. كما رحمنا الله تعالى وأغنانا من نعمه الظاهرة والباطنة.

لقد أرسل الإله الرؤوف نبياً رؤوفاً!

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وهكذا وصف الله سبحانه وتعالى أحب خلقه إليه بصفة وصف بها نفسه! مع أن أي صفة في الخالق لا يصح أن تكون في المخلوق، لئلا يلزم المشابهة بين الخالق والمخلوق، والنقص في الخالق، وهو تعالى منزّه عن ذلك.

فلا بُدَّ أن تُفسَّر رحمة الله ورأفته بأحد معنيين:

أولهما: أن يوصف الله تعالى بالرأفة والرحمة بمعنى إنزال الرأفة والرحمة، لا بمعنى الرقة التي توجد في العباد، والتي هي صفة نفسانية تُلازم التغيُّر والتبدُّل، كما فسَّر غضب الله بأنه عقابه، فالرحمة تعني إنزال الرحمة والإحسان والعطاء والإفضال، وليست تعني الرقة.

ثانيهما: أن الله تعالى خلق أولياء لنفسه تظهر منهم الرحمة، فتُنسب له تعالى، كما الغضب، فإن الله يُنسب للغضب مع أنه لا يغضب كغضب العباد.

وكان النبي أعظم هؤلاء الأولياء، وكان الإمام نفس النبي، فثبت له من الصفات كل ما ثبت له ﷺ.

لقد ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن علي عليه السلام جميعاً:

إِنَّا أَهْلَ بَيْتٍ: شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَبَيْتُ

الرَّأْفَةِ، وَمَعْدُنُ الْعِلْمِ^(١).

لكل مفردة من هذه المفردات بحثها، ولكن.. كيف يكون الأئمة أهل (بيت الرأفة).. أو كيف يكون بيتهم (بيت الرأفة)؟

في هذا الحديث تشبيه وكناية تثبت منقبة عظيمة للأطهار عليهم السلام، فليست شجرتهم كما نعهد من الأشجار، ولا بيتهم كسائر البيوت.. إنه بيت الرأفة التي تعمُّ العباد.. وقد تجلّت رأفة الله ورحمته في أوليائه، وأولهم محمد وآل محمد عليهم السلام. ما فارقت الرحمة أحداً منهم، من الرسول صلى الله عليه وآله، إلى الإمام المنتظر، الذي يرقى الشيعة في غيبته وحضوره.

لكن.. كيف نتلمس هذه الرأفة؟

قد تنقضي أيام أحدنا ولم يشعر بشيء من رأفة الله به! ولا من رأفة النبي والإمام!

نحاول أن نتلمس شيئاً من مواطن رحمتهم، ونضيء على بعض جوانبها، فتلفتنا رحمتهم عليهم السلام مع الملائكة! كيف ذلك؟

لقد احتاج الملائكة إلى رحمة آل محمد فظهرت سريعاً، وذلك في بدء خلقتهم..

يقول الحديث الشريف:

أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَنَا، فَأَنْطَقَهَا بِتَوْحِيدِهِ وَتَمَجِيدِهِ: لَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سِوَاءٍ فِي عَالَمِ الْأَنْوَارِ أَوْ الْأَرْوَاحِ أَوْ

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٥٨.

الأشباح.. فقد كانوا المتقدمين، وأنطق الله أرواحهم بتوحيده وتمجيده، وهو لطفٌ عظيمٌ منه تعالى.

ثُمَّ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ، فَلَمَّا شَاهَدُوا أَرْوَاحَنَا نُورًا وَاحِدًا اسْتَعْظَمَتْ أَمْرَنَا، فَسَبَّحْنَا لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ أَنَّا خَلَقْنا مَخْلُوقُونَ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِنَا، فَسَبَّحَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِنَا وَنَزَّهَتْهُ عَنْ صِفَاتِنَا! (١).

هكذا تظهر رحمتهم بالملائكة، لئلا ينظر الملائكة إلى هذا النور الواحد العظيم كأنه إله.. بل إنه على عظمته نورٌ مخلوق خلقه الله تعالى.. فينبغي التسبيح لله تعالى لا لهم.. وهكذا في التهليل والتكبير، فتعلم الملائكة أنهم عبيدٌ لله وليسوا آلهة.

ثُمَّ ظَهَرَتْ رَحْمَتُهُمْ ﷺ عَلَى الْعِبَادِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ رَسُولَهُ ﷺ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَكَانَ مِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّهُ لَمْ يَنْقُلْ قَوْمَهُ فِي أَوَّلِ نُبُوَّتِهِ عَنْ عَادَتِهِمْ حَتَّى اسْتَحْكَمَ الْإِسْلَامُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَحَلَّتِ الشَّرِيعَةُ فِي صُدُورِهِمْ (٢).

قد يُقْبَلُ عُذْرٌ فِي أَوَّلِ الدَّعْوَةِ إِذَا، وَلَا يُقْبَلُ فِي آخِرِهَا، فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يُلْزِمْ قَوْمَهُ بِالْإِمْتِنَاعِ عَنْ كُلِّ الْمَحْرَمَاتِ الَّتِي اعْتَادُوا عَلَيْهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً، فَجَاءَتْ أَوَامِرُهُ تَدْرِيجِيَّةً رَافَةً وَرَحْمَةً بِهَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا يَنْصُ الْإِمَامُ ﷺ.

لَمْ يَنْقُلْ ﷺ قَوْمَهُ فِي أَوَّلِ نُبُوَّتِهِ عَنْ عَادَتِهِمْ حَتَّى اسْتَحْكَمَ الْإِسْلَامُ فِي

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ ج ١ ص ٢٦٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٠ ص ٦.

قلوبهم، فالنبي الرؤوف يعلم أن هؤلاء الخلق يصعب عليهم أن يتقبلوا من حالٍ إلى حال آخر بشكلٍ سريع، حتى تستقر القلوب.

وهكذا تختلف الأمور والمفردات العقدية والفقهية، فما قد يقبل في زمنٍ قد لا يقبل في آخر، وهكذا لم يكن الحدُّ يُقام على من خالف الأحكام في أول أيام نزولها، إلا أن يُطمأن بأن هذا الحكم قد بلغه.

والحكم لا ينزل إلا بعد أن تصبح الأمة مهيئة لتقبله، وإن كان منها من كان مهيئاً لتقبل كل الأحكام من أول يوم، لكن الشريعة تراعي الضعاف، بل تراعي أضعف القوم.

وهكذا قد يعذر من لم يكن في تلك الأيام عارفاً بمقامات الأئمة عليهم السلام، دون أن يُعذر في أيامنا..

فمقامهم ومرتبهم لم تكن معروفةً بعد عند كثيرٍ من الخلق، سوى الخُلص والكُمَل من أصحابهم.

وفي أيامنا.. قد يحاول البعض الترويج لأفكارٍ تخالف عقيدة الشيعة، محتجاً بأن الإمام كان يُسأل عنها فيجيب برحابة صدر!

والحال أن الإمام كان يبينها لأصحابه لما لم تكن جليّةً بيّنة بعد.

أما بعد مرور مئات السنين، وعندما استحكمت العقيدة الحقّة في قلوب المؤمنين بشكلٍ جليٍّ واضح، فقد لا يكون التقصير حينها مقبولاً.

يَتَنَبَّهُ المؤمن إلى أن وجود شُبْهَةٍ أو إشكالٍ أو تقصيرٍ من قبل بعض أصحاب الأئمة لا يسوغ له الغرق في الشبهات والانقياد خلفها.

كانت هذه واحدة من نماذج رأفته ﷺ مع الملائكة، ومع عموم الأمة.. ولو كانت عاصيةً متمردة.

أما الشيعة، وهم خاصّة النبي ﷺ، وأهل طاعته، فبيّن لهم الأئمة عليهم السلام ما يجب الأخذ به وما يجب اجتنابه رحمة بهم.

ففي مقبولة ابن حنظلة عن الصادق عليه السلام:

إِنَّمَا الْأُمُورُ ثَلَاثَةٌ:

١. أَمْرٌ بَيْنَ رُشْدِهِ فَيَتَّبَعُ.

٢. وَأَمْرٌ بَيْنَ غِيهِ فَيُجْتَنَبُ.

٣. وَأَمْرٌ مُشْكِلٌ يُرَدُّ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): حَلَالٌ بَيْنٌ، وَحَرَامٌ بَيْنٌ، وَشُبُهَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ.

فَمَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ نَجَا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ.

وَمَنْ أَحَذَّ بِالشُّبُهَاتِ ارْتَكَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَهَلَكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ^(١).

إِنَّ الْعَقْلَ يَدْعُو إِلَى رَدِّ الْمُتَشَابِهَاتِ إِلَى الْمَحْكَمَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَيَدْعُو إِلَى

اجْتِنَابِ الشُّبُهَاتِ..

أما المتشابهات من الآيات والأحاديث.. فلها محلُّ تُبحث فيه..

وأمّا الشُّبُهَاتِ، فيشير الحديث إلى أَنَّ موارد الشُّبُهَاتِ توقع الإنسان في

المحرّمات..

وتلك قد تكون ناشئة عن الجهل بالأحكام، أو المفاهيم، أو المصاديق، فيدعو العقل إلى اجتنابه، ويحثُّ الشرع على ذلك.

وكما أننا نتوقف في كل نصّ ينافي التوحيد والعدل، أو عصمة الأنبياء والأئمة، ونردُّ علمه إليهم، كذلك ينبغي التوقُّف في الشُّبُهَات التي تواجهنا في كلِّ مجال.. سواءً في عالم السياسة، أو العمل المسلح، أو في المعاملات، كما في العقيدة.. فهناك عشرات المصاديق التي قد تشبه أدلتها وأحكامها على بعض المؤمنين.

وهذا التنبيه من النبي ﷺ (وَمَنْ أَخَذَ بِالشُّبُهَاتِ ارْتَكَبَ الْمُحَرَّمَاتِ) هو رحمةٌ منه بنا..

لقد أرشد الأئمة عليهم السلام شيعتهم إلى أبواب النجاة، وذلك بالأخذ عن العلماء العاملين المخلصين.

فقد ورد عنهم عليهم السلام: **عُلَمَاءُ شِيعَتِنَا مُرَابِطُونَ فِي الشَّغْرِ الَّذِي يَلِي إِبْلِيسَ وَعَفَارِيَّتُهُ يَمْنَعُوهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا وَعَنْ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَشِيعَتُهُ وَالنَّوَاصِبُ^(١)**.

هؤلاء العلماء من مظاهر رحمة الله بالمؤمنين، يطعن بهم أعداء الدين، وشيعة إبليس، ويسعون للحطّ من شأنهم وكرامتهم ومكانتهم، فهم على الجبهة المقابلة، وهؤلاء العلماء يقفون أمامهم بكل قواهم، للحفاظ على أديان المؤمنين.

إنَّ من المؤمنين من يكون قوياً في ذات الله، تزول الجبال ولا ينتقص من

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٨٥.

دينه.. ومنهم من يكون ضعيفاً أمام شياطين الإنس والجن، الذين يسعون
جهدهم لإبعاده عن دين الله.

إنَّهم يتلَوَّنون أَلْوَاناً.. تارةً باسم الدين والتشيع.. وتارةً باسم محبة آل
محمد.. ويحاولون استقطاب شبابنا وشاباتنا وأبنائنا وبناتنا.

ثمَّ يطعنون بالعلماء، لمنعهم من المراقبة أمامهم.. فإذا سقط العالمُ فَتَحَ
الباب أمام الأبالسة، وتمكَّنَ العفاريتُ من الولوج إلى عقيدة ضعفاء الشيعة.

يبين الإمام عليه السلام أهمية دور هؤلاء العلماء فيقول:

أَلَا فَمَنْ انْتَصَبَ لِذَلِكَ مِنْ شِيعَتِنَا كَانَ أَفْضَلَ مِمَّنْ جَاهَدَ الرُّومَ وَالتُّرْكَ
وَالْخَزَرَ الْفَافِ مَرَّةً، لِأَنَّهُ يَدْفَعُ عَنْ أَذْيَانِ مُحِبِّينَا، وَذَلِكَ يَدْفَعُ عَنْ أَبْدَانِهِمْ!

إنَّ الجهاد بابٌ من أبواب الله، فتحه لخاصة أوليائه، فهو عظيمٌ عند الله،
لكنَّ هذه المراقبة أفضل ألف ألف مرة من ذلك الجهاد.. لأنَّ فيها حفظ عقيدة
المؤمنين نقيَّةً من التلوث.

فهنيئاً لمن وفقه الله للذبِّ عن ضعاف الشيعة.. وتَعَسَّأَ لمن وقف إلى جنب
الأبالسة والعفاريت وأعانهم على إضلال الشيعة.

اللهم نسألك ثباتاً على الحق، كما نسألك الرحمة والرأفة.. على يد أوليائك..
فإنَّهم مظاهر رحمتك.

والحمد لله رب العالمين^(١).

٢٨. أتريد أن تكون إماماً؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١).

في هذه الآية دُعاء، والدُّعاء بابٌ يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى.

لكن.. ليس لأحدٍ مَن يقرأ هذه الآية أن يزعم أنه من أهلها!

إنَّ المؤمن قد يسأل الله تعالى أن يهب له من أزواجه وذرياته قُرَّةَ أَعْيُنٍ، لكنَّه يعلم أن ذيل الآية مختصٌّ بآل محمد ﷺ، لا يشركهم فيه أحد.. فهم الأئمة دون سواهم.. وليس للمأموم أن يسأل الله تعالى أن يُصَيِّرَهُ إماماً!

لقد روى أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام قوله في الآية: نَحْنُ هُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ.

وَرَوَى غَيْرُهُ أَنَّ «أَزْوَاجِنَا» خَدِيجَةُ.

«وَذُرِّيَّاتِنَا» فَاطِمَةُ.

«وَقُرَّةَ أَعْيُنٍ» الْحُسَيْنُ وَالْحُسَيْنُ.

«وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام^(٢).

ولقد نصَّت بعض الروايات على اختصاصها بآل محمد ﷺ، فقد روي عن

(١) الفرقان ٧٤.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١١٧.

الباقر عليه السلام قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أَيُّ هُدَاةٍ يَهْتَدِي بِنَا، وَهَذِهِ لِأَلِ مُحَمَّدٍ خَاصَّةٌ ^(١).

إِنَّ هُنَاكَ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بَيْنَ الْعَصْمَةِ وَالْإِمَامِ، فَمَا أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَحَدٍ أَنْ يَطِيعَ الْأُئِمَّةَ بِلَا قَيْدٍ وَشَرْطٍ إِلَّا لِعَصْمَتِهِمْ.

فَلَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ الْمَعْصُومِ مُفْتَرَضَ الطَّاعَةِ كَالْمَعْصُومِ.

وَلِذَا، لَمَّا سَمِعَ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عليه السلام رَجُلًا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِمَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ، قَالَ لَهُ عليه السلام:

لَقَدْ سَأَلْتَ رَبَّكَ شَطَطًا!

سَأَلْتَهُ أَنْ يَجْعَلَكَ إِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ! مُفْتَرَضِ الطَّاعَةِ! ^(٢).

إِنَّ الْإِمَامَةَ جَعَلَ إِلَهِي، كَمَا قَالَ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، فَالْإِمَامَةُ مَجْعُولَةٌ مِنَ اللَّهِ، مَقْرُونَةٌ بِالْعَصْمَةِ دَائِمًا.

وَلَمَّا كَانَ الْأُئِمَّةُ هُمْ أَهْلُ الصَّفْوَةِ، الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانُوا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِهِ وَبِحَقِّهِ، مَا كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الدُّخُولَ فِيهِمْ، فَالْمُؤْمِنُ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ مِنْ شِيعَتِهِمْ، وَأَتْبَاعِهِمْ، وَمَوَالِيهِمْ، وَمُحِبِّيهِمْ، لَا مِنْهُمْ وَمِثْلَهُمْ! فَإِنَّهُمْ أَرْفَعُ مَنْ أَنْ تُعْرِفَ مَرْتَبَهُمْ وَمَكَانَتَهُمْ، فَمَا بِالْكَ بِلَوْغِهَا وَنَيْلِهَا؟!

(١) تأويل الآيات الظاهرة ص ٣٨١.

(٢) دعائم الإسلام ج ١ ص ٢٥.

ولكنَّ من النَّاس من ينصب نفسه إماماً! أو يُريد أن يكون إماماً!
فما أكثر الذين زعموا أنهم خلفاء الله في أرضه، بعدما نحوا أهل الحق عن
مكانتهم ومنزلتهم التي أنزلهم الله فيها.

وما أكثر الذين يكشف فعلهم عن أنَّ في نفوسهم عقدة أو نقصاً تمنعهم عن
متابعة الأوصياء، وكأنَّ أحدهم يريد أن يكون إماماً بنفسه!

يظهر شيءٌ من ذلك في رواية عن الباقر عليه السلام، يقول له الراوي فيها: إِنَّا
تَحَدَّثُ عَنْكَ بِحَدِيثٍ فَيَقُولُ بَعْضُنَا (قَوْلُنَا قَوْلَهُمْ)!
وفي رواية: فَيَشُقُّ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِنَا!

بعض الناس يستعظم أن يكون المؤمنون من أهل التسليم! يريد أحدهم أن
يكون له رأيه في قبال رأي المعصوم! وقوله في قبال قول المعصوم! وكأنَّ المعصوم
يأتي بشيء لا يرضيه الله تعالى! فيريد هو أن يصحَّحه له! أو كأنه قرينُ المعصوم
منزلةً!

فقال عليه السلام: «فَمَا تُرِيدُ، أَمْ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ إِمَاماً يُقْتَدَى بِكَ؟! مَنْ رَدَّ الْقَوْلَ إِلَيْنَا
فَقَدْ سَلَّمَ»!

وفي رواية أخرى: كَأَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ إِمَاماً يُقْتَدَى بِكَ! ^(١).
إنَّ من اعتقد بإمامة إمام لا ينبغي أن يجد حرجاً من التسليم لقوله،
والاعتقاد بكلِّ ما يصدر عنه، وأن يكون القول منه هو قول آل محمد عليهم السلام.

ومن لم يقبل ذلك.. كان كمن يريد أن يصير إماماً!

(١) مختصر البصائر ص ٢٣١ و ٢٦٩.

بمثل هذه الأحاديث تنكشف حقيقة من يَرُدُّ على المعصومين أقوالهم، أو من يساوي بهم غيرهم، ويزعم وجوب طاعة غير المعصوم، وينزله منزلة الإمام! ليس هؤلاء من أهل التسليم ولا هؤلاء!

لقد اختلف الشيعة منذ أيام الأئمة، ولقد تبرأ بعضهم من بعض في ذلك الزمن، فسئِلَ الإمام الباقر عليه السلام عن ذلك فقال: **إِنَّمَا كُفِّلَ النَّاسُ ثَلَاثَةً:**

١. مَعْرِفَةَ الْأَئِمَّةِ.

٢. وَالتَّسْلِيمَ لَهُمْ فِيمَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ.

٣. وَالرَّدَّ إِلَيْهِمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ^(١).

وليس كلُّ الناس كذلك، فمنهم من لا يرضى بأن يكون تابِعاً! مع أنَّ الشرف كلُّ الشرف في اتِّباع الأئمة الذين أوجب الله طاعتهم، فاتِّباعهم هو اتباع لأمر الله.

يتوهم هؤلاء الجهَّال أنَّ المُسَلِّمين أمرهم لإمامهم ليسوا على شيء، والحال أنَّهم أكثر الناس معرفة بمكانته عند الله، وأشدَّهم قرباً منه تعالى، وأكثرهم طاعة له.

لقد شكى الفيض بن المختار، وهو أحد الرواة عن الإمام الصادق عليه السلام يوماً لإمامه اختلاف الشيعة في الأحاديث، فقال الصادق عليه السلام:

يَا فَيْضُ! إِنَّ النَّاسَ أَوْلَعُوا بِالْكَذِبِ عَلَيْنَا!

وَإِنِّي أُحَدِّثُ أَحَدَهُمْ بِالْحَدِيثِ فَلَا يُخْرِجُ مِنْ عِنْدِي حَتَّى يَتَأَوَّلَهُ عَلَى غَيْرِ

(١) الكافي ج ١ ص ٣٩٠.

تَأْوِيلُهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَطْلُبُونَ بِحَدِيثِنَا وَبِحُبِّنَا مَا عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا، وَكُلُّ مُحِبٍّ أَنْ يُدْعَى رَأْسًا!

أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَرْفَعُ نَفْسَهُ إِلَّا وَضَعَهُ اللَّهُ، وَمَا مِنْ عَبْدٍ وَضَعَ نَفْسَهُ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ وَشَرَّفَهُ^(١).

آه من هؤلاء.. كُلُّ مُحِبٍّ أَنْ يُدْعَى رَأْسًا!

يَقْرُ هَؤُلَاءِ فِي قَرَارَةِ أَنْفُسِهِمْ بِإِمَامَةِ الْإِمَامِ، وَيَطْلُبُونَ الْحَدِيثَ مِنْهُ، لَكِنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ! وَيَحْرِفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ! وَيَطْلُبُونَ بِهِ الدُّنْيَا! وَكُلُّ مِنْهُمْ يَحِبُّ أَنْ يُدْعَى رَأْسًا! إِنَّهُ التَّكَبُّرُ وَحُبُّ الرِّفْعَةِ وَالسَّمُو، بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ!

إِنَّ سَمُو الْعَبْدِ يَتَجَلَّى فِي أَنْ يَكُونَ عَبْدًا.. وَالْمُؤْمِنُونَ (عِبِيدُ الْأُئِمَّةِ فِي الطَّاعَةِ)، فَمِنْ أَطَاعَهُمْ سَمًا وَارْتَقَى وَقَرَّبَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ عَبْدٌ لِلَّهِ عِبُودِيَّةً مُطْلَقَةً.. وَعَبْدٌ لِلْإِمَامِ فِي خُصُوصِ الطَّاعَةِ.

فَمَنْ أَقْرَبَ بِالْعِبُودِيَّةِ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَهَذَا النَّبِيُّ أَعْظَمُ الْخَلْقِ يَصِفُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ لِلَّهِ، وَلَقَدْ كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ مَعْرِفَةً بِاللَّهِ وَأَكْثَرَهُمْ طَاعَةً لَهُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَيِّدًا عَلَى خَلْقِهِ.. فَمَا زَادَهُ ذَلِكَ إِلَّا تَوَاضَعًا لِلَّهِ تَعَالَى.. وَلِعِبَادِ اللَّهِ..

إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ رَأْسًا! فَيَضَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى!

فَالرَّفْعَةُ تَكُونُ مِنَ اللَّهِ لَا مِنَ الْعِبَادِ.

وَلَقَدْ جَسَّدَ لَنَا بَعْضُ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ خَيْرَ نَمُودَجٍ لِلتَّسْلِيمِ لِلْإِمَامِ، وَالطَّاعَةِ وَالانْقِيَادِ لَهُ، بِمَا لَا يَدْعُ لِمُعْتَذِرٍ عُذْرًا، صَغِيرًا كَانَ أَمْ كَبِيرًا.

(١) رجال الكشي ص ١٣٦.

فهذا عليُّ بن جعفر رحمه الله:

ابن الامام الصادق عليه السلام.

أخ الإمام الكاظم عليه السلام.

عم الإمام الرضا عليه السلام.

وعم الإمام الجواد عليه السلام (عم أبيه).

وصفه الشيخ المفيد بأنه: سديد الطريق، شديد الورع، كثير الفضل.

رجلٌ عالمٌ فاضلٌ، جليل الشأن، عظيم القدر والمنزلة، ما غرّه أن يكون ابناً

للإمام الصادق عليه السلام، وأخاً للإمام الكاظم عليه السلام، مع عظيم الشرف في ذلك.

لقد كان عليُّ بن جعفر عمّاً للإمام الرضا، فما قال لإمامه: أنا أكبر منك سنّاً،

وأعظم منك قدراً، وأنا عمُّك.. أستحقُّ الإمامة بدلاً منك!

ولا قال للجواد ابن الرضا عليهما السلام: أنا عمُّ أبيك!

كلا لم يفعل ما يفعله الأراذل والأوباش..

ولا ما يفعله بعض حملة العلم من التكبر..

ولا ما يفعله كلُّ من أراد أن يكون رأساً!

بل كان شديد التواضع لإمامه.. وهو ابن أخيه.. ثمَّ لإمامه.. وهو ابن ابن

أخيه! حتى أثار تعجب السابقين واللاحقين.

لقد شهد عليُّ بن جعفر رحمه الله للإمام الجواد عليه السلام بالإمامة في حياة الإمام

الرضا عليه السلام، على صغر سنِّ الإمام الجواد، فقال له في محضر أبيه الرضا عليهما

السلام: أَشْهَدُ أَنَّكَ إِمَامِي عِنْدَ اللَّهِ! فَبَكَى الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ! (١).

ثم بعد وفاة الرضا عليه السلام، كان علي بن جعفر رحمه الله يجلس في مسجد الرسول ﷺ، فإذا دخل عليه ابن أخيه، محمد الجواد عليه السلام: وَثَبَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ بِلَا حِذَاءٍ وَلَا رِدَاءٍ! فَقَبَّلَ يَدَهُ وَعَظَّمَهُ!

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا عَمَّ اجْلِسْ رَحِمَكَ اللَّهُ.

فَقَالَ: يَا سَيِّدِي، كَيْفَ أَجْلِسُ وَأَنْتَ قَائِمٌ؟

فَلَمَّا رَجَعَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى مَجْلِسِهِ جَعَلَ أَصْحَابُهُ يُؤَبِّخُونَهُ وَيَقُولُونَ: أَنْتَ عَمُّ أَبِيهِ وَأَنْتَ تَفْعَلُ بِهِ هَذَا الْفِعْلَ؟!

فَقَالَ: اسْكُتُوا، إِذَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَقَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ - لَمْ يُؤْهِلْ هَذِهِ الشَّيْبَةَ، وَأَهْلَلَ هَذَا الْفَتَى وَوَضَعَهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، أَنْكِرُ فَضْلَهُ؟! نَعُودُ بِاللَّهِ بِمَا تَقُولُونَ، بَلْ أَنَا لَهُ عَبْدٌ! (٢).

ولما سئل عن الإمام بعد الرضا عليه السلام، أقرَّ بإمامة الجواد عليه السلام، فقال له قائل: أَنْتَ فِي سِنِّكَ وَقَدْرِكَ وَابْنُ جَعْفَرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ تَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ فِي هَذَا الْغَلَامِ؟! فأجابه قائلاً: مَا أَرَاكَ إِلَّا شَيْطَانًا.. فَمَا حِيلَتِي إِنْ كَانَ اللَّهُ رِءَاةً أَهْلًا لِهَذَا وَلَمْ يَرِ هَذِهِ الشَّيْبَةَ لِهَذَا أَهْلًا! (٣).

ما أعظم قدرك يا علي بن جعفر..

(١) الكافي ج ١ ص ٣٢٣.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٢٢.

(٣) رجال الكشي ص ٤٢٩.

رَحِمَكَ اللَّهُ يَا عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرٍ..
 لَقَدْ مَثَّلْتُ أَفْضَلَ أَنْمُودَجٍ لِلرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ لِإِمَامِهِ، الْعَارِفِ بِقَدْرِهِ،
 الْمَطِيعِ لِأَمْرِهِ، الَّذِي لَا يَتَكَبَّرُ عَنْ اتِّبَاعِهِ.
 تَوَاضَعْتَ لِلَّهِ.. فَرَفَعَكَ اللَّهُ..
 عَظَّمْتَ إِمَامَكَ.. فَخَلَّدَ اللَّهُ ذِكْرَكَ.. وَرَفَعَ قَدْرَكَ..
 أَرَاكَ اللَّهُ الْحَقَّ حَقًّا فَاتَّبَعْتَهُ، وَرَأَيْتَ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْكَ قَوْلَكَ وَفَعَلَكَ
 (شَيْطَانًا).. وَهُوَ الْحَقُّ..
 إِنَّ كُلَّ مَنْ يَصُدُّ النَّاسَ عَنْ أئِمَّةِ الْحَقِّ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ..
 إِنَّ مَنْ يَجْحَدُ إِمَامًا، أَوْ يَنْصِبُ إِمَامًا مَا نَصَبَهُ اللَّهُ.. شَيْطَانٌ مُلْعُونٌ..
 إِنَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا.. وَيُحِبُّ أَنْ يُدْعَى رَأْسًا.. هُوَ مِمَّنْ يُنَازِعُ الْإِمَامَ
 فِيهَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ.
 يَكْفِينَا.. أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَرْفَعُ نَفْسَهُ إِلَّا وَضَعَهُ اللَّهُ..
 وَمَا مِنْ عَبْدٍ وَضَعَ نَفْسَهُ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ وَشَرَّفَهُ..
 وَهَذَا نَحْنُ نَضَعُ أَنْفُسَنَا بَيْنَ يَدَيِ إِمَامِنَا.. حَاضِرًا كَانَ أَمْ غَائِبًا.. كَمَا فَعَلَ عَلِيُّ
 بْنُ جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.. نُسَلِّمُ أَمْرَنَا لِإِمَامِنَا.. وَنَقُولُ: الْقَوْلُ مِنِّي فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ قَوْلُ
 آلِ مُحَمَّدٍ فِيمَا أَسْرُوا وَمَا أَعْلَنُوا، وَفِيمَا بَلَّغَنِي عَنْهُمْ وَفِيمَا لَمْ يَبْلُغَنِي.
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١).

الفصل الثالث: قبسات من نور الأئمة الأطهار

٢٩. الإمام الحسن.. وعنتريات زمن الغيبة!

بسم الله الرحمن الرحيم

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ!!

أُمَّةٌ يَصِفُ بَعْضُ أَبْنَائِهَا إِمَامَهُمْ بِذَلِكَ! ويحاربُهُ البعض الآخر!

فيزعم الزاعمون أَنَّ نور الله في أرضه، وَسَيِّدَ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، الحسن بن عليه عليه السلام هو مُذِلُّ الْمُؤْمِنِينَ! ومُسَوِّدُ الْوُجُوهِ!

لَقَدْ هَالَ هَؤُلَاءِ عَدَمُ إِكْمَالِ الْإِمَامِ الْحَرْبَ مَعَ مُعَاوِيَةَ، بَعْدَمَا أُجِئَ إِلَى إِيقَافِهَا، لِيَجِيبَهُمْ عليه السلام بقوله: مَا أَنَا بِمُذِلِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنِّي مُعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ..

الإمامة هي: عِزُّ الْمُؤْمِنِينَ، كما عن إمامنا الرضا عليه السلام، والإمام: مُعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ، كما عن الإمام الحسن عليه السلام.

لقد نطقت ألسن هؤلاء القوم بهذا الكلام لِضَعْفِ عَقُولِهِمْ، وَجَهْلِهِمْ، وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ بِالْإِمَامَةِ وَعَظَمَتِهَا، وَالْإِمَامِ وَحُرْمَتِهِ.

فقد توهَّموا أَنَّ الْعِزَّةَ تَكُونُ بِالسَّلَاحِ حَصْرًا، وَبِالْغَلْبَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ، وَغَفَلُوا عَنْ أَنَّ الْعِزَّةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، غَالِبًا كَانَ الْمُؤْمِنُ أَوْ مَغْلُوبًا، فَهَلْ مِنْ عَزِيزٍ كَالْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ عليه السلام؟!!

فَبَيَّنَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ عليه السلام هَؤُلَاءِ أَنَّ تَرْكَهَ لِلْقِتَالِ كَانَ لِلْحِفَافِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْحَقِّ وَأَهْلِهِ، فَقَالَ عليه السلام:

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكُمْ لَيْسَ بِكُمْ عَلَيْهِمْ قُوَّةٌ، سَلَّمْتُ الْأَمْرَ لِابْنِ أَبِي أَنَا وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، كَمَا عَابَ الْعَالَمُ السَّفِينَةَ لِتَبْقَى لِأَصْحَابِهَا، وَكَذَلِكَ نَفْسِي وَأَنْتُمْ لِنَبْقَى بَيْنَهُمْ.

نَقَلَ هذه الكلمات عنه إمامنا الصادق عليه السلام، وقال لمؤمن الطاق بعدها:

إِنَّمَا يَنْجُو مَنْ أَطَالَ الصَّمْتَ عَنِ الْفَحْشَاءِ، وَصَبَرَ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ عَلَى الْأَذَى، أُولَئِكَ النُّجَبَاءُ الْأَصْفِيَاءُ الْأَوْلِيَاءُ حَقًّا وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ^(١).

فالمؤمنون حقاً هم المتبعون لإمامهم، إن قام قاموا، وإن قعد قعدوا، وإن صَبَرَ صبروا، ففي كُلِّ حَرَكَةٍ من حركات إمامهم أو سَكَنَةٍ من سَكَناته عِزٌّ للمؤمنين، لأنَّه المعصوم المطهر الذي لا يصدر إلا عن أمر الله تعالى.

وكما لم يكن الإمام الحسن تاركاً لهؤلاء مع ضَعْفِهِمْ وجهلهم، بل مُراعياً لمصلحتهم، وهو القائل: إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ مَا فَعَلْتُ إِلَّا إِبْقَاءً عَلَيْكُمْ^(٢).

كذلك إمامنا الحجة عليه السلام وهو القائل: إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ، وَلَا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمْ اللَّأْوَاءُ، وَاصْطَلَمَكُمُ الْأَعْدَاءُ^(٣).

وكما قيل للإمام الحسن: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ!!

سُيْقِلَ للحجة عند ظهوره: يَا ابْنَ فَاطِمَةَ، ارْجِعْ لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ!!

فماذا أصاب هؤلاء وهؤلاء؟!!

(١) تحف العقول ص ٣٠٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٤ ص ٣٥.

(٣) الإحتجاج ٢ ص ٤٩٧.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾^(١).

إنَّ الكثرة العددية تورث عند الإنسان عُجْباً وكبراً ما لم تقترن بالإيمان الصادق، والتسليم المطلق، والخضوع والذلّ بين يدي الله تعالى، ومن بعده الإمام المعصوم.

لَقَدْ أَعْجَبَ بعض رؤوس المنافقين بالكثرة في حُنَيْنٍ فما أغنتهم عن الله شيئاً، ثم تَوَالَتْ نماذج الإعجاب، ولو لم يكن جميع هؤلاء من أهل النفاق. فقليل للإمام الحسن: (فإذا شئت فاعدّ للحرب عدة)!

وتعجب القائلون من عدم قيامه وقالوا له: (معك أربعون ألف مقاتلٍ من أهل الكوفة.. ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم سوى شيعتك من أهل البصرة والحجاز)!

لقد رأى هؤلاء أنَّ الكثرة العددية ميزانٌ للقيام وعدمه، والحال أنَّ لها مدخليةً فعلاً، لكنّها ليست الميزان وحدها.

ظنّ هؤلاء أنَّ تَوَفَّر عشرات الآلاف من المقاتلين كافٍ ليستنهضوا إمامهم فيجيبهم، ولما كان الإمام لا يصدرُ إلا عن أمر الله تعالى، كان فعله بنفسه الميزان، وكان أسوأ الانحراف التقدُّم على الإمام المعصوم أو التأخر عنه.

أجاب الإمام الحسن عليه السلام هؤلاء بكلماتٍ عظيمة فقال:

أنتم شيعتنا! وأهل مودتنا! ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أريض [أركض] وأنصب، ما كان معاوية بأشدّ مني بأساً! ولا أشدّ شكيمةً ولا أمضى عزيمة! ولكنني أرى غير ما رأيتم!

ولا أردت بما فعلت إلا حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله، وسلّموا لأمره، والزمو ببيوتكم، وأمسكوا، أو قال: كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ حتى يستريح برٌّ ويُستراح من فاجر^(١).

ليست غاية الإمام سلطان الدنيا، كما لم تكن غاية أبيه من قبله، وأخيه من بعده، فسالم وقعد حينما استدعت مصلحة المسلمين، وقاتل وجاهد حينما تعيّن عليه حفظ الدين بسيفه.

لكن إمامنا الحجة عليه السلام، حاله كحال من تقدّم عليه من معظم آبائه، ما امتشق السيف بعد، وهو ينتظر أمر الله تعالى، وكما حفظ الأئمة شيعتهم بالكفّ عن طلب السلطان، وترك المنازعة في الملك، حتى يأذن الله، كذلك إمامنا الحجة، نهى شيعته عن منازعة الحكام والولاة.

وهؤلاء الذين يقولون له ارجع هم من حملة السلاح حتى في غير محله، وأصحاب الرايات، يسيرون بمنهج الزيدية، تقول عنهم الرواية: يُدْعَوْنَ الْبُتْرِيَّةَ، عَلَيْهِمُ السَّلَاحُ!

فيرون أنفسهم غير محتاجين للإمام!

لكن المؤمن يتفطن..

(١) تنزيه الأنبياء عليهم السلام ص ١٧٢.

ويفهم أنّ العنترِيات ليست طريق الحق ولا سبيله..

وأن ليس بالصُّراخ يُحفظ الدين..

وَقَدْ وَصَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ خُصُومَهُ يَوْمًا فَقَالَ: وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ!

فإذا لم يكن هدف الإمام الأول سلطان الدنيا، يستوي في هذا الإمام الحسن والإمام الحجة، فكيف يصيرُ الملكُ هدفًا لشيعة في زمن الغيبة؟!

وإذا كان الإمام صابراً منتظراً لأمر الله تعالى، أمراً شيعته بالصبر في دولة الباطل حتى يأذن الله له بالظهور، فما قيمة الاستعجال في زمن غيبته؟!

وقد قال جده عليه السلام: وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِعَيْرٍ وَقْتُ إِنْبَاعِهَا كَالزَّارِعِ بَعِيرٍ أَرْضَهُ! يُدْرِكُ الْمُؤْمِنُ ههنا أمورا:

١. أَنَّ الْحُكْمَ لَيْسَ مَطْلُوبًا بِنَفْسِهِ، فَالنَّعْلُ: أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا، كما قال علي عليه السلام.

٢. أَنَّ طَلَبَ الْحُكْمِ وَالسُّلْطَةِ يَحْتَاجُ إِلَى إِذْنٍ شَرْعِيٍّ كَسَائِرِ التَّكَالِيفِ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَطْلُبَهُ وَلَوْ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَجَبَ عَلَيْهِ تَحْصِيلُ بَرَاءَةِ الذِّمَّةِ.

٣. أَنَّ إِقَامَةَ الثُّورَاتِ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِإِذْنِ الْإِمَامِ عليه السلام كَانَ فِيهَا إِذْلَالٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ الْإِمَامَ الَّذِي هُوَ عِزُّ الْإِسْلَامِ لَمْ يَأْذَنْ بِهَا حِفَظًا عَلَى عِزَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكُلٌّ مِنْ خَالَفَهُ كَانَ سَبِيًّا فِي إِذْلَالِهِمْ.

٤. أَنَّ الشَّرِيعَةَ مَا أَذْنَتْ فِي زَمَنِ الْغَيْبَةِ بِذَلِكَ، وَقَدْ أَمَرَتْ بِتَرْكِ الْمَنَازَعَةِ فِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ، حِفَظًا عَلَى الشَّيْعَةِ، وَهُوَ دَيْدَنُ الْأُئِمَّةِ مِنْ قَبْلِ.

٥. أَنَّ عَلَى الشَّيْعَةِ أَنْتَظَارَ إِمَامِهِمْ، فَمَا مِنْ طَلَبٍ لِلْمُلْكِ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ، وَمَا مِنْ دَوْلَةٍ تُحَقِّقُ عَدْلَ اللَّهِ إِلَّا الَّتِي يَتَّبِعُهَا بِيَمِينِهِ الْمُبَارَكَةُ.

٦. أَنَّ الْمُلْكَ لَوْ أَتَى طَائِعًا لِشِيعِيٍّ وَامْتَثَلَ الْعِبَادُ أَمْرَهُ، مَا سَاغَ لَهُ أَنْ يُنَازَعَ سَائِرَ الْمَمَالِكِ، وَلَا أَنْ يَتَوَسَّلَ كُلُّ سَبِيلٍ لِلْحِفَازِ عَلَى سُلْطَانِهِ، زَاعِمًا أَنَّ الدِّينَ بَاقٍ بِبَقَائِهِ!

٧. أَنَّ كُلَّ مَا يَظُنُّهُ الْمُؤْمِنُ شَجَاعَةً وَبَأْسًا إِنْ خَالَفَ مَا تَقَدَّمَ كَانَ اجْتِهَادًا فِي مُقَابِلِ النَّصِّ، وَمُخَالَفَةً لِرُوحِ الشَّرِيعَةِ وَمِنْهَا جَهَا.

٨. أَنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَ كُلِّ ذَلِكَ، وَبَيْنَ الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ وَالْعَرِضِ وَالْأَرْضِ وَالْمَالِ أَمْرٌ أَوْضَحُ مِنَ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ.

فَالدِّفَاعُ حَقٌّ، بَلْ قَدْ يَكُونُ وَاجِبًا عَقْلِيًّا وَشَرْعِيًّا لَا يُفَرِّطُ فِيهِ مُؤْمِنٌ، بَلْ هُوَ أَكْثَرُ النَّاسِ حَرَصًا عَلَيْهِ.

رَغْمَ ذَلِكَ.. يُوَصِّفُ الْعُلَمَاءُ.. وَتُوَصِّفُ الْحُوزَةُ فِي أَيَّامِنَا بِمَا وُصِّفَ بِهِ الْإِمَامُ الْحَسَنُ! فَعَلِمَاؤُهَا أَهْلُ الذَّلِّ وَالتَّخَاذُلِ! وَالرَّجْعِيَّةِ وَالتَّخَلُّفِ! وَالْحُوزَةُ صَامِتَةٌ جَاهِلَةٌ مُحْتَقَرَةٌ!

هَكَذَا يَرَى بَعْضُ الْجُهَّالِ الْأُمُورِ! وَقَدْ رَأَى إِخْوَانُهُمْ مِنْ قَبْلِ إِمَامِنَا الْحَسَنِ مُذِلًّا لِلْمُؤْمِنِينَ!

وَالْحُلُّ كُلُّ الْحُلِّ فِي قَوْلِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ سَكَتَ الْجَاهِلُ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ! وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١).

(١) ليلة ولادة الإمام الحسن المجتبي ١٤٤٢ هـ الموافق ٢٧ - ٤ - ٢٠٢١ م.

٣٠. انزل عن منبر أبي!

بسم الله الرحمن الرحيم
انزل عن منبر أبي!
.. وأذهب إلى منبر أبيك!
انزل عن منبر جدّي!

كلمات مختلفة، رويت في مصادر الفريقين، عن الحسن عليه السلام تارةً، وعن الحسين عليه السلام أخرى..

والمخاطب فيها هو الغاصب الأول مرةً.. والثاني أخرى^(١).

ليس هذا الحدثُ أمراً عابراً، ولا كلمة تُنسى بعد ساعة.. فالمتحدثان هما سيّدا شباب أهل الجنة، وهما إمامان قاما أو قعدا.
ومن وجهٍ لهما الخطاب هما من تسنّا أمر المسلمين قهراً بعد قتل أفضل الأنبياء صلّى الله عليه وآله.

الأمر عظيمٌ إذًا.. والخطبُ جليلٌ.. وعلى المسلمين التأمل في أبعاده ودلالاته.

إنّ هذين الإمامين ينطقان عن الله تعالى في سنيّ حياتهم الأولى كما في سائر أيامهم.. فكلّامهم حقٌّ في كلّ مراحل حياتهم.

وقد صدرت منها هذه الكلمات حينها بحقّ المتسلّطين على الرّقاب، فما

(١) يراجع أنساب الأشراف ج ٣ ص ٢٦ وغيره.

السِّرُّ فِي ذَلِكَ؟

يظهر من بعض النصوص أَنَّ السبب المباشر لهذه الكلمات هي دعوى عظيمة تهتزُّ لها السماوات والأرض، صدرت من هؤلاء الأجلاف، حين ادَّعوا فيها الولاية على أنفس المؤمنين!

ففي الخبر أَنَّ الثاني كان يخطب على منبر الرَّسُولِ ﷺ: فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ أَنَّهُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ!

إِنَّ التَّسَلُّطَ عَلَى النَّاسِ قَدْ يَكُونُ تَارَةً بِعَنْوَانِ الْغَضَبِ وَالْقَهْرِ.. وَأُخْرَى بِعَنْوَانِ الْبَيْعَةِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَحَلٌّ.. وَثَالِثَةً بِعَنْوَانِ الْوِلَايَةِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى!

وَقَدْ بَلَغَتْ الْوَقَاحَةُ بِهِؤَلَاءِ أَنْ سَلَبُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمُ الَّذِي أَوْلَاهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ نَسَبُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقِفُ أَمَامَ الْآفِ الصَّحَابَةِ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ عَلِيًّا أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَهَذَا الرَّجُلُ يَزْعُمُ أَنَّهُ هُوَ الْأَوَّلَى بِذَلِكَ.. وَأَنَّ عَلَى الْأُمَّةِ جَمْعَاءُ أَنْ تَطِيعَهُ! وَفِيهَا وَلِيُّ اللَّهِ الْأَعْظَمُ! يَنْطِقُ بِذَلِكَ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى مَنْبَرِ الرَّسُولِ!

حِينَهَا يَنْبَرِي سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَهُ، فَيَقُولُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ: أَنْزِلْ أَيُّهَا الْكَذَّابُ عَنْ مَنبَرِ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ لَا مَنبَرَ أَبِيكَ! .. وَيُلِّ لِلْمُنْكَرِينَ حَقَّقْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَا ذَا يَلْقَاهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِدَامَةِ الْغَضَبِ وَشِدَّةِ الْعَذَابِ.

لَقَدْ بَيَّنَّ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ هَذَا الْحَقَّ حَقٌّ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْمُنْكَرَ لَهُ عَدُوٌّ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّ مَالَهُ إِلَى الْعَذَابِ الدَّائِمِ الشَّدِيدِ.

لكنّ المنافق ما أقرّ بتلك السقطة، فحاول بخدعه ووساوسه أن يُبرّر أفعاله الشائنة بقوله: أَمَرْنَا النَّاسَ فَتَأَمَّرْنَا! وَلَوْ أَمَرُوا أَبَاكَ لَأَطَعْنَا!

أيُّ وقاحةٍ هذه؟! الله تعالى يجعل علياً للمؤمنين أميراً.. وهذا يتحدث عن تأمير الناس.. وأي تأمير!

قال له الحسين عليه السلام: فَأَيُّ النَّاسِ أَمَرَكَ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ تُؤَمِّرَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى نَفْسِكَ! لِيُؤَمِّرَكَ عَلَى النَّاسِ! بِلَا حُجَّةٍ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا رِضَى مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ^(١).

الأمر كله مبنيٌّ على كذبة تأمير الناس، والأمر قد بدأ من عمر نفسه حين بايع أبا بكرٍ في أمرٍ لا تصحُّ فيه البيعة.. تمهيداً له، كي يردّها إليه.. فلشدّ ما تشطّراً صرّ عنيها!

إن ارتقاء هؤلاء منبر رسول الله صلى الله عليه وآله أمرٌ يستحق التأمل والاعتبار.. لما للمؤمن من صلةٍ بمنبر الرسول إلى يومنا هذا!

فإنّ الزائر لقبر النبي صلى الله عليه وآله، يقف عند المنبر، ليمسحه بيده.. ثم يمسح بهما عينيه ووجهه، ثمّ يوجّه خطابه للمنبر! فيقول:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَقَدَ بِكَ عِزَّ الْإِسْلَامِ، وَجَعَلَكَ مُرْتَقَى خَيْرِ الْأَنَامِ^(٢).

إنّ الإله الحكيم لا يختار عبثاً، ولا يفعل إلاّ لحكمةٍ، ولقد ميّز الله تعالى منبرَ النبي عن غيره، بل شرفه بارتقائه صلى الله عليه وآله، لحكمةٍ يعلمها.

ثمّ جعل هذا المنبر لآله من بعده، لهم حقّ ارتقائه دون غيرهم، أليس المنبرُ

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٩٣.

(٢) المزار الكبير لابن المشهدي ص ٧٥.

منصوباً ليعزّ به الإسلام؟ وهل من عزٍّ للإسلام بغيرهم؟!

فعن الباقر عليه السلام: وَنَحْنُ عِزُّ الْإِسْلَامِ ^(١).

فبهم لا بغيرهم أعزّ الله الإسلام، ولقد كان لهذا المنبر دورٌ عظيمٌ في ذلك..
هو المنبر الذي نخاطبه بقولنا:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَفَضَ بِانْتِصَابِكَ عُلوَّ الْكُفْرِ، وَسَمَوَّ الشُّرْكَ، وَنَكَّسَ بِكَ
عَلَمَ الْبَاطِلِ، وَرَايَةَ الضَّلَالِ ^(٢).

لقد كانت راية الكفر خفاقَةً، وكانت أعلام الباطل مرفوعةً، ولما انتصب
منبرُ النبي صلّى الله عليه وآله، صار الكفر ذليلاً، وراية الباطل مُنكَّسةً.

لكن إلى متى؟!

لم يطل الأمر كثيراً، فما إن حانت ساعة ارتحال النبي صلّى الله عليه وآله إلى بارئهِ.. حتى
سارع أعلام الضلال إلى استلاب المنبر من أهله، كما استلبوا الخلافة.

ولقد كان إبليسُ نفسه أوَّلَ الصاعدين على المنبر.. في صورة شيخ كبير،
فخاطب الأول من على المنبر: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمِثْنِي حَتَّى رَأَيْتُكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ!
ابْسُطْ يَدَكَ فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ! ^(٣).

لقد خفض الله بانتصاب منبر النبي عليه السلام علوَّ الكفر، لكن رمز الكفر الأول عاد
بنفسه ليقف على هذا المنبر! ويبايع أعداء الله! ويحمد الله على ذلك!

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٦٣.

(٢) المزار الكبير لابن المشهدي ص ٧٥.

(٣) كتاب سليم ج ٢ ص ٥٧٨.

أيُّ تزييفٍ أعظمُ من هذا؟!

أيُّ وقاحةٍ وقباحةٍ ورذالةٍ تضمّنتها تلك البيعة؟!

لقد سبق أن رأى رسول الله ﷺ ما سيجري في الرؤيا، فأصبح حينها كئيباً حزيناً، فقد رأى: أَنَّ بَنِي تَيْمٍ وَبَنِي عَدِيٍّ وَبَنِي أُمَيَّةٍ يَصْعَدُونَ مِنْبَرِي هَذَا، يَرُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ الْقَهْقَرَى! (١).

ولقد رأى الحسنان عليهما السلام ما أخبر عنه النبي ﷺ عياناً.. ذاك حيث خاطبا الأول والثاني.. وألقيا الحجة عليهما وعلى الأمة التي اتبعتهما. وظلّت هذه الكلمات شاهداً إلى يومنا هذا: انزُلْ أَيُّهَا الْكَذَّابُ عَنْ مِنْبَرِ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ!

آه لقلبك يا سبط الرسول.. كم صبرتَ وكم رأيت..

آه لحالك يا منبر الرسول.. كيف تحمّلت صعود هؤلاء القوم عليك؟! مع عداوتهم لمن شرفك الله به!

لقد.. عَظَّمَ اللهُ حُرْمَتَكَ، وَأَوْجَبَ التَّمَسُّحَ بِكَ، فَكَمْ قَدْ وَضَعَ الْمُصْطَفَى ﷺ قَدَمَهُ عَلَيْكَ، وَقَامَ لِلنَّاسِ خُطِيباً فَوْقَكَ، وَوَحَّدَ اللهُ وَحْدَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ، وَكَمْ بَلَغَ عَلَيْكَ مِنَ الرَّسَالَةِ، وَأَدَّى مِنَ الْأَمَانَةِ! (٢).

فهل تألم المنبر يوماً يومها مرتان؟!

المرّة الأولى: شوقاً وحنيناً إلى النبي ﷺ.

(١) الكافي ج ٨ ص ٣٤٥.

(٢) المزار الكبير لابن المشهدي ص ٧٥.

فقد روي أَنَّ جِذْعَ نَخْلٍ يَابَسٍ عَتِيقٍ كَانَ إِلَى جَانِبِ مُحَرَابِ النَّبِيِّ ﷺ،
وَكَانَ النَّبِيُّ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ: فَلَمَّا اتَّخَذَ لَهُ الْمَنْبَرُ وَصَعِدَهُ حَنَّ ذَلِكَ الْجِذْعُ كَحَنِينِ النَّاقَةِ
إِلَى فَصِيلِهَا، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ مِنَ الْحَنِينِ! (١).

لقد حَنَّ الْجِذْعُ إِلَى النَّبِيِّ حَيْثُ لَمْ يَعِدْ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ.. وَهُوَ لَا يَزَالُ قَرِيباً مِنْهُ..
يَصْعَدُ مَنْبَرَهُ الْمُشْرِفَ، وَيُبْلَغُ وَحْيَ السَّمَاءِ.. فَكَمْ يَأْتُرَى كَانَ حَنِينُ الْمَنْبَرِ لِلنَّبِيِّ وَقَدْ
انْتَقَلَ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ؟!

المرّة الثانية: حُزناً وألماً على تضييع الأمانة!

ولئن كَانَ لِلجِذْعِ نَوْعٌ إِدْرَاكِ وَحَنِينٌ.. فَمَا حَالُ الْمَنْبَرِ الَّذِي نَالَ الْكَمَالَ،
وُشْرِفَ بِأَدَاءِ النَّبِيِّ أَمَانَةَ السَّمَاءِ عَلَيْهِ.. وَهُوَ يَرَى تَضْيِيعَهَا الْيَوْمَ.. بَلْ يَرَى أَعْدَاءَ
الرَّسُولِ يَرْتَقُونَهُ وَاحِداً بَعْدَ آخَرٍ.. أَوْ لَهِمْ إِبْلِيسُ.. ثُمَّ أَبَالَسَةُ الْإِنْسِ.. الْأَوَّلُ
فَالثَّانِي!

كَمْ هُوَ الْأَلَمُ الَّذِي أَصَابَكَ أَيُّهَا الْمَنْبَرُ.. وَكَمْ اضْطَّرَرْتَ إِلَى إِخْفَائِهِ!
لَقَدْ أَظْهَرَ الْجِذْعُ حَنِينَهُ فَحَقَّدَ عَلَيْهِ بَنُو أُمَيَّةَ، وَقَطَعُوهُ لَمَّا جَدَّ دَوَا الْمَسْجِدِ!
لَكِنْ لَمْ يُنْقَلْ إِلَيْنَا أَنَّ الْمَنْبَرِ قَدْ أَظْهَرَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ.. فَلَعَلَهُ مِنْ أَصْحَابِ
الْحَنِينِ الصَّامِتِ.. وَالْأَلَمِ الْمُسْتَوْرِ.. الَّذِي يَنْتَظِرُ صَاحِبَهُ سَاعَةَ الْخِلَاصِ.. ذَاكَ
حَيْثُ يَظْهَرُ الْإِمَامُ الْمُنْتَظَرُ، وَيُحْرِقُ كُلَّ مَنْبَرٍ مِنْ مَنَابِرِ الضَّلَالِ.. وَيَسْتَعِيدُ الْحَقَّ
السَّلِيبَ.

ثُمَّ يَأْتِي يَوْمُ الْقِيَامَةِ.. حَيْثُ يُنْصَبُ لِلنَّبِيِّ (مَنْبَرٌ لَهُ أَلْفُ دَرَجَةٍ).. وَلِعَلِّيْ مَنْبَرٌ

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٥.

(يَرَاهُ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ) ..

وينادي ملكٌ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ مَنْ يَشَاءُ ..
وينادي آخر: يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدْخِلُ النَّارَ مَنْ
يَشَاءُ^(١).

يوم يُنصَبُ (مِنْبَرٌ يعلُو المَنَابِرَ) .. يرتقيه محمدٌ ﷺ، وعليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..
ويأتيهما الخطاب من الله تعالى .. ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يَا مُحَمَّدُ يَا
عَلِيٌّ .. الْقِيَا مَنْ أَبْغَضَكُمَا وَكَذَّبَكُمَا فِي النَّارِ^(٢).

في ذلك اليوم لا يرتقي المنبر مَنْ ليس أهلاً له .. في ذلك اليوم لا يمكن
لظالمي آل محمد أن يصعدوا منابر النور .. بل يعاقبون على قدر سوء فعالهم ..
في ذلك اليوم يخصُّ الله من ثبت على ولاية آل محمد بكرامته، ويعذب
غاصبي حقهم أشدَّ العذاب ..

تَبَتْنَا الله على ولايتهم .. وحشرنا معهم .. وعجل في فرج وليهم ..
والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٤١٥ ..

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٢٤، وتفسير فرات ص ٤٣٩ ..

(٣) الجمعة ٢٧ جمادى الثاني ١٤٤٤ هـ، الموافق ٢٠-١-٢٠٢٣ م ..

٣١. السَّجَّادُ.. إِمَامُ الْأَحْزَانِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّجَّادُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ.. إِمَامٌ عَاشَ أَصْعَبَ الظُّرُوفِ وَالْآلَامِ وَالْمِحَنِّ..
لَقَدْ قُدِّرَ لِلْعَبَّاسِ وَأَخُوتهِ، وَعَلِيِّ الْأَكْبَرِ وَسَائِرِ الْأَطْهَارِ فِي يَوْمِ الطُّفُوفِ، أَنْ
يُضْحُوا بِأَنْفُسِهِمْ بَيْنَ يَدَيِ إِمَامِهِمْ وَمَوْلَاهُمْ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ فِي تَضَحِيَّتِهِمْ
سُلُوةٌ لَهُمْ مِنْ جِهَةٍ، ثُمَّ انْقِضَاءٌ لِلْبَلَاءِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، حَتَّى سَقَاهُمُ الرَّسُولُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرْبَةً لَا يَظْمَؤُونَ بَعْدَهَا أَبَدًا..

لَكِنْ..

قُدِّرَ لِلْسَّجَّادِ أَنْ يَحْيَا وَيَعِيشَ كُلَّ آلَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيًّا، ثُمَّ يُعَايِنَ مَا جَرَى
عَلَيْهِ، دُونَ أَنْ يَفْدِيَهُ بِنَفْسِهِ، وَيَبْذُلَ دُونَهُ مَهْجَتَهُ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الدَّفَاعِ عَنْهُ، حَتَّى
قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَبِي وَأَخِي وَعَمِّي وَسَبْعَةِ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مَقْتُولِينَ حَوْلِي! فَكَيْفَ
يَنْقُضِي حُزْنِي؟! (١).

أَهْ لِقَلْبِكَ الْكَسِيرِ يَا زَيْنَ الْعُبَّادِ كَمْ تَحْمَلُ..

نَعَمْ لَقَدْ رَأَاهُمْ مَقْتُولِينَ حَوْلَهُ، لَكِنَّهُ رَأَى كَيْفَ كَانَ الذَّبْحُ أَيْضًا! فَقَالَ:
رَأَيْتُ أَبِي وَجَمَاعَةَ أَهْلِ بَيْتِي يُذَبِّحُونَ حَوْلِي! (٢).

لَقَدْ رَأَى فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ عَجَبًا.. ثُمَّ تَوَالَتْ الْمَصَائِبُ.. وَمِنْهَا مَا يَعْجُزُ

(١) الخصال ج ٢ ص ٥١٩.

(٢) كامل الزيارات ص ١٠٧.

العقل عن إدراك حقيقته.

هو القائل: أَنَا ابْنُ مَنْ انْتَهَكَ حَرِيمَهُ! وَسُلِبَ نَعِيمُهُ! وَانْتَهَبَ مَالَهُ! وَسَبِيَ عِيَالَهُ! ^(١).

عندما تُرتكبُ بعبْدٍ جريمةً فظيعةً عظيمةً ينهدُّ لها رُكنه يُكتفى بها رحمةً به، لكنَّ الإمام الذي انهدَّ رُكنه بفقد حامل رايته قُتِلَ بعد أهل بيته، وهل هناك ما هو أسوأ من قتل إمام الإنس والجن!

لكن لم يُكتفِ بذلك.. فليس القومُ ممن يتورَّعون عن انتهاك الحرمات ونهب الأموال.. ثمَّ سبى العيال!

عيالُ رسول الله ﷺ، مع إمام زمانهم زين العابدين، يُساقون أسرى من بلدٍ إلى بلد.

يرى السجَّادُ ذلك بل يعيشه، في معاناةٍ تعجز الأحرُفُ عن خطِّ حروفها ورسم حدودها، كما الأفكار عن إدراكِ فظاعتها!

كيف تحمَّلَ قلبُ هذا الإمام الرقيق الشفيق ما رأى؟! أيُّ عاطفةٍ يحملها هؤلاء الأطهار يمكنها أن تحمِلَ ما جرى؟!!

أين يولي الإمامُ همَّه؟! نحو رأس الحسين عليه السلام على رأسِ رُمحٍ؟ أم نحوه في مجلس يزيد وهو يضرب ثنياه بمخصرته؟! فلا حول ولا قوة الا بالله.

أم يولي همَّه لنساء الحسين عليه السلام؟!!

إِنَّ يَزِيدَ لَعَنَهُ اللهُ أَمَرَ بِنِسَاءِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَبَسْنَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي

(١) مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٤ ص ١١٥.

مَحْبَسٍ لَا يُكِنُّهُمْ مِنْ حَرٍّ وَلَا قَرٍّ حَتَّى تَقَشَّرَتْ وَجُوهُهُمْ^(١).

لَمْ يَكُنْ هَذَا الْحَبْسُ غَايَةً مَا يُرِيدُهُ اللَّعِينُ، وَلَا تَقَشَّرُ وَجُوهَ الْأَطْهَارِ هَدَفَهُ وَمُنِيَّتَهُ، لَقَدْ أَرَادَ تَعْذِيبَهُمْ قَبْلَ قَتْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَكَّلَ بِهِمْ مِنَ الْأَعَاجِمِ مَنْ لَا يَفْهَمُ الْعَرَبِيَّةَ.

أَحَسَّ الْأَطْهَارُ بِأَنْ يَزِيدَ يُرِيدُ قَتْلَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا جُعِلْنَا فِي هَذَا الْبَيْتِ لِيَهْدَمَ عَلَيْنَا فَيَقْتُلَنَا فِيهِ!

لَكِنْ.. كَانَ لِيَزِيدَ تَدْبِيرٌ آخَرٌ.. فَقَالَ الْحَرَسُ لِلسَّجَّادِ بَعْدَ أَنْ كَلَّمَهُمْ بَلَّغْتَهُمْ: قَدْ قَالُوا إِنَّكُمْ تَخْرُجُونَ غَدًا وَتُقْتَلُونَ!

حِينَهَا لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِحَسَبِ مَا دَبَّرَ لَهُ يَزِيدُ سِوَى سِوَادِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ! الَّتِي تُذَكِّرُهُمْ بَلِيلَةَ الْعَاشِرِ، حِينَ طَلَبَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ مِنَ الْقَوْمِ سِوَادَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

لَكِنْ.. كَمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُرَى الْحُسَيْنُ قَتِيلًا.. فَأُذِنَ فِي قَتْلِهِ، وَلَمْ يَمْنَعْ أَعْدَاءَهُ مِنْ ذَلِكَ.. شَاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا.. فَأُذِنَ فِي سَبْيِهِمْ، دُونَ أَنْ يَأْذَنَ فِي قَتْلِهِمْ. فَقَالَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِهَؤُلَاءِ الْحَرَسِ: كَلَّا، يَا بَنَى اللَّهِ ذَلِكَ!^(٢).

وَهُوَ مَا كَانَ.. فَحَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الثَّلَاةَ لِتُكَمِّلَ مَسِيرَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَلَقَدْ كَانَ السَّيْفُ سِلَاحًا فِي كَرْبَلَاءَ، إِلَى جَنْبِ الْكَلِمَةِ، وَالِدُّعَاءِ، وَالِدَمِّعَةِ. فَأَكْمَلَ السَّجَّادُ الطَّرِيقَ بِكُلِّ هَذِهِ الْأَسْلِحَةِ، إِلَّا السَّيْفَ!

(١) الْأُمَالِي لِلصَّدُوقِ ص ١٦٨.

(٢) دَلَائِلُ الْإِمَامَةِ ص ٢٠٠.

فمن كلماته ودُعائه ظَهَرَت صحيفته الشهيرة.

وَمِنْ دَمْعَتِهِ ظَهَرَ مَا جَعَلَهُ خَامِسَ الْبَكَائِينَ، شَرِيكَ لَادَمَ وَيَعْقُوبَ وَيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَدَّتْهُ الزَّهْرَاءُ الْبَتُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

إِنَّهَا الدَّمْعَةُ الْمَتَفَجِّرَةُ الَّتِي لَا تُعْرَفُ قِيَمَتُهَا، أَوْ تُعْرَفُ وَتُنْكَرُ!

يقول الصادق عليه السلام: وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَبَكَى عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَشْرِينَ سَنَةً (أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً)، وَمَا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامٌ إِلَّا بَكَى!

الْحَصْرُ فِي حَدِيثِ الْإِمَامِ الْمُعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ طَعَامٌ تَنَاوَلَهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَبْكْ قَبْلَهُ عَلَى أَبِيهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ! حَتَّى يَبْتَلَّ طَعَامُهُ مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ يُمَزَّجُ شَرَابُهُ بِدُمُوعِهِ!

لَيْسَ هُنَاكَ يَوْمٌ طِيلَتْ هَذِهِ السَّنَوَاتُ لَمْ يَبْكْ فِيهِ أَبَاهُ وَمَا جَرَى عَلَيْهِ، بَلْ كَانَ يَبْكِي مَصْرَعًا (بَنِي فَاطِمَةَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ!

حَتَّى قَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ!

قَالَ: إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

إِنِّي لَمْ أَذْكُرْ مَصْرَعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلَّا خَنَقْتَنِي لِذَلِكَ عِبْرَةً^(١).

آهَ لِعِلْمِكَ يَا زَيْنَ الْعِبَادِ.. تَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُ فَتَخْنُقُ الْعِبْرَةَ لِذِكْرِهِمْ وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ، وَالْيَوْمَ يُعَابُ عَلَى شِيعَتِكَ نَزْرُ سِيرٍ مِنَ الْبُكَاءِ! وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا تَعْلَمُ! وَلَوْ عَلِمُوا لَبَكَوا كَمَا بَكَيتُ.. وَلَكِنْ أَنَّى لَهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا مَا بَلَغَ الْإِمَامُ مِنْ

(١) الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ ص ١٤١.

العلم!

لقد لَازَمَ الْحُزْنَ السَّجَّادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كما لَازَمَهُ ذِكْرُ الْحُسَيْنِ، فجعلَ نقشَ خاتمه:
شَقِيَّ وَخَزِيَّ قَاتِلُ الْحُسَيْنِ^(١).

لقد انقلبت الدنيا بعد سيِّد الشهداء.. وتنغصت، وتجرع المعصومون فيها
غصصاً بعد أخرى، وازدادوا محنةً بعد أخرى وبلاءً بعد بلاء، حتى قال السَّجَّادُ
فيما قال:

يَفْرُحُ هَذَا الْوَرَى بِعِيدِهِمْ * * * وَنَحْنُ أَعْيَادُنَا مَاتِمْنَا

وهل من عيدٍ مرَّ على الإمام لم يذكر فيه أباه وما جرى عليه؟! ولم تخنقه
العبرة وتنهمر دموعه؟! فأَيُّ حُزْنٍ كان يعيشه (إمام الأحرار)؟!
لقد صارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بنفسه شعاراً للحُزْنِ، فهذه زينب عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُلَّمَا نَظَرَتْ إِلَى عَلِيٍّ
بْنِ الْحُسَيْنِ تَجَدَّدَ حُزْنُهَا، وَزَادَ وَجْدُهَا^(٢).

كَلِمَةٌ نَعْبِزُ عَنْ فَهْمِهَا! أليس: مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ الرَّقَّةُ وَالْجَزَعُ؟!^(٣)، كما قال
السَّجَّادُ عَنْ عَمَّتِهِ زَيْنَبٍ؟! فكيف صارت رؤيتها له سبباً لِتَجَدُّدِ الْأَحْزَانِ
و(ازدياد) الْوَجْدِ؟!!

أَيُّ مَبْلَغٍ مِنَ الْحُزْنِ بَلَغَهُ السَّجَّادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!
ذَاكَ مَا لَا نَفْهَمُهُ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ...

(١) دلائل الإمامة ص ١٩٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩٨.

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٩٣.

وإنَّ ما جرى على أبيه إمام الكون يُفَتِّتُ الصَّخر.. فكيف بقلبه الشريف؟!
فما أعجَبَ حالَ هذا الإمام حيًّا وميتًا، ومَّا يثير العجب عند شهادته أنَّ ناقةً
عرَفَت شيئاً من عظمتِه فبَكَتُهُ عليه السلام! ولم يبكِه كثيرٌ من الإنس!

فلقد كان له ناقةٌ حجَّ عليها: عِشْرِينَ حِجَّةً فَمَا قَرَعَهَا بِسَوْطٍ^(١).
ولمَّا توفي: خَرَجَتْ حَتَّى أَتَتْ الْقَبْرَ فَضْرَبَتْ بِجِرَانِهَا وَرَعَتْ وَهَمَلَتْ عَيْنَاهَا!
فَرُدَّتْ إِلَى مَوْضِعِهَا.. وما لبثت أن عادت إلى قبره وهملت عينها مراراً!
كشفَ السرَّ ابنُه الباقر عليه السلام فقال: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُودَّعَةٌ! فَلَمْ تَلْبَثْ إِلَّا ثَلَاثَةً
حَتَّى نَفَقَتْ! ^(٢).

لسانُ حالِ الناقة: لا خيرَ بعدَكَ في الحياة! بل فَعَلْهَا يَكْشِفُ ذَلِكَ!
ولئن جَهَلَ قَوْمٌ صَالِحٍ قَدَرَ نَاقَتِهِمْ، فلقد أوصى الإمام عليه السلام أن تُدْفَنَ نَاقَتُهُ:
لِئَلَّا تَأْكُلَهَا السَّبَاعُ! ^(٣).

هي ناقةٌ وقَّفت مع الإمام حججاً عدَّةً في موقف عرفة فجعلها الله تعالى مِنْ
نَعَمِ الْجَنَّةِ! وباركَ بها وبنسلها! فأوصى الإمام أن تُدْفَنَ لحفظ جَسَدِهَا مِنْ
السَّبَاعِ! ^(٤).

لكن.. مَنْ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ كِي يَدْفِنَهُ يَوْمَ الطُفُوفِ!

(١) الخصال ج ٢ ص ٥١٨.

(٢) بصائر الدرجات ج ١ ص ٤٨٣.

(٣) الخصال ج ٢ ص ٥١٨.

(٤) المحاسن ج ٢ ص ٦٣٦.

آهٍ لقلبك يا زين العباد..

تهتمُّ لدفنِ ناقةٍ وقفت سبعاً في عرفة، فصارت من نِعمِ الجنة، لكنَّهم منعوك
عن دَفنِ أبيك! فظلَّ ثلاثاً حتى أتيتُهُ واعتنقته! ثم أنزلته في لحده!
ذاك حيثُ قُلت: إنّ الدنيا بعدك مظلمة، والآخرة بنورك مشرقة، أمّا الليل
فمُسَهَّد! والحزنُ سرمد! ^(١).

نعم.. سيظلُّ الحزنُ سرمدياً باقياً لا أمدَ له ولا انتهاء، إلى يومِ الجزاء.
فسلامُ الله عليك يا زين العباد، وعلى أبيك وأهل بيتك.
سلامٌ عليك يا إمامَ الأحرار.. بما صبرتَ ورضيت.
وإنّا لله وإنّا إليه راجعون ^(٢).

(١) مقتل الحسين ص ٣٣٧.

(٢) الثلاثاء ٢٤ محرم ١٤٤٤ هـ الموافق ٢٣ - ٨ - ٢٠٢٢ م.

٣٢. السجّاد.. إمام الرحمة!

بسم الله الرحمن الرحيم

كَانَ يُغَطِّي وَجْهَهُ إِذَا نَاولَ فَقِيرًا لئَلَّا يَعْرِفَهُ!

عبارة يكشفُ بها المعصومُ بعضَ أفعال أبيه الإمام السجّاد عليه السلام، تجعلُ العاقلَ خجلاً من نفسه! ماقتاً لها.. مُزدريّاً إياها.. مُستقلاً لِعَمَلِهِ، مُحتقراً له.. مُكبراً لإمام الإنسانية والرحمة والشفقة، علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام. ففي يوم شهادة مثل هذا الإمام تُغفلُ البشريّة ذكره، لجهلها بقدره وفضله، وما ضرّه ذلك شيئاً.

هو الإمام العطوف على اليتامى والفقراء والمساكين والمحتاجين، وعامة المؤمنين.

كَمَ مِنْ بَيْتٍ بِالْمَدِينَةِ كَانَ يَأْتِيهِمْ رِزْقُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ، وَلَا يَعْرِفُونَهُ حَتَّى مَاتَ فَعَرَفُوا ذَلِكَ! يَشْهَدُ لَذَلِكَ ظَهْرُهُ وَلَيْلُهُ، ظَهْرُهُ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْجِرَابَ، وَفِيهَا صُرَرَ الدَّنَانِيرُ وَالدَّرَاهِمُ، وَطَعَاماً وَحَطَباً، وَيَدُورُ بِنَفْسِهِ عَلَى الْبُيُوتِ، يُنَاولُ أَصْحَابَهَا مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُمْ وَوَجْهَهُ مُغَطَّى! مُسْتَعِيناً بِلَيْلٍ دَاجٍ يُعِينُهُ عَلَى السِّرِّ! حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يُعْطِي بَعْضَ أَبْنَاءِ عَمُومَتِهِ لَيْلاً، فَلَا يَعْرِفُهُ ابْنُ عَمِّهِ فَيَقُولُ لَهُ:

لَكِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ لَا يُوَاصِلُنِي! لَا جَزَاءُ اللَّهِ عَنِّي خَيْراً!

فَيَسْمَعُ ذَلِكَ وَيَتَحَمَّلُهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهِ وَلَا يَعْرِفُهُ بِنَفْسِهِ! (١).

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ١٠٧.

كَمْ مِنْ طَعَامٍ امْتَنَعَ عَنْ تَنَاوُلِهِ حَتَّى يُطْعِمَ مِثْلَهُ؟ ذَاكَ كُلُّ طَعَامٍ طَعِمَهُ! فَلَقَدْ كَانَ: لَا يَأْكُلُ طَعَامًا حَتَّى يَبْدَأَ فَيَتَصَدَّقَ بِمِثْلِهِ^(١).

كَمْ مِنْ مَدِينٍ قَضَى دَيْنَهُ حَيًّا مِنْ فَوْرِهِ، أَوْ تَكْفَلَ بِقَضَاءِ دَيْنِهِ سَاعَةَ مَوْتِهِ فَقَضَاهُ!

هَكَذَا يَكُونُ إِمَامُ الْإِنْسَانِيَّةِ، الَّذِي يَسْتَشْعِرُ ضَعْفَ أَضْعَفِ خَلْقِ اللَّهِ، فَيَكُونُ أُنْمُوذَجًا يُعْظِمُهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ، وَيُخْجَلُ مِنْ نَفْسِهِ كُلُّ مَنْ سَمِعَ بِأَمْرِهِ، فَأَيْنَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى فِعَالِهِ؟! بَلْ أَيْنَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى التَّشَبُّهِ بِبَعْضِهَا؟!!

وَالْأَعْجَبُ مِنْ هَذَا حَالُهُ لَمَّا اشْتَكَى لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَاقَّتَهُ، وَعَجَزَهُ عَنْ سَدَادِ بَضْعِ مِائَةٍ مِنَ الدَّنَانِيرِ قَدْ اسْتَقْرَضَهَا وَمَا أَذَاهَا، وَافْتِقَارُهُ لَمَّا يَعُودُ بِهِ عَلَى عِيَالِهِ: فَبَكَى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام بُكَاءً شَدِيدًا!

وَلَمَّا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: وَهَلْ يُعَدُّ الْبُكَاءُ إِلَّا لِلْمَصَائِبِ وَالْمِحَنِ الْكِبَارِ؟!.. فَآيَةُ مِحْنَةٍ وَمُصِيبَةٍ أَعْظَمُ عَلَى حُرِّ مُؤْمِنٍ مِنْ أَنْ يَرَى بِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ خَلَّةً فَلَا يُمَكِّنُهُ سَدُّهَا؟! وَيُشَاهِدُهُ عَلَى فَاقَةٍ فَلَا يُطِيقُ رَفْعَهَا؟!^(٢).

أَيْنَ لِهَذَا الرَّجُلِ الْعَظِيمِ مِنْ نَظِيرٍ؟! وَهُوَ يَرَى أَنَّ عَجَزَهُ عَنْ إِعَانَةِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ مُصِيبَةٌ وَمِحْنَةٌ كَبِيرَةٌ تَسْتَدْعِي (بُكَاءً شَدِيدًا)؟!!

فَمَا يَفْعَلُ الْمُؤْمِنُ الْيَوْمَ عِنْدَ عَجَزِهِ عَنْ رَفْعِ فَاقَةِ أَخِيهِ؟ وَهُوَ يَرَى خَلَّةً بَعْدَ أُخْرَى يَعْجُزُ عَنْ سَدِّهَا لَهُ؟!!

(١) الخصال ج ٢ ص ٥١٨.

(٢) الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ ص ٤٥٣.

ولئن بكت عيناه الشريفتان أخاً مؤمناً في الله بكاءً شديداً، فما حال إمام زماننا المنتظر اليوم؟ وحال المؤمنين كما ترى!

لقد كان يسعى السَّجَّادُ عليه السلام جُهدَه في معونة المؤمنين، حتَّى إذا أذنَ الله تعالى له في تَوَسُّلِ سُبُلِ الإعجاز كعيسى عليه السلام بادرَ إلى ذلك:

وَقَدْ أُوتِيَ بِطِفْلِ مَكْفُوفٍ، فَمَسَحَ عَيْنَيْهِ فَاسْتَوَى بَصَرُهُ، وَجَاءُوا إِلَيْهِ بِأَبْكُمْ فَكَلَّمَهُ فَأَجَابَهُ، وَجَاءُوا إِلَيْهِ بِمُقْعَدٍ فَمَسَحَ عَلَيْهِ فَسَعَى وَمَشَى ^(١).

والمؤمنُ لا يعجبُ من ذلك، فليس عيسى عليه السلام أكرمَ عند الله تعالى من زين العباد عليه السلام، ولا هو بأعظم منه مكانةً ولا أعلى رتبة.

ولقد حَدَّثَ أنس بن مالكٍ أَنَّهُ رآه يوماً ماشياً فقال له: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، لَوْ رَكِبْتَ.

فَقَالَ: هَاهُنَا مَا هُوَ أَيْسَرُ، فَاَنْظُرْ.

فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ، وَحَفَّتْ بِهِ الطَّيْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَمَا رَأَيْتُ مَرَأًى أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ، كَانَتْ الطَّيْرُ لَتْنًاغِيهِ، وَالرِّيحُ تُكَلِّمُهُ ^(٢).

لا يعجب المؤمنُ من ذلك، وَمَنْ تَعَجَّبَ.. فليسل هُدهُدَ سُلَيْمَانَ ونملته! وريحاً أَمَرَهَا الله تعالى بالامتنال لأمره.. تُنبِيه عن رِيحِ السَّجَّادِ وطوره! وهو القائل عليه السلام: عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ^(٣).

(١) دلائل الإمامة ص ٢٠٠.

(٢) دلائل الإمامة ص ٢٠٢.

(٣) الاختصاص ص ٢٩٣.

هذا إمامُ الإنسِ والجان، والطير في الهواء، والحيتان في الماء، وما يُرى وما لا يُرى من خَلْقِ رَبِّنا.

هذا إمامُ الرَّحمةِ وَالشَّفقةِ وَالإنسانيةِ..

هذا الذي: لَمَّا دُفِنَ ضَرَبَتْ امْرَأَتُهُ عَلَى قَبْرِهِ فُسْطَاطاً^(١).

لماذا فَعَلْتَ ذلك؟ لَأَنَّها زَوْجَتُهُ؟ فَكَمْ مِنْ زَوْجَةٍ تَتَمَنَّى مَوْتَ زَوْجِها لظُلْمِها! وَكَمْ مِنْ زَوْجَةٍ تَسُمُّ زَوْجَها وَتَقْتُلُهُ لعدله واستقامته!

لَكِنَّها زَوْجَةٌ رَأَتْ مِنَ السَّجَادِ عَطْفاً وَحُنُوًّا لَا نَظِيرَ لَهُ.. وَهُوَ الْقَائِلُ: لَأَنَّ أَذْخَلَ الشُّوقَ وَمَعِيَ دَرَاهِمُ أَتْبَاعٍ بِهِ لِعِيَالِي لَحْماً وَقَدْ قَرِمُوا (اشتهوا) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ نَسَمَةً^(٢).

فَمَا كَانَ يَدْعُ عِيَالَهُ يَشْتَهُونَ لَحْماً أَوْ غَيْرَهُ إِلَّا وَأَتَاهُمْ بِهِ عِنْدَ قُدْرَتِهِ، أَيُطْعِمُ الْغَرِيبَ وَيَحْرِمُ أَهْلَهُ؟! حَاشَاهُ..

نَعَمْ كَانَ يُطْعِمُ الطَّعَامَ قَدُوراً ثُمَّ يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ أَضْعَفِ النَّاسِ، بَلْ مِنْ طَعَامٍ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَيْهِ سِوَاهُ!

وَلَقَدْ كَانَ مِنْ أَعْجَبِ أَحْوَاله: أَنَّهُ دَعَا مَمْلُوكَهُ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ أَجَابَهُ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، أَمَا سَمِعْتَ صَوْتِي؟ قَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَمَا بِأَلْكَ لَمْ تُجِبْنِي؟

(١) الاختصاص ص ١٩٣.

(٢) الكافي ج ٤ ص ١٢.

قَالَ: أَمْتُكَ!

قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَمْلُوكِي يَأْمَنِي^(١).

أي معنى هو هذا؟! وأين يوجد مثله في غير آل الرسول؟!
إمامٌ مَعْصُومٌ أوجب الله تعالى على كلِّ الخلق طاعته، وسيّدٌ لمملوكٍ تجبُ عليه إجابته، لا يصدرُ منه شيءٌ يخافُه المملوك! يأمنُ منه عبده سواءً أطاعه أم عصاه! ثمَّ يجعلُ ﷺ أَمَنَ المملوك منه نعمةً من الله تعالى تستحقُّ حمداً!
فواخجلتاه..

إِنَّ رَبَّ الْبَيْتِ مِنَّا لَا تَأْمَنُ زَوْجَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ مِنْهُ! وَكَبِيرُ الْعَشِيرَةِ وَالْأُسْرَةِ لَا يَأْمَنُ قَوْمُهُ مِنْهُ! وَالْحَاكِمُ الْيَوْمَ لَا يَأْمَنُ أَحَدٌ مِنْهُ! سِوَاءً كَانَ مُحَقَّقًا أَوْ مُبْطَلًا!
وهذا السَّجَّادُ يَأْمَنُهُ عَبْدُهُ وَهُوَ مُتَخَلِّفٌ عَنْ طَاعَتِهِ!
أليس هو الوارث لمن قال يوماً في نهجه الشريف: وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِيهَا، وَأَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي!^(٢)
مَنْ يَقُولُهَا صَادِقًا غَيْرُكَ يَا عَلِيٌّ.. وَغَيْرُ بَنِيكَ!؟

مَنْ يَقُولُهَا غَيْرُكُمْ يَا آلَ اللَّهِ؟! وَقَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنَ الظُّلْمِ وَالْقَهْرِ وَالْأَذَى مَا يُفْتَتُّ الْقُلُوبَ، مِنْ رَعِيَّتِكُمْ! وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ الْمَأْمُورُونَ بِاتِّبَاعِكُمْ!
ولكن.. بأيِّ شيءٍ بَلَغَ الْإِمَامُ مَا بَلَغَ مِنَ الشَّفَقَةِ عَلَى عِيَالِ اللَّهِ؟!
بمعرفته ربّه تعالى، وامتناله لأمره، فإنّه لم يكن يتوجّه لشيءٍ كتوجّهه إلى

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١٤٧.

(٢) نهج البلاغة ص ١٤١.

خالقه وبارئه وصاحب النعمة عليه، وهو القائل:

وَاللّٰهُ لَوْ تَقَطَّعَتْ أَعْضَائِي، وَسَالَتْ مُقْلَتَايَ عَلَى صَدْرِي، لَنْ أَقُومَ لِلّٰهِ عَزَّ
وَجَلَّ بِشُكْرِ عَشْرِ الْعَشِيرِ مِنْ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ جَمِيعِ نِعَمِهِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا الْعَادُّونَ!
ولمّا كان الله تعالى قد جعل للعباد على بعض حقوقاً، كان أعظم الناس
امثالاً لها أعظمهم معرفةً به وقرباً منه، فقال عليه السلام:

وَلَوْ لَا أَنْ لَأَهْلِي عَلَيَّ حَقًّا، وَلِسَائِرِ النَّاسِ مِنْ خَاصِّهِمْ وَعَامِّهِمْ عَلَيَّ حُقُوقًا،
لَا يَسْعُنِي إِلَّا الْقِيَامُ بِهَا حَسَبَ الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ، حَتَّى أُؤَدِّيَهَا إِلَيْهِمْ، لَرَمَيْتُ بِطَرْفِي
إِلَى السَّمَاءِ، وَبِقَلْبِي إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ أَرُدَّهْمَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِي، وَهُوَ خَيْرُ
الْحَاكِمِينَ! وَبَكَى عليه السلام ^(١).

أيّ كلام هذا؟! ومن ذا الذي يدرك مراميه وأبعاده، وظاهره وباطنه؟!
إمامٌ تظلُّ روحه في بدنه لا شيء إلا لأن الله تعالى قد أحبّ بقاءه في الدنيا،
فإذا بقي امتثل أمره تعالى في حقوق الناس جميعاً، من قريب أو بعيد، ولولا ذلك
لم تستقرَّ روحه في جسده طرفة عين!

أيطمح الإمام بحياة لا تساوي عند الله جناح بعوضة؟! حاشاه.. لكن الله
تعالى اختار له هذه الدنيا فرضي باختيار الله، وامتثل أمره فيها، فجسد لنا صورة
الكمال والفضيلة، والإنسانية الحقّة.

تتغنّى البشرية اليوم بما تُسمّيه (حقوق الإنسان)! وفيها يُمزج الحقُّ
بالباطل، ويُقرن بين الشيء ونقيضه، وتُغمض الأمة عن أئمة الإنسانية قاطبة!

(١) فتح الأبواب ص ١٧١.

ولكن..

ما حالنا نحنُ الذين عَرَفْنَا آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ؟

أَيْنَ حُنُوِّ كَبِيرِنَا عَلَى صَغِيرِنَا؟!

أَيْنَ رَحْمَةٍ قَوِيَّةٍ لضعيفنا؟!

أَيْنَ حِلْمٍ عَالِمِنَا عَنْ جَاهِلِنَا؟!

أَيْنَ مَعُونَةٍ غَنِيَّةٍ لفقيرنا؟!

أَيْنَ رِفْقِنَا وَرَحْمَتِنَا؟

أَيْنَ أُنْسِنَا ببعضنا؟!

أَيْنَ حُسْنِ ظَنِّنَا؟

أَيْنَ غَيْرَتِنَا عَلَى دِينِنَا؟!

نَعَمْ، لَدِينَا دُونَ سَوَانَا بَعْضُ ذَلِكَ..

وهُوَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْنَا، لَكِنَّ الْعَاقِلَ يَنْظُرُ فِي أَفْعَالِ الْخَيْرِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، فَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ حِطَاءً مِنْهُ إِلَّا يَسِيرًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي يَوْمِ شَهَادَةِ وَلِيِّكَ السَّجَّادِ أَنْ تُحَنِّنَ عَلَيْنَا قَلْبَ وَلِينَا الْأَعْظَمِ، وَتَرْحَمَنَا بِهِ، وَتُقَرِّجَ عَنَّا فَرْجاً عَاجِلاً، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وَعِظَمَ اللَّهُ أَجُورَنَا وَأَجُورَكُمْ.

وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(١).

(١) الأربعاء ٢٥ محرم ١٤٤٤ هـ، الموافق ٢٤ - ٨ - ٢٠٢٢ م.

٣٣. السَّجَادُ.. إِمَامُ الرَّجَاءِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَقْلِ جُنُودًا، وَكَانَ مِنْ أَقْوَى جُنُودِهِ الرَّجَاءُ.
 ثُمَّ كَانَ لِكُلِّ جُنْدِيٍّ ضِدٌّ، وَكَانَ الْقَنُوطُ ضِدًّا لِلرَّجَاءِ!
 وَفِي أَيَّامِنَا الْمُعَاصِرَةِ، يَحْطُّ الْقَنُوطُ وَالْيَأْسُ رِحَالَهُمَا فِي كَثِيرٍ مِنْ بُيُوتِ عِبَادِ
 اللَّهِ، وَيَتَرَبَّعَانِ عَلَى عَرْشٍ لَطَالَمَا سَكَنَ فِيهِ الرَّجَاءُ وَالْأَمَلُ!
 لَقَدْ أَدَّتْ مَصَاعِبُ الْحَيَاةِ وَمَشَقَّاتُهَا، وَشِدَّةُ الْبَلَاءِ وَطُولُهُ، إِلَى أَنْ يَنْدَحِرَ
 الرَّجَاءُ عِنْدَ فَصِيلَتَيْنِ مِنَ النَّاسِ، فَلَمْ يَجِدْ هَوْلًا بِأَسْفًا فِي الْقَنُوطِ وَالْيَأْسِ.
 أَوَّلَاهُمَا: الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ، وَقَدْ قَالَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبْنِيهِ: ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ
 رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).
 ثَانِيَهُمَا: الضَّالُّونَ، وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
 الضَّالُّونَ﴾^(٢).

وَلِئِنْ كَانَتْ الْمَصَاعِبُ سَبَبًا فِي قَنُوطِ هَؤُلَاءِ وَهَوْلَاءِ، فَلَيْسَ الْمُؤْمِنُ أَهْوَنَ
 حَالًا مِنْهُمْ فِي شِدَائِدِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَزِدَادُ بِلَاؤُهُ كُلَّمَا تَرَقَّى فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ.
 يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ حَوْلَهُ، فَيَرَى نَفْسَهُ غَرِيبًا! فِي حَيَاةٍ لَيْسَتْ لَهُ وَلَا مِثَالَهُ!
 الدُّنْيَا تَسِيرُ بِاتِّجَاهٍ لَا يُشَبِّهُهُ! حَتَّى كَأَنَّهُ بَلَغَ أَوْ يَكَادُ مَرَحِلَةَ الْقَابِضِ عَلَى

(١) يوسف ٨٧.

(٢) الحجر ٥٦.

الجمر حفظاً لدينه!

يتأمل في أمور دينه، يرى الشُّبُهَات تتوالى من كلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ، ويرى
أعلام الضلال وراياته مُشَرَّعة، وأبوابه مفتوحة!

يرى اجتماع أهل الباطل على باطلهم، وتفرُّق أهل الحق عن حقهم!
يرى الحق لا يُعْمَلُ به، والباطل لا يُتَنَاهَى عنه!

يرى غزواً فكرياً ثقافياً قد أصاب الأُمَّة في صميم عقيدتها وفكرها وتراثها
ووعيتها وسلوكها! ثمَّ النَّاسُ في سُبات! كأنَّهم غافلون عمَّا يُراد بهم!
وهكذا يتسلَّلُ اليأس والقنوط والإحباط رويداً رويداً إلى جَمْعِنَا المؤمن!
فِيحْطِمُ عُنَاصِرَ القُوَّةِ فيه، ويسلبُ الأمل من العباد، فتضيُّقُ عليهم الأرض بما
رَحِبَتْ!

لكنَّ العاقلَ القويَّ لا ينهزمُ سَريعاً، بل ينظرُ في سيرة أئمتِّه ليقبَسَ من
أَسْلِحَتِهِمْ ما يدفعُ به القنوط عن نفسه.

ينظر في أيام شهادة السَّجَادِ إلى سيرته عليه السلام، فيرى عَجَباً! ثمَّ يستحقِرُ ما
وَقَعَ عليه من بلاءٍ أمام ما وقع على إمامه.

يُغْمِضُ النَّظَرَ عن واقعة كربلاء وما تلاها من المآسي، فيتأمل في سيرته
عليه السلام، فيراه وهو الإمامُ المعصوم المفترضُ الطَّاعة قد ظلَّ وَحيداً بعد الرَّدَّة، فقد
ورد عن الصادق عليه السلام: ارْتَدَّ النَّاسُ بَعْدَ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِلَّا ثَلَاثَةً: أَبُو خَالِدٍ الْكَائِلِيُّ،
وَيَحْيَى ابْنُ أُمِّ الطَّوِيلِ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ لَحَقُّوا وَكَثُرُوا^(١).

فكان الإمامُ في زَمَنٍ كاد ينعدمُ فيه المؤمنون، بل كان النَّاسُ فيه يفتخرون
بعداوة الحقِّ وأميره عليٍّ عليه السلام وبنيه الأطهار!

فلقد كان الفخرُ العظيم، والمناقبُ الجليلة في أمورِ منها:

- تعليم الأولاد سَبَّ عليٍّ عليه السلام! والإعراض عن ذكرِ شيءٍ من فضائله!
- كانت المرأة قبل أن تُزَوَّج تُسأل عن حُبِّ أبي تراب، فإن أحبَّته أو ذَكَرَتْهُ
بخير اجْتَنِبَتْ وأُعرِضَ عن زواجها!
- كان أحدهم يفتخر فيقول: ما وُلِدَ فينا ذكرٌ فسميَ علياً ولا حسناً ولا
حسيناً! ولا ولدت فينا جاريةٌ فسميت فاطمة!
- كانت النساء تنذرُ النُّذور لو قُتِلَ الحسين عليه السلام! ولما قتل عليه السلام تنحروا ما
نَذَرَتْ وفاءً لله!
- ولقد كان الذي يُدعى إلى البراءة من عليٍّ ولعنه يزيدُ اللعن والبراءة من
حَسَنِ وحُسَيْنٍ! ^(١).

هذا نَزَرٌ من معاناة أيام السَّجَاد عليه السلام! ولقد كان في تَخَاذُلِ الأُمَّةِ بِأَكْمَلِهَا عن
إمامها ما يندى له جَبِينُ الإنسانية!

بل إِنَّ القومَ الذين قتلوا أباه قالوا له بعد ذلك وهم يبيكون: فَإِنَّا حَرَبٌ
لِحَرْبِكَ وَسَلْمٌ لِسَلْمِكَ!

وأرادوا منه حَمَلَ السَّلَاح، فقال لهم: هَيْهَاتَ أَيُّهَا الْغَدَرَةُ الْمَكْرَةُ!.. أَتَرِيدُونَ

أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ كَمَا أَتَيْتُمْ إِلَى آبَائِي مِنْ قَبْلُ؟^(١).

فأيُّ بلاءٍ هو هذا؟! ما روى غليلُ القوم قتلَ الحسين وأهل بيته، فغاضَهم بقاءُ إرث آل محمد عند عليِّ بن الحسين عليه السلام، فبكوا وقالوا ما قالوا!

ما أعظمَ صبرك يا مولاي! هؤلاء سيكون أباك وأنت تعلم أنهم قاتلوه! ويزعمون أنهم ناصروك، وأنت تعلم أنهم قاتلوك لو أجبتهم! فأيُّ بلاءٍ امتحنك الله به؟!

إنَّ ممَّا يُثِيرُ الغيور على دينه أَنْ يُمنَعَ الإمامُ مِنْ بيان ما يريد من علوم آل محمد عليهم السلام، بل يكون في بيانها خطرٌ على شخصه المبارك، فيَتَسَتَّرُ في إظهار ذلك، ثمَّ يُخرِجُهُ على لسان عَمَّتِه زينب عليها السلام، ولقد: كَانَ مَا يُخْرِجُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ مِنْ عِلْمٍ يُنسَبُ إِلَى زَيْنَبَ بِنْتِ عَلِيٍّ تَسْتَرًّا عَلَى عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ!^(٢).

وإذا ما أُتيح له أَنْ يَظهرَ بعض الكرامات في ظَرْفٍ، سُرعان ما اتَّهم بالسَّحر كما اتَّهم جدُّه رسول الله، ولقد قال عبد الله بن عمر لابن ثابت لما أراهما الإمام عليه السلام بعض المعاجز: إِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ سِحْرَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمَا كَانَ هَذَا بِشَيْءٍ فِي نَفْسِكَ؛ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يَتَوَارَثُونَ السَّحَرَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ^(٣).

ثمَّ شابهَ جدَّه صلى الله عليه وآله حيث قالوا عنه قُبيل شهادته: إِنَّهُ لَيَهْجُرُ!^(٤).

فكيف كان الإمام مع كلِّ البلاءات؟! ما ذَكَرْنَا وما لم نَذْكُرْ.. ما بَلَّغْنَا وما لم

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٦.

(٢) كمال الدين ج ٢ ص ٥٠١.

(٣) دلائل الإمامة ص ٢١٢.

(٤) دلائل الإمامة ص ٢٠٨.

يبلغنا؟!

إِنَّ الإمامَ لَمَّا كَانَ صَاحِبَ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ فِي عَقْلِهِ وَدِينِهِ وَإِيمَانِهِ، لَمْ يَكُنْ لِلْقَنُوطِ وَالْيَأْسِ عِنْدَهُ سَبِيلٌ، فَهُوَ (إِمَامُ الرَّجَاءِ)!

وَلَئِنْ كَانَتْ أَفْعَالُهُ تَغْنِي عَنْ الْأَقْوَالِ، فَإِنَّ فِي كَلِمَاتِهِ مَا يَكْشِفُ عَنْ مَعَانٍ عَظِيمَةٍ، تَقْلِبُ الْمَعَادِلَةَ كُلَّهَا، مِنْهَا أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ فِي غَايَةِ الْعَظَمَةِ:

الأول: القضاء لا يجري إلا بالخير!

يقول عليه السلام في صحيفته المباركة:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَطَيِّبْ بِقَضَائِكَ نَفْسِي، وَوَسِّعْ بِمَوَاقِعِ حُكْمِكَ صَدْرِي، وَهَبْ لِي الثَّقَةَ لِأَفِرَّ مَعَهَا بِأَنْ قَضَاءَكَ لَمْ يَجْرِ إِلَّا بِالْخَيْرَةِ، وَاجْعَلْ شُكْرِي لَكَ عَلَى مَا زَوَيْتَ عَنِّي أَوْفَرَ مِنْ شُكْرِي إِيَّاكَ عَلَى مَا خَوَّلْتَنِي ^(١).

فَهُوَ يُبَيِّنُ لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنَّ الْإِلَهَ الْحَكِيمَ لَا يَفْعَلُ بَعَادِهِ إِلَّا مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالصَّلَاحُ لَهُمْ، وَلَا يَأْذَنُ فِي أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا فِي نَفْعِهِمْ، وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ أَنْ يُظْلَمُوا إِلَّا لِيَكْتُبَ لَهُمْ عَظِيمَ الْجَزَاءِ عِنْدَهُ.

فَحِينَ نَزُولِ شَايِبِ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِمْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ كُلِّ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَيَلْزُمُهُمُ الشُّكْرُ، وَحِينَ يَزُوي تَعَالَى عَنْهُمْ النَّصْرُ وَالْعَافِيَةُ يَكُونُ فِي ذَلِكَ أَجْرٌ مُضَاعَفٌ، فَيَزِدَادُونَ شُكْرًا! فَشُكْرُهُمْ فِي وَقْتِ الشَّدَّةِ أَعْظَمُ مِنْهُ فِي وَقْتِ الرَّخَاءِ!

وَهَكَذَا يُعَلِّمُ الْإِمَامُ أَشْيَاعَهُ وَاتَّبَاعَهُ عَلَى شُكْرِ اللَّهِ فِي السَّلَامَةِ وَالْمَرَضِ، فِي

الشدة والرَّخاء، فيحمد العبدُ ربَّه إذا أحدثَ به علةً في جسده! كما يحمده إذا عافاه، ويشكره إذا دفع عنه البلاء كما يشكره إذا أوقعه.. حتى يقول الإمام عليه السلام:
فَمَا أَذْرِي، يَا إِلَهِي، أَيُّ الْحَالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَكَ، وَأَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلَى بِالْحَمْدِ لَكَ^(١).
هكذا يصيرُ البلاءُ والظُّلمُ الذي يقع على المؤمن نعمةً يتحفه الله تعالى بها،
يُخَفِّفُ بها أوزاره، أو يرفع بها درجاته، فأَيُّ شيءٍ يبقى في النَّفس إذا ما ضاقت
الدُّنيا إلا شكر الله تعالى والتوجه إليه!

الثاني: كلُّ مكروهٍ يسيرٌ في رضا الله!

يقول عليه السلام مخاطباً ربَّه عزَّ وجل: كُلُّ مَكْرُوهٍ جَلَلٌ دُونَ سَخَطِكَ، وَكُلُّ
مَرْزِيَّةٍ سَوَاءٌ مَعَ مَوْجِدَتِكَ^(٢).

أي أنَّ المؤمن يرى كلَّ مُصِيبَةٍ هَيِّئَةً ما دام الله تعالى غير ساخطٍ عليه، أما إن
غَضِبَ الله تعالى فتستوي المصائب حينها، إذ ما نفع النَّجاة منها أو الوقوع فيها
وقد غضبَ الإله العظيمُ على عبده اللئيم!

وهكذا لا يرى المؤمنُ فيما ينزل عليه من مصائب على عَظَمَتِهَا إلا أمراً يسيراً
حقيراً في قبال رضا الرب الجليل، فيهون عليه كلُّ ما ينزل به.

الثالث: القناعة بتأخير عقاب الظالمين!

يقول الإمام عليه السلام: اللَّهُمَّ وَإِنْ كَانَتِ الْخَيْرَةُ لِي عِنْدَكَ فِي تَأْخِيرِ الْأَخْذِ لِي،

(١) الدعاء ١٥.

(٢) الدعاء ١٤.

وَتَرَكِ الْإِنْتِقَامَ مِمَّنْ ظَلَمَنِي إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ، وَجَمَعَ الْحَصَمَ، فَصَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ،
وَأَيْدَنِي مِنْكَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَصَبْرٍ دَائِمٍ، وَأَعِزَّنِي مِنْ سُوءِ الرَّغْبَةِ وَهَلَعَ أَهْلِ الْخِرَاصِ،
وَصَوَّرَ فِي قَلْبِي مِثَالَ مَا ادَّخَرْتَ لِي مِنْ ثَوَائِكَ، وَأَعَدَدْتَ لِحَصْمِي مِنْ جَزَائِكَ
وَعِقَابِكَ، وَاجْعَلْ ذَلِكَ سَبَبًا لِقَنَاعَتِي بِمَا قَضَيْتَ، وَثِقَتِي بِمَا تَخَيَّرْتَ^(١).

يُسَلِّمُ الْمُؤْمِنُ أَمْرَهُ لِلَّهِ تَعَالَى كإمامه، فيرضى ويقنع بما يختاره الله تعالى، مِنْ
دَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ الْإِذْنِ بِنَزْوَلِهِ، وَمِنْ مَعَاجِلَةِ الظَّالِمِ بِعَقُوبَتِهِ، أَوْ تَأْخِيرِهَا إِلَى يَوْمِ
الْجَزَاءِ، ففِي كُلِّ ذَلِكَ يَكُونُ الصَّلَاحُ وَالْخَيْرُ لِلْمُؤْمِنِ!

يُؤْمِنُ بِذَلِكَ، وَيَدْعُو رَبَّهُ أَنْ يُرِيَ قَلْبَهُ ذَلِكَ حَقًّا كِي تَهُونَ عَلَيْهِ مَصَائِبُهُ.
هَكَذَا تَعَلَّمَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ إِمَامِهِمْ، فَصَرَّتْ تَرَى أَحَدَهُمْ لَا يَكْتَرِثُ لشيءٍ مِنْ
الْبَلَاءِ يَقَعُ عَلَيْهِ، وَلَا لَضَيْقٍ يَرَاهُ فِي أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاةٍ بَعْدَ أَنْ يَطْمَئِنَّ لِرِضَا رَبِّهِ.
صَارَ الْمُؤْمِنُونَ أَعْدَاءَ الْقَنُوطِ وَالْيَأْسِ، فَإِنَّهُمْ يَأْمَلُونَ الرَّحْمَةَ حِينَ يُصَابُ
النَّاسُ بِالْإِحْبَاطِ، وَيَرْجُونَ اللَّهَ حِينَ يُصَابُ سِوَاهُمْ بِالْقَنُوطِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْخَيْرَ
كُلَّ الْخَيْرِ فِي مَا يَقَعُ عَلَيْهِمْ، بَعْدَ أَنْ أَدَّوَا اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ.

يَقُولُ الْبَاقِرُ عليه السلام: لَا تَرَوْنَ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ حَتَّى تَكُونُوا كَالْمِعْزَى الْمَوَاتِ،
الَّتِي لَا يُبَالِي الْخَائِسُ أَيْنَ يَضَعُ يَدَهُ فِيهَا، لَيْسَ لَكُمْ شَرَفٌ تَرْقُونَهُ، وَلَا سِنَادٌ
تُسْنِدُونَ إِلَيْهِ أَمْرَكُمْ^(٢).

يَنْتَظِرُ الْمُؤْمِنُونَ الْفَرَجَ بِظُهُورِ الْإِمَامِ الْآخِذِ بِالثَّارِ، لَكِنَّ هُنَاكَ مَرَحَلَةً مِنْ

(١) الدعاء ١٤.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٢٦٣.

البلاء سَتَعْمُهُمْ، يُسْتَضْعَفُونَ فِيهَا، وَيَسْتَوَلِي عَلَى أَمْرِهِمْ أَعْدَاؤُهُمْ، فَلَا يَجِدُونَ مَا يَدْفَعُونَ بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا مَا يَحَافِظُونَ بِهِ عَلَى قُوَّتِهِمْ، فَيَتَنَاوَلُهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ كَمَا يَتَنَاوَلُ الرَّجُلُ بَعْضَ قَطِيعِهِ! لَا يَكُونُ لَكَبِيرِهِمْ شَأْنٌ عِنْدَ عَدُوِّهِمْ فَضْلاً عَنْ صَغِيرِهِمْ! وَهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ لَا يَرُونَ إِلَّا خَيْراً! وَلَا يَزِدَادُونَ إِلَّا رَجَاءً!

إِمَامُهُمُ السَّجَّادُ رَأَى مِنْ قَبْلُ مَا لَا يَطِيقُ أَحَدٌ حَمْلَهُ، وَارْتَدَّ النَّاسُ عَنْهُ وَعَنِ أَسْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ، لَكِنَّهُ مَا رَأَى إِلَّا جَمِيلاً! فَهُوَ (إِمَامُ الرَّجَاءِ)!

هَكَذَا تَكُونُ الْمَصَائِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَيَرْضَى مِنْ رَبِّهِ بِمَا يَقَعُ عَلَيْهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ مَا آذَرَ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ سَيُنْسِيهِ شِدَائِدُهُ، وَيَنْتَظِرُ يَوْماً يَأْخُذَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِيهِ حَقَّهُ، عِنْدَمَا يُوْخِذُ بِحَقِّ إِمَامِهِ الْمَظْلُومِ.

بِهَذِهِ الْمَعَادِلَاتِ الذَّهَبِيَّةِ يَعْبِزُ أَهْلَ الشَّقَاقِ أَمَامَ أَهْلِ الْإِيمَانِ، الَّذِينَ يَزِدَادُونَ بِاللَّهِ أَمَلاً، وَلَهُ رَجَاءً، كُلَّمَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ.

وَيَدْفَعُونَ بِذَلِكَ وَسَاوِسَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، فَيَفْرُ الْقَنُوطَ مِنْهُمْ، وَتَرَى أَحَدَهُمْ رَاضِي النَّفْسِ، مَطْمَئِنّاً بِمَا يُثِيرُ الْعَجَبَ..

إِنَّهَا حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ يُبْدُونَهُ تَبَدُّيًّا، بَعْدَمَا كَسَاهُمُ اللَّهُ مِنْ نُورِهِ.. دُونَ سِوَاهُمْ..

جَعَلَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ، وَثَبَّتَنَا عَلَى وِلَايَةِ أَئِمَّتِنَا الْأَطْهَارِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١).

٣٤. مَا أَقْسَى قَلْبِكَ.. أَيُّهَا السَّجَّادُ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الاختلافَ بَيْنَ ظَوَاهِرِ الْأُمُورِ وَبَوَاطِنِهَا أَمْرٌ كَثِيرٌ الْإِنْتِشَارَ بَيْنَ بَنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَصَفَ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِأَنَّهُمْ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١).

بَلْ قَلَّمَا تَكُونُ الظَّوَاهِرُ مُوَافِقَةً لِلْحَقَائِقِ، فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لَوْ تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَاغْتُمْ^(٢).

أَيُّ أَنَّ غَالِبَ النَّاسِ يُضْمِرُونَ لِمَنْ حَوْلَهُمْ شَيْئًا مِّنَ السُّوءِ، وَيَكِيدُونَهُمْ وَيَتَوَثَّبُونَ لَهُمْ، أَوْ يَحْسَدُونَهُمْ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ، أَوْ يَنْظُرُونَ لَهُمْ بِنَظَرَةٍ لَا يُحِبُّونَهَا، أَوْ يَتَصَفَّوْنَ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْخِصَالِ الَّتِي يُسَبِّبُ كَشْفُهَا الْعَدَاوَةَ بَيْنَ النَّاسِ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِسِتْرِهَا أَوَّلًا، ثُمَّ بِالْعَمَلِ عَلَى إِصْلَاحِهَا وَتَهْدِيبِ النَّفْسِ وَتَعْوِيدِهَا عَلَى حُبِّ الْخَيْرِ لِعِبَادِ اللَّهِ، وَالشَّفَقَةِ وَالْحُسْنِ عَلَيْهِمْ، بَلِ السَّعْيِ فِي نَفْعِهِمْ وَدَفْعِ السُّوءِ عَنْهُمْ.

وَهَكَذَا صَارَ ظَاهِرُ أَكْثَرِ النَّاسِ أَنْصَعَ مِنْ بَاطِنِهِمْ، فَأَغْلَبَهُمْ يُخْفِي مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الْكَثِيرِ.

إِلَّا أَنَّ فِتْنَةً قَلِيلَةً يُخَالِفُ حَالَهَا هَؤُلَاءِ، وَهُمْ الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ يَكُونُ بَاطِنُ أَمْرِهِمْ أَشْرَفَ مِنْ ظَاهِرِهِ، فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ ضِعَافًا عَنْ تَنَاوُلِ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَجْزًا مِنْهُمْ،

(١) الروم ٧.

(٢) الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ ص ٤٤٦.

بل زهداً فيها، فهُم الذين: أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُواهَا، وَطَلَبَتْهُمْ فَأَعْجَزُواهَا!
يعمل هؤلاء عمل الذين يخشون ربهم، ثم لا يرون لأنفسهم فضلاً: فهُم
لأنفسهم مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ!

شَفَقَتْهُمْ هذه نابعةٌ مِنْ معرفتهم بربهم وبعظمة حقه، لا مِنْ تقصيرهم،
رغم ذلك لا يحددون عن اتِّهام النفس أناءً، حتى صار هؤلاء علائم منها أَنَّ
أحدهم: يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ..

وَإِذَا نَظَرْتَ لَصِفَاتِهِمْ خِلَتْهُمْ مِنْ صِنْفِ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ أَحَدَهُمْ: يَعْتَرِفُ
بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ: لَأَنَّ اتِّبَاعَهُ لِلْحَقِّ لَا يَكُونُ بَدَافِعِ اجْتِمَاعِيٍّ مُلْزِمٍ، بل
بوازعٍ داخليٍّ هو الإيِّمان والاستقامة.

ثُمَّ إِنَّهُ يُقَدِّمُ ما فيه راحة الآخرين على راحته، فَإِنَّ: نَفْسَهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ،
وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ^(١).

وهكذا يتمتع هؤلاء بكلِّ صفاتِ الاستقامة والصلاح، ولا يكون ما ظَهَرَ
مِنْهَا إِلَّا بعض ما تُخْفِي نفوسُهُمْ، فلو كُشِفَ عن قلوبهم لكانت مُنِيرَةً بمعرفة الله
ورسوله وأوليائه، مُثِيرَةً لِلتَّعْجُبِ مِنْ طَهَارَتِهَا وَقُدْسِهَا.

يَشْكُلُ هؤلاء ظاهرةً تستحقُّ أَنْ تُدْرَسَ لِيُسْتَفَادَ مِنْهَا فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ.
لَكِنَّ هَؤُلَاءِ إِمَاماً تَفُوقُ خِصَالَهُ الْوَصَفِ، أَعْجَزَتْ حُلُومَ الْكِبَارِ أَنْ تَنَالَهَا،
وَسَلَبَتْ أَلْبَابَهُمْ، لَسَمُوْا نَفْسَهُ، وَرَفَعَتْ قَدْرَهُ، وَحَنَوْهُ وَعَظَفَهُ، وَكَرِّمَ خِصَالَهُ.

ولئن كان باطنُ الْمُتَّقِينَ فوق ما يَظْهَرُ مِنْهُمْ، فما هو حالُ إِمَامِهِمْ وَعَظِيمِهِمْ

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٩٣.

السجاد زين العابدين، عليّ بن الحسين عليه السلام؟!

ولقد رُوِيَ حادثةٌ في سِيرَتِهِ تستحقُّ المكوثَ عندها مُطَوَّلًا، ذاك حيثُ كان واقفاً بين يدي جَبَّارِ السماوات والأرض، وقفةً لا تُظير لها إلا في آل محمد عليهم السلام، فزَحَفَ ابنُهُ وهو طِفْلٌ إلى بئرٍ كانت في داره فسقط فيها.

فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ فَصَرَخَتْ، وَأَقْبَلَتْ تَضْرِبُ نَفْسَهَا مِنْ حَوَالِي الْبِئْرِ، وَتَسْتَعِيْثُ بِهِ وَتَقُوْلُ لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، غَرِقَ وَاللَّهِ ابْنُكَ مُحَمَّدٌ.

وَكُلَّ ذَلِكَ لَا يَسْمَعُ قَوْلَهَا! وَلَا يَنْشِي عَنْ صَلَاتِهِ! وَهِيَ تَسْمَعُ اضْطِرَابَ ابْنِهَا فِي قَعْرِ الْبِئْرِ فِي الْمَاءِ.

موقفٌ مهيبٌ وحدثٌ جَلَلٌ، قُرَّةُ العين وريحانة المرء وفلذة كبده في طورِ الحُسران، والأُمُّ في حالٍ مِنَ الأذى يَصْعُبُ وَصْفُهُ، والإمام لا يُغَيِّرُ شيئاً، بل يَكْمِلُ صَلَاتَهُ كَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ!

موقفٌ يثير الكثير من التساؤلات، ويُوَلِّدُ عند الأمِّ جَزَعاً، ولَمَّا طَالَ الأمرُ: قَالَتْ لَهُ جَزَعاً عَلَى ابْنِهَا: مَا أَقْسَى قُلُوبَكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ!

أيُّ كلمةٍ هي هذه؟! لأهل بيت النبوة يُقال هذا؟!

للسجاد يُقال: ما أَقْسَى قلبك؟! ولو كُشِفَتْ قلوب كلِّ العباد ما كان فيها

أَلَيْنَ وَلَا أَشْفَقَ وَأَرْحَمَ مِنْ قُلُوبِهِمْ عليهم السلام؟!

فما الذي قَلَبَ المُعَادَلَةَ هنا؟!

إِنَّ سَمَوَّ الْبَاطِنِ وَرُقِيَّهَ بَلَغَ شَأْنًا لَا يُمْكِنُ لِسَائِرِ النَّاسِ اسْتِيعَابَهُ، بَلْ حَتَّى تَحْيَلُهُ، فزوجته ليست مَن يَخْفَى عليها حُنُوهُ وعطفه، ولعلها هي أو سواها من

زوجاته قد نصبت فسطاطاً على قبره بعد وفاته عليه السلام، لما تعلم من حميد خصاله.
لكن.. يظهر أنَّ العجزَ عن تقييم سُمُو الباطن في هذا الموقف، نَقَلَ الحال
عندها إلى تقييم الظاهر.. فَمَنْ لَا يُبَادِرُ إلى إنقاذ ابنه يكونُ قاسيَ القلبِ بموازين
الظاهر.. وليس لأحدٍ أن يقيس الإمامَ بميزانٍ لا يملكه، فالإمامُ فوق أن يُقاس
به أحد.

أَكْمَلَ الإمامُ صلاته: وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا إِلَّا بَعْدَ كَمَالِهَا وَتَمَامِهَا!
ثُمَّ أَقْبَلَ إلى البئرِ العميق، ومدَّ يده وأخرج ابنه: وَهُوَ يُنَاغِيهِ وَيَضْحَكُ، وَلَمْ
يُبَلِّ لَهُ ثَوْبٌ وَلَا جَسَدٌ بِالماءِ!

فَقَالَ لَهَا: هَاكِ هُوَ يَا قَلِيلَةَ الْيَقِينِ بالله!
لَمْ يَكُنْ الأمرُ في حقيقته قسوةً قَلْبٍ والعياذُ بالله، بل كان فيه كمالٌ مُطْلَقٌ،
وتوجُّهُ خالصٌ إلى الله تعالى، فليس حالُ الوقوفِ بين يدي الله عند الإمامِ كأيِّ
حال!

وإن لم يكن الأمرُ عندنا بهذه المثابة، فلأننا لا نعرفُ حقاً بين يدي مَنْ نقف
في صلاتنا!

لقد كشفَ الإمامُ في هذا الحديثِ أمراً جليلاً، وهو أنه ليس لمن لم يفهم وجهَ
الحكمة في أفعال الإمام أن يعترض عليه، فإنَّ باطنه أعظمُ من كلِّ ما نتخيل.
وقد تسري هذه القاعدةُ إلى المؤمنين أنفسهم، حين يتَّهَمُ الجاهلُ العالمَ إن
خفيَ عليه وجهُ الحكمة في فعله، حتى ورد في الحديث أن من الثلاثة الذين
يشكون إلى الله تعالى: عَالِمٌ بَيْنَ جُهَالٍ!

فَإِنَّهُ يَعْمَلُ وَفَقَّ مَا بَلَغَهُ مِنْ مُوَازِينِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ يَتَّهَمُهُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ
بِالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ، بَلْ يَطْعَنُونَ فِي دِينِهِ لِمَا يَرُونَ مِنْ شِدَّةٍ فِيهَا يَأْتِي إِلَيْهِمْ.
لَمَّا أَخْرَجَ الْإِمَامُ ابْنَهُ سَالِمًا مُعَافًى، وَرَأَتْهُ أُمُّهُ، ذَهَبَ عَنْهَا مَا أَحَاطَ بِهَا مِنْ
جَزَعٍ: فَضَحِكَتْ لِسَلَامَةِ ابْنِهَا، وَبَكَتْ لِقَوْلِهَا!

لَقَدْ أَدْرَكْتَ عَظِيمَ الْخَطَا الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ حِينَ وَصَفْتَ الْإِمَامَ وَآلَ الْبَيْتِ
بِقِسَاوَةِ الْقَلْبِ، فَلَا تَنْقَلِبْ قَلْبُهَا لَهُمْ، وَبَكَتْ نَدَمًا عَلَى مَا قَالَتْ، فَقَالَ لَهَا: لَا تَتَرَيَبَ
عَلَيْكَ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّي كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ جَبَّارٍ، لَوْ مِلْتُ بِوَجْهِهِ عَنْهُ لِمَالٍ بِوَجْهِهِ
عَنِّي، فَمَنْ تَرَيْنَ أَرْحَمَ بِعَبْدِهِ مِنْهُ؟^(١)

فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ عِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ، فَكَمْ مِنْ مُؤْمِنٍ يَعِيشُ بَيْنَنَا، يَتَمَتَّعُ بِإِيمَانٍ
صَادِقٍ، وَقَلْبٍ مُخْلِصٍ، يَتَّقِي اللَّهَ فِي فِعَالِهِ، ثُمَّ يُغْمَطُ وَيُظْلَمُ، وَيُجْهَلُ قُدْرُهُ، وَيُسَاءَلُ
إِلَيْهِ!

وَلَكِنَّهُ كَأَصْحَابِ الْقُلُوبِ الطَّاهِرَةِ، يَقْنَعُ بِمَا هُوَ فِيهِ، وَلَا يُجْرِّكُ سَاكِنًا! لِأَمْرِ
قَالَهُ السَّجَّادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَرِيشٍ وَسَائِرِ النَّاسِ:

جَهَلُوا وَاللَّهُ أَمَرَ اللَّهَ وَأَمَرَ أَوْلِيَائِهِ مَعَهُ، إِنَّ الْمَرَاتِبَ الرَّفِيعَةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالتَّسْلِيمِ
لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَرْكِ الْإِقْتِرَاحِ عَلَيْهِ، وَالرِّضَا بِمَا يُدَبِّرُهُمْ بِهِ!

إِنَّ أَوْلِيََاءَ اللَّهِ صَبَرُوا عَلَى الْمِحَنِ وَالْمَكَارِهِ صَبْرًا لَمْ يُسَاوِهِمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ،
فَجَازَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ بِأَنْ أَوْجَبَ لَهُمْ نَجْحَ جَمِيعِ طَلِبَاتِهِمْ، لَكِنَّهُمْ مَعَ

ذَلِكَ لَا يُرِيدُونَ مِنْهُ إِلَّا مَا يُرِيدُهُ هُمْ^(١).

هكذا يكون أهل الإيمان، هم أهل اليقين والتسليم، يقين بأن الله تعالى لا يفعل بهم إلا ما فيه خيرهم وصلاحتهم، فيورثهم ذلك تسليماً مطلقاً له عز وجل، ويرضون منه بما قسم لهم، ويحمدونه على كل شيء وفي كل حين. فيصير زادهم كإمامهم: الاعتقاد بأن الدنيا كلها لله، والخلق عباده، والأسباب بيده، لا ينفذ في مملكته إلا ما قضى وأمضى، فهل للخوف حينها إليهم من سبيل؟! من سبيل؟! من سبيل؟!

لذا لا ترى المؤمن اليوم جزوعاً من شيء إلا من ذنوبه وتقصيره!
فلا يجزع لغلاء الأسعار، حيث حفظ عن السجادة عليه السلام قوله: مَا عَلَيَّ مِنْ غَلَائِهِ، إِنْ غَلَا فَهُوَ عَلَيْهِ، وَإِنْ رَخَصَ فَهُوَ عَلَيْهِ^(٢).
ولا يجزع للحروب، فإنه حفظ عن الصادق عليه السلام قوله: مَا التَقْتُ فِتْنَانِ قَطُّ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ إِلَّا كَانَ النَّصْرُ مَعَ أَحْسَنِهَا بَقِيَّةً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ^(٣).
فإن الله تعالى ينصر من الظالمين من يكون في نصره صلاح المؤمنين، بل ينصر من يكون في نصره بقاء المسلمين.

وهكذا يسخر الله تعالى خلقه لصلاح عباده المؤمنين، ويرعاهم بإمامهم الحجة المنتظر، ويدفع به عنهم الاستئصال والاجتثاث، ويخفف به عنهم الشدائد،

(١) الأمايلي للصدوق ص ٤٥٥.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٨١.

(٣) الكافي ج ٨ ص ١٥٢.

وَيُبْقِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَخَيْرُهُمْ، لِأَنَّهُ عَادِلٌ حَكِيمٌ، لَا يَظْلِمُ عِبَادَهُ، وَلَا يَخْتَارُ لَهُمْ إِلَّا الْأَصْلَحَ.

وَمَنْ تَرَقَّى فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ زَادَ يَقِينُهُ بِذَلِكَ، أَمَّا مَنْ قَصَرَ نَظْرَهُ عَلَى مَا تَرَى عَيْنَاهُ، وَلَمْ يَنْظُرْ بِعَيْنِ الْقَلْبِ، كَانَ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ، وَمِنْ أَنْ نَكُونَ فِي عِدَادِهِمْ.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الجمعة ٢٧ محرم ١٤٤٤ هـ الموافق ٢٦ - ٨ - ٢٠٢٢ م.

٣٥. الإمام الباقر.. والشيعة الأشداء!

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا بَاقِرَ الْعِلْمِ، يَا بَاقِرَ الْعِلْمِ!

كلمة ظلَّ جابر بن عبد الله الأنصاري ينادي بها في مسجد رسول الله ﷺ، بعد عشرات السنين من شهادته ﷺ.

لم يفهم أهل المدينة غرض جابر من ذلك، وهو آخر من بقي من أصحاب النبي ﷺ يومها، فرموه بما رمى به الثاني النبي ﷺ، فكانوا يقولون: جَابِرٌ يَهْجُرُ! لكنَّ جابراً ما كَذَبَ ولا هَجَرَ، بل كان ينادي بهذا النداء مُتَرَقِّباً وعدَّ الصادق الأمين ﷺ حين قال له:

إِنَّكَ سَتُدْرِكُ رَجُلًا مِنِّي، اسْمُهُ اسْمِي، وَشَمَائِلُهُ شَمَائِلِي، يَتَقَرُّ الْعِلْمَ بَقْرًا! (١).
ولما تحقَّق الوعدُ يوماً، ورأى جابرٌ في غلام شمائل النبي ﷺ، وعَرَفَ شخصه، وأنه منه ﷺ، سارعَ إليه يقبِّلُ رأسه، ويُقرِّؤه السلام عن جده ﷺ، ثم صار: يَأْتِيهِ طَرَفِي النَّهَارِ.. فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ!

جابرٌ مع كِبَرِ سنِّه وكثرة علمه يتعلَّم من الإمام مع صِغَرِ سنِّه، لأنَّه يعلم أنَّ العِلْمَ عند الأئمة دون سواهم، وقد قال الباقر يوماً: لِيَذْهَبُوا حَيْثُ شَاءُوا، أَمَّا وَاللَّهِ لَا يَجِدُونَ الْعِلْمَ إِلَّا هَاهُنَا.. عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ (٢).

وقال عليه السلام: وَاللَّهِ إِنَّا لَخُزَانُ اللَّهِ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ، لَا عَلَى ذَهَبٍ وَلَا عَلَى فِضَّةٍ

(١) الكافي ج ١ ص ٤٦٩.

(٢) بصائر الدرجات ج ١ ص ١٠.

إِلَّا عَلَى عِلْمِهِ^(١).

لَيْسَ مَا يُؤْخَذُ مِنْ غَيْرِهِمْ عِلْمٌ وَإِنْ مُلِّتَ بِهِ الصَّحَائِفُ!

وَلَا مَا يُنْشَرُ عَنْ سَوَاهِمُ حَقٌّ وَإِنْ تُلِيَ عَلَى الْمَنَابِرِ!

فَعِلْمُ اللَّهِ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنْ بَيوتِهِمْ، وَلَيْسَ الْحَقُّ إِلَّا مَا تَجَوَّدُ بِهِ قَرَائِحُهُمْ، وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى خَزَنَتَهُ وَحَمَلَتَهُ.

وَلَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَابَ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ، أَطَاعَهُمْ قَوْمٌ وَأَحْبَوْهُمْ، وَعَصَاهُمْ قَوْمٌ وَأَبْغَضَوْهُمْ!

فَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَصْحَابِهِمْ وَشِيعَتِهِمْ! وَكَانَ مِنْ أَهَمِّ تِلْكَ الْوَصَايَا وَصِيَّةَ إِمَامِنَا الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ لِإِمَامِنَا الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا جَعْفَرُ، أَوْصِيكَ بِأَصْحَابِي خَيْرًا!

الْخَيْرُ عُنْوَانٌ عَمِيمٌ، مُتْرَامِي الْأَطْرَافِ، وَاسِعُ الْمَدَى، لَكِنَّ الْإِمَامَ يَعْلَمُ مُرَادَ الْإِمَامِ، وَيَعْلَمُ أَيَّ خَيْرٍ يَعْنِيهِ، فَأَجَابَهُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَاللَّهِ لَا دَعْنَهُمُ وَالرَّجُلُ مِنْهُمْ يَكُونُ فِي الْمِصْرِ فَلَا يَسْأَلُ أَحَدًا!^(٢).

إِنَّ الْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي عُلُومِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنْفَاذُ وَصِيَّةِ الْإِمَامِ يَكُونُ فِي تَعْلِيمِ أَصْحَابِهِ وَشِيعَتِهِ وَمَوَالِيهِ، حَتَّى لَا يَحْتَاجُوا إِلَى مُخَالِفِهِمْ، فَإِنَّ مَنْ احْتَاجَ إِلَيْهِمْ: أَدْخَلُوهُ فِي بَابِ ضَلَالَتِهِمْ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ^(٣).

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ١٠٤.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٠٦.

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٣.

الخيرُ كُلُّ الخَيْرِ فيما يعتصمُ به الإنسان عن الضلال، ولا يكون ذلك إلا بالتفقه والتعلم، ومن لم يتفقه سُلِبَ الخير: لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَتَفَقَّهُ مِنْ أَصْحَابِنَا! وكيف يكون من أهل الخير والصلاح مَنْ يستبدل الحقَّ بالباطل لجهله بالحق! وكم من مؤمنٍ يعتقدُ بولاية آل محمدٍ عليهم السلام ثم لا يعمل بفقههم بل بفقه مخالفهم لجهله!

هكذا يصيرُ تعليمُ أصحاب الأئمة وشيعتهم وصية الباقر للصادق عليه السلام، ولقد أنفذ الإمام الصادق عليه السلام الوصية بما لا مزيد عليه، وكان يودُّ لو يُضرب أصحابه بالسياط حتى يتفقهوا في الحلال والحرام، فالعلم مع الضرب بالسياط خيرٌ من الجهل الذي تنفتح منه أبواب الضلال! لقد استلهم الشيعة من إمامهم الباقر قديماً وحديثاً قواعد كثيرة تستحقُّ كلَّ واحدةٍ منها أن تكتب بماء الذهب، ومنها:

أولاً: الحقُّ لا يتركُ لاختلاطه بالباطل

لطالما مزَجَ أصحابُ الأهواء الباطلَ بالحقِّ ليموِّهوا على الناس، ولطالما تداخلت المسائل واختلطت حتى حارَّ كثيرٌ من الناس في معرفة حكمها أو تشخيص موضوعها.

ومع أنَّ الراجح في التشابهات هو اجتنابها طلباً للنجاة، فإنَّ هذا لا يعني ترك الحقِّ الواضح إذا ما مسَّهُ باطلٌ لا يدُ للمؤمن فيه، بحيث يصيرُ هذا الأمرُ سلاحاً لأهل الباطل ليرتك المؤمنون كلَّ حق.

ومن ذلك ما جرى يوماً حضرَ فيه الإمامُ الباقر عليه السلام جنازةً، كما حضرَها

(فَقِيهٌ) من المخالفين، (فَصَرَحَتْ صَارِحَةً)، وَصُرَاخُ النِّسَاءِ فِي الْجَنَائِزِ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ، فَقَالَ ذَاكَ (الْفَقِيه): لَتَسْكُتَنَّ أَوْ لَنَرْجَعَنَّ!

وَلَمَّا لَمْ تَسْكُتِ الْمَرْأَةُ رَجَعَ وَتَرَكَ الْجَنَازَةَ، وَلَمَّا أُخْبِرَ الْإِمَامُ بِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: امْضِي بِنَا، فَلَوْ أَنَّا إِذَا رَأَيْنَا شَيْئًا مِنَ الْبَاطِلِ مَعَ الْحَقِّ تَرَكْنَا لَهُ الْحَقَّ لَمْ نَقْضِ حَقَّ مُسْلِمٍ^(١).

وَهَكَذَا تَعَلَّمَ الْمُؤْمِنُ مِنْ إِمَامِهِ أَنْ لَا يَتْرَكَ شَيْئًا مِنْ حَقِّ اللَّهِ أَوْ حَقِّ الْعِبَادِ لِأَجْلِ طَرَفٍ ثَالِثٍ غَيْرِ مُصِيبٍ، فَتَمَسَّكَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَالَ رِضَاهُ وَمَحَبَّتَهُ تَعَالَى.

ثَانِيًا: لِيَقْوُ شَدِيدُكُمْ ضَعِيفُكُمْ

لَقَدْ دَخَلَ جَمَاعَةٌ عَلَى الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرِيدُونَ الْخُرُوجَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَطَلَبُوا مِنْهُ وَصِيَّةً، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لِيَقْوُ شَدِيدُكُمْ ضَعِيفُكُمْ، وَلِيَعُدَّ غَنِيُّكُمْ عَلَى فَقِيرِكُمْ، وَلَا تَبْثُثُوا سِرَّنَا، وَلَا تَذِيعُوا أَمْرَنَا.. وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمُتَنَظِّرَ لِهَذَا الْأَمْرِ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ^(٢).

لَقَدْ أَوْصَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُنَا بِأُمُورٍ فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ:

أَوَّلُهَا: لَزُومُ التَّكَاتُفِ بَيْنَ الشَّيْعَةِ، فِي أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَالْقَوِيُّ مِنْهُمْ يَبْدَنُهُ يُعِينُ الضَّعِيفَ، وَالْقَوِيُّ بِعِلْمِهِ يُعَلِّمُ الْجَاهِلَ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ صَعْبًا شَدِيدًا مَحْمُولُهُ، وَأَشَدَّاءُ الشَّيْعَةِ الَّذِينَ حَمَلُوا عُلُومَهُمْ يَعْطِفُونَ عَلَى ضِعَافِهِمْ وَيَسْنَدُونَهُمْ

(١) الكافي ج ٣ ص ١٧٢.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٢٢.

في حاجاتهم.. كما يعطفُ الغنيُّ منهم على الفقير.

وهكذا يكونُ المؤمنُ القويُّ الذي لا يأخذ بيد أخيه غير عاملٍ بوصيةِ إمامه، فكيف بمن يستغلُّ قوته ليزلم أخاه الضعيف؟ أو يسلبه حقه، ويغترّ بنفسه، فيتكبر ويتجبرّ على إخوانه!

ثانيها: أن نشر العلوم أو كتبنا يخضع للظروف، فينبغي للمؤمن أن ينظر في ذلك، ويتكلم الكلمة في موضعها، فيحدث تارة بما عنده، ويكتم إيمانه تارة أخرى كمؤمن آل فرعون.

ولقد بين الإمام عليه السلام ذلك لجابر حينما دفع إليه كتاباً وقال له:

إِنْ أَنْتَ حَدَّثْتَ بِهِ حَتَّى تَهْلِكَ بَنُو أُمِّيَّةَ فَعَلَيْكَ لَعْنَتِي وَلَعْنَةُ آبَائِي!

وَإِذَا أَنْتَ كَتَمْتَ مِنْهُ شَيْئاً بَعْدَ هَلَاكِ بَنِي أُمِّيَّةَ فَعَلَيْكَ لَعْنَتِي وَلَعْنَةُ آبَائِي! ^(١).

ثالثها: أن انتظار الإمام ليس قعوداً عن الحق، وأنه لا ينبغي حمل السلاح كيفما كان ليصير المؤمن مناصراً لإمامه، فانتظار الإمام مع تعلُّم علومه وتعليمها المؤمنين، ومعاونتهم بحفظ دينهم ودنياهم، هو باب من أبواب رضا الإمام، فيصير المنتظر بذلك (كَمَنْ قَارَعَ مَعَهُ بِسِيفِهِ)، وما أعظمها من رتبة وشرف.

ثالثاً: ليس بعد ملكنا ملك

إنَّ الباقر إماماً أعطاه الله خزائن علمه، وجعل الكون طوعاً أمره، فصارت إرادة الرب في مقادير أموره تصدر من بيته، والأرض التي تحمل بدنه الشريف

(١) رجال الكشي ص ١٩٣.

مستقرّة بوجوده، رغم ذلك لم يكن عليه السلام إماماً يتعاطى (العنتريات)! ولا يردد ويبرق!

لقد أراد هشام بن عبد الملك توبيخَ إمامٍ عظيمٍ بهذه المنزلة! فنطق إبليسُ على لسانه بكلماتٍ تهتزُّ لهولها السماوات والأرض، وكان ممّا قاله:

يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، لَا يَزَالُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ قَدْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْإِمَامُ سَفَهًا وَقِلَّةَ عِلْمٍ!

ثم تبعه من كان بين يديه من بني أمية بأقوالٍ تُشاكلُ قوله، والإمام مع كل ذلك لا ينطق بكلمة! حتى انقضى آخرهم، وسكت القوم، فنهض عليه السلام قائماً، ثم قال: أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ وَأَيْنَ يُرَادُ بِكُمْ؟

بِنَا هَدَى اللَّهُ أَوْلَكُمْ، وَبِنَا يَخْتِمُ آخِرَكُمْ، فَإِنْ يَكُنْ لَكُمْ مُلْكٌ مُعَجَّلٌ، فَإِنَّ لَنَا مُلْكًا مُؤَجَّلًا، وَلَيْسَ بَعْدَ مُلْكِنَا مُلْكٌ، لِأَنَّا أَهْلُ الْعَاقِبَةِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

ما أكثر العبرَ في هذه الكلمات..

إنَّ الإمام ما حَمَلَ سَيْفًا، فَاتَّهَمُوهُ بِشَقِّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ! كما يَتَّهَمُ السُّلَاطِينُ الَّذِينَ يَسْرِفُونَ فِي الْقَتْلِ الْيَوْمَ الْعُلَمَاءُ بِشَقِّ الْعَصَا إِذَا مَا لَهَجُوا بِالْحَقِّ! ولقد كان الإمام بابَ علم الله تعالى! فنفوا عنه هذا الكمالَ حَقْدًا وحسدًا وجهلاً!

والإمام في كل ذلك حليمٌ لا يعجل، فإنما يعجلُ مَنْ يَخَافُ الْفُوتَ، والإمام

(١) الكافي ج ١ ص ٤٧١.

لا يخافُ فوتَ ما وعده الله، مِن مُلْكٍ لا مُلْكَ لأحدٍ بعده.

إِنَّ كُلَّ مَمْلَكَةٍ زَائِلَةٌ إِلَّا مَمْلَكَةً يَقُودُهَا الْإِمَامُ الْمُعْصُومُ عليه السلام، فَمُلْكُهُ عليه السلام مُؤَجَّلٌ، رَغْمَ ذَلِكَ لَا يَعَجَلُ عليه السلام وَلَا شِيعَتُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ وَالْمَقْرُونُونَ بِفَضْلِهِ.

لِذَا تَرَاهُمْ رَغْمَ كُلِّ مَا يَقَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَلَاءَاتٍ مِنَ أَهْلِ الصَّبْرِ، أَلَيْسَ قَدْ صَبَرَ إِمَامُهُمْ عَلَى هَذَا الْخَلِيفَةِ وَسِوَاهُ؟!

أَلَمْ يَعْدهُمْ رَبُّهُمْ بِالْإِسْتِخْلَافِ بَعْدَ الْإِسْتِزْعَافِ؟! فَمَا ضَرَّ الْمُؤْمِنَ اسْتِزْعَافُ سَاعَةٍ بَعْدَ وَعْدِ اللَّهِ بِالْإِسْتِخْلَافِ؟!

هَكَذَا يَقْدِرُ الْمُؤْمِنُ عَلَى تَحْمُلِ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ سِوَاهُ.

وَهَكَذَا تَصِيرُ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَتَعَلُّمُهُ وَتَعْلِيمُهُ وَبُئْهُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ مِنْ أَهَمِّ الْوُظَائِفِ الَّتِي أَوْصَى بِهَا الْإِمَامُ عليه السلام.

فَيَسْتَذَكِّرُهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي أَيَّامِ شَهَادَتِهِ عليه السلام، لِيَتَأَمَّلُوا فِي مِقْدَارِ تَقْصِيرِهِمْ فِي إِنْفَازِ وَصِيَّةِ إِمَامِهِمْ، فَيَصِيرُ ذَلِكَ حَافِزاً وَبَاعِثاً لَهُمْ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

وَفَقْنَا اللَّهَ لَطَاعَتَهُ بِطَاعَةِ الْإِمَامِ، وَإِحْيَاءَ أَمْرِهِ، وَالْأَخْذَ بِحِجْزَتِهِ.

وَعَظَّمَ اللَّهُ لَنَا وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ أَجُورَنَا بِإِمَامِنَا عليه السلام.

وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(١).

٣٦. أَلِمِثْلُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ يُقَالُ هَذَا؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

هذا دعاءٌ عظيمٌ يتلوه المسلمُ في اليومِ عشراً أو يزيد، لما قد اشتهر عن النبي ﷺ: لَا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ.

يفسّرُ الصادقُ جعفر بن محمد ﷺ المراد من الهداية بالإرشاد إلى الطريق المؤدي إلى محبة الله ورسوله: وَالْمَانِعِ مِنْ أَنْ نَتَّبِعَ أَهْوَاءَنَا فَنَعْطَبَ، أَوْ نَأْخُذَ بِآرَائِنَا فَتَهْلِكَ..

ثمرة الصراط المستقيم إذاً محبة الله ورسوله، ثم المنع عن:

١. اتباع الأهواء.

٢. والأخذ بالآراء.

ففي ذلك العطب والهلاك.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: فَإِنْ مَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَأَعْجَبَ بِرَأْيِهِ كَانَ كَرَجُلٍ سَمِعَتْ غُثَاءُ الْعَامَّةِ تُعْظِمُهُ وَتَسْفَهُ [تُصِفُهُ] فَأَحْبَبَتْ لِقَاءَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْرِفُنِي لِأَنَّهُمْ لَا يَنْظُرُونَ مِقْدَارَهُ وَحَلَّه..

مرَّ هذا الرجلُ بخبازٍ فتغفَّله، وسرق منه رغيفين، ثم من غيره رمانتين، ثم مرَّ بمریض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه.

فلما حدّثه الصادق ﷺ وعرف أنه جعفر بن محمد ﷺ قال المتبّع لهواه لعالم

آل محمد: فَمَا يَنْفَعُكَ شَرَفُ أَصْلِكَ مَعَ جَهْلِكَ بِمَا شُرِّفْتَ بِهِ!!
وَتَرِكَ عِلْمَ جَدِّكَ وَأَبِيكَ لِئَلَّا تُنْكِرَ مَا يَحِبُّ أَنْ يُحَمَّدَ وَيُمْدَحَ عَلَيْهِ فَاعِلُهُ.
ما أسوأ هذه الكلمة وأشدّها! يقول هذا الجاهل لجعفر بن محمد عليه السلام: ما
ينفعك شرف أصلك مع جهلك؟!

جعفر بن محمد صار جاهلاً عند أصحاب الآراء والأهواء، فهل من عَطَبٍ
بعد هذا العطب أو هلاك؟!

إمام الأئمة وقيّمها.. من أقرّ له كُلُّ من فيها بأنه البحر الزاخر، ورأى كل من
شاهده العلم طافحاً من بين جوانبه، يُنسبُ إلى الجهل وترك العلم؟!
يَصْعُبُ على بعض أهل العلم أن يُستنكر قولهم أو يُردّ عليهم، فما بالك
بنسبتهم للجهل؟!

ثم يتنبهون إلى أن الدنيا دار افتتان، فإذا كانت الدنيا داراً يُنسب للجهل فيها
أعلم من عليها! فكيف بمن يقتات على مائدته؟!

لقد احتجّ هذا المتبع للهوى بآية في كتاب الله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ
عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾ ثم قال:

وَإِنِّي لَمَّا سَرَقْتُ الرَّغِيفَيْنِ كَانَتْ سَيِّئَتَيْنِ، وَلَمَّا سَرَقْتُ الرُّمَانَتَيْنِ كَانَتْ سَيِّئَتَيْنِ،
فَهَذِهِ أَرْبَعُ سَيِّئَاتٍ، فَلَمَّا تَصَدَّقْتُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَانَ لِي بِهَا أَرْبَعِينَ حَسَنَةً،
فَانْتَقَصَ مِنْ أَرْبَعِينَ حَسَنَةً أَرْبَعُ أَرْبَعٍ سَيِّئَاتٍ بَقِيَ لِي سِتٌّ وَثَلَاثُونَ حَسَنَةً.

فكان هذا ممن يحسب أنه يحسنُ صنعا!

يَبَيِّنُ لَهُ الْإِمَامُ أَنَّ مَا ظَنَّهُ حَسَنَاتٍ هُوَ سَيِّئَاتٍ، فيقول عليه السلام: وَلَمَّا دَفَعْتَهُمَا إِلَى

غَيْرِ صَاحِبَيْهِمَا بِغَيْرِ أَمْرِ صَاحِبَيْهِمَا كُنْتُ إِنَّمَا أَضَفْتُ أَرْبَعَ سَيِّئَاتٍ إِلَى أَرْبَعِ سَيِّئَاتٍ،
وَلَمْ تُضَفْ أَرْبَعِينَ حَسَنَةً إِلَى أَرْبَعِ سَيِّئَاتٍ.

ثُمَّ ﷺ كَلِمَةً فِي مَنَتهَى الرُّوعَةِ:

بِمِثْلِ هَذَا التَّأْوِيلِ الْقَبِيحِ الْمُسْتَكْرَهِ يَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ^(١).

لقد أغمض هذا الجاهل عن آيات الكتاب الكريم حين تقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ
اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، فذكره بها الإمام ﷺ.. لكنّ للذكرِ أهله، وللحق أنصاره،
وللباطل أتباعه.

لقد روي أن مدينة الرسول ﷺ قد ارتجت يوم خطبت الزهراء ﷺ،
وهاج الناس وارتفعت الأصوات، فخاف الأول افتضاح أمرهم لمعرفة الناس
بالحق الذي طالبت به، وخشي انكشاف ما ستروه من الغدر بالنبي ﷺ، لكن
الثاني، المؤسس لأساس الظلم والجور، المتبع لهواه، هداً من روع صاحبه قائلاً:

هَلْ هِيَ إِلَّا عَمْرَةٌ أَنْجَلَتْ، وَسَاعَةٌ انْقَضَتْ، وَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكُنْ..

أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآتِ الزَّكَاةَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَوَفِّرِ الْفَيءَ،
وَصِلِ الْقَرَابَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾..

ذَنْبٌ وَاحِدٌ فِي حَسَنَاتٍ كَثِيرَةٍ، قَلْدَنِي مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ!..

فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى كَتِفِهِ، ثُمَّ قَالَ: رَبِّ كُرْبَةٍ فَرَجْتَهَا، يَا عُمَرُ^(٢).

ليس ذاك الأحق سارق الخبز والرمان إلا متعلماً من جُهاَل، يرون أن الذنب

(١) معاني الأخبار ص ٣٣.

(٢) دلائل الإمامة ص ١٢٢.

واحد، وأن الحسنات كثيرة! فيصير عندهم علي بن أبي طالب جاهلاً! ومن بعده بنوه كجعفر بن محمد عليه السلام!

يتعamy هؤلاء عن أن كل تصرف في هذه الأمة هو تصرف في سلطان الله تعالى، إنه منصب الخلافة الإلهية، خلافة الله في خلقه، ومنصب حجبته على عباده، وكل فعل يحتاج إلى إذن منه، وسيسألان يوم القيامة: ﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾.. ولما لم يأذن لهم، كان كل تصرف منهما إثماً، فجمعاً إلى آثامهم آثاماً..

سلام الله عليك يا عالم آل محمد صلوات الله عليه.

لقد قلت يوماً: إِنِّي لَأَرْحَمُ ثَلَاثَةً، وَحَقُّهُمْ أَنْ يُرْحَمُوا:

١. عَزِيزٌ أَصَابَتْهُ مَذَلَّةٌ بَعْدَ الْعِزِّ.

٢. وَغَنِيٌّ أَصَابَتْهُ حَاجَةٌ بَعْدَ الْغِنَى.

٣. وَعَالَمٌ يَسْتَخِفُّ بِهِ أَهْلُهُ وَالْجَهْلَةُ^(١).

ولئن رأينا في أيامنا من أصابه ذُلٌّ وحاجةٌ بعد العزِّ والغنى، فحقَّ له أن نرحمه.. فلطالما لمسنا احترام عوام الشيعة لعلمائهم.. وتقديرهم لهم.. رغم استخفاف المخالفين..

لكن في أيامنا هذه..

انبرت ثلَّةٌ ممن تزعم الموالاتة لمحمد وآله، لتطعن في كل عالم ينتسب لهم، وتستخف به!

(١) الخصال ج ١ ص ٨٧.

فماذا يريد هؤلاء؟

أيريدون أن يعمّ الجهل؟!

ألا يكفي افتقار الشيعة لإمامهم المعصوم وحاجتهم له؟ وشدة ما يَرِدُ عليهم؟!

أما وجد هؤلاء في أهل العلم سلوةً للمؤمنين وصلةً بينهم وبين علوم آل محمد ﷺ؟! أنحافظ على ذلك أم نفرطُ به؟!

أنريد أن نفتح باب التأويلات الباطلة القبيحة المستكرهة، حتى نردّ موارد الضلال والعمى؟!

لم يقل الصادق عليه السلام: بِمِثْلِ هَذَا التَّأْوِيلِ الْقَبِيحِ الْمُسْتَكْرَهِ يَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ!

فماذا يريد المشككون؟! المستخفون بالعلم والعلماء؟

أيريدون أن تُحرق سفينة الشيعة المجتمعين حول علمائهم وتنتشر مدارس الضلال والإضلال؟!

أما سمعوا وهم يتنسبون للأئمة المعصومين عليه السلام قول الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: أن:

الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَهَاءَ حُصُونُ الْإِسْلَامِ كَحِصْنِ سُورِ الْمَدِينَةِ هَا^(١).

فأيُّ مدينة لا تسقط أمام أعدائها المتربصين بها إذا ما أسقط أهلها سورها بأيديهم؟!

أما بَلَّغَهُم قول الإمام عليّ بن محمد الهادي عليه السلام:

لَوْ لَا مَنْ يَبْقَى بَعْدَ غَيْبَةِ قَائِمِكُمْ عليه السلام مِنَ الْعُلَمَاءِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، وَالذَّالِّينَ عَلَيْهِ، وَالذَّائِبِينَ عَنْ دِينِهِ بِحُجَجِ اللَّهِ، وَالْمُنْقِذِينَ لَضَعْفَاءِ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ شَبَاكِ إِبْلِيسَ وَمَرَدَّتِهِ، وَمَنْ فِخَاخِ النَّوَاصِبِ، لَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ^(١).

نعم إنها فِخَاخُ النواصب وشباك إبليس.. تظهر:

١. تارة بصورة خليفة للمسلمين يسلبُ الزهراء حقّها.. ويزعم أن الحسنات يذهبن سيئاته، ويعمى أو يتعمى عن أن سيئته هذه لا تُغفر لأنه صاحب بدعة لا يوفق للتوبة.

٢. وثانية تظهر بصورة من يراه غثاء العامة عالماً، يسرق ويتصرف بما غصب ثم ينسبُ عالم آل محمد عليه السلام للجهل!

٣. وثالثة في أيامنا عندما يُستخفّ بالعلم والعلماء، ويُفتح باب الضلال والإضلال بالتأويلات الباطلة.

وكلّما توسّعت دائرة الضلال، كلّما أيقن المؤمنون بقرب الفرج، ولا فرج إلا على يدي المهدي المنتظر عليه السلام.

اللهم عجل فرجه.. وسهل مخرجه.. واجعلنا من أنصاره وأعوانه.
والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) الإحتجاج ج ١ ص ١٨.

(٢) ٢٢ ربيع الأول ١٤٤٢ هـ الموافق ٨ - ١١ - ٢٠٢٠ م.

٣٧. الإمام الصادق.. خَيْرُ الْبَرِيَّةِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ!

كَلِمَةٌ عَجِيبَةٌ قَالَهَا الْإِمَامُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قاصداً بها ابنه الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما روى الشيخ الكليني رحمه الله ^(١).

تُسَابِقُنَا الْأَيَّامُ، وَتَقْتَرِبُ ذِكْرِي شَهَادَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَتَأَمَّلُ الْمُؤْمِنُ فِيهَا فَضْلَ بِهِ الْإِمَامِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَيْهِ يَعْرِفُ قَدْرًا يَسِيرًا مِنْ مَنَاقِبِ الْإِمَامِ، الَّتِي بَلَغَ بِهَا مَا بَلَغَ، وَصَارَ خَيْرَ الْخَلْقِ وَالْبَرِيَّةِ.

أولاً: علم الإمام.. علم الله!

يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْضَحَ بِأَيْمَّةِ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا عَنْ دِينِهِ: فَالْفَاعِلُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، هُوَ الَّذِي يُوَضِّحُ دِينَهُ بِأَيْمَةِ الْهُدَى.

كيف ذلك والإمام هو مبيِّنُ الدين بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!؟

لَمَّا كَانَ الْإِمَامُ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، صَحَّ أَنْ يَكُونَ إِضَاحُ الْإِمَامِ لِلدِّينِ هُوَ إِضَاحُ اللَّهِ لَهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، فَالِرَّامِي هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَرِيحِ الْآيَةِ ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، لَكِنَّ اللَّهَ مِنْ وَرَاءِ

ذلك ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

كلُّ إيضاحٍ للدين يقوم به الإمام إذاً هو من الله تعالى، فهو مُسَبَّبُ الأسباب، والأمر له بذلك.

ثمَّ يقول عليه السلام:

وَأَبْلَجَ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِ مِنْهَاجِهِ، وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ يَنَابِيعِ عِلْمِهِ^(١).

فالله تعالى هو الذي أوضح بآل محمدٍ طريق الحق، وكيف لا يكون كذلك وعند الإمام (بَاطِنِ يَنَابِيعِ عِلْمِهِ)، أي علم الله تعالى.

فكأنَّ علم الله تعالى ينابيع، لها ظاهرٌ وباطن، والإمام لا يعلمُ الظاهر فقط، بل يعلم بواطنها، وبواطنها أعظم من ظاهرها، فما يخرج من الينابيع هو نَزْرٌ من الماء الذي تحتزنه الأرض في جوفها، تُخْرِجُ منه بقدر المشيئة الإلهية، ويبقى جُلُّه فيها.

وهكذا عند الإمام باطن الينابيع، التي تتضمن علم الله تعالى، وليس لِعِلْمِ الله تعالى حَدٌّ ولا حصر.

حينها لا عجب أن يكون الإمامُ كما وصفه عليه السلام:

عَالِمٌ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مُلْتَبَسَاتِ الدُّجَى، وَمُعَمَّيَاتِ السُّنَنِ، وَمُشَبَّهَاتِ الْفِتَنِ..

وسيكون هذا معنى آخر لقوله عليه السلام:

اسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ، وَاسْتَحْفَظَهُ عِلْمَهُ، وَاسْتَخْبَاهُ حِكْمَتَهُ: السِّرُّ سِرُّ الله، والمستحفظُ على علم الله هو الإمام، فَمَنْ ذا الذي يُدرك سِرَّ الله وعلمَهُ

(١) الكافي ج ١ ص ٢٠٣.

وحكمته؟!

لَمَّا كَانَ إِدْرَاكَ ذَلِكَ مَمْتَنَعًا، صَارَ إِدْرَاكَ الْجَامِعِ لِلسَّرِّ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ مَمْتَنَعًا
كَذَلِكَ. فَمَنْ ذَا الَّذِي يُدْرِكُ الْإِمَامَ الْعَالَمَ بِذَلِكَ؟!
إِنَّ الْأَمَامَ أَرْفَعَ شَأْنًا مِنْ أَنْ يُدْرِكَ مَقَامُهُ وَمَكَانَتُهُ، لِسَعَةِ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى،
وَعِظْمَةِ مَا أَوْلَاهُ.

ثَانِيًا: الْإِمَامُ حُجَّةُ اللَّهِ!

سِعَةُ عِلْمِ الْإِمَامِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ جَعَلَتْهُ حُجَّةً لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ الْخَلْقِ وَالْعَوَالِمِ،
لَأَنَّهُ الْعَالَمُ بِهَا كُلُّهَا، وَلَأَنَّهُ مُسْتَوْدَعُ سِرِّ اللَّهِ، وَصَاحِبُ حِكْمَتِهِ.
وَلَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكِيمٌ لَا يَفْعَلُ إِلَّا الْأَصْلَحَ، وَلَأَنَّ الْإِمَامَ بَعْدَ النَّبِيِّ هُوَ
أَكْمَلُ الْخَلْقِ، جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَرْفَعِ مَنْزِلَةٍ وَأَسْمَى مَكَانَةٍ، حَتَّى قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَصَبَ الْإِمَامَ عِلْمًا لَخَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ مَوَادِّهِ وَعَالَمِهِ.
رَايَةُ اللَّهِ الْمَرْفُوعَةِ، وَعِلَامَتُهُ الْمَنْصُوبَةِ فِي عَالَمِ الْوُجُودِ هُوَ الْإِمَامُ، فَلَا عَجَبَ
أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ حُجَّةَ اللَّهِ التَّامَّةَ عَلَى عِبَادِهِ، كَمَا كَانَ آبَاؤُهُ وَأَبْنَاؤُهُ مِنْ
الْأُتَمَّةِ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَكُونُ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ.

ثَالِثًا: الْإِمَامُ نُورُ اللَّهِ!

يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِ الْإِمَامِ:
غَشَاهُ مِنْ نُورِ الْجَبَّارِ، يُمَدُّ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَوَادُّهُ!
وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْأُتَمَّةَ: (مَصَابِيحَ لِلظَّلَامِ).

فإذا نورَ الله الإمام بنوره، وجعله مصباحاً للظلام، كشف لنا ذلك أن كل من لم ير الإمام كان أعمى! وكل من لم يعتقد بإمامته لم يكن من أهل البصر والبصيرة! فأول ما يمتحن به النظر هو إمكان رؤية النور وعدمه، فمن غاب عنه النور ما أمكنه أن يرى سواه، وهكذا من لم يؤمن بالإمام ما انتفع بأحد عداه، فهو نور الجبار ومصباح الظلام، وكل من لم يستضيئ بنوره كان من أهل العمى والضلال.

والإمام مرعي بعين الله! يراه في كل حركة وسكنة من سكناته: لم يزل مرعياً بعين الله، يحفظه ويكلؤه بسره، مطروداً عنه حبايل إبليس وجنوده.. مضروفاً عنه قوارف السوء، مبرأ من العاهات، محبوباً عن الآفات، معصوماً من الزلات، مضموناً عن الفواحش كلها..

أفلا يكون خير البرية؟! فمن مثله في ذلك؟!

رابعاً: الجاهل بالإمام شقي!

من اتصف بما تقدم: رضي الله به إماماً!

ويترتب على هذا الرضا، فضلاً عن النجاة في أتباعه، أحد أمور ثلاثة في غير متبّعه:

١. ليس يجهل حقّ هذا العالم إلا شقي: فكل من جهل (حق) الإمام ولو بمقدار لزوم طاعته، وأنه خليفة الله وحقته، فارقه السعادة ولازمه الشقاء.

٢. ولا يجحدُه إلا غوي: الجاحد هو المنكر مع علم، فمن علم حق الإمام وأنكره كان من أهل الخيبة والضلال.

٣. وَلَا يَصُدُّ عَنْهُ إِلَّا جَرِيٌّ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا^(١).

فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ كَانَ جَرِيئاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي نَصَبَهُ إِمَاماً، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ، وَالْمُعَرِّضُ عَنْهُ مُعَرِّضٌ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، مُتَجَرِّأً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ جَزَاهُ اللَّهُ أَشَدَّ الْجَزَاءِ.

تَجْرِي هَذِهِ الْقَوَاعِدُ فِي الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا فِي كُلِّ الْأُئِمَّةِ الْمُعْصومِينَ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلْ مُحَمَّدٍ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ^(٢).

يَتَعَرَّفُ الْمُؤْمِنُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَنَاقِبِ إِمَامِهِ، لئَلَا يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ الْجَاهِلِينَ بِحَقِّهِ.

ثُمَّ يَقَرَّرُ بِمَا تَعَرَّفَ عَلَيْهِ مِنْهَا، لئَلَا يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ. ثُمَّ لَا يُعَرِّضُ عَنِ الْإِمَامِ وَلَا عَمَّا أَقَرَّ لَهُ بِهِ مِنْ مَكَانَةٍ، لئَلَا يَكُونَ مِمَّنْ يَجْتَرِءُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَيَبْرَأُ الْمُؤْمِنُ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَشْيَاعِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٣).

(١) الكافي ج ١ ص ٢٠٣-٢٠٥.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٢٢٤.

(٣) السبت ١٧ شوال ١٤٤٢ هـ الموافق ٢٩ - ٥ - ٢٠٢١ م.

٣٨. هل (الصادق) خير من (رسول الله)؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾^(١).

هي آية في كتاب الله تنفي أن تكون (خزائن الله) عند رسوله محمد ﷺ،
تقابلها رواية يرويها الشيخ الكليني رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها:

عِنْدَنَا خَزَائِنُ الْأَرْضِ وَمَفَاتِيحُهَا!

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ (يعني أضرب أو أومئ) بِإِحْدَى رِجْلِي: أَخْرِجِي مَا فِيكَ
مِنَ الذَّهَبِ، لَأَخْرَجْتُ!

قَالَ: ثُمَّ قَالَ بِإِحْدَى رِجْلَيْهِ فَخَطَّهَا فِي الْأَرْضِ خَطًّا فَانْفَرَجَتِ الْأَرْضُ.

ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَأَخْرَجَ سَبِيكَةً ذَهَبٍ قَدَرِ شِبْرِ، ثُمَّ قَالَ: انظُرُوا حَسَنًا، فَانْظَرْنَا،
فَإِذَا سَبَائِكُ كَثِيرَةٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ يَتَلَأَلَأُ!^(٢)

وهنا تنقذ تساولات:

هل هذا قول الإمام الصادق عليه السلام؟! أم قول الغلاة؟!

وهل صار الإمام أفضل من النبي ﷺ؟! فثبت له ما لم يثبت للنبي

ﷺ؟!

ثم لماذا ظلَّ جُلُّ الشيعة فقراء؟! ويبد إمامهم خزائن الأرض ومفاتيحها؟!

(١) الأنعام ٥٠.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٧٤.

١. هل هذا من الغلو؟!

لقد طلب نبيُّ الله موسى ﷺ من الله تعالى لما صعد إلى الطور أن يريه (خزائنه) فقال: يَا رَبِّ أَرِنِي خَزَائِنَكَ.

قَالَ: يَا مُوسَى، إِنَّمَا خَزَائِنِي إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا أَنْ أَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ! ^(١).

روى هذه الرواية الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام الصادق ﷺ في باب القدرة الإلهية، وهي تشير إلى أَنَّ خزائن الله هي قدرته، حتى قيل: (خزائن الله: مقدوراته).

وإذا كان قُدْرَتُهُ تعالى عين ذاته، فإنَّها ستكون محبوبةً عن كلِّ الخلائق، حتى النبي ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، لأنَّ كلَّ الخلق مفتقرُونَ عاجزون إلى الله، والله تعالى هو الغنيُّ القادر، وليس لأحدٍ أن يحيط بذات الله علماً.

لكنَّ الله تعالى أقدرَ أصناف خلقه على ما يحتاجونه في الدُّنيا والآخرة، ويناسب شأنهم، فصار كلُّ عاجزٍ بالذات قادراً بإقدار الله تعالى.

فَجَعَلَ اللهُ بعض الملائكة خَزَنَةً للرياح في الدنيا، حتى صاروا ﴿الْقَوَّامَ عَلَى خَزَائِنِ الرِّيَّاحِ﴾ كما عن الإمام السجاد ﷺ.

وبعضهم خَزَنَةٌ لجهنم في الآخرة: ﴿قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ ^(٢).

(١) التوحيد ص ١٣٣.

(٢) الزمر ٧١.

فلم يتعارض إقدارُ الله تعالى بعضَ خلقه مع كون خزائن السموات والأرض له عزّ وجل: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

ثم مكن عزّ وجل أنبياءه من (خزائن لطفه وكرمه ورحمته)!

فعن الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكَّنَ أَنْبِيَاءَهُ مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَعَلَّمَهُمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ، وَأَفْرَدَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ لِنَفْسِهِ، فَلَا يُشْبِهُ أَحْوَاهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ^(٢).

فصاروا مقدّمين على كلّ أحدٍ حتى الملائكة، دون أن يلزم من ذلك الغلوّ بوجه، فكلّ ما عندهم بإقدار الله لهم وتمكينه إياهم، وأوصياء النبي ﷺ قد ورثوا ذلك منه ﷺ، فلا عجب أن يقول الصادق عليه السلام: عِنْدَنَا خَزَائِنُ الْأَرْضِ وَمَفَاتِيحُهَا!

٢. هل الإمام أفضل من النبي؟

هذا سؤال الجاهل بعقيدة الشيعة، فإنّ أفضل الخلق على الإطلاق هو رسول الله محمد ﷺ، وهو الذي اختاره الله تعالى من بين بريّته قبل خلقه، ولقد أتاه جبرئيل عليه السلام بمفاتيح خزائن الأرض ثلاث مرّات يُخَيِّرُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِمَّا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَيْئاً، فَيَخْتَارُ التَّوَّاضِعَ لِرَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ^(٣).

فمفاتيح خزائن الأرض أنزلت على النبي ﷺ أولاً، وخير بين أن يكون

(١) المنافقون: ٧.

(٢) مصباح الشريعة ص ٦١.

(٣) الكافي ج ٨ ص ١٣٠.

(نَبِيًّا عَبْدًا) أَوْ (نَبِيًّا مَلِكًا) لَكِنَّهُ اخْتَارَ الْعِبُودِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمُلْكِ تَوَاضَعًا لِلَّهِ، وَعَلَى سُنَّتِهِ سَارَ الْأُئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ.

فَلَيْسَ شَيْءٌ عِنْدَ الْإِمَامِ إِلَّا وَقَدْ سَبَقَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ الْفَضْلُ، حَتَّى قَالَ الصَّادِقُ ﷺ: هَذَا الْأَمْرُ يُجْرِي لِأَخْرَانَا كَمَا يُجْرِي لِأَوَّلِنَا، وَلِحَمْدِ وَعَلِيِّ فَضْلُهُمَا^(١).

٣. لماذا ظلَّ جُلُّ الشيعة فقراء؟

لَمَّا رَأَى أَصْحَابُ الْإِمَامِ سِبَائِكَ الذَّهَبَ تَتَلَأَلُ عَنْدهُ قَالَ بَعْضُهُمْ لَهُ ﷺ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، أُعْطِيتُمْ مَا أُعْطِيتُمْ وَشِيعَتُكُمْ مُحْتَاجُونَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ سَيَجْمَعُ لَنَا وَلِشِيعَتِنَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَيُدْخِلُ عَدُوَّنَا الْجَحِيمَ^(٢).

لَمَّا اخْتَارَ النَّبِيُّ ﷺ وَمِنْ بَعْدِهِ الْأُئِمَّةُ ﷺ الْعِبُودِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى دُونَ الْمُلْكِ، مَا كَانَتِ الدُّنْيَا لَهُمْ، وَإِنْ نَالُوا مِنْهَا نَصِيْبَهُمْ، وَلَمَّا تَعَجَّبَ بَعْضُ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنَّ الدُّنْيَا فِي يَدِ أَعْدَائِهِمْ دُونَهُمْ قَالَ ﷺ: يَا فُلَانُ، أَتَرَى أَنَا نُرِيدُ الدُّنْيَا فَلَا نُعْطَاهَا؟!

ثُمَّ قَبِضَ قَبْضَةً مِنَ الْحَصَى فَإِذَا هِيَ جَوَاهِرُ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقُلْتُ: هَذَا مِنْ أَجْوَدِ الْجَوَاهِرِ. فَقَالَ: لَوْ أَرَدْنَاهُ لَكَانَ، وَلَكِنْ لَا نُرِيدُهُ.

(١) المحاسن ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٧٤.

ثُمَّ رَمَى بِالْحَصَى فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ^(١).

هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام، ثم رضي الشيعة من بعده مَنْ الدُّنْيَا بِمَا رَضِيَ
لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَام، لَأَنَّهُمْ عَقَلُوا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ:
الدُّنْيَا دَارٌ مِّنْ لَا دَارَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ^(٢).

فأخذوا منها بُلْغَتَهُمْ وَمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، لِأَنَّهُ لَا يَقْسِمُ لَهُمْ
إِلَّا مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، وَعَلِمُوا أَنَّهَا لَا تَسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ! وَلَوْ
عَدَلَتْ عِنْدَهُ تَعَالَى ذَلِكَ: مَا سَقَى عِدُوَّهُ مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ!
أَتَسَاوَى عِنْدَهُ تَعَالَى أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَيُظْلَمَ فِيهَا خَيْرُ خَلْقِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلُهُ
الْأَطْهَارُ؟!

أَيَمْنَعُ الصَّادِقُ حَقَّهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَيُسَلِّبُ إِرْثَهُ كَأَبَائِهِ وَأَبْنَائِهِ ثُمَّ يَكُونُ
لشيعته فيها مَطْمَعٌ؟!

ليست هذه الدُّنْيَا لِلشَّيْعَةِ إِلَّا دَارًا يَبْلُغُونَ بِهَا الْآخِرَةَ، أَنَالْنَا اللَّهَ فِيهَا جَوَارَ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٣).

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٣٧٥.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٢٩.

(٣) الإثنين ١٩ شوال ١٤٤٢ هـ الموافق ٣١ - ٥ - ٢٠٢١ م.

٣٩. جعفر الصادق.. إمامٌ لم يطلب الملك!

بسم الله الرحمن الرحيم

(رَجُلٌ قَدْ أَنْحَلَتْهُ الْعِبَادَةُ، وَاشْتَغَلَ بِاللَّهِ عَمَّا سِوَاهُ، وَعَمَّا فِي أَيْدِي الْمُلُوكِ)!
لو وُصِفَ مُؤْمِنٌ فِي أَيَّامِنَا بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، لَا تُهْمَ بِالتَّهَانِ بِمَصِيرِ
الْأُمَّةِ، وَالِاسْتِهْتَارِ بِهُمُومِهَا وَشُؤُونِهَا وَشَجُونِهَا! وَعَدَمِ الْإِكْتِرَافِ بِقَضَايَاهَا
الْمَصِيرِيَّةِ!

بل قد يقال له: لستَ ممن يهتمُّ بأمور المسلمين، فلستَ بِمُسْلِمٍ!
لكنَّ الموصوف في هذه العبارة هو سادسُ أئمة آل محمد، جعفر بن محمد
الصادق عليه السلام، قالها بعضُ شيعته ممن كان في ركب المنصور الدوانيقي، لما كانت
نفسُ المنصور تُحَدِّثُهُ بِقَتْلِ الْإِمَامِ عليه السلام، فقال له الرَّجُلُ:
إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ رَجُلٌ قَدْ أَنْحَلَتْهُ الْعِبَادَةُ، وَاشْتَغَلَ بِاللَّهِ عَمَّا سِوَاهُ، وَعَمَّا فِي
أَيْدِي الْمُلُوكِ! ^(١). وفي مصدرٍ آخر: اشْتَغَلَ بِاللَّهِ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ وَالْخِلَافَةِ ^(٢).
طَلَبُ الْمُلْكِ وَالْخِلَافَةِ الظَّاهِرَةُ، إِنَّمَا يَكُونُ لَغَرَضٍ بَاطِلٍ عِنْدَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ،
وَقَدْ قَالَ الْمَنْصُورُ (الملك عقيم).

ولكن.. لماذا لم يطلب الإمام المعصوم المنزّه عن العيوب الخِلَافَةَ وهي
حَقُّهُ؟! وَقَدْ نَصَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِمَامًا لِلْأُمَّةِ؟!

(١) عيون المعجزات ص ٩١.

(٢) مهج الدعوات ص ٢٠١.

أليس في هذا إسقاطاً لتكليف المؤمنين بِنصرة الإمام؟! والتكليف لا يسقط بحال. وهل يحقُّ لغير الإمام أن يطلب ما لم يطلبه الإمام؟! وما حالنا نحن الشيعة في زمن الغيبة؟!

١. لماذا لم يطلب الإمام الحكم؟!

يدخل رجلٌ خراسانيٌّ مُتَحَمِّسٌ قد أخذته الحمية، كما قد تأخذنا في أيامنا حينما نرى الآلاف من شبابنا يحملون السلاح، وأضعافهم يقدرّون على حمله. يقول الخراسانيُّ للإمام عليه السلام: مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ حَقٌّ تَقْعُدُ عَنْهُ؟! وَأَنْتَ تَجِدُ مِنْ شِيعَتِكَ مِائَةَ أَلْفٍ يَضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالسَّيْفِ!

فالمعيارُ في طلبِ الإمام لِحَقِّهِ عند هذا الرَّجل هو كثرة الأنصار من حملة السلاح، والإمام (قَعَدَ) ولم يسلَّ سيفه، ولَمَّا سَأَلَهُ الخراساني امتحن الإمام عليه السلام طاعته بأن أمره بالدخول إلى التنور، فما نجح في الامتحان، ثم نفى عليه السلام أن يكون من هؤلاء المئة ألفٍ واحدٌ ينجح في هذا الاختبار!

ثم قال عليه السلام: أَمَّا إِنَّا لَا نَخْرُجُ فِي زَمَانٍ لَا نَجِدُ فِيهِ خَمْسَةَ مُعَاضِدِينَ لَنَا! نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ! ^(١).

فالتكليفُ مشروطٌ بالقدرة، وفق الأسباب الطبيعية دون المدد الغيبي. والقدرة غير متحققة، وإحدى جهاتها عدم وجود الأنصار، الذين يُطلبُ أن يكونوا على نحوٍ خاصٍ، لا بأن يكون سلاحهم فتاكاً، بل أن تكون عقيدتهم

(١) مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٤ ص ٢٣٧.

مُحْكَمَةً! إلى درجةٍ يطيعون فيها الإمام مطلقاً، لما يعرفون من عظيم مكانته عند الله تعالى. فليست كثرة العدد ولا قوّة البدن والسلاح هي الميزان الذي نَظَرَ إليه الإمام، على أهميتها والحاجة إليها.

إنما نَظَرَ إلى مَنْ أَحْكَمَ عقيدته ووافقَ قوله فِعْلَهُ! فكان مستعداً لامتحان أمر الإمام مهما كان، سواءً فَهِمَ الحكمة فيه أو لم يفهم، وسواءً خالفَ أمرُ الإمام نظرته وتقييمه للأمر أم لم يخالف، فإنَّ الإمام معصومٌ مُسَدَّدٌ مؤيَّدٌ من الله تعالى، وليس للمؤمن أن يُعَلِّمَ الإمام، بل يتعلَّم منه ﷺ في كل آنٍ وحين.

وكلّما تأمَّلَ المؤمن ورأى الدُّنيا بيد أعداء الله، استذكر قولَ أحد موالِي الإمام الصادق له ﷺ مستفسراً: إِلَى مَتَى هَؤُلَاءِ يَمْلِكُونَ؟ أَوْ مَتَى الرَّاحَةُ مِنْهُمْ؟ فقال الإمام ﷺ: أَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةٌ؟ .. هَلْ يَنْفَعُكَ عِلْمُكَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِذَا جَاءَ كَانَ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ الْعَيْنِ؟^(١).

فتطمئنُّ نفسُ المؤمن، أَنَّ دَوَلَ الْبَاطِلِ الْمُتَكَثِّرَةِ لها أمدٌ ومُدَّةٌ، وإذا جاء أمرُ الله لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون، فتقرّر نفسه، ويكفّ عن استعجال ما أَجَلَهُ الله تعالى.

٢. أليس في هذا إسقاط للتكليف؟!

فإن قيل:

أليس حلالٌ مُحَمَّدٍ حلالٌ إلى يوم القيامة؟!

(١) الكافي ج ٨ ص ٣٧.

ألا يكون في مثل هذا القول إسقاطٌ لتكليف المؤمن بلزوم نصره إمامه؟!
كان الجواب:

ليس في البين إسقاطٌ للتكليف، لأنّ تكليفَ المؤمنِ ليس هو طلب الملك والحكم والخلافة كي نقول بسقوطه بعد ثبوته، بل واجبٌ كُلُّ أَحَدٍ اتِّباع المعصوم، إن قام قاموا وإن قعد قعدوا.

ولو اتَّبَعُوهُ فعلاً لانقادت له الأمور، فإن احتاج الأمر لحمل السلاح فهو الأعلَمُ بموعد حمله، وإن استغنى عنه كان أعلمَ بحكم الله، فهو على كلِّ تقدير أعلم الناس بشروط الأحكام، وعِلَلِها ووجوه المصلحة فيها.

ولو انقادت الأمة له لاستغنى عن السلاح منذ اليوم الأول، فليس كلُّ خلاصٍ يحتاجُ إلى حمّله، وقد قال الصادق عليه السلام:

لَوْ لَا أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَدُوا مَنْ:

١. يَكْتُبُ لَهُمْ.

٢. وَيَجِيءُ لَهُمُ الْفِيءَ.

٣. وَيُقَاتِلُ عَنْهُمْ.

٤. وَيَشْهَدُ جَمَاعَتَهُمْ.

لَمَّا سَلَبُونَا حَقَّنَا!

وَلَوْ تَرَكَهُمُ النَّاسُ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا وَجَدُوا شَيْئاً إِلَّا مَا وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ^(١).

(١) الكافي ج ٥ ص ١٠٦.

فَإِنَّ اتِّبَاعَ النَّاسِ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الظُّلْمَةِ هُوَ الَّذِي كَانَ سَبَباً فِي تَقْوِيَةِ سُلْطَانِهِمْ، وَسَلْبِهِمْ حَقَّ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَكْلِيفُ النَّاسِ دَائِماً وَأَبَداً هُوَ لَزُومُ اتِّبَاعِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَوْ اتَّبَعَهُمُ النَّاسُ لَارْتَفَعَتْ كُلُّ مَصَائِبِ الدُّنْيَا، فَلَيْسَ هُنَاكَ إِسْقَاطٌ لِلتَّكْلِيفِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

٣. مَا حَالُ الشَّيْعَةِ فِي زَمَنِ الْغَيْبَةِ؟!

فَإِنْ قِيلَ: إِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِمَامُ حِينَهَا قَادِراً، فَإِنَّا الْيَوْمَ قَادِرُونَ، وَشَبَابُنَا خَيْرٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَ الْإِمَامِ حِينَهَا، فَلَيْتَ فَقَدَ الْإِمَامُ النَّاصِرَ فِي أَيَّامِهِ فَأَعْرَضَ عَنْ حَمْلِ السَّلَاحِ لَطَلَبِ الْحُكْمِ، فَإِنَّ الْقُدْرَةَ مَتَحَقِّقَةٌ عِنْدَنَا، فَيَخْتَلِفُ حُكْمُنَا عَنْ حُكْمِهِ لِاخْتِلَافِ الْمَوْضُوعِ.

قُلْنَا: هَذَا قِيَاسٌ بَاطِلٌ فِي مَدْرَسَةِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي شَرَعِ اللَّهِ تَعَالَى. فَإِنَّ الَّذِي كَلَّفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقِيَامِ هُوَ الْإِمَامُ الْمُعْصُومُ الْمُطَهَّرُ عَنِ الْعُيُوبِ، مَعَ تَوْفُرِ شُرُوطِهِ وَمِنْهَا الْقُدْرَةُ، وَأَمَّا الْمَأْمُومُ فَمَأْمُورٌ بِاتِّبَاعِ إِمَامِهِ لَا بِالْقِيَامِ بِنَفْسِهِ. وَكُلٌّ مِنْ سِوَى الْإِمَامِ مَأْمُومٌ وَلَوْ كَانَ فَقِيهاً وَعَالِماً، وَأَمْرُ الْأُمَّةِ بِيَدِ الْإِمَامِ حَصْراً، إِذْ لَوْ وَجِبَتْ طَاعَةُ غَيْرِ الْإِمَامِ مُطْلَقاً كَطَاعَةِ الْإِمَامِ، لَزِمَ صَحَّةُ مَدْرَسَةِ السَّقِيفَةِ الَّتِي أَوْجِبَتْ طَاعَةَ غَيْرِ الْمُعْصُومِ، أَوْ سَقُوطُ أَهَمِّ دَلِيلٍ عَلَى بَطْلَانِهَا. وَمَعَ غِيَابِ الْمُعْصُومِ، لَا تَصِلُ النُّوبَةُ إِلَى تَكْلِيفِ مَنْ سِوَاهُ فِي ذَلِكَ. وَالْمُؤْمِنُ الْيَوْمَ يَنْتَظِرُ إِمَامَهُ لِيَتَّبِعَهُ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ أَوْ سَكَنَةٍ. فَإِنْ كَانَ إِمَامُنَا غَائِباً أَنْطَلَبَ مَا لَمْ يَطْلُبْ؟! أَمْ نَنْتَظِرُ أَمْرَهُ وَأَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى؟!

إنَّ هذا الحراك من اختصاصه عليه السلام، وكلُّ تساهل بذلك هو تجاوزٌ لحقِّ الإمام، وقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام: وَلَمْ يَكُنِ الرَّبَّاطُ الَّذِي أُمِرْنَا بِهِ بَعْدُ، وَسَيَكُونُ ذَلِكَ ذُرِّيَّةً مِنْ نَسْلِنَا الْمُرَابِطُ^(١).

ذاك هو الإمام الحجة عليه السلام، فلا ينازعُ المؤمنُ السلاطين في غيبته، ولا يطلب الملك من الأدنين والأبعدين، ويكتفي في زمن الغيبة بالدِّفاع عن أرضه وعرضه وماله وسائر إخوانه، وينتظر رايةً واحدةً يسير خلفها، والرُّعب أمامها، وهي راية الإمام الحجة عليه السلام.

وليست القوَّة والشجاعة في حمل السلاح دائماً، فما كان عليٌّ في خيبرَ بأقوى وأشجع منه عندما كان جليساً داره، وما كان الصادق عليه السلام إلا أقوى الناس عندما بثَّ علمه في الناس، فإنَّ القوَّة كلَّ القوَّة في الصَّبْر على أمر الله، وقد قال الصادق عليه السلام: أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَنْ انتَظَرَ أَمْرَنَا وَصَبَرَ عَلَى مَا يَرَى مِنَ الْأَذَى وَالْخَوْفِ هُوَ غَدَاً فِي زُمْرَتِنَا^(٢).

نسأل الله أن يجعلنا وجميع المؤمنين في زمرة في الدنيا والآخرة.
والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) الغيبة للنعماني ص ١٩٩.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٣٧.

(٣) الأربعاء ٢١ شوال ١٤٤٢ هـ الموافق ٢ - ٦ - ٢٠٢١ م.

٤٠. جعفر الصادق.. (إِلَهٌ) أَمْ (إِمَامٌ)؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

(أخرجني من الدنيا يا ربّ، لأن الدنيا مجنونةٌ، فَعَمَّا قَلِيلٍ سَيُسَمُّونِي اللهُ!)
 كلماتٌ عن لسان عيسى عليه السلام، ينقلها إنجيل برنابا الذي لم تعترف به
 الكنيسة^(١)، يدعو فيها عيسى عليه السلام رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يَبْقِيَهُ لِيَوْمٍ يَجْعَلُهُ النَّاسُ
 شريكاً لله تعالى فيسمونه (الله)!
 لم يتأخر هذا اليوم كثيراً، فانتقلت دعوة عيسى عليه السلام من دعوة توحيدية
 خالصة إلى تثليثية، فيما لا يزال ينصّ إنجيلهم على التوحيد حتى اليوم: اللهُ وَاحِدٌ
 وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ^(٢).

وفيه يخاطب عيسى رَبَّهُ: أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيُّ وَحْدَكَ^(٣).

فيما أصرّ النصارى على الخروج عن حقيقة هذا التوحيد الخالص، حينما
 جعلوا عيسى: (ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، إله من إله!)
 كما نصّ قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني.
 ولئن صحّ دُعاء عيسى عليه السلام كما في إنجيل برنابا، فإنّ هذا يكشف عن
 استجابة الله تعالى لدعائه، حيث رفعه تعالى إليه قبل أَنْ يُنصَّرَ بولس النصارى،
 وتنحرف عقيدتهم إلى الثالث.

(١) إصحاح ٤٧: ٩-١٠ ترجمة الخوري بولس فغالي.

(٢) مرقس ١٢: ٣٢.

(٣) يوحنا ١٧: ٣.

ينقل (برنابا) نصاً آخر يثير الدهشة عن عيسى عليه السلام يقول فيه:
(إني أقشعُ لأنَّ العالمَ سيدعوني إلهاً.. إني رجلٌ فانِ كسائر الناس) (١).
إني أقشعُ: كلمةٌ تستحقُّ الوقوفَ عندها، فهي تعني الانقباض أو الرعدة
أو التغيُّر، وقد حصل هذا لعيسى عليه السلام قبل أن يدعوهُ النَّاسُ إلهاً بحسبِ برنابا،
لَسَبَقَ علمه بما سيؤول إليه حال أتباعه هؤلاء.

١. الإمام الصادق والألوهية!

نتجاوز مرحلة نبيِّ الله عيسى عليه السلام، ونطوي مئات السنين، إلى أيام الإمام
الصادق عليه السلام، حيثُ نَسَبَهُ بعضُ النَّاسِ للألوهية!
ومن ذلك أنَّه (تَنَاطَرَ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ فِي الرُّبُوبِيَّةِ)، كان أحدهم المفضل بن
عمر، حيث يقول: فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: مَا تَصْنَعُونَ بِهَذَا؟ نَحْنُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ،
وَلَيْسَ مِنَّا فِي تَقِيَّةٍ، قُومُوا بِنَا إِلَيْهِ: أي أنهم أرادوا الذهاب إلى الإمام الصادق عليه السلام
كونه قريباً منهم، وليس حديثه معهم من موارد التقية، فيمكنهم أن يصلوا لحقائق
الأمور منه مباشرة، ويطمئنوا أنَّه إلهٌ أو ليس بإله!
قَالَ: فَحُتِّمْنَا، فَوَ اللَّهِ مَا بَلَغْنَا الْبَابَ إِلَّا وَقَدْ خَرَجَ عَلَيْنَا بِلَا حِذَاءٍ وَلَا رِدَاءٍ،
قَدْ قَامَ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ مِنْهُ:

الإمام هنا عالمٌ بما جرى بينهم، من نسبة بعضهم الربوبية إليه، فقام بلا
حذاءٍ ولا رداء، وقد تغيَّر حاله لعظيم الفرية وخطرها، حيث (قَامَ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْ

(١) إنجيل برنابا ٥٢: ١٠-١٢ ترجمة الدكتور خليل سعادة.

رَأْسِهِ)! أَيْجَعْلُهُ بَعْضُ هَؤُلَاءِ شَرِيكاً لِلَّهِ تَعَالَى أَوْ يَجْعَلُوهُ اللَّهُ؟! تَعَالَى رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ
عَنْ ذَلِكَ.

هَنَّاكَ فِي إِنْجِيلِ بَرْنَابَا يَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِنِّي أَقْشَعُرُّ لَأَنَّ الْعَالَمَ سَيَدْعُونِي
إِلَهُاً)!

وَهَنَّا فِي الْكَافِي الشَّرِيفِ أَنَّ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (قَامَ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ)!
يُكْمِلُ الْمَفْضِلُ فَيَقُولُ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ كَانَ يَقُولُ: لَا لَا يَا مُفْضِلُ، وَيَا
قَاسِمُ، وَيَا نَجْمُ!

لَا لَا، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(١).
لَيْسَ الصَّادِقُ إِهْلاً وَلَا رَبّاً، كَمَا لَمْ يَكُنْ عِيسَى كَذَلِكَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمَا يَرْضَى
بَأَن يُنْسَبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَمَا أَعْظَمَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَمَا أَشَدَّهُ وَأَسْوَأَهُ!
وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ فَرِيدَةً فِي أَيَّامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ قَالَ لَخَالِدِ بْنِ نَجِيحٍ عِنْدَمَا
حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِرَبُوبِيَّتِهِ: أَنَا وَاللَّهُ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ لِي رَبُّ أَعْبُدْهُ، إِنْ لَمْ أَعْبُدْهُ عَذَّبَنِي بِالنَّارِ!
فَقَالَ خَالِدٌ: لَا أَقُولُ فِيكَ إِلَّا قَوْلَكَ فِي نَفْسِكَ^(٢).

وَلَمَّا لَامَ خَالِدٌ أَصْحَابَ الْإِمَامِ لِحَدِيثِهِمْ أَمَامَهُ مَعْتَقِداً أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (رَبُّ
الْعَالَمِينَ)، نَادَاهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيَحْكُ يَا خَالِدُ، إِنِّي وَاللَّهُ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ^(٣).
وَلَمَّا اخْتَلَفَ حَالُ الشَّيْعَةِ وَصَارُوا فِرْقاً، خَطَرَتِ الرُّبُوبِيَّةُ بِبَالٍ بَعْضُهُمْ وَهُمْ

(١) الْكَافِي ج ٨ ص ٢٣٢.

(٢) الْخَرَائِجُ وَالْجَرَائِجُ ج ٢ ص ٧٣٥.

(٣) بَصَائِرُ الدَّرَجَاتِ ج ١ ص ٢٤٢.

خارج المدينة، فإذا بالإمام بينهم يدفعُ الشبهة عنهم ويصحح عقيدتهم ويقول: اجْعَلُونَا مَخْلُوقِينَ^(١).

ومرّة قال لإسماعيل الذي كانت تحدّثه نفسه:

يَا إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، لَا تَرْفَعُوا الْبِنَاءَ فَوْقَ طَاقَتِنَا فَيَنْهَدِمَ! اجْعَلُونَا عِبِيداً مَخْلُوقِينَ، وَقُولُوا فِينَا مَا شِئْتُمْ!^(٢).

٢. هل الإمام كسائر الخلق؟!

هذه نماذج من حالات الغلو التي وقع فيها بعض المعاصرين للإمام، حين عدّوه عائلاً إلهاً! وهي عقيدة باطلة بلا شك.. يخرُجُ قائلها عن منظومة التوحيد. لقد ضلَّ في الإمام كلُّ من رفعه إلى مرتبة الله تعالى، وضلَّ في المقابل كلُّ من جعله كسائر الخلق في الخصال والمراتب والشرف والكمال! كيف ذلك؟

إنَّ نفي الألوهية عن الإمام لا يعني أن يصير كسائر الخلق، فإنَّ الإمامة أجلُّ قدراً وأعظم شأنًا من أن يبلغها الناس بعقولهم، لقد أعطى الله تعالى للإمام من الفضل ما تنوء من حملة الجبال، ويعجز الخلق عن إدراكه! وإنَّ ممَّا أعطاه الله ما لا يحمله أحدٌ من الخلق أبداً، كما روي عن الصادق عائلاً: إِنَّ مِنْ حَدِيثِنَا مَا لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ!

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ١٩٧.

(٢) بصائر الدرجات ج ١ ص ٢٤١.

قُلْتُ: فَمَنْ يَحْتَمِلُهُ؟

قَالَ: نَحْنُ نَحْتَمِلُهُ^(١).

على أن كل ما رواه المحبّون وسواهم في فضلهم من صفاتٍ ومناقب عند الله تعالى، من قبل الخلق وأول العوالم، إلى يوم الدين، وما بينهما من كرامات ومعجز، كل هذا ليس إلا بمقدار بابٍ أو بابين من ألفِ ألفِ باب!

ولما يسأل الصادق عليه السلام عن ذلك: فَمَا يُرَوَى مِنْ فَضْلِكُمْ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ بَابٍ إِلَّا بَابٌ أَوْ بَابَانِ؟

يقول: وَمَا عَسَيْتُمْ أَنْ تَرَوْا مِنْ فَضْلِنَا، مَا تَرَوْنَ مِنْ فَضْلِنَا إِلَّا الْفَاغِيرَ مَعْطُوفَةً!^(٢)

فليس الصادق عليه السلام إلهاً كما لم يكن عيسى إلهاً، لكنّ أحداً من الخلق لا يتمكن من إدراك عظمتة إلا إمامٌ مثله!

فلا يُصْنَعُ لِمَنْ يَنْسَبُ الشَّيْعَةُ لِلْغُلُوِّ الْيَوْمَ، بَعْدَ أَنْ قَالُوا بِأَنَّ الْأَئِمَّةَ عِبَادٌ مَرْبُوبُونَ، يَطِيعُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ.

وقد فَهِمَ الشَّيْعَةُ حَقّاً قَوْلَ الصَّادِقِ عليه السلام: لَا تَرْفَعُوا الْبِنَاءَ فَوْقَ طَاقَتِنَا فَيَنْهَدَمَ!

لقد انحرف عن الحقّ مَنْ رَفَعَ الْبِنَاءَ فَوْقَ طَاقَتِهِ، بِجَعْلِ الْأَئِمَّةِ أَرْبَاباً، فَانْهَدَمَ بِنْيَانُهُ مِنْ قَوَاعِدِهِ بَعْدَ بِنَائِهِ.

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٢٣.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٩٧.

وانحرف مَنْ أنكر مكانتهم وعظيم منزلتهم، فما بنى بنياناً قَطُّ، وأغفل دخول الباب بعد فتحه، وغاب عنه أَنَّ معرفة الله لا تتمُّ إلا بهم، وأنَّ إنكار فضلهم إنكارٌ لأمر الله تعالى وعظمته.

فما أعظمكم يا آل محمد: خَابَ مَنْ جَهِلَكُمْ، وما أكثر الجُفَّال في يومنا، وهم يعيِّبون على المؤمنين شيئاً يسيراً من معرفتكم.

اللهم اجعلنا ممن اعتصم بهم فهديته، ومَنْ اتبعهم ففي الجنة أدخلته.

والحمد لله رب العالمين^(١).

٤١. الإمام الصادق.. وارث الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أَلْبَسَ اللهُ تعالى الإمامَ من آلِ محمدٍ تاجاً لا نظيرَ له، يقول عنه الصادق عليه السلام: **أَلْبَسَهُ اللهُ تاجَ الْوَقَارِ! وَغَشَّاهُ مِنْ نُورِ الْجَبَّارِ!**^(١).

السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ، وَالرَّزَانَةَ وَالْعِظَمَةَ، كُلُّهَا مِنْ معاني الْوَقَارِ، الذي جعله الله تعالى تاجاً أَلْبَسَهُ الإمام!

فحين يتنافس الملوك والرؤساء وسائر الخلق على تاج الملك، يكون الإمام مشغولاً عنهم بالله تعالى، وكيف لا يكون كذلك وقد أعطاه الله ما لا تُقَارَنُ به كل تيجان الأرض؟! فما أعظمها من منزلةٍ وَعَظِيَّةٍ إلهية.

الله تعالى يُغَشِّي الإمام من نوره، ولكن المنصور يريد أن يُحْرِقَ على هذا الإمام داره!

لَكُمْ اللهُ يَا آلَ مُحَمَّدٍ.. سلام الله عليكم يا أبناء محمدٍ وعلي..

تُحْرِقُ دَارُكُمْ فَاطِمَةَ.. ثم تُحْرِقُ خِيَامَكُمْ فِي الطِّفْلِ..

ثم يوجّه المنصورُ واليه على الحرمين: **أَنْ أَحْرِقَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ دَارَهُ!**

يقول المفصل بن عمر: **فَالْقَى النَّارَ فِي دَارِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَأَخَذَتِ النَّارُ فِي الْبَابِ**

وَالدَّهْلِيزِ!

لقد روي أن الإمام تأوّه مرتين فقال (آه آه)، عندما سمع اسم (فاطمة) من

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٤١٣.

رَجُلٌ أَسْمَى ابْنَتَهُ بِاسْمِهَا، لَكِنَّهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا سَمِعَ اسْمَ (فَاطِمَةَ) بَلْ رَأَى (بَاباً تُحْرِقُهُ النَّارُ) كَبَابِ فَاطِمَةَ، فَكَانَتْ ظِلَامَاتٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضاً.

يقول المفضل: فَخَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَتَخَطَّى النَّارَ وَيَمْشِي فِيهَا!

أَحْرَقَتِ النَّارُ الْبَابَ وَالذَّهْلِيزَ، لَكِنَّ الْإِمَامَ مَشَى فِيهَا وَلَمْ تُحْرِقْهُ، أَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(١).

وَصَارَتْ هَذِهِ النَّارُ كَتِلْكَ النَّارِ، بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَلَقَدْ كَانَ ﷺ: يَمْشِي فِيهَا وَيَقُولُ: أَنَا ابْنُ أَعْرَاقِ الثَّرَى، أَنَا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ﷺ^(٢). فهو من ذرية الأنبياء أعراق الثرى وأصول الأرض، ومن ذرية إسماعيل حامل اللقب، وإبراهيم الذي مَنَعَ اللَّهُ النَّارَ أَنْ تَوْثِرَ فِيهِ.

هو ابن هذه الثلة العظيمة، ووارث الأنبياء، فقد وَرِثَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ مَا يَمْنَعُ النَّارُ مِنْ إِحْرَاقِهِ، وَمِنْهُ وَمِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عُلُومُهُمْ وَخَصَالَتُهُمْ وَكَمَالَتُهُمْ وَمَعَاجِزُهُمْ وَكِرَامَاتُهُمْ، وَقَدْ ظَهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ فِي جِهَاتٍ مِنْهَا:

١. إحياء الطير!

لَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ تَعَالَى طَيوراً أَرْبَعَةً لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لَهُ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾، وَلَقَدْ تَكَرَّرَتِ الْوَاقِعَةُ مَعَ صَادِقِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، حِينَ نَادَى

(١) الأنبياء ٦٩.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٧٣.

طاووساً وغراباً وبازياً وحمامةً فحضرت بين يديه:
ثُمَّ أَمَرَ بِذَبْحِهَا كُلِّهَا وَتَقْطِيعِهَا وَتَنْفِ رِيشِهَا، وَأَنْ يُخْلَطَ ذَلِكَ كُلُّهُ بَعْضُهُ
بِبَعْضٍ.

ثُمَّ أَخَذَ بِرَأْسِ الطَّائُوسِ فَقَالَ: يَا طَاوُوسُ، فَرَأَيْنَا لَحْمَهُ وَعِظَامَهُ وَرِيشَهُ يَتَمَيَّزُ
مِنْ غَيْرِهِ حَتَّى التَّرَقَّ ذَلِكَ كُلُّهُ بِرَأْسِهِ!
وَقَامَ الطَّائُوسُ بَيْنَ يَدَيْهِ حَيًّا!
ثُمَّ صَاحَ بِالْغُرَابِ كَذَلِكَ، وَبِالْبَازِيِّ وَالْحَمَامَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَامَتْ كُلُّهَا أَحْيَاءَ
بَيْنَ يَدَيْهِ^(١).

لقد استجابت الطيور لنداء الصادق عليه السلام كما استجابت لنداء إبراهيم
عليه السلام، لكنها أكثر طاعةً وامتنالاً لأمر الصادق ومعرفةً به عليه السلام، ففي الخبر عنه
عليه السلام أن طائراً يقول لطيرته: ما خلق الله خلقاً أحبَّ إليَّ منك إلا مولاي أبو عبد
الله جعفر بن محمد عليه السلام^(٢).

في عالم الطيور حُبٌّ من نوعٍ خاصٍّ، لكن فوق كلِّ حُبٍّ حُبُّ الطير لإمامه!
فأين هذا الخلق المتعوس عن إمامٍ يعرفُ شيئاً من قدره طيرٌ يحطُّ في داره
عليه السلام.

أما وَرَدَ عنهم أَنَّ الله تعالى عرض ولايتهم على الطيور وبقاع الأرض فما
قَبِلَها صار مباركاً أو طيباً وحلواً وعذباً؟! فسلام الله عليكم يا آل محمد، ما أشدَّ

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٩٧.

(٢) اثبات الوصية ص ١٨٩.

جهل الناس بكم، وما أعظم حقكم عليهم.

٢. إحياء الموتى!

لقد أحيا عيسى عليه السلام الموتى بإذن الله، وورث الصادق عليه السلام هذه الخصلة منه، وتكرّر الأمر في حياته، فتارة أحيا رجلاً يروي أخوه الواقعة فيقول: وَدَنَا مِنَ الْقَبْرِ وَدَعَا، قَالَ: فَانْشَقَّ عَنْهُ قَبْرُهُ وَخَرَجَ إِلَيَّ وَاللَّهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَخِي اتَّبِعْهُ وَلَا تُفَارِقْهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى قَبْرِهِ ^(١).

وتارة أخرى أمر ملك الموت بأن يؤخر الموت (عشرين سنة) عن امرأة تجود بنفسها قد حانت منيتها، فقال ملك الموت: السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ ^(٢).

وثالثة (تُوفِّيَتْ) امرأة وشكا زوجها للإمام وحدته، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ فَإِنَّكَ سَتَرْجِعُ إِلَى الْمَنْزِلِ وَهِيَ تَأْكُلُ شَيْئًا، قَالَ: فَلَمَّا رَجَعْتُ مِنْ حَجَّتِي وَدَخَلْتُ مَنْزِلِي رَأَيْتُهَا قَاعِدَةً وَهِيَ تَأْكُلُ! ^(٣).

ما كانت واقعةً واحدة، أحيا فيها الإمام الموتى بإذن الله، وأبرأ المرضى، وظهرت على يديه خوارق العادات والكرامات الباهرات.. فأطاعه الخلق حتى الجمادات، فحين كان يقول للنخلة: يَا نَخْلَةُ أَطْعِمِينَا مِمَّا جَعَلَ اللَّهُ فِيكَ مِنْ رِزْقِ عِبَادِهِ! .. تَمَايَلَتْ نَحْوَ الصَّادِقِ عليه السلام وَعَلَيْهَا أَغْذَاقُهَا وَفِيهَا الرُّطْبُ!

ولكن أعراب ذاك اليوم نَسَبُوا فعله هذا إلى السحر، وأعراب اليوم ينسبون

(١) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٧٤٣.

(٢) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٩٥.

(٣) بصائر الدرجات ج ١ ص ٢٧٤.

شيعة للغلو!

قال حينها عليه السلام: نَحْنُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ!

لَيْسَ فِيْنَا سَاحِرٌ وَلَا كَاهِنٌ، بَلْ نَدْعُو اللَّهَ فَيُجِيبُ.

وإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أَدْعُو اللَّهَ فَيَمْسَخَكَ كَلْبًا تَهْتَدِي إِلَى مَنْزِلِكَ! ^(١).

الصادق عليه السلام إمامٌ من قومٍ ورثوا الأنبياء، فعندهم كلُّ علومهم وكراماتهم ومعجزهم، ولديهم ما زاد على ذلك مما خصَّهم الله به دون سائر الخلق.

لقد قالوا: إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ دَعَا اللَّهَ لَنَا أَبُونَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فَقَالَ: ﴿فَاجْعَلْ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ فَإِنَّا عَنِ اللَّهِ بِذَلِكَ خَاصَّةً ^(٢).

فصاروا مهوى الأفتدة، وقبلة قلوب عباد الله المؤمنين.

لقد جهل الناس قدركم ومقدار صبركم وعظمة شأنكم يا آل محمد.. وما عَرَفَ بعض ذلك إلا شيعتكم.. وأيقنوا أن حياة قلوبهم بكم يا آل محمد.

فسلامُ الله عليكم، وعليك سيدي ومولاي وإمامي يا جعفر بن محمد الصادق، جعلنا الله من شيعتك وأوليائك قولاً وفعلاً، وحشرنا معك وفي زمرتك إنه سميع مجيب.

وعظم الله أجورنا وأجوركم.

والحمد لله رب العالمين ^(٣).

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٩٦.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٨٥.

(٣) ٢٦ شوال ١٤٤٢ هـ الموافق ٧ - ٦ - ٢٠٢١ م.

٤٢. الزَاهِدُونَ.. فِي خِدْمَةِ الْإِمَامِ!

بسم الله الرحمن الرحيم

ينقل الإمام الجواد عليه السلام واقعةً حصلت مع جدّه الإمام الصادق عليه السلام، وقد كان عنده غُلامٌ يُمِسِّكُ بغلته إذا هو دخل المسجد، حتى جاء جماعةٌ من المسافرين من خراسان، وعَرَضَ أحدُ الأثرياء منهم على الغلام عَرَضاً غريباً بتبادل الأدوار: بأن يصيرَ الثَّريُّ مملوكاً للإمام عليه السلام، خادماً له، ويصيرُ الغلام حُرّاً مُتَمَلِّكاً لأموال هذا الرَّجل!

فقال له: هَلْ لَكَ يَا غُلامٌ أَنْ تَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَني مَكَانَكَ؟ وَأَكُونَ لَهُ مَمْلُوكاً، وَأَجْعَلَ لَكَ مَالِي كُلَّهُ، فَإِنِّي كَثِيرُ الْمَالِ مِنْ جَمِيعِ الصُّنُوفِ، أَذْهَبُ فَأَقْبِضُهُ، وَأَنَا أُقِيمُ مَعَهُ مَكَانَكَ!

لقد صارتِ الحُرِّيَّةُ بمتناول يد الغلام، وهي بنفسها خيرٌ يطمحُ له كُلُّ مملوك، وسُرْعانَ ما وافقَ الغلام على ذلك، وأراد أن يسأل الإمامَ كما طلبَ منه الخراساني، فدخل عليه، وقال له عليه السلام:

جُعِلْتُ فِدَاكَ، تَعْرِفُ خِدْمَتِي وَطَوْلَ صُحْبَتِي، فَإِنْ سَأَلَ اللهُ إِلَيَّ خَيْراً تَمَنُّعِيهِ؟

إنَّ الغلامَ يعرفُ شيئاً من فضل الإمام، ذاك أَنَّهُ يُفْذِيهِ بنفسه، وهو مَن خَدَمَ الإمامَ على نَحْوِ حَسَنِ، وطالت صُحْبَتُهُ له، فأجابه الإمام عليه السلام:

أَعْطَيْكَ مِنْ عِنْدِي وَأَمْنَعُكَ مِنْ غَيْرِي؟

فَحَكَّى لَهُ قَوْلَ الرَّجُلِ فَقَالَ:

إِنْ زَهَدْتَ فِي خِدْمَتِنَا، وَرَغِبَ الرَّجُلُ فِيْنَا، قَبْلُنَا وَأَرْسَلْنَاكَ!

يكشفُ الإمامُ عليه السلام هنا عن قاعدةٍ عظيمةٍ في كيفية تعاملهم عليهم السلام مع الناس، فإنَّهم عليهم السلام يقبلون من (يرغب بهم)، ويُرسِلون من (يزهد بهم) أو (بخدمتهم).

إِنَّ الزُّهْدَ وَالرَّغْبَةَ مُتَقَابِلَانِ، فَمَنْ زَهَدَ فِي شَيْءٍ تَرَكَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَمَنْ رَغِبَ شَيْئاً طَلَبَهُ وَسَعَى إِلَيْهِ.

ولقد صارت (خِدْمَتُهُمْ) عليهم السلام في حياتهم أمراً يرغبُ به بعضُ الناس، ويزهدُ به بعضُهم، وقد سنَّوا عليهم السلام للناس قاعدةً ذهبيةً تنطبق على شتى مفاصل الحياة، قالها أميرُ المؤمنين في نهجه الشريف: زُهِدْكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ.

لكنَّ الإمامَ بعدما بيَّنَ ذلك للغلام عادَ ليوَجِّهَ له نصيحةً استحَقَّها بطول صحبته له عليه السلام، مع تخييره بين الذهاب والبقاء، وقال له:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَعَلِّقاً بِنُورِ اللَّهِ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مُتَعَلِّقاً بِنُورِ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَانَ الْأَئِمَّةُ مُتَعَلِّقِينَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ شِيعَتُنَا مُتَعَلِّقِينَ بِنَا، يَدْخُلُونَ مَدْخَلَنَا وَيَرِدُونَ مَوْرِدَنَا^(١).

عادَ الغلامُ واختارَ البقاءَ في خدمة الإمام، مؤثراً الآخرة على الدنيا، طالباً تلك المنزلة الرفيعة يوم القيامة، كي يدخل مدخلهم عليهم السلام، ويرد مَورِدَهُم.

لَقَدْ عَرَفَ الْخُرَاسَانِيُّ شَيْئاً مِنْ عَظَمَةِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ، فَقَصَدَ الْإِمَامَ قَاطِعاً كُلَّ

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٣٩١.

تلك المسافة، فقبل الإمام ولاءه ودعاه له.

واحتفظ الغلام بشرف الخدمة لما أدرك شيئاً مما سيناله منها.

واليوم..

ينقسم الناس:

١. بين جاهل بعظمة الإمام، زاهد به وبدينه وبخدمته.

٢. وبين عالم بشيء من مكانته عليه السلام، راغب به وبدينه وبخدمته.

لكن الراغب فيهم يضع بين عينيه كلام الإمام عليه السلام:

إِنْ زَهَدْتَ فِي خِدْمَتِنَا، وَرَغِبَ الرَّجُلُ فِينَا، قَبْلُنَا وَأَرْسَلْنَاكَ!

فيُدرِك أَنَّ الثبات على هذه الخدمة وقبولها يحتاج إلى رغبة دائمة، وإلا
(أرسلناك)! فليس الإمام ممن يرغب في زاهد فيه.

ويُدرِك أَنَّ غيبة الإمام عن أعيننا لا تمنع من خدمته عليه السلام، وأن وفاة من تقدم
من الأئمة لا تُغلق باب خدمة من كانوا أحياء عند ربهم يرزقون.

غاية الأمر أن للخدمة صوراً شتى، يقدر على بعضها كل أحد من المؤمنين،
وينحش أحدهم أن يكون من الزاهدين بكل ألوانها، فيسعى بقدر وسعه لينال ما
يناسبه منها.

ولئن كانت الطاعة واجبة على الخادم لسيده، فإن طاعة الإمام مفترضة على
جميع الخلق، فهم أولوا الأمر الذين أوجب الله طاعتهم، وجعلها كطاعته تعالى
وطاعة رسوله صلوات الله عليه، وهم الذين قالوا: النَّاسُ عِيْدٌ لَنَا فِي الطَّاعَةِ، مَوَالٍ لَنَا فِي

الدِّينِ^(١).

ولقد افترق ذلك الغلام عن سائر المؤمنين اليوم بأن كان مملوكاً للإمام،
تجِبُ طاعته عليه.

لكنَّ المؤمنَ وإن لم يكن (عبداً مملوكاً) كالغلام، إلا أنَّه يشتركُ معه في
(عبودية الطاعة).. فالناس كلُّهم: حُرَّهم وعبدهم (عبيدٌ لهم في الطاعة).

وهكذا يُفْتَحُ البابُ أمامَ كلِّ مؤمنٍ ليتشرَّفَ بخدمتهم ﷺ، فيؤدي شيئاً
مما أوجبه الله تعالى عليه، وينال رضاه عزَّ وجلَّ بذلك.

وَمِنْ أَلْوَانِ الخِدْمَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ أُمُورٌ:

١. المرباطة على ثغور إبليس

إذا كانتِ خِدْمَةُ الإمامِ بِإِمْسَاكِ بَغْلَتِهِ، وَأَضْرَابِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ حَيَاتِهِ، مَعَ
الْعِلْمِ بِمَكَانَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، تَجْعَلُ الخَادِمَ مِمَّنْ يَتَعَلَّقُ بِالْإِمَامِ، وَيَدْخُلُ مَدْخَلَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، فَمَا هِيَ مَكَانَةٌ مَنْ يَكُونُ خَادِماً لِلْإِمَامِ بِإِرْشَادِ شِيعَتِهِ وَهَدَايَتِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ
أَحْكَامَ دِينِهِمْ وَالذَّبِّ عَنْ عِقَائِدِهِمْ؟!

إِنَّ ذَلِكَ يَجْعَلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَنْوَارِ الَّتِي تَلِي أَنْوَارَ الْمُعْصُومِينَ ﷺ، بِحَيْثُ يَتَعَلَّقُ
هَؤُلَاءِ الْأَيَّتَامُ بِشُعْبَةٍ مِنْ أَنْوَارِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَفَلُوهُمْ وَعَلَّمُوهُمْ وَأَرْشَدُوهُمْ.

هِيَ الْمُرَابِطَةُ فِي الثَّغْرِ أَمَامَ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، يَشْكُلُ بِهَا الْعُلَمَاءُ جِهَةً تَدْفَعُ عَنْ
أَدْيَانِ الْمُحِبِّينَ، فَيَكُونُ هَؤُلَاءِ مِنْ أَبْرَزِ مُصَادِقِ خُدَّامِ الْإِمَامِ ﷺ حَيًّا وَمَيِّتًا،

(١) الكافي ج ١ ص ١٨٧.

ظاهراً وغائباً.

يتخير السالك في هذه الطريق بين الاستمرار بها، والزهد فيها! وفي خدمتهم عليهم السلام، فإما أن يبقى إلى آخر الطريق على هذا النهج فينال المنزلة الرفيعة، وإلا تمثّل له كلام الإمام عليه السلام: **إِنْ زَهَدْتَ فِي خِدْمَتِنَا، وَرَغِبَ الرَّجُلُ فِينَا، قَبْلَنَاهُ وَأَرْسَلْنَاكَ!**

٢. إحياء أمرهم وذكرهم

إِنَّ مِنْ مَصَادِقِ خِدْمَةِ الْإِمَامِ فِي زَمَنِ وَفَاتِهِ أَوْ غَيْبَتِهِ الْإِهْتِمَامُ بِإِحْيَاءِ أَمْرِهِ، وَلَعَلَّ مِنْ أُبْرَزِ مَصَادِقِ ذَلِكَ (خِدْمَةُ الْحُسَيْنِ عليه السلام) أَوْ (خِدْمَةُ مَنْبَرِهِ الشَّرِيفِ)، الَّذِينَ يَقِيمُونَ الْمَاتَمَ وَيَذْكُرُونَ الْفَضَائِلَ وَيَسْتَدْرُونَ الدَّمْعَةَ، وَيَتْرَكُونَ بَصْمَةً عَظِيمَةَ الْأَثَرِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمُؤْمَنِ، فَيُؤْجِرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ أَجْراً عَظِيماً، وَيَقْبَلُهُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام خُدَّاماً وَجُهَاءَ بِالْحُسَيْنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ولئن كان ما نراه من وجاهة لهم في الدنيا عظيماً، بحيث يُقَدَّمُونَ على أكثر الخلق تقديراً واحتراماً، فالله هو العالم بالوجاهة التي ينالونها يوم القيامة.

يَشْتَرِكُ مَعَهُمْ فِي الْخِدْمَةِ مَنْ يَرَعَى الْمَرَاقِدَ الشَّرِيفَةَ لِلْأَئِمَّةِ الْأَطْهَارِ، وَيَتَعَاهَدُهَا، وَيَهْتَمُّ بِهَا وَبِزَوَارِهَا، فَيُنَالُ بِذَلِكَ عَظِيمَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ، حَيْثُ يَكُونُ شَرِيكاً فِي إِبْرَازِ عَظَمَةِ الْإِمَامِ، وَتَعْظِيمِ شَأْنِهِ، وَتَسْهِيلِ أُمُورِ زَوَارِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صلوات الله عليه.

فِيَشْتَرِكُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فِي الرَّغْبَةِ بِخِدْمَةِ الْإِمَامِ، وَلَيْسَ الْإِمَامُ مَنْ يَزْهَدُ فِي الرَّاغِبِ فِيهِ بِلَا رَيْبٍ.

٣. الإحسان إلى ذريتهم

إِنَّ المرءَ (يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ) كما قال رسول الله ﷺ، ولقد صار في حفظِ الذُرِّيَّةِ الطاهرة وإكرامهم والإحسان إليهم ومعاونتهم فضلٌ عظيمٌ عند الله تعالى، حتى صارَ امتثالُ أمرِ النبي ﷺ والأئمةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فيهم شَرَفًا يَتَشَرَّفُ به المؤمنُ، يكشفُ عن رغبته في الإمامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحُسنِ خدمته وطاعته له، فيُدْخِلُهُ الإمامُ مدخله.

٤. رعاية فقراء شيعتهم

إِنَّ الإمامَ يَهْتَمُّ بِكُلِّ مؤمنٍ موالٍ، وقد جعل المؤمنين الفقراء أمانةً عند الميسورين منهم، وأمرهم بحفظهم، ففي حفظهم حفظ الإمام. والمأموم مطيعٌ لإمامه، والمؤمنُ مُطِيعٌ لسيِّده ومولاه، وبهذا فتح الأئمةُ البابَ أمامَ الميسورين من الشيعة لخدمتهم بخدمة الفقراء ومساعدتهم وإعانتهم. وَمَنْ عَجَزَ عن ذلك أمكنه المساهمة ولو بكلمة طيبة تخففُ عن أخيه المؤمن وتسندُه، أو بكفِّ الأذى عنه، وهكذا يكونُ بمقدورِ كُلِّ مؤمنٍ أن يكونَ خادماً للإمام بحسبِ قُدرته ووسعه.

يقول المؤمن في زيارة أئمتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: وَفَدْتُ إِلَيْكُمْ إِذَا رَغِبَ عَنْكُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا^(١).

ويقول لإمامه: أَتَيْتُكَ يَا مَوْلَايَ وَافِدًا إِلَيْكَ إِذْ رَغِبَ عَنْ زِيَارَتِكَ أَهْلُ

(١) الكافي ج ٤ ص ٥٥٩.

الدُّنْيَا^(١).

ويقول عند وداعه: هَذَا أَوْ أَنْصِرَافِي عَنْكَ غَيْرَ رَاغِبٍ عَنْكَ.. وَلَا زَاهِدٍ فِي قُرْبِكَ^(٢).

إِنَّ جُلَّ مَنْ فِي الْأُمَّةِ قَدْ زَهَدَ فِي الْأُئِمَّةِ وَفِي خِدْمَتِهِمْ وَفِي زِيَارَتِهِمْ، وَرَغِبَ بِهِمْ قَلَّةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ عَرَفُوا شَيْئاً مِنْ حَقِّ الْإِمَامِ وَمَكَانَتِهِ، وَهُوَ الْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ.

وستنظّلُ القاعدةُ جَلِيَّةً أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا يَرِغْبُونَ بِأَنْ يَسْتَبْدِلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ غَيْرَهُمْ، فَالْإِمَامُ يَقُولُ: إِنَّ زَهْدَتَ فِي خِدْمَتِنَا، وَرَغِبَ الرَّجُلُ فِينَا، قَبْلُنَاهُ وَأَرْسَلْنَاكَ!

يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ خِدْمَةَ الْإِمَامِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَمُنُّ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْشَى مِنَ التَّفْرِيطِ بِهَا، وَيَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَثْبِتَهُ عَلَيْهَا.

والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) كتاب المزارص ١١٠.

(٢) كامل الزيارات ص ٢٥٤.

(٣) السبت ٢٣ ذو القعدة ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٣ - ٧ - ٢٠٢٢ م.

٤٣. لِمَاذَا هُدِمَتْ (قُبُورُ الْبَقِيعِ)؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَارَ بَنُو أُمَيَّةَ فَرَحًا يَوْمَ جَلَسَ عَثْمَانُ عَلَى كُرْسِيِّ الْخِلَافَةِ، بَعْدَمَا قُتِلَ ابْنُ الْخَطَّابِ، وَسَارَعَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، وَقَدْ قَارَبَتْ سِنِّيهِ الْعَشْرِينَ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ إِلَى (بَقِيعِ الْغُرَقْدِ): حَتَّى إِذَا تَوَسَّطَ الْقُبُورَ اجْتَرَّهُ فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، الَّذِي كُنْتُمْ تُقَاتِلُونَا عَلَيْهِ صَارَ بِأَيْدِينَا، وَأَنْتُمْ رَمِيمٌ! دِينَ اللَّهُ، الَّذِي قَاتَلَ لِأَجْلِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَدَفَنُوا شُهَدَاءَهُمْ فِي الْبَقِيعِ لِأَجْلِهِ، صَارَ أَلْعُوبَةُ بِيَدِ بَنِي أُمَيَّةَ!

وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ شَاهِدٌ عَلَى صِيَاحِ أَبِي سَفْيَانَ: أَنْتُمْ رَمِيمٌ! مَا عَادَ بِمَقْدُورِ الْعِظَامِ تَحْتَ الثَّرَى أَنْ تُزَلْزَلَ عُرُوشُ بَنِي أُمَيَّةَ، هَكَذَا رَأَى أَبُو سَفْيَانَ! فَأَصْحَابُهَا قَاتَلُوا أَحْيَاءً، وَعِظَامُهُمُ الْيَوْمَ وَقُبُورُهُمْ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ تَوْثِرَ عَلَى بَنِي قَوْمِهِ.

لَكِنَّ قُبُورًا أَرْبَعَةً غَيَّرَتِ الْمَعَادِلَةَ.. لَمَّا دُفِنَ فِي الْبَقِيعِ مِنَ الْأَثَمَةِ: الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَزَيْنُ الْعَابِدِينَ، وَالْبَاقِرُ وَالصَّادِقُ عليهما السلام أَجْمَعِينَ، فَصَارَ يَخْشَى أَبْنَاءُ الطُّلُقَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ وَهُمْ تَحْتَ الثَّرَى! خَشِيتَهُمْ مِنْهُمْ فَوْقَ الثَّرَى وَأَعْظَمَ! لَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَقَوْمِهِ رَغْبَةً بِنَبْشِ أَرْبَعِينَ قَبْرًا أَعَدَّهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لئَلَّا يُعْرِفَ قَبْرُ الزَّهْرَاءِ عليها السلام، لَكِنَّ عَلِيًّا عليه السلام حِينَهَا: خَرَجَ مُغْضَبًا قَدْ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ.. وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى سَيْفِهِ ذِي الْفَقَارِ!

وَلَمَّا خَاطَبَهُ عَمْرُ قَائِلًا: وَاللَّهِ لَنَنْبِشَنَّ قَبْرَهَا وَلَنُصَلِّيَنَّ عَلَيْهَا!

هَزَّه ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، وَقَالَ لَهُ:

يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ، أَمَّا حَقِّي فَقَدْ تَرَكْتُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَرْتَدَّ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ، وَأَمَّا قَبْرُ فَاطِمَةَ فَوَالَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ، لَنْ رُمْتَ وَأَصْحَابُكَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، لَا سَقِينَنَّ الْأَرْضَ مِنْ دِمَائِكُمْ، فَإِنْ شِئْتَ فَاعْرِضْ يَا عُمَرُ! ^(١).

لقد عَلِمَ أبناء عُمَر بعد سنين متتالية أن أهل البيت لا يُقاس بهم أحد، وأن زيارة مراقدهم وحدها كفيلة ببيان مظلوميتهم، وإظهار الحق وإبطال الباطل، فأرادوا أن يمحوا حتى رَسَم قبورهم، ليُمحى ذكرهم، فهدموا قبابهم وقبورهم! لقد أخبر الإمام الحسن بواقعة البقيع بين الإمام الحسين وأبي سفيان، وكان عليه السلام في مقام الاحتجاج على جَمْع من الأراذل والأوباش الذين اجتمعوا عند معاوية، وفيهم عمرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة، والمغيرة بن أبي شعبة!

حَسِيكَةُ النِّفَاقِ جَمَعَتْ هَؤُلَاءِ، فَسَبَّوْا الْإِمَامَ الْحَسَنَ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَعَنُوا بِهِمَا، وَهَمَزُوا وَلَمَزُوا، وَنَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ.. وَأَكْثَرُوا مِنَ الْإِفْتِرَاءِ، فَسَبَّوْا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام تَارَةً أَنَّهُ (سَمَّ أَبَا بَكْرٍ)، وَأُخْرَى أَنَّهُ (اشْتَرَكَ فِي قَتْلِ عُمَرَ.. وَقَتْلِ عُثْمَانَ)، وَثَالِثَةً بِأَنَّهُ (مِنْ شَرِّ خَلْقِ اللَّهِ)!!

وكان من أعجب افتراءاتهم قولهم للحسن عليه السلام بعدما وصفوه بالحمق!! وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ نَاصِبَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي حَيَاتِهِ!! وَأَجْلَبَ عَلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِهِ! وَأَرَادَ قَتْلَهُ!!

لقد أجاب الإمام الحسين أبا سفيان في مقبرة البقيع بقوله: قَبَّحَ اللَّهُ شَيْبَتَكَ وَقَبَّحَ وَجْهَكَ!

وأجاب الإمام الحسن معاوية وجمعه بأرفع الجوابات، وكان أن قال فيما قال لعمر بن العاص: إِنَّمَا مَثَلُكَ مَثَلُ الْبَعُوضَةِ إِذْ قَالَتْ لِلنَّحْلَةِ اسْتَمْسِكِي فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْزِلَ عَنْكَ، فَقَالَتْ لَهَا النَّحْلَةُ: مَا شَعَرْتُ بِوُقُوعِكَ فَكَيْفَ يَشُقُّ عَلَيَّ نَزُولُكَ! ليس لأولاد البغايا هؤلاء شأن حتى ينظر إليهم الإمام، إلا لإحقاق حق وإبطال باطل، وليس للإمام بلائم أمثال هؤلاء على بغضهم له، وهو القائل لأحدهم: لَسْنَا نَلُومُكَ عَلَى بُغْضِنَا، وَلَمْ نُعَاتِبْكَ عَلَى حُبِّنَا، وَأَنْتَ عَدُوٌّ لِبَنِي هَاشِمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ!^(١)

وهكذا شيعَةُ الإمام اليوم، لا يلومون أبناء الطلقاء على بغض آل محمد، وهدم قبورهم وقبورهم، فالقوم أبناء القوم، والعداوة المتأصلة والمتجذرة في قلوبهم قد أعمتهم فما تركت لهم من نافذة لرؤية نور الله، فصاروا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَنُحِوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾، فلا خير يُرْتَجَى منهم. لقد بلغوا المنتهى في الطغيان، وأرادوا هدم القبور، لأُمُورٍ وأُمُور:

أولاً: قبورهم من بقاع الجنة!

قال النبي ﷺ لأمير المؤمنين ع: يَا أَبَا الْحَسَنِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ قَبْرَكَ وَقَبْرَ وَلَدِكَ بَقَاعاً مِنْ بَقَاعِ الْجَنَّةِ^(٢).

(١) الإحتجاج ج ١ ص ٢٧٥.

(٢) المزار للمفيد ص ٢٢٨.

ما احتمل الأرجاسُ ذِكراً بالخير لأمر المؤمنين في حياته، فكيف يصيرُ قبرُهُ وقبرُ أبنائه بقعةً من بقاع الجنة بعد شهادته؟! لقد زعموا أَنَّهُ ﷺ قد عادى الرسول! وهو خيرُ مدافعٍ عنه.

وزعموا أَنَّهُ أراد قتله ﷺ! وما من ناصر للنبي كعليٍّ ﷺ.

وزعموا أَنَّهُ من شرِّ خلق الله! وهو خيرُ خلق الله بعد رسول الله ﷺ.

أفِرَضُونَ بأن يبقى قبرُهُ وقبرُ بنيه رمزاً شاخاً؟! أما أخفيَ قبرُهُ سنين متهادية حتى أظهره الأئمة لما تغيّرت الأيام وأمنوا نبشَه؟! فكيف لا يهدمُ الأراذلُ والأوباشُ قبورَ البقيع وفيها أربعة من أبنائه؟! وهي بقعةٌ تُنير لأهل السماء كما تنير لأهل الأرض.

ثانياً: عمارة قبورهم علامة المودة!

قال النبي ﷺ لأمر المؤمنين ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ قُلُوبَ نُجَبَاءٍ مِنْ خَلْقِهِ وَصَفْوَةٍ مِنْ عِبَادِهِ تَحْنُ إِلَيْكُمْ، وَتَحْمِلُ الْمَذَلَّةَ وَالْأَذَى فِيكُمْ. هاتان خصلتان إذا زرعتهما الله تعالى في قلوب المؤمنين: حنينٌ وصبر، فأثمر ذلك:

١. فَيَعْمُرُونَ قُبُورَكُمْ.

٢. وَيُكْثِرُونَ زِيَارَتَهَا^(١).

النجباء هم أهل المودة، الذين يعمرون القبور ويزورونها، والصفوة هم

(١) المزار للمفيد ص ٢٢٨.

الذين تحنُّ قلوبهم إليها، وأعداء الله تعالى هم الذين يسعون في هدمها وطمسها وإطفاء نورها، فلا عجب من هؤلاء ولا هؤلاء.

ثالثاً: قبور الأئمة.. وحوض القيامة!

عندما يُمنع كثيرٌ من صحابة النبي ﷺ عن ورود الحوض يوم القيامة، ويُقال للنبي ﷺ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ!

يقول ﷺ: سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي! كما يروي البخاري^(١).

وعندما يكون عُمارُ قبور الأئمة وزوّارها هم الواردون على الحوض! سيتعاضمُ الحسدُ في قلوب الأوائِل ورهطِهِم، على من أكرمهم الله بورود حوض الرسول ﷺ.

يذكر النبي ﷺ المؤمنين الذين يتعاهدون قبور الأئمة فيقول:

١. أَوْلَيْكَ يَا عَلِيُّ الْمَخْصُوصُونَ بِشَفَاعَتِي.

٢. وَالْوَارِدُونَ حَوْضِي.

٣. وَهُمْ زُؤَارِي وَجِيرَانِي غَدًا فِي الْجَنَّةِ^(٢).

يُبعدُ كثيرٌ من أصحاب النبي ﷺ عن الحوض، ويُقَرَّبُ منه أحباب الأئمة وزوّار قبورهم، فأَيُّ حَسَدٍ يتكاثرُ في صدور المنافقين لذلك؟! حَسَدٌ للأئمة يظهر بهدم قبورهم لمنع إحياء ذكرهم ورفع شأنهم بعد قتلهم.

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٨٧.

(٢) المزار للمفيد ص ٢٢٨.

وَحَسَدٌ لِلشَّيْعَةِ الَّذِينَ يُخَلِّصُهُمُ النَّبِيُّ مِنْ أَهْوَالِ السَّاعَةِ، وَمِنْ ذُنُوبِهِمْ،
وَيَأْخُذُ بِأَعْضَادِهِمْ وَيُنْجِيهِمْ مِنْ أَهْوَالِ الْمَوْقِفِ وَشِدَائِدِهِ، وَيَتَعَاهِدُهُمْ حَتَّى
يَسْكُنَهُمْ فِي جَوَارِهِ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ الْحَسَدِ تَعْيِيرُهُمُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ
عَنْهُمْ: وَلَكِنَّ حُثَالَةَ مِنَ النَّاسِ يُعَيِّرُونَ زُوَارَ قُبُورِكُمْ بِزِيَارَتِكُمْ، كَمَا تُعَيِّرُ الزَّانِيَةُ
بِزْنَاهَا، أُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي، لَا تَنَالُهُمْ شَفَاعَتِي، وَلَا يَرِدُونَ حَوْضِي^(١).
يَا آلَ الرَّسُولِ..

نَشْهَدُ: أَنَّكُمْ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ.. وَأَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ فَلَمْ تُجَابُوا.. وَأَمَرْتُمْ فَلَمْ
تُطَاعُوا!

وَنَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ حُثَالَةِ النَّاسِ هَؤُلَاءِ.. الَّذِينَ يُعَيِّرُونَ زُوَارَ قُبُورِكُمْ.. فَهُمْ
شِرَارُ خَلْقِ اللَّهِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُمْ عَاجِلًا وَآجِلًا، وَأَنْ يَعْجَلَ فِي فَرَجِ
صَاحِبِ الْأَمْرِ، إِنَّهُ نَعَمُ الْمَوْلَى وَنَعَمُ النَّصِيرُ.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢).

(١) المزار للمفيد ص ٢٢٨.

(٢) ليلة السابع من شوال ١٤٤٢ هـ الموافق ١٨ - ٥ - ٢٠٢١ م.

٤٤. وخافوا الدموع.. في البقيع!

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد روى مسلمٌ في صحيحه عن عائشة أمِّها قالت:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ! ^(١).

لقد نقلوا عن النبي ﷺ نهيه عن الصلاة البتراء، ثم صلُّوا عليه وأعرضوا عن أهله!

ونقلوا أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى الْبَقِيعِ كُلَّ لَيْلَةٍ، ثُمَّ امْتَنَعُوا عَنْ الْخُرُوجِ إِلَيْهَا لَيْلاً وَنَهَاراً! وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنْ زِيَارَةِ قُبُورِ الْأَئِمَّةِ وَالصَّالِحِينَ فِيهَا! فَأَيْنَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ^(٢).

أليس النبيُّ أُسْوَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ؟ أَمْ أَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ ذَلِكَ؟! فَلِمَ إِذَا يَمْنَعُونَ مَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ؟!

ولماذا يُجَارَبُ الْأَئِمَّةُ الْأَطْهَارُ فِي الْبَقِيعِ بَعْدَ شَهَادَتِهِمْ كَمَا حُورِبُوا فِي حَيَاتِهِمْ؟! فَيُمنَعُ شِيعَتُهُمْ مِنْ عِمَارَةِ قُبُورِهِمْ وَتَعَاهِدِهَا وَزِيَارَتِهَا؟! وإذا كَانَ الشَّيْعَةُ وَالسُّنَّةُ قَدْ اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَلِمَ إِذَا الْمَنَعُ مِنْ

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٦٩.

(٢) الأحزاب ٢١.

ذلك اليوم؟!

لقد استغرق القوم في بغض آل محمد وشيعتهم، ثم جرّهم ذلك إلى الحسد القتال.. وأضيف إليهما أمر ثالث، هو (عاملُ الخوف)!
نعم أيّها الأحبّة.. إنّهُ الخوف من دموع المؤمنين! الباكين على النبي وآله الأطهار! فكيف ذلك؟

أولاً: زيارة القبور وآثارها

لقد روى السُّنَّة رواياتٍ عن النبي ﷺ في منع زيارة القبور، ثمّ ما لبثوا أن رووا رواياتٍ أخرى في جوازها!
وجمعوا بينهما بأن قالوا أنّها كانت مُحَرَّمة، ثم حَلَّت.. أي أنّ الحُرمة قد نُسِخت، وصار الحكم هو الجواز.
ونقلوا ذلك في صحاحهم، ومن ذلك ما نقله مسلم عن النبي ﷺ: **نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فزُورُوهَا**^(١).
وصرّح كثيرٌ من علمائهم بأنّ الروايات الناهية منسوخة، منهم صاحب المستدرک حين قال: **هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الْمَرْوِيَّةُ فِي النَّهْيِ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ مَنسُوخَةٌ**^(٢).
فصار من الواضح أنّ النبي ﷺ أمر بزيارة القبور.
ثمّ حثّ النبي ﷺ وشجّع على هذه الزيارة، وذكر بعض ثمارها وفوائدها

(١) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥٦٤ ح ١٩٧٧.

(٢) المستدرک على الصحيحين ج ٢ ص ٣٦٣.

وآثارها، التي يطلبها المؤمن العاقل، وتنفعه في دينه ودُنياه، فصار إتيان القبور لذلك راجحاً جداً.

فمن آثار إتيانها بحسب الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ في كتب السنّة أنّها سببٌ للاعتبار.. فعنه ﷺ: فزُورُوهَا، فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً^(١).

ومن آثارها ما ورد عنه ﷺ: أَلَا فزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ^(٢).

وعنه ﷺ: فزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتَ^(٣).

وعنه ﷺ: أَلَا فزُورُوهَا، فَإِنَّهُ يُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ^(٤).

وعنه ﷺ: فزُورُوهَا، وَلْتَزِدْكُمْ زِيَارَتُهَا خَيْرًا^(٥).

كلُّ هذه الآثار مما يتسابق العقلاء المؤمنون عليها، لأنَّ فيها النجاة والفلاح يوم تقع الواقعة.. لكنَّ فئةً من المسلمين.. كرهت ما أمر به النبي ﷺ، وامتنعت عنه.. ومنعت الآخرين عنه!

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٣٦٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٣٦٤.

(٣) المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٣٦٥.

(٤) المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٣٦٧.

(٥) المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٣٦٦.

ثانياً: بكاء النبي عند القبور

لقد كان النبي ﷺ يزور قبور البقيع، ويسلم على أهلها، بل كان ﷺ يبكي عند القبور.. والبكاء من علامات لين القلب، والقرب من الله تعالى.

وقد نقل البخاري في صحيحه عند أنس بن مالك بكاء النبي ﷺ عند القبور، فبعدهما نقل أنس جلوس النبي ﷺ على القبر قال: **فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ**^(١).

وقد روي في كتب السنة أنه ﷺ كان يزور قبر أمه، ويأخذ معه عدداً كبيراً من أصحابه، ويبكي عليها بكاءً شديداً، ففي المستدرک على الصحيحين: **زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فِي الْفِ مَقْنَعٍ، فَلَمْ يَرْبَاكِئَا أَكْثَرَ مِنْ يَوْمَيْنِ**^(٢).

ولقد كان ينزل بأصحابه لزيارة أمه الطاهرة ﷺ، فعن بريدة: **كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبًا مِنْ الْفِ رَاكِبٍ، فَنَزَلَ بِنَا فَصَلَّى بِنَا رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ**^(٣).

بل كان ﷺ يبكي من حوله!

فقد روي عن أبي هريرة أنه قال: **زَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ**^(٤).

ولعل النبي ﷺ كان يمهد لإقامة المآتم، والبكاء والنحيب عند المراقد

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٣٧٢ ح ١١٦٢.

(٢) المستدرک على الصحيحين ج ٢ ص ٣٦٥.

(٣) المستدرک على الصحيحين ج ٢ ص ٣٦٦.

(٤) المستدرک على الصحيحين ج ٢ ص ٣٦٥.

المقدّسة، ويُعلّم أصحابه ذلك.

فلقد كانت عيناه تذرفان الدُموع تارةً، وكان كثير البكاء تارةً أخرى، وكان يرتفع نحيبهُ ثالثاً!

ولهذا تأسّى الشيعة بفعل النبي ﷺ في كثرة بكائهم ونحيبهم عليه وعلى آله الأطهار.

لقد كان يرتفع نحيبهُ بحسب كتب السنّة وهو يبكي عند قبر أمّه، وكان يبكي من حوله أيضاً، فيما يشبه المآتم التي يقيمها الموالون اليوم.

ففي مصنف عبد الرزاق عن ابن مسعود: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَأَمَرَنَا فَجَلَسْنَا، ثُمَّ تَخَطَّيْنَا الْقُبُورَ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى قَبْرِ مِنْهَا، فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَنَاجَاهُ طَوِيلًا، ثُمَّ ارْتَفَعَ نَحِيبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاكِيًا، فَبَكَيْنَا لِبُكَائِهِ! (١).

يُلاحظ من هذه الأخبار أن النبي أيضاً كان يأمر أصحابه بالجلوس عند القبور، وكان يناجي مَنْ في القبر طويلاً.. ويبكي كثيراً!

وأيُّ شيءٍ يفعلُه الشيعة اليوم سوى ذلك؟! فيَتَهَمُونَ بعبادة القبور والشُّرك بالله تعالى! وهم يتأسون بخير الخلق ﷺ!

نعم يزعم رواة هذه الأحاديث بعد ذلك أنّه ﷺ نفى الإيَّمان عن أمّه الطاهرة! وهو كذبٌ وافتراءٌ عليه وعليها.

لقد كفّروا أمّه وأباه.. كما كفّروا أبا طالب..

لقد أرادوا وضع من رفع الله، ورفع من حَقَّرَ الله..
ولكن يأبى الله إلا أن يتمَّ نوره..

ثالثاً: زيارة البقيع وسائر القبور

روى المخالفون أنَّ النبي ﷺ خرج ليلةً وهو عند عائشة، فجعلت دِرْعَهَا في رأسها، واختمرت وتَقَنَّعت وانطلقت في أثره!
تقول: فَأَنْطَلَقْتُ فِي أَثَرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ، فَرَفَعَ يَدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَأَنْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، وَهَرُولَ فَهَرَوْتُ، وَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتُ!
لقد ذهب فكر عائشة إلى محلٍّ آخر.. فقال لها النبي ﷺ: أَظُنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ؟!

ثمَّ قال لها: إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي.. فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَأَسْتَغْفِرَ لَهُمْ^(١).
لقد كان ﷺ يأتي أهل البقيع الأموات كلَّ ليلة وهو عند عائشة، كما نقل مسلم في صحيحه، وكان ذلك بأمر الله بلا ريب، فالنبيُّ أطوع الناس لله تعالى.
لكنَّ المؤمنين اليوم يُمنعون من زيارة البقيع ليلاً.. ونهاراً!

فإن دخلوا إليه في أوقاتٍ محدودة.. كانوا ممنوعين من الزيارة.. ومن الجلوس كما أمر النبيُّ أصحابه بالجلوس.. محرومين من المكث عند القبور ومناجاتها تأسيساً برسول الله ﷺ!

(١) مصنف عبد الرزاق ج ٣ ص ٥٧٠.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَقْدُرُ الْيَوْمَ أَنْ يُخْلَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَبَيْنَ دُمُوعِهَا فِي الْبَقِيعِ وَعِنْدَ الْقُبُورِ.. كَمَا كَانَ يَفْعَلُ النَّبِيُّ ﷺ!
فَمَا السِّرُّ فِي ذَلِكَ؟! وَلِمَاذَا الْخَوْفُ مِنَ الدُّمُوعِ؟!

رابعاً: فاطمة وقبر النبي!

لَقَدْ رَوَى السَّنَّةُ فِي خَيْرِ صَحِيحٍ عَنْهُمْ عَنِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ﷺ أَنَّ أُمَّهُ الزَّهْرَاءَ ﷺ: كَانَتْ تَزُورُ قَبْرَ عَمَّهَا حَمْزَةَ كُلِّ جُمُعَةٍ، فَتُصَلِّي وَتَبْكِي عِنْدَهُ^(١).
فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُهَا مَعَ حَمْزَةِ ﷺ، فَمَا حَالُهَا لَمَّا اسْتَشْهَدَ النَّبِيُّ ﷺ؟!
لَقَدْ رَوَى أَنَّهَا ﷺ: كَانَتْ: لَا تَرْقَأُ دُمْعَتُهَا، وَلَا تَهْدَأُ زَفْرَتُهَا!
لَقَدْ خَافَ مَبْغُضُوهَا أَنْ يُجِيشَ بِكَاءِ الزَّهْرَاءِ الْمَشَاعِرِ.. وَيُلْهَبَ الْعَوَاطِفَ..
وَخَشِيَ الْأَجْلَافُ، الَّذِينَ اقْتَحَمُوا عَلَيْهَا دَارَهَا.. وَظَلَمُوهَا.. وَأَسْقَطُوا
جَنِينَهَا.. وَسَلَبُوهَا حَقَّهَا.. وَحَقَّ بَعْلِهَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْخِلَافَةِ.. خَشِيَ هَؤُلَاءِ
انْقِلَابَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ.
خَافُوا أَنْ تَوَثَّرَ الدُّمُوعُ فِي النَّاسِ.. فَتَرَقَّ الْقُلُوبُ وَتَلِينَ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ.. فَجَاءَ
مِنْهُمْ مَنْ قَالَ لِعَلِيِّ ﷺ:

وَإِنَّا نُنْخِرُكَ أَنْ تَسْأَلَهَا إِمَّا أَنْ تَبْكِي لَيْلًا أَوْ نَهَارًا!
وَرَوَى أَنَّهُ ﷺ: بَنَى لَهَا بَيْتًا فِي الْبَقِيعِ نَازِحًا عَنِ الْمَدِينَةِ يُسَمَّى بَيْتَ الْأَحْزَانِ!
وَكَانَتْ إِذَا أَصْبَحَتْ قَدَّمَتِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ﷺ أَمَامَهَا وَخَرَجَتْ إِلَى

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٢ ص ٣٦٨.

البَقِيعَ بَاكِيةً فَلَا تَرَأَى بَيْنَ الْقُبُورِ بَاكِيةً^(١).

لقد منع الأوائل الزهراء من البكاء عند قبر أبيها!

ومنع الأواخر الشيعة من البكاء عند قبره.. وقبر الأئمة من ولده!

يتأذى هؤلاء من البكاء كما أولئك!

يُخْفِئُهُمْ.. يُرْعِبُهُمْ.. يُؤَرِّقُهُمْ.. أَنْ تَسِيلَ الدُّمُوعُ عَلَى الْخَدَيْنِ.. وَتَرْتَفِعَ
أَصْوَاتُ النَحِيبِ.. قُرْبَ قَبْرِ النَّبِيِّ الْحَبِيبِ.

تَلِينُ حِينَهَا الْقُلُوبُ.. وَتَنْقَلِبُ أَعْلَى الْمَدِينَةِ أَسْفَلَهُ..

يُعْرِفُ حِينَهَا شَيْءٌ مِنَ الظُّلَامَةِ..

ظِلَامَةُ النَّبِيِّ الَّذِي لَمْ يُحْفَظْ فِي عَتْرَتِهِ.. فَقُتِلُوا وَشُرِّدُوا، وَظَلِمُوا
وَاضْطَهَدُوا..

وظِلَامَةُ فَاطِمَةَ.. صَاحِبَةِ الْقَبْرِ الْمُسْتَوْرِ.

وَلَوْ قَدَّرَ لِلشَّيْءِ.. لَبَكَوْا عَلَيْهَا فِي كُلِّ شَبْرٍ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ.. كَمَا بَكَوْا عَلَى
أَبِيهَا.

وَلْتَمَثِّلُوا قَوْلَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهَا ﷺ:

فَلَا جَعَلَنَّ الْحُزْنَ بَعْدَكَ مُؤْنِسِي * * * وَلَا جَعَلَنَّ الدَّمْعَ فِيكَ وَشَاحِيَا

لقد حُرِّمَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْبَكَاءِ عِنْدَ النَّبِيِّ، وَالنُّوحِ وَالنَّحِيبِ.. وَإِقَامَةُ الْمَآتَمِ..
ثُمَّ حَرَّمُوا مِنْ مَعْرِفَةِ قَبْرِ فَاطِمَةَ الطَّاهِرَةِ..

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٨.

ثم منعوا من زيارة قبور البقيع..
فآه من هذه الظلامه.. آه.. ثم آه..
يتخبط المؤمن اليوم حال الإمام المنتظر.. عندما يزور المدينة..
هو العالم بقبر أمه الطاهرة..
فأي بكاء يبكي عليها.. وعلى أبيها.. وأبنائها..
ينتظر المؤمنون ساعة يكشف الله فيها على يديه هذا الكرب العظيم.. ويعيد
الحق السليب.. فتقرّ عيونهم..
لا ندري.. تلك ساعة ترقأ فيها الدموع.. أم تنهمر..
نسأل الله أن يعجل لوليه الفرج..
وإنا لله وإنا إليه راجعون.
والحمد لله رب العالمين^(١).

٤٥. الإمام الكاظم.. وفتنة المال!

بسم الله الرحمن الرحيم

كَانَتْ صِرَارُ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى مَثَلًا!

هي عبارة نقلها الشيخ المفيد رحمه الله عن جماعة من أهل العلم، تُبين كثرة عطاء الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، حتى أَنَّ صِرَارِ الدنانير التي كان يُوزَّعها على الناس صارت مضربَ مثل.. و: كَانَ يَصِلُ بِالمائتي دينارٍ إِلَى الثلاثمائة دينار^(١).

ولأنَّ الأقربين أولى بالمعروف، كان عليه السلام: أَوْصَلَ النَّاسَ لِأَهْلِهِ وَرَحِمِهِ.. حتى مَنْ كان يعلم أنه يرومُ أذيتَه، كابن أخيه (محمد بن اسماعيل)، فقد أعطاه صُرَّةً فيها مائة دينار، ثم أخرى، ثمَّ ثالثة، ثم أعطاه ثلاثة آلاف درهم، وهو يعلمُ أَنَّهُ سيُشي به إلى هارون، ولطالما قال له: أَوْصِيكَ أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي دَمِي! لكنَّ محمدًا طمعَ بِمالِ هارون، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بالخلافة، ثُمَّ زَعَمَ أَمَامَهُ أَنَّ عَمَّهُ الكاظم عليه السلام يُسَلِّمُ عَلَيْهِ بالخلافة أيضاً تحريضاً عليه، فوصله هارون بمائة ألف درهم!

لكن قول الإمام عليه السلام (إِذَا وَصَلْتُهُ وَقَطَعَنِي قَطَعَ اللَّهُ أَجَلَهُ!) قد تحقق عاجلاً قبل أن تبلغه هذه الأموال: فَرَمَاهُ اللَّهُ بِالدَّبْحَةِ، فَمَا نَظَرَ مِنْهَا إِلَى دِرْهَمٍ وَلَا مَسَّةٍ! ^(٢). بل كان الإحسان إلى المسيئين من عاداته، فقد نُقِلَ أَنَّهُ: إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢٣٤.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٨٦.

مَا يَكْرَهُ بَعَثَ إِلَيْهِ بِصُرَّةِ دَنَانِيرٍ^(١).

فكان إحسانه شاملاً حتّى لأشدّ مخالفه، حيثه أنه وَصَلَ رَجُلًا من ولد عمر ابن الخطاب، كان يؤذيه ويسبّه، فَوَصَلَهُ بثلاثمائة دينار، حتّى صلح بذلك أمره وكفي شرّه، ولم يرض ما اقترحه بعض جلسائه يوماً من قتله، بل زجرهم زجراً شديداً^(٢).

وهكذا كان الإمام عليه السلام كثير العطاء بالأموال والأعيان.

حيث: كَانَ يَفْتَقِدُ فَقَرَاءَ الْمَدِينَةِ فِي اللَّيْلِ، فَيَحْمِلُ إِلَيْهِمْ فِيهِ الْعَيْنَ (الذهب والدنانير) وَالْوَرِقَ (الفضة والدراهم) وَالْأَدَقَّةَ (الطحين) وَالتُّمُورَ، فَيُوصِلُ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَلَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ هُوَ^(٣).

من ثمّ كان خُلفاء الجور يخشون الإمام غنياً كان أم فقيراً.. وحيداً كان أم مُحاطاً بشيعته.

لكنّ غِنَاهُ كان أَشدَّ عليهم وأخطر، فهذا المأمون يسأل أباه هارون عن السرِّ في إعطائه أبناء المهاجرين والأنصار ومَنْ لَا يُعْرِفُ حَسْبَهُ وَنَسَبَهُ خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ وما دون.. فيما أعطى موسى بن جعفر عليه السلام: أَحْسَنَ عَطِيَّةٍ أُعْطِيَتْهَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ!؟

كان هارون يُدركُ أَنَّ للمال تأثيراً كبيراً في النَّاسِ.. وأنّه عاملٌ من عوامل القوّة، ويخشى من اجتماع الشيعة حول إمامهم، فقال للمأمون: وَفَقْرُ هَذَا وَأَهْلِهِ

(١) مقاتل الطالبين ص ٣٤٨.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٣٣.

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٢٣٢.

بَيْتِهِ أَسْلَمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ بَسْطِ أَيْدِيهِمْ وَأَعْيُنِهِمْ! ^(١).

إعتمد هارون كسائر الخلفاء سياسة التضيق على الإمام، فنشر الجواسيس، وبألغ في الظلم والقهر.. حتى منع الإمام من أن تُجبي له الأموال من شيعته، ووقعت المشقة في توزيع ما يصل إليه عليه السلام.

يقول الشيخ الصدوق رحمه الله عن الكاظم عليه السلام:

لم يكن موسى بن جعفر عليه السلام ممن يجمع المال، ولكنه حصل في وقت الرشيد.. ولم يقدر على تفريق ما كان يجمع إلا على القليل ممن يثق بهم في كتمان السر.. ولو لا ذلك لفرّق ما اجتمع من هذه الأموال ^(٢).

لم يعد الإمام يستلم الأموال كما كان، بل صار سجيناً لهارون، وصارت الأموال تُجمع عند وكلائه.

إنّ قلة المال ابتلاءً من الله للعباد.. وكذا كثرته.. بل قد تكون كثرته أصعب وأشدّ.. فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ عَدُوٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ ^(٣).
وقال: اَعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ، مَقْسَاةٌ لِلْقُلُوبِ ^(٤).

لم تكن هذه الأموال ملكاً لهؤلاء الوكلاء، بل كانت أمانة الإمام لديهم، وقد تكاثرت يوماً فيوم، والإمام في سجنه: فَاتَّخَذُوا بِذَلِكَ دُورًا، وَعَقَدُوا الْعُقُودَ،

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٩٢.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١١٤.

(٣) التمهيد ص ٤٨.

(٤) تحف العقول ص ١٩٩.

وَاشْتَرَوْا الْغَلَّاتَ^(١)، حتى جاء يومُ الامتحان الكبير!

يقول يونس بن عبد الرحمان: لَمَّا مَاتَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ مِنْ قَوَّامِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَعِنْدَهُ الْمَالُ الْكَثِيرُ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ وَقْفِهِمْ وَجُحُودِهِمْ لِمَوْتِهِ!^(٢).

لقد تَمَكَّنَ الشَّيْطَانُ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَاسْتَغَلَ الْمَالُ سِلَاحاً فَتَكَأً أَفْسَدَ بِهِ أَدْيَانَ بَعْضِ الْوُكَلَاءِ.. فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ لَدَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ.. وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ.

أَرْسَلَ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَطْلُبُ هَذَا الْمَالِ.. فَكَانَ جَوَابُهُمْ: أَنَّ أَبَاكَ لَمْ يَمُتْ! لقد أنكر هؤلاء موتَ الإمامِ الكاظمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لئَلَا يُسَلِّمُوا الْأَمْوَالَ إِلَى وَرِثَتِهِ الْإِمَامِ الْمُعْصُومِ، مَعَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَوُضُوحِ الْأَمْرِ وَجَلَاءِهِ.. فَلَيْسَ الْأَمْرُ مِنْ مَوَارِدِ الْمُتَشَابِهَاتِ، بَلْ هُوَ جُحُودٌ مَعَ ثُبُوتِ الْبَيِّنَةِ وَالْيَقِينِ مِنْ بَطْلَانِ مَا هُمْ عَلَيْهِ. لَذَا كَثُرَ فِي الرِّوَايَاتِ ذَمُّهُمْ وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُمْ قَبْلَ وَقْفِهِمْ، فَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ مِنَ الشَّيْعَةِ بَعْدَنَا مَنْ هُمْ شَرٌّ مِنَ النُّصَابِ.. إِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ يُفْتَنُونَ بِزَيْدٍ وَيُفْتَنُونَ بِمُوسَى^(٣).

كَيْفَ يَصِيرُ هَؤُلَاءِ شَرًّا مِنَ النُّصَابِ؟ لِأَنَّهُمْ يَتَلَبَّسُونَ بِاسْمِ التَّشْيِيعِ، وَيُنْكِرُونَ الْأَئِمَّةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ يَسْعَوْنَ فِي إِضْلَالِ الشَّيْعَةِ بِذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ: يَدْعُونَ الشَّيْعَةَ إِلَى ضَلَالِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ إِبْطَالُ حُقُوقِنَا وَهَدْمُ دِينِ اللَّهِ^(٤).

(١) بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٦٦.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١١٣.

(٣) رجال الكشي ص ٤٥٩.

(٤) رجال الكشي ص ٤٦٢.

فصاروا بذلك: شرَّ الخلق^(١).

إنَّ المعيارَ في سوء حال أهل الضلال هو مقدار خطرهم على أديان المؤمنين، فالنَّاصِبُ قد يسلبُ المؤمنين شيئاً من دُنياهم، أو حتى حياتهم، لكنَّه غالباً لا يُخشى منه على أديانهم، لكنَّ الذي يدعو الشيعة إلى الضلال يسلبهم دينهم وآخرتهم، وهو أخطر وأشدَّ، فلا عجب أن يصفهم الإمام الرضا عليه السلام بأنَّهم: كُفَّارٌ مُشْرِكُونَ زَنَادِقَةٌ^(٢).

وأن يقول عنهم الإمام الجواد عليه السلام: الْوَاقِفَةُ هُمْ حَمِيرُ الشَّيْعَةِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٣).

لقد تعرَّفَ هؤلاء على الأئمة، وانتسبوا إليهم، ثمَّ جحدوهم! وهم يعلمون حقَّهم وفضلهم، والسببُ في ذلك: حُبُّ المال.. فما أخطره!

هُوَ وَاحِدٌ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهَا.. فَعَنَّهُمْ عليهم السلام:

مَا عُصِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِسِتَّةِ أَشْيَاءٍ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ، وَحُبُّ الطَّعَامِ، وَحُبُّ الْمَالِ، وَحُبُّ النِّسَاءِ، وَحُبُّ النَّوْمِ^(٤).

ولا يزال النَّاسُ يُمْتَحَنُونَ بِذَلِكَ حتى يومنا هذا..

لقد لعن الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ عَبَدَ الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ! وقال أنَّ: الدِّينَارَ

(١) رجال الكشي ص ٤٥٨.

(٢) رجال الكشي ص ٤٥٦.

(٣) رجال الكشي ص ٤٦٠.

(٤) معدن الجواهر ص ٥٣.

وَالَّذَرَهُمْ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَهُمَا مُهْلِكََاكُمْ! ^(١).

فَكَمْ مِنْ عَابِدٍ لَهَا فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ؟! وَكَمْ مِنْ هَالِكٍ بِهِمَا؟!

يَسْتَوِي فِي الْهَلَاكِ مَنْ عَبَدَهُمَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَمَنْ تَلَبَّسَ بِلِبَاسِ الدِّينِ وَكَانَ مِنْ عِبَادِهِمَا، كَمَا كَانَ الْوَاقِفَةُ! وَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ شَرًّا مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَا سِتْغْلَاظَ لَهُمْ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَلْبِيسُهُمْ الْحَقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

قَدْ تَرَى الْيَوْمَ عُلَمَاءَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَبْوَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَبْوَابُ آلِ مُحَمَّدٍ، وَحَمَلَةُ رَسُولَاتِهِمْ، وَهُمْ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَدِينَارُهَا وَدِرْهَمُهَا! فَلَيْسَ بِالْقَوْلِ وَحْدَهُ يُصِيرُ الْمُسْلِمَ مُؤْمِنًا! وَلَا بِاللِّبَاسِ يَكُونُ الْعَالَمُ عَالِمًا!

إِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ مِنْ صَدَقَ قَوْلُهُ فِعْلُهُ!

مَا أَخْطَرَ انْحِرَافَ أَهْلِ الدِّينِ! سَيِّمًا أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ! وَمَا أَشْنَعَهُ لَوْ كَانَ الْمُهْلِكُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ بَعْضُ مَالِ الدُّنْيَا!

إِنَّهُ بَابٌ يَطْرُقُهُ الشَّيْطَانُ بِقُوَّةٍ.. ف: لَيْسَ شَيْءٌ أَثْقَلَ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِ ^(٢).

إِنَّ مِنَ الصَّدَقَةِ مَا يَكُونُ وَاجِبًا، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مُسْتَحَبًّا.. وَالشَّيْطَانُ يَسْعَى لَمَنْعِ الْمُؤْمِنِ مِنْهَا مَعًا.. لَكِنَّ الْعَاقِلَ يَعْلَمُ أَنَّ مِنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَوَّضَهُ خَيْرًا مِمَّا أَنْفَقَ.. كَمَا قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْفَقُ وَأَيَّقِنُ بِالْخَلْفِ مِنَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْخُلْ عَبْدٌ وَلَا أُمَّةٌ بِنَفَقَةٍ فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَنْفَقَ أَضْعَافَهَا فِيمَا يُسَخِطُ اللَّهَ

(١) الكافي ج ٢ ص ٣١٦.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٣.

عَزَّ وَجَلَّ^(١).

وعن الصادق عليه السلام: مَا رَجُلٌ يَمْنَعُ حَقًّا مِنْ مَالِهِ إِلَّا طَوَّقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ حَيَّةً مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٢).

ولئن كان الطَّمَعُ بالمال قد حَرَفَ قومًا عن القول بالإمامة يوماً! وزعموا
أنَّ الإمام لم يُمُتْ! فَإِنَّ الْخَطَرَ عَظِيمٌ.. والشيطان بالمرصاد.

فكم ينبغي على العاقل أن يحذر من مَنع حقوق الله، لئلا ينقلب على عقبيه
بسبب المال كما انقلب الأول.. فيقول للإمام عند ظهوره: يَا ابْنَ فَاطِمَةَ: ارْجِعْ!
لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ!

هو امتحانٌ على المؤمن أن يُراقب نفسه فيه، ويعلم أنَّ مَنع حقِّ الله هو من
أبرز مصاديق البخل التي ورد أنها تمحق الإسلام! وقد قال إمامنا الكاظم عليه السلام:
الْبَخِيلُ مَنْ بَخَلَ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٣).

فليُنظر عاقلٌ لنفسه.. وليُقَدِّمَ لغده.. وليعتبر بمن سبقه.

أجارنا الله تعالى من أن نبخل بما افترض علينا.. ووقانا المهالك.. وهدانا
لمرضاته.. وثبَّتنا على ولاية أحبائه وأوليائه.

والحمد لله رب العالمين^(٤).

(١) الكافي ج ٤ ص ٤٣.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٥٠٤.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٤٥.

(٤) الاثنين ٢٢ رجب ١٤٤٤ هـ الموافق ١٣ - ٢ - ٢٠٢٣ م.

٤٦. الكاظم.. إمامٌ يَتَّقِي السُّلْطَانَ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَفَّ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ يَوْمًا يُفَكِّرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ خَطِيرَيْنِ فِي نَظَرِهِ.. وَلَعَلَّهُ عَاشَ عَصْفًا فِكْرِيًّا رَهِيْبًا قَبْلَ أَنْ يَخْتَارَ بَيْنَهُمَا!

الأول: مَنْشُورٌ فِي يَدِهِ بِمُلْكِ الرَّيِّ! لَكِنَّ نَفَاذَهُ مَوْقُوفٌ عَلَى الزَّحْفِ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَحْبِهِ حَتَّى يَقْتُلَهُمْ وَيُمَثِّلُ بِهِمْ! ثُمَّ يَطَّأُ الْخِيُولَ صَدْرَ الْحُسَيْنِ وَظَهْرَهُ!

الثاني: كِتَابٌ يُوْتَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَمِينِهِ! فِيهِ الْفُوزُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ.. لَكِنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَى الذَّبِّ عَنْ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ وَالتَّضَحِّيَةِ بِمُلْكِ الرَّيِّ، فَمَنْ يَشَارِكُ فِي قَتْلِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَغْضَبُ عَلَيْهِ الْجَبَّارُ وَيَدْخُلُهُ نَارًا تَسْتَعْرِ.

وَكَانَ أَنْ رَجَّحَ اللَّعِينُ الْعَاجِلَةَ عَلَى الْآجِلَةِ.. كَأَكْثَرِ النَّاسِ.. وَهُوَ الْقَائِلُ:

أَتَرَكْتُ مُلْكَ الرَّيِّ وَالرَّيَّ مُنِيْبِي * * * أَمْ أَرْجِعُ مَذْمُومًا بِقَتْلِ حُسَيْنٍ
فَفِي قَتْلِهِ النَّارُ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا * * * حِجَابٌ وَمُلْكُ الرَّيِّ قُرَّةُ عَيْنِي

هَكَذَا كَانَ السُّلَاطِينُ وَأَعْوَانُهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، يَعْلَمُونَ أَنَّ الْأُئِمَّةَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْخِلَافَةِ، لَكِنَّ (حُبَّ الرِّئَاسَةِ) يُعْمِي وَيُصِمُّ، وَيَفْتَحُ أَوْسَعَ أَبْوَابِ الْمَعَاصِي، وَأَسْوَأَ أَنْوَاعِ الظَّلَامَاتِ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

أَمَّا الْإِمَامُ.. فَإِنَّ عِلَاقَتَهُ مَعَ السُّلْطَانِ يَحْكُمُهَا أَمْرُ اللَّهِ وَصَلَاحُ الدِّينِ، وَهِيَ عِلَاقَةٌ يَرَاهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مُلْتَبِسَةً حِينَمَا يَعْبُزُونَ عَنْ تَفْسِيرِهَا وَفَهْمِهَا.

فَمَنْ لم يفقه أن الإمام إمامٌ قامَ أو قعدَ، ومن يعجز عن فهم السبب في تنوع أساليب الأئمة وتغيُّرها بحسب الظروف، فيعترض عليهم، لا يكون من أهل الفقاهاة ولا من أهل التسليم.

إِنَّ مَنْ ينظر إلى عليٍّ عليه السلام يرى أَنَّهُ تارةً كان سيفاً بتّاراً.. ذابّاً عن رسول الله.. فاتحاً منتصراً في كلِّ حروبه.

وتارةً أخرى جلس بيته سنين طويلة.. يُداري القوم.. ولا يلبس لباس الحرب إلا عندما أرادوا نبش قبر البتول الطاهرة.. أو يوم تسنم الخلافة الظاهرة فجيشوا الجيوش ضده.

وهكذا الحسن عليه السلام.. يمتشق السيف تارةً في وجه معاوية.. ويغمده أخرى لما تخاذل جيشه وجرى ما جرى.

ثمَّ يأبى الحسين عليه السلام البيعة ليزيد.. ولو أدى ذلك لسفك دمه الطاهر. وتأتي الأيام فيغمد الأئمة من بنيه سيوفهم.. لكنهم رغم ذلك يحبّهون السلطان بموقفٍ في غاية الصلابة تارةً.. وتتمام المدارة أخرى.

من ينظر إلى هذه المواقف وأمثالها، ويعتقد بعصمة الأئمة، يدرك أنهم في ذلك مطيعون لرّبهم:

١. الذي يُمهّل تارةً فيُملّي للظالمين في ظلمهم، ويؤخر العقاب عنهم.
٢. ويعاجل بالعقاب تارةً أخرى فيزلزل الأرض من تحتهم.. وينزل عذاباً سهاوياً ما رأى الناس مثله يوماً.. وهذه سيرة الأنبياء السابقين ماثلة في الأذهان. لم يجعل الله تعالى أنبياءه وأوصيائه: أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ

يُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ.. لَكِنَّهُ جَعَلَهُمْ: أُوْلِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِ نِيَّاتِهِمْ!
لذا ترى أحدهم خاضعاً لأمر الله بالعودة يوماً، فتحسبه من أهل الضعف
والاستكانة.. وما تلبث أن ترى له موقفاً يكشف عن قُوَّة وعزيمة عظيمة في
سبيل الله تعالى.

من ثَمَّ صارت تَقِيَّةُ الأئمة ومداراتهم للسلطين علامة يُعَرَفُ بها أهل الحق،
فلا يلقبون بأيديهم إلى الهلاك، وإن كانوا أصحاب المواقف الصعبة عندما يكون
في ذلك صلاح الدين وبقاؤه.

لقد أراد هارون يوماً أن يطرح أسئلةً على إمامنا الكاظم عليه السلام، منها سؤالٌ
عن السرِّ في تفضيل العترة الطاهرة على بني العباس.. فطلب الإمام الأمان لكي
يُبين، فقال له الرشيد: لَكَ الأمانُ إِنْ صَدَقْتَنِي وَتَرَكْتَ التَّقِيَّةَ الَّتِي تُعَرَفُونَ بِهَا
مَعَشَرَ بَنِي فَاطِمَةَ! ^(١).

لقد كان الإمام يُجيب السلطان إلى مجلسه من باب التقية ليس إلا، فقد دُعي
عليه السلام يوماً آخر إلى مجلس الرشيد فقال:

مَا لِلرَّشِيدِ وَمَا لِي؟! أَمَا تَشْغَلُهُ نَقَمَتُهُ (نعمته) عَنِّي؟.. لَوْ لَا أَنِّي سَمِعْتُ فِي
خَبَرٍ عَنِ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ طَاعَةَ السُّلْطَانِ لِلتَّقِيَّةِ وَاجِبَةٌ إِذَا مَا جِئْتَ! ^(٢).
لذا كان الإمام يجيب السلطان صاحب السطوة القاهرة في ظاهر الأمر تارةً،
ويخالفه تارةً أخرى، ويدفع كيده بالدعاء مرةً.. وبالمدد الغيبي أو بولايته على عالم

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٨٢.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٧٧.

الوجود أخرى.

فهو يستعين بهذا المدد يوماً ليمنع تأثير السُّم الذي يدسه إليه السلطان.. ويترك الأمور تجري بأسبابها يوماً آخر بأمر السماء.. فيأكل مما ألزمه بأكله ويخاطب ربه قائلاً:

يَا رَبِّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَوْ أَكَلْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ كُنْتُ قَدْ أَعَنْتُ عَلَى نَفْسِي^(١).
هكذا يهتّم الإمام بأمر الله.. ويهتّم السلطان بالرياسة..

وهي التي دعت كثيراً من خلفاء الجور إلى الظلم والقهر.. ومنهم الرشيد الذي أقر لابنه المأمون بأن: مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ إِمَامٌ حَقٌّ! وأنه: أَحَقُّ بِمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي وَمَنِ الْخَلْقِ جَمِيعاً!

لكنه رغم ذلك.. يُحذّر ابنه من منازعته على السلطان، فيقول:

وَاللَّهِ لَوْ نَازَعْتَنِي هَذَا الْأَمْرَ لَأَخَذْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ! فَإِنَّ الْمُلْكَ عَقِيمٌ^(٢).

لذا يكتُم الإمام دعوته.. ويأمر شيعته بالتقيّة لحفظ نفوسهم.. ولقد كان للرشيد: بِالْمَدِينَةِ جَوَاسِيسٌ يَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ اتَّفَقَتْ شِيعَةُ جَعْفَرٍ ﷺ عَلَيْهِ فَيَضْرِبُونَ عُقُقَهُ!

وكان الشيعة يطلبون الحقَّ سرّاً لا جهراً، ويلقون إمامهم خفيةً عن العيون، وقد قال هشام بن سالم للكاظم ﷺ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، شِيعَتُكَ وَشِيعَةُ أَبِيكَ ضَلَالٌ (أي عنك)، فَالْقِي إِلَيْهِمْ وَأَدْعُوهُمْ إِلَيْكَ؟ وَقَدْ أَخَذَتْ عَلَى الْكِتْمَانِ.

(١) الأُمالي للصدوق ص ١٤٨.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٩١.

قَالَ: مَنْ آتَسَتْ مِنْهُ رُشْدًا فَالِقِ إِلَيْهِ وَخُذْ عَلَيْهِ الْكِتْمَانَ، فَإِنْ أَذَاعُوا فَهُوَ الذَّبْحُ^(١).

لم يكن الشيعة في زمن الكاظم عليه السلام مكلفين بِسَلِّ السَّيْفِ، وإمامهم قد أغمده.. كما لم تُكَلَّفِ اليوم بذلك، وسيفُ إمامنا الغائب في غمده..
إنَّه امتحانٌ في أيامنا كما كان في أيامهم، وَغَرَبَلَةٌ يَتَعَرَّضُ لها الشيعة كُلِّ حين، فَمَنْ لم يفقه أحكام التَّقِيَّةِ جيداً، ولم يلتزم بها حقاً، لم يكن خالصاً مُصَفًّى.. ولم يؤمِّن عليه من الضلال.

ولقد اهتمَّ الكاظم عليه السلام بأمر شيعته اهتماماً شديداً، ففتح لهم نوافذ منها نافذتان في غاية الأهمية، إحداهما تخفَّفُ عنهم بلاء الدُّنْيَا، والآخرة تحفظ لهم الآخرة:

النافذة الأولى: العمل مع السلطان

إنَّ العمل مع السلطان ومعونته من الكبائر المَهْلِكَة، وقد قال الكاظم عليه السلام:
إِنَّ أَهْوَنَ مَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِمَنْ تَوَلَّى لَهُمْ عَمَلًا أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِ سُرَادِقٌ مِنْ نَارٍ إِلَى أَنْ يَفْرُغَ اللَّهُ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ!

وقال عليه السلام: لَأَنْ أَسْقُطَ مِنْ حَالِقٍ فَاتَّقَطَّ قِطْعَةً قِطْعَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَوَلَّى لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَمَلًا، أَوْ أَطَا بِسَاطَ أَحَدِهِمْ!

الأمرُ في غاية الخطورة.. فَمَنْ تولى للسلطين أعمالهم كان شريكاً لهم في

ظلمهم، وكان ذلك وبالأعلى عليه..

لكنَّ الأمر ليس على إطلاقه.. فإنَّ هذا العمل الخطير يصيرُ سائغاً إذا قُصد به معونةُ المؤمنين والذبُّ عنهم والإحسان إليهم، فتكون واحدةً بواحدة! لذا لا يسوغ تولي أعمال السلطان: إِلَّا لِتَفْرِيجِ كُرْبَةٍ عَنْ مُؤْمِنٍ أَوْ فَكَّ أَسْرِهِ أَوْ قَضَاءِ دَيْنِهِ^(١).

هكذا صار زياد بن أبي سلمة ممن يتولى أعمال السلاطين.. وعليُّ بن يقطين.. وسواهما.. وهم من مصاديق المؤمن الذين يدفع الله عزَّ وجل به كيد الجبابرة عن المؤمنين.. وهذا ابن يقطين ضاق قلبه من وزارته لهارون.. فإنَّ الأمر على المؤمن شديد.. حيث يرى في ركب السلطان الظالم قهره وبطشه كلَّ يوم، ولا يقدرُ على أن يُغيِّرَ إلا الشيء اليسير.

لكنَّ هذا اليسير كبيرٌ عند الله تعالى.. لذا لم يأذن الإمام الكاظم لعلِّي أن يترك وزارة هارون ولو هرباً عندما استأذنه.. فقال له تارة: لَا آذُنُ لَكَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عَمَلِهِمْ، وَاتَّقِ اللَّهَ^(٢).

وقال له أخرى: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَنَا بِكَ أَنْسَاءً، وَلِإِخْوَانِكَ بِكَ عِزًّا، وَعَسَى أَنْ يُجْبِرَ اللَّهُ بِكَ كَسْرًا، وَيَكْسِرَ بِكَ نَائِرَةَ الْمُخَالِفِينَ عَنْ أَوْلِيَائِهِ^(٣).

كلمات عظيمة من الإمام عليه السلام، فإنَّ في الذبِّ عن المؤمنين ومعونتهم وجبر

(١) الكافي ج ٥ ص ١١٠.

(٢) قرب الإسناد ص ٣٠٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٨ ص ١٣٦.

كسرهم أنس للإمام وعز للمؤمن.

وإن في كسر نائرة المخالفين عن المؤمنين شرف الدنيا والآخرة.

فكم هو خطير تسنم المناصب والمراكز.. سيما من كان من الشيعة شريكاً في عمل السلطان اليوم!

يأنس الإمام به لو قضى حوائج المؤمنين وأكرمهم كلما لقيهم.. والإمام يقرن في كلامه بين (قضاء الحوائج والإكرام)، فلا يصح بحال إذلال المؤمن مع قضاء حاجته.. فكيف برده ذليلاً دون قضائها!

إن قضاء حوائج الأخوان واجب على المتصدي للشأن العام.. وليس فضلاً يتفضل به عليهم، إذ قضاء حوائجهم هو المسوغ للدخول في هذا العمل، فما لم يؤده كان عمله وبالاً.

وقد قال الصادق عليه السلام: عَمَّنْ وَلِيٍّ وَلَايَةٌ وَلَمْ يَكُنْ عَنْده خَيْرٌ لِأَصْحَابِهِ: أَفٍّ! يَدْخُلُونَ فِيهَا لَا يَنْبَغِي لَهُمْ، وَلَا يَصْنَعُونَ إِلَى إِخْوَانِهِمْ خَيْرًا! (١).

فليس لمن تولى اليوم شيئاً أن يحجب خيره عن أخوانه، لأن جبر كسرهم وقضاء حاجاتهم هو أوجب واجباته حيث يقدر.. وإلا عرّض نفسه لسخط الله.

النافذة الثانية: الهداية من الضلال

لقد كان الإمام عليه السلام يستثمر الفرص المناسبة لدفع الشبهات عن المؤمنين، وتثبيت عقائدهم، فهو أعلم من على وجه الأرض، وهو الذي يعرف كيف يوازن

بين حفظ أديانهم وحفظ أرواحهم.

يظهر بعض ذلك من رسالة أرسلها له علي بن سويد والإمام في السجن، يسأله فيها عن حاله وعن مسائل كثيرة.. لكنّ الجواب احتبس أشهراً ثمّ جاء.. للإمام أن يُجيب، وله أن لا يجيب.. وإن أجاب فله أن يختار الوقت متى ما رأى في ذلك صلاحاً..

جاء في جواب الإمام عليه السلام: كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ أُمُورٍ كُنْتُ مِنْهَا فِي تَقِيَّةٍ، وَمِنْ كِتَابِنَا فِي سَعَةِ، فَلَمَّا انْقَضَى سُلْطَانُ الْجَبَابِرَةِ، وَجَاءَ سُلْطَانُ ذِي السُّلْطَانِ الْعَظِيمِ بِفِرَاقِ الدُّنْيَا الْمَذْمُومَةِ.. رَأَيْتُ أَنْ أُفَسِّرَ لَكَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ:

كلمات عظيمة من إمام عظيم.. لقد كان بيان الإمام وقت السؤال مخالفاً للتقية، وهو اليوم ليس كذلك.. وقد اقتربت ساعة الانتقال إلى الرفيق الأعلى، فأظهر الإمام ما لزم إظهاره.. لكن لأي سبب؟

مَخَافَةٌ أَنْ يَدْخُلَ الْحَيْرَةُ عَلَى ضُعْفَاءٍ شِيعَتِنَا مِنْ قِبَلِ جَهَالَتِهِمْ!

الحيرة أيها الأحبة والشك مصيبة عظيمة على الأديان.. والإمام عليه السلام يجهد في دفعها عن المؤمنين من سجنه.. وإنا لنعجب ممن يبذر بذور الشك بين المؤمنين اليوم وفي كل يوم وهو يحسب أنه يحسن صنعا! أهكذا يكون إيفاء حق الإمام؟! لقد نعى الإمام عليه السلام نفسه بعد هذه الكلمات، ثمّ أوصى بالأوصياء من آل محمد، ثمّ ذكر مسائل كثيرة، لكنّ أولها كان جملة عظيمة ترسم مسار المؤمن في أمور دينه، فبعد الأخذ عن آل محمد يقف المؤمن أمام عبارة الكاظم عليه السلام:

وَلَا تَلْتَمِسْ دِينَ مَنْ لَيْسَ مِنْ شِيعَتِكَ! وَلَا تُجِبَنَّ دِينَهُمْ! فَإِنَّهُمْ الْخَائِنُونَ

الَّذِينَ خَانُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ.. وَدُلُّوا عَلَى وُلاَةِ الْأَمْرِ مِنْهُمْ فَانصَرَفُوا عَنْهُمْ^(١).
 الله تعالى لا يقبلُ أيُّها الأُحِبَّةُ إِلَّا دِيناً خَالِصاً.. دِيناً صَافِياً مِنَ الْأَدْرَانِ..
 وليس دِينُ الْخَائِنِ إِلَّا قَذَارَةٌ وَخِيَانَةٌ وَكَدُورَةٌ.. فَالْحَذِرُ الْحَذِرُ عَلَى أَدْيَانِنَا مِنَ
 الْخَائِنِينَ.. وليس الرُّشِيدُ عَنْهُمْ بِبَعِيدٍ.. وهو الذي جاء يوماً إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ
 ﷺ وَخَاطَبَهُ قَائِلاً:

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرٍ قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْهِ!
 فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْذَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ فَأَخْبِسَهُ، لِأَنِّي قَدْ خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ بَيْنَ
 أَمَّتِكَ حَرْباً تُسْفِكُ فِيهَا دِمَاؤَهُمْ^(٢).

هكذا هي خيانهُ الله ورسوله.. يُسَجِّنُ الْإِمَامَ ثُمَّ يُسْفِكُ دَمَهُ ظُلماً وَعُدْوَاناً..
 والمبرِّر: الحفاظ على دماء الأُمَّة!

إِنَّ أُمَّةً رَضِيَتْ بِقَتْلِ إِمَامِهَا شَرِيكَةً فِي قَتْلِهِ!
 إِنَّ فِتْنَةً قَلِيلَةً أَحَبَّتْ الْإِمَامَ بِقُلُوبِهَا وَأَطَاعَتْهُ فِي قَعُودِهَا وَتَقِيَّتِهَا.. هِيَ الْفِتْنَةُ
 الَّتِي تُطِيعُ الْمُنْتَظَرَ ﷺ فِي قِيَامِهَا.

هي فِتْنَةٌ يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا.. وَيَحْشُرُهَا مَعَ مَنْ تَتَوَلَّى.
 نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنا مِنْ أَهْلِهَا.. وَيُثَبِّتَ أَقْدَامَنَا.
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٣).

(١) الكافي ج ٨ ص ١٢٥.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ ج ١ ص ٧٣.

(٣) الأربعاء ٢٤ رجب ١٤٤٤ هـ، الموافق ١٥ - ٢ - ٢٠٢٣.

٤٧. الكاظم.. إمامٌ ليس بينه وبين الله حجاب!

بسم الله الرحمن الرحيم

اخْتَارَ اللهُ تَعَالَى لِسَابِعِ الْأَئِمَّةِ، لِمُوسَى بْنِ جَعْفَرِ الْكَاطِمِ، خَيْرَ مَنْ بَرَأَ فِي خَلْقِهِ! أَمَّا مُصَفَّاءُ مِنَ الْأَدْنَسِ كَسَيِّكَةِ الذَّهَبِ! مَا زَالَتِ الْأَمْلاكُ تُحْرُسُهَا! حَتَّى أَدَّتْهَا إِلَى أَبِيهِ كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ لَهَا! ^(١).

وَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَطْنِهَا: سَقَطَ وَاضِعاً يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ رَافِعاً رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ! فَنَادَاهُ مَنَادٌ مِنْ قِبَلِ رَبِّ الْعِزَّةِ: أَنْتَ صَفْوَتِي مِنْ خَلْقِي، وَمَوْضِعُ سِرِّي، وَعَيْبَةُ عِلْمِي، وَأَمِينِي عَلَى وَحْيِي، وَخَلِيفَتِي فِي أَرْضِي! ^(٢).
ههنا معانٍ في غاية العظمة..

١. صفوة الله

إِنَّ: الصَّفْوَةَ نَقِيضَ الْكَدَرِ، وَصَفْوَةٌ كُلُّ شَيْءٍ خَالِصُهُ وَخَيْرُهُ ^(٣).
لَقَدْ اجْتَمَعَ فِي هَذِهِ الْأُسْرَةِ أُمُّ مُصَفَّاءُ مِنَ الْأَدْنَسِ.. وَأَبُّ طَاهِرٍ الْأَعْرَاقِ.. وَمَوْلُودُ خَالِصٍ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، فَهِيَ أُسْرَةٌ اسْتَخْلَصَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَاصْطَفَاهَا، وَجَعَلَهَا خَيْرَ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ، فَصَارَ الْإِمَامُ فِيهَا (صَفْوَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ).
لَقَدْ رَأَتْ أُمُّهُ أَنَّهَا: نَظَرَتْ إِلَى الْقَمَرِ وَقَعَتْ فِي حَبْرِهَا!.. فَمَا لَبِثَتْ أَنْ وَلَدَتْ:

(١) الكافي ج ١ ص ٤٧٧.

(٢) المحاسن ج ٢ ص ٣١٥.

(٣) العين ج ٧ ص ١٦٢.

مَوْلُودًا لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ! ^(١)، فأَيُّ معنى هو هذا؟!

إنَّ النصوص في احتجاب الله تعالى على طوائف، فمنها ما عن الرضا عليه السلام أنه تعالى: اِحتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مُحْجُوبٍ، وَاسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرٍ مَسْتُورٍ ^(٢). ومنها ما عن النبي صلَّى الله عليه وآله أَنَّ اللَّهَ: أَحَبُّ الْإِخْتِصَاصِ بِالتَّوْحِيدِ إِذِ اِحتَجَبَ بِنُورِهِ، وَسَمَّا فِي عُلُوِّهِ، وَاسْتَتَرَ عَنْ خَلْقِهِ ^(٣).

فهو تعالى قد اِحتَجَبَ عن الخلق، لكنَّ احتجابه كان بالنُّورِ المنسوب إليه، وهو (حجابٌ غير محجوب)، فهو في نفسه ظاهر، لكنه حاجِبٌ بين الله وخلقه. وليس نورُ الله تعالى إلا محمدٌ صلَّى الله عليه وآله!

وهكذا ورد عن الباقر عليه السلام: مُحَمَّدٌ حِجَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ^(٤).

فالْحِجَابُ بين الله وخلقه هو أَوَّلُ نورِ خلقه الله تعالى، هو الْحِجَابُ الذي يحتاجه كُلُّ أَحَدٍ للوصول إلى الله، ولا يحتاجُ هو أَحَدًا، فليس بينه وبين الله تعالى حِجَابٌ.. هكذا قد يُفهم الْحِجَابُ.. وهكذا الأئمة من ذرِّيَةِ صلَّى الله عليه وآله: فَأَوَّلَهُمْ محمد، وأوسطهم محمد، وآخرهم محمد صلَّى الله عليه وآله.

وهكذا صار الكاظم عليه السلام حِجَابَ اللَّهِ تعالى.. به يُعرَفُ الله، وبه يُوحَدُ الله.. وليس بينه وبين الله حِجَابٌ.. فلا يحتاجُ أَحَدًا.

(١) الأماي للطوسي ص ٧٢١.

(٢) الكافي ج ١ ص ١٠٥.

(٣) التوحيد ص ٤٥.

(٤) الكافي ج ١ ص ١٤٥.

نعم، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ: اخْتَجَبَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ^(١)، فلا تراه العيون.. ولكن: رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيْمَانِ^(٢).

فهو حال كونه محتجباً عن عبادہ.. ظاهرٌ لهم.. فليس احتجابه احتجاب غياب.. لذا يقول الصادق عليه السلام لابن ابي العوجاء: وَيْلَكَ، وَكَيْفَ اخْتَجَبَ عَنْكَ مَنْ أَرَاكَ قُدْرَتُهُ فِي نَفْسِكَ؟!^(٣).

هكذا تظهر قدرة الله تعالى في كلِّ مخلوقاته وآياته.. التي لم تكن ثم كانت.. والتي تتقلبُ أحوالها من حالٍ إلى حالٍ، فتكشف عن عظيم قدرة الله تعالى، وتُرشدُ إليه، وتدلُّ عليه.

ومن أعظم آياته مَنْ كان حجاباً له تعالى.. ذاك هو الكاظم عليه السلام، الذي دعا الله تعالى أن يفرَّغه لعبادته، ولما صار سجيناً حمداً لله على ذلك.. وكان من عبادته في سجنه أن لو سجد طال سجوده حتى يُظنَّ أنه ثوبٌ مطروح! ولقد كانت تطول سجدته من طلوع الشمس إلى الزوال! ومن صلاة العصر إلى المغرب! ففضى أيامه صائماً قائماً قارئاً للقرآن مجتهداً في عبادة ربه! وهو الذي أعطاه ربُّه ما أعطاه! هو الذي إذا دخل عليه أحدٌ لم يكن له همٌّ إلا النَّظرُ إليه (وإِلَى فَضْلِهِ وَسَمَّتِهِ)! فكان يسلب الألباب قبل الأبصار!

وهو الذي إذا أُدخِلَتْ عليه جاريةٌ في سجنه لأغراضٍ وأغراضٍ انقلبَ كيائها وتبدَّلَ حالها فصارت (تَرْتَعِدُ شَاخِصَةً نَحْوَ السَّمَاءِ بَصَرَهَا)، وصارت

(١) التوحيد ص ١٧٩.

(٢) الكافي ج ١ ص ٩٨.

(٣) الكافي ج ١ ص ٧٥.

طويلة السجود لربّها، كثيرة التسبيح بقولها: قُدُّوسٌ سُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ. حتى زَعَمَ القوم أن موسى بن جعفر قد سَحَرَهَا بسحره!
فما أعظم صفوة الله موسى بن جعفر!

٢. موضع سرّ الله

هو بعد ذلك موضع سرّ الله، وعيبة علمه، وأمينه على وحيه..
إنَّ السِّرَّ: (يجمع فروعه إخفاء الشيء، وما كان من خالصه ومستقرّه).
فكلُّ ما أخفاه الله تعالى عن عباده ظاهرٌ للإمام! وكلُّ ما أعلمه الله أحداً من خلقه معلومٌ للإمام! وكلُّ وحيٍّ مؤتمنٌّ عند الإمام!
لا عَجَبَ حينها أن يُحدِّثَ الناس بالمغيّبات! ولا عَجَبَ أن يطلعهم على ما فيه الصلاح من أمورٍ انقضت وأخرى يرتقبونها..
فهو الإمام الذي: لَا يَخْفَى عَلَيْهِ كَلَامُ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَا طَيْرٍ وَلَا بَهِيمَةٍ وَلَا شَيْءٍ فِيهِ رُوحٌ!

وَمَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الْمَثَابَةِ مِنَ الْعِلْمِ حَقٌّ أَنْ يُوْخَذَ عَنْهُ، وَأَنْ يُعْرَفَ مِنْهُ قَدْرُ الْعِلْمِ، وَأَنْ يُقْبَلَ قَوْلُهُ، وَلَقَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ضَرُورَةِ التَّفَقُّهِ فِي دِينِهِمْ، فَقَالَ: تَفَقَّهُوا فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ الْفَقْهَ مِفْتَاحُ الْبَصِيرَةِ، وَتِمَامُ الْعِبَادَةِ، وَالسَّبَبُ إِلَى الْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ، وَالرُّتَبِ الْجَلِيلَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفَضْلُ الْفَقِيهِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الشَّمْسِ عَلَى الْكَوَاكِبِ، وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي دِينِهِ لَمْ يَرْضَ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا^(١).

٣. خليفة الله

لما كان الإمام جامعاً لتلك الصفات وسواها، صار خليفةً لله في أرضه!
والأرض: إمّا هذه التي نحيا عليها، وإما عنوانٌ مُشيرٌ لعالم الإمكان بأسره!
وكيف كان.. فهو إمامُ الإنس والجان.. وكلّ مخلوقٍ من خلق الله..

فلا عَجَب أن يأمر أسد الله فيفترس عدو الله! ويخرّ أعداؤه مغشياً عليهم
وتطير عقولهم خوفاً! فلا يتخلف عن أمره شيء، حيثُ تستحيل بأمره صورةُ
الأسد أسداً كما استحالت عصا موسى حيّة!

وهو الذي إذا حرّك شفّتيه ونَحَسَ البقرة الميتة برجله: اسْتَوَتْ عَلَى الْأَرْضِ
قَائِمَةً! حتى لا يُدرى أهذا موسى الكاظم أم عيسى المسيح!

وهو الذي إذا هَدَرَ الحماة تحت سريره قال الذَّكْرُ منه للأنثى: يَا سَكْنِي
وَعَرِسِي، والله مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ مَا خَلَا هَذَا الْقَاعِدِ عَلَى
السَّرِيرِ!

ليس هذا الحماة بأكثر حباً للإمام من شيعته.. الذين يحزنون في أيام شهادته،
ويحيون ذكراه، وَيَرَوْنَ الْإِنْتِقَامَ مِنْ ظَالِمِيهِ وَقَاتِلِيهِ، وَأَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَمَنْ
أَسَسَ أَسَاسَ الظُّلْمِ، قَدَرًا مَقْدُورًا.. لا دافِعَ له ولا رافع.

ثمَّ يسألون الله تعالى أن يعظّم أجورهم بشهادته، وأن يعجّل فرج وليه.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الخميس ٢٥ رجب ١٤٤٤ هـ، الموافق ١٦ - ٢ - ٢٠٢٣ هـ.

٤٨. أعظمُ الجُود.. في ذكرى الجواد!

بسم الله الرحمن الرحيم

عاش الإمام الجواد عليه السلام في واحدٍ من أعقد الظروف السياسية والاجتماعية والدينية.

فقد نهض بأعباء الإمامة وهو ابن ثمان سنين.. فمَن يقبلُ من الناس اتِّباعَ إمامٍ ما بلغ من العُمر عقداً؟!

من يتَّبِع ابن ثمان سنين في ظلِّ الدولة العباسية.. مترامية الأطراف.. التي يحكُمها قاتلُ أبيه الرضا عليه السلام، الخليفة المأمون عليه لعائن الله؟!

وكما تظاهر قاتلُ أبيه عليه السلام بمحبَّته.. تظاهر المأمون بمحبَّة الإمام الجواد عليه السلام، بل عزَم على تزويجه ابنته أم الفضل!

فعندما تصيرُ توليةُ العهدِ مكيدةً من الخليفة.. ورفضها حُجَّةً لقتل الإمام.. ألا تكونُ المصاهرةُ مكيدةً أيضاً؟!

وكما اقتضت حكمة الإمام الرضا عليه السلام عدم رفض ولاية العهد، اقتضت حكمة الإمام الجواد عليه السلام الصمت عندما عرض عليه المأمون هذا الزَّواج.

زواجٌ أثار حفيظة البلاط العباسي وأركانهِ، الذين لا يعلمون ما يدور في خلد خليفَتهم من مؤامرات ودسائس، كشفت الأحداث اللاحقة عن كثيرٍ منها، عندما حاول المأمون إسقاط الإمام عليه السلام بكلِّ صورةٍ، مما يخطر ولا يخطر على بال، وظلَّت بعض خيوطها الأخرى خفيَّة حتى علِمت بكيفية شهادة الإمام عليه السلام.

في هذه الأجواء، وفي تلك الظروف المعقَّدة، كان الإمام جواداً، أي مُجيداً..

مِعْطَاءً.. فأصل (الجود) يُرَادُّ منه: (الجَيِّد: نقيض الرديء)^(١)، والجودُ هو: (التَسَمُّحُ بالشيء، وكَثْرَةُ العَطَاءِ)^(٢).

فإنَّ مَنْ جَادَ وأَجَادَ هو الذي أتى بِالْجَيِّدِ من القول والفعل، وهو المعطاء السخي، وهكذا كان الإمام عليه السلام، في أعلى مراتب الجود في أفعاله وأقواله وعطاءه.. فصار إماماً جواداً.. وكلُّ الأئمة كذلك.

لقد سُئِلَ الإمام الكاظم عليه السلام في الطواف عن الجواد، فبيَّن أَنَّهُ تَارَةً يُطْلَقُ على الخالق تعالى: فَهُوَ الْجَوَادُ إِنْ أُعْطِيَ، وَهُوَ الْجَوَادُ إِنْ مَنَعَ، لِأَنَّهُ إِنْ أَعْطَاكَ أَعْطَاكَ مَا لَيْسَ لَكَ، وَإِنْ مَنَعَكَ مَنَعَكَ مَا لَيْسَ لَكَ.

وتارةً يُطْلَقُ على المخلوق: فَإِنَّ الْجَوَادَ الَّذِي يُؤَدِّي مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٣).
لقد أَكَّدَت الروايات على أَنَّ السخيَّ هو الذي يبذل الحقَّ الذي أوجبه الله عليه، فيضعه في موضعه.

وتكثر مدحُ الجواد المعطاء السخيَّ، الذي يبذل المال، ويطعم الطعام، ذي الكفِّ المبسوط، الموسع على عياله وأهله وأقربائه وسائر المؤمنين.

إنَّ هذا السخيَّ الجواد يصيرُ قريباً من الله تعالى، ففي الحديث: السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ! وفي الحديث: السَّخَاءُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، مَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ!^(٤).

(١) لسان العرب ج ٣ ص ١٣٥.

(٢) معجم مقائيس اللغة ج ١ ص ٤٩٣.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٣٩.

(٤) الكافي ج ٤ ص ٤١.

وإذا كان الجود في اللغة (التَّسَمُّحُ بالشيء)، فَإِنَّ السَّحَاةَ عند أمير المؤمنين عليه السلام هي: الْبَذْلُ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ^(١).

الإمام عليه السلام أقرب الناس إلى الله تعالى، وهو بنفسه بابُ الجنة، وهو إمام الجود والعطاء والسَّحَاة.

فكان معطاءً في اليُسْرِ والعُسْرِ.. كما كان الأئمة الأطهارُ جميعاً.

ولمَّا كان الجودُ جودَ الفعل وجودَ القول.. جودَ العطاء بالمال.. وبالعلم..

ولمَّا كان في الثاني حياة الأرواح.. والأديان.

صار الجواد بعلمه أعظم من الجواد بماله!

ولقد بيَّن ذلك الإمامُ الجواد بأجلى بيانٍ.. حين قال عليه السلام:

مَنْ تَكَفَّلَ بِأَيْتَامِ آلِ مُحَمَّدٍ:

١. الْمُنْقَطِعِينَ عَنْ إِمَامِهِمْ.

٢. الْمُتَحَيِّرِينَ فِي جَهْلِهِمْ.

٣. الْأَسَارَى فِي أَيْدِي شَيَاطِينِهِمْ وَفِي أَيْدِي النَّوَاصِبِ مِنْ أَعْدَائِنَا.

هذه أوصافُ أيتام آل محمد عليه السلام، فهم المؤمنون المنقطعون عن إمامهم.. وكُلُّنا منقطعون عن إمامنا، لا نعرف مكانه، وليس لنا إلى لُقياه من سبيل.

نأملُ لقاءه، والتشرفُ بطلعته البهية، والاستغناء به عمَّن سواه، فهو عين

ماء الحياة.

إِنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْإِيْتَامِ الْمُنْقَطِعِينَ مَنْ أَحْكَمَ أَصُولَ دِينِهِ.. لَكِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَحَيَّرَ لَجَهْلِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ التَّعَلُّمَ.. لَكِنَّ الدُّنْيَا أَخَذَتْهُ عَنْ ذَلِكَ.. فَتَحَيَّرَ وَصَارَ أَسِيرًا عِنْدَ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، أَعْدَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ تَكَفَّلَ بِهِ.

إِنَّ كِفَالَةَ الْفَقِيرِ تَكُونُ بِتَأْمِينِ حَاجَتِهِ مِنَ الْمَالِ وَالطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ وَالِدَوَاءِ وَغَيْرِهَا.. لَكِنَّ كِفَالَةَ الْأَسِيرِ فِي أَيْدِي الشَّيَاطِينِ تَكُونُ عَلَى نَحْوِ آخَرٍ.. فَمَنْ تَكَفَّلَ بِهِؤُلَاءِ الْأَسَارَى:

١. فَاسْتَنْقَذَهُمْ مِنْهُمْ.

٢. وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ حَيْرَتِهِمْ.

٣. وَقَهَرَ الشَّيَاطِينَ بِرَدِّ وَسَائِسِهِمْ.

٤. وَقَهَرَ النَّاصِبِينَ بِحُجَجِ رَبِّهِمْ، وَدَلَائِلِ أَيْمَتِهِمْ، لِيَحْفَظُوا عَهْدَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ بِأَفْضَلِ الْمَوَاقِعِ.

هذه هي حقيقة الكفالة في الحرب الطاحنة مع أعدى أعدائنا، إبليس ومردته.

حقيقة الكفالة بقهر هؤلاء النواصب الخبيثاء، واستنقاذ المؤمنين وإخراجهم من أسر الجهل والشياطين.. ووضع الموانع أمام الشياطين ليعجزوا عن إضلال المؤمنين، ويثبت المؤمنون على عهد الله تعالى.

فَمَنْ تَكَفَّلَ بِهِؤُلَاءِ الْأَسَارَى.. وَأَنْقَذَهُمْ، كَانَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ:

١. بِأَكْثَرِ مِنْ فَضْلِ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ!

٢. وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْحُجُبِ عَلَى السَّمَاءِ.
٣. وَفَضْلُهُمْ عَلَى الْعِبَادِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى أَخْفَى كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ^(١).

هذا شيءٌ من فضل علماء آل محمد ﷺ، في زمن الغيبة وفي كل آن.
 أين الأرض من السماء.. وأين أخفى الكواكب من القمر ليلة البدر؟!
 هكذا يكون الجود.. على لسان الجواد ﷺ.
 إِنَّ علوم آل محمد ﷺ هي أعظم ما يعطيه الله لعبده في الدنيا.. كما يقول
 الجواد ﷺ.

يقول ﷺ في حديث آخر: إِنَّ حُجَجَ اللَّهِ عَلَى دِينِهِ أَعْظَمُ سُلْطَانًا يُسَلِّطُ اللَّهُ
 بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، فَمَنْ وَفَّرَ مِنْهَا حَظَّهُ، فَلَا يَرَيْنَ أَنَّ مَنْ مَنَعَهُ ذَلِكَ [قَدْ فَضَّلَهُ عَلَيْهِ،
 وَلَوْ جَعَلَهُ فِي الذُّرَّةِ الْعُلْيَا مِنَ الشَّرَفِ وَالْمَالِ وَالْجَمَالِ، فَإِنَّهُ إِنْ رَأَى ذَلِكَ] كَانَ قَدْ
 حَقَّرَ عَظِيمَ نِعَمِ اللَّهِ لَدَيْهِ.

إِنَّ بلوغ الذروة العليا من الشرف والمال والجمال، ثمَّ الجود بكلِّ ذلك لوجه
 الله تعالى، لا يُساوي في الفضل عند الله تعالى دفع أعداء آل محمد ﷺ عن
 شيعتهم.. ببث العلم ونشره، وتعليم المؤمنين، وإنقاذ ضعفائهم، ومعونتهم.
 يقول الجواد ﷺ:

وَإِنَّ عَدُوًّا مِنْ أَعْدَائِنَا النَّوَاصِبِ يَدْفَعُهُ بِمَا تَعَلَّمَهُ مِنْ عُلُومِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ،

لَأَفْضَلُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَالٍ لِمَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ، وَلَوْ تَصَدَّقَ بِأَلْفِ ضِعْفِهِ^(١).

إنَّ كُلَّ جَوْدٍ يَصْغُرُ أَمَامَ الْجُودِ بِعِلْمِ آلِ مُحَمَّدٍ.. التي يُسْتَنْقَذُ بِهَا الْعِبَادُ مِنَ الْحَيْرَةِ وَالضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ.

ولكنَّ الجوادَ بِمَالِهِ وَعِلْمِهِ، إِنْ كَانَ عَاقِلًا.. عَلِمَ أَنَّهُ أَحْوَجُ إِلَى اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ!

فَتَوَاضَعَ مَعَهُمْ، وَأَمَامَهُمْ، وَجَانَبَ التَّكَبُّرَ، وَلَمْ يَطْلُبْ مِنْهُمْ شُكْرًا، وَلَا أَرَادَ مِنْهُمْ بَدَلًا.. فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُحَسِّنُ لِنَفْسِهِ، كَمَا عَلَّمَهُ إِمَامُ الْجُودِ.. الْجَوَادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَعَنَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَهْلُ الْمَعْرُوفِ إِلَى اصْطِنَاعِهِ أَحْوَجُ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ! أَيْ أَنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ، كُلُّ مَعْرُوفٍ، بِمَا فِيهِ الْجُودُ بِالْمَالِ وَالْعِلْمِ.. أَهْلُ الْمَعْرُوفِ هُمْ أَكْثَرُ حَاجَةٍ لِلْمَعْرُوفِ مِنَ الْمُحْتَاجِينَ وَالْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الْجَهْلِ! كَيْفَ ذَلِكَ؟

يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَإِنَّ لَهُمْ أَجْرَهُ وَفَخْرَهُ وَذِكْرَهُ: فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرُوفِ كَانَ الْأَجْرُ لَهُ، وَالْفَخْرُ لَهُ، وَحُسْنُ الذِّكْرِ لَهُ.. فَلَمَّا إِذَا يَنْتَظَرُ مُقَابَلًا وَبَدَلًا مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَهُ.. فَإِنَّهُ يَطْلُبُ الْأَجْرَ مِنْهُ تَعَالَى لَا مِنَ النَّاسِ.

قَالَ الْجَوَادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فَمَهْمَا اصْطَنَعَ الرَّجُلُ مِنْ مَعْرُوفٍ فَإِنَّمَا يَبْدَأُ فِيهِ بِنَفْسِهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّ شُكْرَ مَا

(١) تفسير الإمام العسكري ص ٣٥١.

صَنَعَ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِهِ! ^(١).

هذا مِنْ جُودِ الْجَوَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلومه.. وما أعظمه من معنى.

الشُّكْرُ واجبٌ.. فينبغي على المتلقي أن يشكر المعطي.

لكنَّ المعطي ليس له أن يطلب شكراً.. فإنه قد أحسن لنفسه، قبل أن يُحسن
لغيره.. وليس له أن يتكبر على عباد الله، وأن يستذلهم.

هذا بعضٌ من جود الإمام، الذي أجاد في قوله وفعله.. جُوداً نَحْنُ حَوْلَهُ
لنتعلَّم منه بقدرنا.. لا بقدره..

فهو الإمام الذي.. ضَلَّتِ الْعُقُولُ، وَتَاهَتِ الْحُلُومُ، وَحَارَتِ الْأَلْبَابُ..
وَعَيَّتِ الْبُلْغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ، أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ.
ذاك الجواد.. إمام الجود والعطاء.

فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم استشهد مسموماً، ويوم يبعث حياً.
والحمد لله رب العالمين ^(٢).

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٣٤٧.

(٢) الإثنين ٣٠ ذو القعدة ١٤٤٤ للهجرة، الموافق ١٩-٦-٢٠٢٣.

الفصل الرابع: أعياد الولاية.. ومناسكها

٤٩. عيد الغدير.. قمر بين الأعياد!

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد مَيَّزَ الله تعالى بين مخلوقاته، وفاضل بين أصنافها وأفرادها، ففَضَّلَ الأنبياء على مَنْ دُونَهُمْ، والأَتْقياء على مَنْ عداهم، وشَرَّفَ بعض الأماكن ورفع قدرها، فجعل مكةَ حَجَّةَ وقلة للمسلمين، والعتبات المقدسة مزاراً وملاذاً للمؤمنين، ثم فَضَّلَ بعض الأيام والليالي، فجعل ليلة القدر خيراً من ألف شهر، وجعل ليوم الغدير فضلاً يليق بشأن صاحبه، ذاك أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام.

ففي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ زُفَّتْ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ إِلَى اللَّهِ كَمَا تُزْفُ الْعُرُوسُ إِلَى خُدْرِهَا: يَوْمُ الْأَضْحَى وَيَوْمُ الْفِطْرِ وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ وَيَوْمُ الْغَدِيرِ!

هي أعظم أيامٍ يَخْصُّها الله تعالى بهذه الخُصِيصة، ففي الحديث تصويرٌ لطيف، رغم أن اليومَ ليس فتاةً حسناء، والله تعالى لا يحلُّ في مكانٍ كي تُزَفَّ إليه. ومهما تَكُنْ كَيْفِيَّةُ هذه (الزَّفة) في يومٍ يحوي ما لم يخطر على قلب بشر، فإنَّ اللافِت هو قولُ الإمام عليه السلام:

وَإِنَّ يَوْمَ الْغَدِيرِ بَيْنَ الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ وَالْجُمُعَةِ كَالْقَمَرِ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ^(١).

لقد طغى نورُ الغديرِ على ما سواه كطغيان نور القمر بين الكواكب، ونوره

(١) إقبال الأعمال ج ١ ص ٤٦٤.

عند ظهوره ليلاً يكون أعظم الأنوار.

وهكذا يقتبس الغدير عظمته من الولاية التي لم ينادَ في الإسلام بشيء كما نودي بها.

ولقد تكثرت سماتُ هذا اليوم وصفاته وخصائصه حتى فاقت الإحصاء، وقد كان من أبرزها أنه يومُ كمال الدين، وقبول أعمال المؤمنين دون سواهم، ولقد كان من خصائصه أنه:

١. يومُ مرْغَمَةِ الشَّيْطَانِ!

لقد وصفَ أميرُ المؤمنين عليه السلام يومَ الغدير بأنه: يَوْمُ دَحْرِ الشَّيْطَانِ^(١).

ووصفه الإمام الرضا عليه السلام بأنه: يَوْمُ مَرْغَمَةِ الشَّيْطَانِ^(٢).

يدلُّ هذان الحديثان على أنَّ الشيطان صارَ ذليلاً يومَ الغدير، وأنَّ باب هزيمته أمام بني آدم قد فُتِحَ على مصراعيه، وأنَّه أبعدُ مكرهاً عن تَسَيُّدِ هذه الأمة بعد إغوائها، وأنَّ الغدير هو يوم طرده وتنحيته عما أرادَهُ بالأمة من ضلالٍ وإغواء.

لقد بلغت عظمَةُ البلاغ في يوم الغدير أن نزلت آية: ﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾!

(١) مصباح التهجد ج ٢ ص ٧٥٦.

(٢) إقبال الأعمال ج ١ ص ٤٦٤.

ولكن: يَنْسُ الكَفْرَةَ وَطَمَعَ الظَّلَمَةَ! ^(١).

إبليسُ كانَ مَنَّ حَلَّتْ بِهِمْ كَارِثَةٌ، فَصَرَخَ صَرَخَةً لَمْ يَسْمَعْ الْأَبَالِسَةُ صَرَخَةً أَوْحَشَ مِنْهَا! لَقَدْ كَانَ إِبْلِيسُ مُعَاصِراً لِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَرَافِقَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ كُلِّهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَرِ فِعْلاً أَعْظَمَ مِمَّا جَرَى فِي الْغَدِيرِ، فَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ وَلَايَةَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ هِيَ بَابُ الْهُدَايَةِ الْأَعْظَمِ، حَتَّى قَالَ لِأَبَالِيسَتِهِ:

فَعَلَ هَذَا النَّبِيُّ فِعْلاً إِنْ تَمَّ لَمْ يُعْصِ اللَّهَ أَبَداً! ^(٢).

لَا تَزَالُ صَرَخَةُ إِبْلِيسَ تَلِكُ تَرْنٌ فِي أُذُنِ وَقَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَإِنْ لَمْ يُشَاهِدِ تِلْكَ الْوَاقِعَةَ بِأَمِّ عَيْنِهِ، بَلْ رَأَاهَا بِعَيْنِ قَلْبِهِ وَبَصِيرَتِهِ.

الْمُؤْمِنُ يَعْلَمُ أَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَهُ، وَقَدْ اتَّخَذَهُ عَدُوًّا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْعَاقِلُ لَا يَنْسَى مَا يُفْرِحُ عَدُوُّهُ، وَلَا مَا يُسِيئُهُ، وَمَا مِنْ حَدَثٍ سَاءَ يَوْمًا كَالْغَدِيرِ، وَبِيعَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لِذَا عَرَفَ الْمُؤْمِنُ أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ سَلَاخُ فَتَاكٍ فِي وَجْهِ إِبْلِيسَ، وَلَقَدْ كَانَ لَهُ رَنَّةٌ يَوْمَ نُصِبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا يَزَالُ يَسْتَشْعِرُ الذَّلَّ وَيُرْغَمُ أَنْفُهُ كُلَّمَا نَظَرَ إِلَى مُؤْمِنٍ مُوَالٍ يَتَّبِعُ عَلِيًّا وَيَطِيعُ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيهِ.

لَقَدْ أَسْقَطَ فِي يَدِ إِبْلِيسَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ، فَكَانَ يَوْمَ دَحْرِهِ، حَتَّى جَاءَهُ مِنَ الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ، بَلِ الشُّرَكَاءُ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى مَا عَجَزَ عَنْهُ، ذَاكَ حِينَ قَالَ الْمُنَافِقُونَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: (إِنَّهُ يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)!! وَوَصَفُوهُ بِالْجُنُونِ!

(١) إقبال الأعمال ج ١ ص ٤٥٨.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٣٤٤.

حينها: صَرَخَ إِبْلِيسُ صَرْخَةً بِطَرَبٍ، فَجَمَعَ أَوْلِيَاءَهُ فَقَالَ: .. هَؤُلَاءِ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَكَفَرُوا بِالرَّسُولِ!

انْتَعَشَتِ آمَالُ إِبْلِيسَ بِفَعْلِ هَؤُلَاءِ، وَلَعَلَّ فِعْلَهُمْ يَمْنَعُ الْأُمَّةَ مِنَ التَّمَسُّكِ بَعَلِيٍّ فَتَعُودَ الْأُمَّةَ إِلَى ضَلَالِهَا، وَهَكَذَا كَانَ!

نَحَى النَّاسَ عَلِيًّا عَنْ مَكَانٍ وَضَعَهُ اللَّهُ فِيهِ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ: لَبَسَ إِبْلِيسُ تَاجَ الْمُلْكِ! .. وَجَمَعَ حَيْلَهُ وَرَجَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:

اطْرَبُوا، لَا يُطَاعُ اللَّهُ حَتَّى يَقُومَ الْإِمَامُ! ^(١).

لَقَدْ تَغَيَّرَتِ الْمَعَادِلَةُ بِفَعْلِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، فَأَعَانَ هَؤُلَاءِ شَيْطَانُ الْجَنِّ بَعْدَمَا كَادَ الْيَأْسُ يُصِيبُهُمْ، وَتَفَوَّقُوا عَلَيْهِمْ فِيمَا عَجَزُوا عَنْهُ.

وَلَا يَزَالُ إِبْلِيسُ مِنْذُ مِائَتِ السِّنِينَ فَرِحًا، لَا يَؤُرِّقُهُ إِلَّا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثَبَتَتْ عَلَى وِلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لَقَدْ رَوَى عَنْ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهُ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَمَّا يَسَسَ مِنْكُمْ أَنْ تَطِيعُوهُ فِي خَلْعٍ وَلَا يَتِينَا.. أَغْرَى النَّاسَ بِكُمْ حَسَدًا لَكُمْ عَلَيْهَا ^(٢).

لِهَذَا يَتَكَاتَفُ أُمَّةُ الْجَوْرِ، بِتَحْرِيزٍ مِنْ إِبْلِيسَ، وَيَسْعُونَ لِأَذْيَةِ الْمُؤْمِنِ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِ، وَلَقَدْ أَطَاعَهُ الْحُكَّامُ وَالسَّلَاطِينُ فِي ذَلِكَ، بَعْدَمَا لَبَسَ تَاجَ الْمُلْكِ، وَهَذِهِ مَمَالِكُهُ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا: اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ،

(١) الكافي ج ٨ ص ٣٤٤.

(٢) دعائم الإسلام ج ١ ص ٤٧.

فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا؟^(١).

المؤمن لا ينسى عدوّه، ويعلم أنّه يألم مثله، لكنّ المؤمن يألم من متاعب الدُّنيا فيصبر عليها ثم يُوفى أجره بغير حساب، والمخالف وسيّد الشيطان يألم لثبات المؤمن على ولاية عليٍّ عليه السلام، وفي عيد الولاية هذا يُثبّت المؤمن ولاءه ويجدّده ويرسّخه، ويزرعه في أبنائه كي يكونوا أنصاراً للحجّة عند ظهوره، ذاك اليوم الذي يُطاع الله فيه بعد السقيفة حقاً.

٢. يوم البرهان

لقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام الغدير بأنّه: يَوْمُ الْبُرْهَانِ^(٢).

ففيه: وَضَحَتِ الْحُجَجُ! وهكذا أعطى الله تعالى المؤمنين بُرْهَانًا بَاهِرًا نِيرًا عظيمًا، تقرُّ به عيونهم، ويثلج به قُؤادهم.

ولقد استغنى المؤمنون عن بيان عظّمته وقوّته، حين فضّح الله المخالفين لهم في ذلك، فها هو أبو حنيفة النُّعْمَانُ يُصرِّحُ عندما يسمع ذكر أمير المؤمنين عليه السلام فيقول: قَدْ قُلْتُ لِأَصْحَابِنَا: لَا تُقِرُّوْا لَهُمْ بِحَدِيثِ غَدِيرِ حُمٍّ فَيَخْصِمُوْكُمْ!

تعجّب السامعون لكلامه، فحديثُ الغدير أعظمُّ بُرْهَانًا مِنْ أَنْ يُنْكَرَ، وأوضح مِنْ أَنْ يُجْحَدَ، فسألوه إن كان هذا الحديث عنده حقاً أم لا؟

فقال: بَلَى هُوَ عِنْدِي، وَقَدْ رَوَيْتُهُ!^(٣).

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٢٩.

(٢) مصباح التهجد ج ٢ ص ٧٥٦.

(٣) الأُمالي للمفيد ص ٢٦.

وهكذا صارَ الغديرُ حديثاً يُسْتَيْقَنُ بهِ ثُمَّ يُجَحِّدُ ظُلماً وحسداً!
فللهِ دَرُّهُ مِنْ بُرْهَانٍ مَا أعظمه، وحديثٍ مَا أمتنه، وبَابٍ لِلْحَقِّ لَا يُهْزَمُ.

٣. عيدُ الأنبياء والمؤمنين

ولقد صارَ الغديرُ: يَوْمَ عِيدِ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ!
من بعد أن كان عيداً يتعبدُ بهِ الأنبياء، وكانوا: يُوصُونَ أَوْصِيَاءَهُمْ بِذَلِكَ
فَيَتَّخِذُونَهُ عِيداً^(١).

إنَّه أعظمُ الأعياد وأشرفُها، فلا ينبغي لمثل هذا العيد أن يبقى حِبراً على
وَرَقٍ، أو عقيدةً لا تظهرُ في المجتمع المؤمن، لذا وردَ الحُثُّ على اتخاذه عيداً والتعبدُ
فيه، ليتحوَّلَ إلى أعظم مظهرٍ اجتماعيٍّ يُرَسِّخُ الولايةَ الحقة، ويعطي المؤمن قوَّةً
وعزيمةً وثباتاً، ويشبُّ عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير.

لقد حثَّت الشريعة على إبراز مظاهر العيد فيه، وإظهار البشر والسرور
والتبسم في وجوه المؤمنين، وجعلت في التزاور فيه بشارَةً بالجنة، ونوراً في القبر،
وأمرت بالتوسعة على العيال والنفس والإخوان، وبالتهادي والبذل، وجعلت
لذلك ثواباً (عَلَى أَضْعَافِ الْأَعْيَادِ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ)، وجعلت الدرهم فيه بمائة ألف
درهم، وجعلت لإطعام المؤمن ثواب إطعام جميع الأنبياء والصديقين.

وهكذا يشعرُ المؤمنُ في الغدير ببعض صفات إمامه، فالإمام هو:
الْأَيُّسُ الرَّفِيقُ، وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ، وَالْأَخُ الشَّقِيقُ، وَالْأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ،

وَمَفْرَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ النَّادِ! ^(١).

لقد أنارَ الله قلوب المؤمنين بالإمام، وبه طَهَّرَ قلوبهم، فشعروا بشفقته وبرّه وعطفه، وتيقَّنوا أن لا مفرع لهم في ما ينزل بهم إلا الإمام المعصوم، باب الله تعالى. ونحنُ اليوم في عيد الإمامة، عيد الغدير.. نتوجهُ إلى إمامنا المنتظر. نحارُّ بأيِّ لسانٍ نخاطبه ﷺ، وكيف نفرع إليه، وقد غمرتنا الذنوب، ولفحتنا الآثام، وسودت وجوهنا المعاصي!

بأيِّ قلب مملوءٍ بحبِّ الدنيا نتوجه إليه وإلى الله به؟
إنَّ ما يشفع لنا هو حبُّ الإمام لشيعته وشفقته بهم، وأنَّ اليوم هو يوم العودِ إلى الله ونبيه ووليه، فالغدير: يَوْمُ تَرَكِ الْكِبَائِرِ وَالذُّنُوبِ.
نتوكل على الله تعالى في هذا العيد العظيم، ونعودُ إليه، لينقذنا ببركة الإمام في يومه، يوم الجود والعطاء.

الْيَوْمُ الَّذِي يُجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ سَعْيَ الشَّيْعَةِ مَشْكُورًا، وَذَنْبُهُمْ مَغْفُورًا، وَعَمَلُهُمْ مَقْبُولًا.

اللهم اجعلنا ممن قَبِلَتْهُ عَلَى مَا فِيهِ، وَأَصْلَحَتْ شَأْنُهُ، وَحَشَرَتْهُ مَعَ إِمَامِهِ، بِحَقِّهِ وَفِي عِيدِهِ.

أَسْعِدِ اللَّهُ أَيَّامَنَا وَأَيَّامَكُمْ. وَكُلَّ عَامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ ^(٢).

(١) الكافي ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) عيد الغدير.. الإثنين ١٨ ذو الحجة ١٤٤٣ هـ الموافق ١٨ - ٧ - ٢٠٢٢ م.

٥٠. الْجُمُعَةُ.. عيد الولاية المظلوم!

بسم الله الرحمن الرحيم

أيامٌ ثلاثةٌ اشترك فيها (المسلمون)، جعلها الله لهم عيداً: الفطر والأضحى والجمعة.

وعيدان آخران انفرد بهما (المؤمنون): عيد الغدير وهو (أَعْظَمُهَا وَأَشْرَفُهَا)، وعيد الغدير الثاني يوم فرحة الزهراء، وهو (يَوْمُ فَرَحِ الشَّيْعَةِ).
ولئن ساء أن يوصف هذان العيدان بأتهما (عيدا الولاية) أو (عيدا الولاية والبراءة) فقد حق أن يكون عيد الجمعة ثالثهما!

فقد روى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي الشريف عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: قَالَ لَهُ رَجُلٌ: كَيْفَ سُمِّيَتْ الْجُمُعَةُ؟

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمَعَ فِيهَا خَلْقَهُ لَوَلَايَةِ مُحَمَّدٍ وَوَصِيَّهِ فِي الْمِيثَاقِ، فَسَمَّاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِجَمْعِهِ فِيهِ خَلْقَهُ^(١).

وإذا كان الله تعالى قد اختار هذا اليوم من بين سائر الأيام كما في الحديث: إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَيْئاً فَاخْتَارَ مِنَ الْإَيَّامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ^(٢).

فلا عَجَبَ أن يكون قد اختاره لأجل ولاية محمد ووصيه عليه السلام، أو (ولاية محمد وأهل بيته).. وهل من أمرٍ أعظم من أمر الإمامة والولاية؟!

(١) الكافي ج ٣ ص ٤١٥، وقريب منه ما رواه الشيخ الطوسي في الأمالي ص ٦٨٨.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٤١٣.

لَا عَجَبَ حِينَهَا أَنْ تَكُونَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ: غَرَاءَ، وَيَوْمُهَا يَوْمٌ زَاهِرٌ.. كَمَا عَنْ
الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.. وَهَلْ أَزْهَرَتِ الدُّنْيَا بِغَيْرِ أَنْوَارِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ؟!
حَقٌّ حِينَهَا أَنْ يَكُونَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ: عِيدُ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْفِطْرِ
وَالْأَضْحَى! (١).

عِيدٌ أَفْضَلُ مِنَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، لَكِنَّهُ صَارَ مَظْلُومًا كَسَادَاتِ الْوُجُودِ،
سُمِّيَ بِالْجُمُعَةِ لِأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ الْخَلْقَ فِيهِ لَوْلَايَتِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ صَارَ مَجْهُولَ الْقَدْرِ
كَحَالِهِمْ!

يَحْتَفِلُ الْمُسْلِمُونَ بِعِيدِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ، وَقَدْ يَسْتَذْكُرُونَ بَعْضًا مِنْ فَضْلِ
يَوْمِ الْجُمُعَةِ، لَكِنَّهُمْ لَا يَجْعَلُونَهُ عِيدًا كَسَائِرِ الْأَعْيَادِ، وَكَأَنَّهُمْ يَتَنَاسَوْنَ حَقِيقَةَ
فَضْلِهِ، وَيَغِيبُ عَنْهُمْ مَا خَصَّه اللَّهُ بِهِ، مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ الْخَاتَمَ ﷺ قَدْ قَالَ فِيهِ: إِنَّ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ (٢).

هَكَذَا هِيَ ظِلَامَةُ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ..

ظَلِمُوا فِي حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ مَوْتِهِمْ.. فِي أَعْيَادِهِمْ وَأَحْزَانِهِمْ.

فَجَلَّ مِنْ أَهْتَمَّ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَسِي عَتَرَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِيهِ!
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ، أَنْتَ أَوَّلُ مَظْلُومٍ، وَأَوَّلُ مَنْ غُصِبَ حَقُّهُ، صَبَرْتَ
وَاحْتَسَبْتَ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ..

هِيَ فَقَرَاتٌ مِنْ زِيَارَةِ الْمَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي غُيِبَ قَدْرُهُ وَاسْتُخْفَ

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٩٤.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٤١٤.

بِكُلِّ مَا لَهُ صَلَةٌ بِهِ، حَتَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

وَكَانَ حَرِيًّا أَنْ يَكُونَ: عِيدُ الْوَلَايَةِ الثَّالِثُ.. عِيدُ جَمْعِ النَّاسِ فِي الْمِثَاقِ
لَوْلَايَتِهِمْ.

لَقَدْ وَرَدَتْ أَعْمَالُ كَثِيرَةٍ عَظِيمَةِ الشَّأْنِ جَزِيلَةُ الثَّوَابِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ.
وَمِنْ ذَلِكَ مُسْتَحَبَّاتٌ فِي الْبَدَنِ: كَاسْتِحْبَابِ الْغُسْلِ فِيهِ، وَالتَّزْيِينِ وَالتَّطْيِيبِ
وَلِبْسِ أَنْظَفِ الثِّيَابِ، وَتَسْرِيحِ اللَّحْيَةِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ.
وَمُسْتَحَبَّاتٌ مَعَ الْأَهْلِ: كِإِطْرَافِهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْفَاكِهِةِ وَاللَّحْمِ كِي يَفْرَحُوا
بِالْجُمُعَةِ.. وَغَيْرَهَا مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ.

لَكِنَّ الَّذِي يَنَاسِبُ كَوْنَهُ سَيِّدَ الْأَيَّامِ، وَكَوْنَهُ يَوْمًا يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْخَلْقَ عَلَى
وَلَايَتِهِمْ، أَنْ يَكُونَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِيهِ مُرْتَبَطًا بِهِمْ.

فَمَا أَهَمُّ عِبَادَةٍ وَعَمَلٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَا تَرَى؟

لَقَدْ رَوَى عَنْ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهُ: مَا مِنْ شَيْءٍ يُعْبَدُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ
مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ^(١).

وَعَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهُ: مَا مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ^(٢).

هَهُنَا خَصَّكُمْ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَوَالُونَ لِآلِ مُحَمَّدٍ بِأَنْ أَرْشِدَكُمْ لْخَيْرِ الْأَعْمَالِ فِي سَيِّدِ
الْأَيَّامِ، حَيْثُ تَنْزَلُ: مَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَعَهَا أَقْلَامُ الذَّهَبِ وَصُحُفُ الْفِضَّةِ، لَا

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٢٩.

(٢) الخصال ج ٢ ص ٣٩٤.

يَكْتُبُونَ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ^(١).

أنزل الله تعالى ملائكة يكتبون صلواتكم أيها الشيعة بأقلام الذهب.. ليس لهم عمل سوى كتابة ذلك تمهيداً للثواب العظيم!

وقد وعد رسول الله ﷺ بقضاء حوائجكم، في الدنيا والآخرة، فعنه ﷺ: مَنْ صَلَّى عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِائَةَ صَلَاةٍ قَضَى اللَّهُ لَهُ سِتِّينَ حَاجَةً: ثَلَاثُونَ لِلدُّنْيَا، وَثَلَاثُونَ لِلْآخِرَةِ^(٢).

لا تقبل الصلاة عليه ﷺ إن لم يقترن الآل بها، ومن لم يواهم كان محروماً من كل ذلك الفضل، بل كان محروماً مما هو أعظم من ذلك.

لقد روي عن الصادق عليه السلام قوله: وإن المصلي على النبي وآله في ليلة الجمعة يزهر نوره في السماوات إلى يوم الساعة^(٣).

اكتسب المؤمن نوراً من صلاته على الأنوار المعصومين، فصار نوره يزهر في السماوات، ليس يوم الجمعة فحسب، بل إلى يوم الساعة!

هو عالم غريبٌ عنا لا نعرف عنه شيئاً، سوى ما نقله لنا الأطهار، وكلامهم حقٌّ ونورٌ.

أيُّ منزلةٍ أعطاه الله تعالى لمحمد وآله عليه السلام، حينما جعل لمن صلى عليهم

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٤٢٤ عن الصادق عليه السلام.

(٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص ١٥٦.

(٣) المقنعة ص ١٥٦.

من أهل الإيمان نوراً يزهر في السماوات؟!
 طبتم وطاب محبكم يا سادتي، وفزتم وفاز مُتَّبِعُكُمْ والمصلي عليكم.
 وكيف لا يفوز وقد روي عن الصادق في حق المصلي عليكم ليلة الجمعة:
 وإن ملائكة الله عز وجل في السماوات ليستغفرون له، ويستغفر له الملك الموكل
 بقبر رسول الله ﷺ إلى أن تقوم الساعة.
 السلام عليكم يا آل بيت رسول الله.
 من اتَّبِعَكُمْ فالجنة مأواه.. ومن خالفكم فالنار مثواه.
 اللهم ثبِّتنا على ولايتهم في خير أيامك وفي كلِّ يوم.
 واجعلنا ممن عرفَ حقَّ هذا اليوم.. يوم خروج وليك القائم.. ويوم قيام
 الساعة.. إنك سميع مجيب.
 والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الجمعة ١٨ ربيع الثاني ١٤٤٢ هـ الموافق ٤ - ١٢ - ٢٠٢٠ م.

٥١. الجمعة.. (براءة) بعد الولاية!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١).

هو كتابُ الله الذي يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، يدعو المسلمين إلى التأسي بإبراهيم عليه السلام ومن معه، وقد (تبرؤوا) من قومهم ومما يعبدون، فالولاية لله تعالى لا تجتمع مع الولاية لأعدائه.

وها هي سورة التوبة تُفتح بالبراءة من الله ورسوله للمشركين، ثم يأتي الأمر الإلهي صريحاً بالأذان منه تعالى ومن رسوله إلى الناس في يوم الحج الأكبر: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(٢).

الله ورسوله يبرئان من أعدائهم، والمؤمنون يتأسون بالنبي صلى الله عليه وآله وبإبراهيم عليه السلام، لأنهم يعتقدون أن (معرفة الله) تتضمن:

١. تصديق الله عز وجل.

٢. وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله.

٣. وموالاته علي عليه السلام، والائتمار به وبأئمة الهدى عليهم السلام.

٤. والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم.

(١) الممتحنة ٤.

(٢) التوبة ٣.

ف(هَكَذَا يُعَرِّفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)، كما قال أبو جعفر الباقر عليه السلام ^(١).

وقد روي عن الرضا عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: كَمَالُ الدِّينِ:

١. وَلَا يُتَنَّا.

٢. وَالْبِرَاءَةُ مِنْ عَدُوِّنَا ^(٢).

لقد خفي على كثيرٍ من هذه الأمة أن كمال الدين وتمام الولاية، وخلوص المحبة وثبات المودة، موقوفٌ على البراءة من أعداء آل محمد، أعداء الله تعالى. وهذا المعنى ثابتٌ بالوجدان، وبالعقل القطعي، وبالنصوص القرآنية المتقدمة وسواها.

ولما كان يوم الجمعة هو سيِّد الأيام، وهو عيدٌ من أعياد الولاية، حيث جمع الله خلقه لولاية محمد صلى الله عليه وآله ووصيه عليه السلام في الميثاق، ولما كان أفضل من الفطر والأضحى، وحيث كانت الصلاة على محمد وآله أفضل الأعمال فيه، وهي رمزٌ من رموز الولاية، كانت علائم الولاية والمودة واضحةً جليّةً في هذا اليوم.

لكن أين علائم البراءة فيه؟

وهي التي يفترض أن تكمل المودة وتقترب بها.

نبحث في أعمال يوم الجمعة، سوى الصلاة على محمد وآله، فتشدُّنا وتلفتنا أمورٌ ثلاثة:

(١) الكافي ج ١ ص ١٨٠.

(٢) مستطرفات السرائر ص ٢٦٦.

أولاً: الاهتمام الخاص ب(صلاة الجمعة)

فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

هي الآية التاسعة من سورة الجمعة، أوجب الله تعالى فيها على المسلمين الاجتماع لصلاة (الجمعة) بدلاً من (صلاة الظهر) في يوم الجمعة، وذلك في زمن حضور النبي ﷺ أو الإمام المعصوم عليه السلام.

وقد روي عن المعصومين عليه السلام في هذه الآية: أن الله جل جلاله فرض على عباده من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة، لم يفرض فيها الاجتماع إلا في صلاة الجمعة خاصة^(٢).

لقد ارتبطت صلاة الجمعة بمفهومي (الإيمان والنفاق)، ودلت الأحاديث فضلاً عن وجوبها مع الإمام أن التارك لها ثلاث مرات من غير عذر وعلة منافق! وأن: مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مُتَوَالِيَةً بِغَيْرِ عِلَّةٍ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ^(٣).

ثانياً: الاهتمام الخاص ب(سورة الجمعة)

حيث ورد استحباب قراءة (سورة الجمعة) في الصلاة (ليلة الجمعة وفجر الجمعة)، وفي (صلاة الجمعة)، حتى ورد أن التارك لها في صلاة الجمعة بمثابة

(١) الجمعة ٩.

(٢) المقنعة ص ١٦٣.

(٣) المحاسن ج ١ ص ٨٥.

التارك للصلاة، ففي الحديث: لَا يَنْبَغِي تَرْكُهَا، فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَلَا صَلَاةَ لَهُ^(١).

ههنا تنقدح في البال جملةٌ من التساؤلات:

لماذا هذا الحثُّ والتركيز على صلاة الجمعة وإيجابها؟

ثم التأكيد على تلاوة سورة الجمعة فيها وفي صلوات ليلة الجمعة وصيحتها؟!

ما السرُّ في سورة الجمعة؟

هل السرُّ هو ذكرُ المنافقين فيها؟!

لماذا ينبغي أن نقرأ قوله تعالى مراتٍ ومراتٍ في صلواتنا:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ
اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٢).

هل يلزم علينا أن نتدبر هذه الآية فيما نتدبر من آيات القرآن؟ أم يجب
إغماض الأعين عنها؟!

ألا تدلُّ على أن من (المصلين مع النبي ﷺ) من كان يترك النبيَّ قائماً
للصلاة ويذهب للتجارة أو اللهو؟!

وإذا كان هؤلاء قد تخلوا عن النبي ﷺ في حياته وتركوا الصلاة الواجبة
التي لا يجوز التخلف عنها، فما حالهم بعد وفاته؟!

هل يُستبعد في حقهم حينها أن يتخلوا عن دين الله تعالى بعد رحلته ﷺ؟

(١) الكافي ج ٣ ص ٤٢٥.

(٢) الجمعة ١١.

وهل يستوي هؤلاء مع أصحاب الصلاة حقاً؟!
ثم هل المراد من التجارة واللغو ما يظهر من معناهما؟ أم يراد منهما صاحبا
الشقاق والنفاق؟ وعليّ خير منهما؟! أم يراد كلا المعنيان؟!
أسئلة تراود البال حتى يلفتنا الأمر الثالث.

ثالثاً: استحباب قراءة سورة (المنافقين)

وذلك ليلة الجمعة ويومها، مقرونة بسورة (الجمعة)، فعن أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَالَ: إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ فِي الْعَتَمَةِ (سُورَةُ الْجُمُعَةِ) وَإِذَا جَاءَكَ
الْمُنَافِقُونَ، وَفِي صَلَاةِ الصُّبْحِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَفِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَفِي صَلَاةِ
العَصْرِ مِثْلَ ذَلِكَ^(١).

خمسُ صلوات تُقْرَأُ فِيهَا (الجمعة والمنافقون) كلَّ أسبوع.
وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ لَمْ يَقْرَأْ فِي الْجُمُعَةِ (بِالْجُمُعَةِ) وَ(الْمُنَافِقِينَ) فَلَا جُمُعَةَ
لَهُ^(٢).

التارك لسورة المنافقين في صلاة الجمعة كمن لا جمعة له أيضاً!
اتّضح الأمر جلياً ههنا.. فمطلع سورة المنافقين:
﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ

(١) تهذيب الأحكام ج ٣ ص ٧.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٣ ص ٧.

وَاللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾.

بهذا تتضح الحكمة من الأمور الثلاثة المتقدمة، حيث يوضح لنا إمامنا الباقر عليه السلام، فيما روي عنه من الأخبار المعتبرة، وجه الاقتران بين سورتي (الجمعة والمنافقين) في يوم الجمعة، وتكرارها والتأكيد عليها، فيقول:

إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ (بِالْجُمُعَةِ) الْمُؤْمِنِينَ، فَسَنَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَارَةِ هُمْ، (وَالْمُنَافِقِينَ) تَوْبِيخًا لِلْمُنَافِقِينَ ^(٢).

المؤمن الموالي يشره الله تعالى في هذا اليوم وفي هذه السورة، والمنافق يوبّخه الله تعالى، ويبين حاله للناس، ويشهد بكذبه.

أفلا يتضح بهذا ركنية البراءة كما الولاية في الدين، وذلك في واحدة من أكد السنن وأهمها في ليلة الجمعة ويومها، حيث يظهر التأكيد والتنصيب على وجود المنافقين في أيام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتصبح هذه القناعة جزءاً لا يتجزأ من عقيدة المسلمين، يتفرع عنها ويترتب عليها لزوم البراءة من هؤلاء، وليس أعداء آل محمد إلا منهم، بل هم رموزهم وأئمتهم.

فثبت يوم الجمعة وسورة الجمعة وصلاة الجمعة (ركنية البراءة) بعدما ثبت (ركنية الولاية)، وفي هذا (كمال الدين) وتماؤه.

فلم يكمل الدين عند أحدٍ إلا بموالاته آل محمد والبراءة منهم. وخير مظهرٍ لهذين الأمرين معاً هو يوم الجمعة.

(١) المنافقون ١.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٤٢٥.

فهو فرصة لكل مؤمن لتثبيت هذه الأركان.

ولكلٍّ مخالفٍ للتدبر في القرآن، وإعمال فكره، والنظر في حقيقة هؤلاء الذين يزعمون أنهم مؤمنون بالنبى ﷺ، ويشهد الله ورسوله بكذبهم، ويبرأ الله ورسوله والمؤمنون منهم، فيهتدي إلى النبع الصافي الزلال، ويبرأ من المياه الآسنة، فينال الحُسنيين.

صرت يا يوم الجمعة رمزاً للولاية والبراءة، لكمال الدين وتمامه، كما صرت اليوم الذي يُنتظرُ فيك المهدي الموعود.. عجل الله فرجه، وسهل مخرجه، وثبتنا على ولايته والبراءة من أعدائه.
والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) صباح الجمعة ٣ جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ الموافق ١٨ - ١٢ - ٢٠٢٠ م.

٥٢. لَيْلَةُ الْقَدْرِ.. لَيْلَةُ (آلِ مُحَمَّدٍ)!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، قُدِّرَ فِيهَا وَلَا يَتِي قَبْلَ أَنْ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَلْفِي عَامٍ!!
رواية عن أمير المؤمنين عليه السَّلَامُ، ينقلها الشيخ الصدوق رحمه الله، تُعْطَى بَعْدَ
لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَتَجَاوَزُ تَقْدِيرَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فِيهَا فِي أَيَّامِنَا وَسِنِينَا هَذِهِ، إِنَّهَا لَيْلَةُ قُدِّرَ اللَّهُ
فِيهَا مِنْ قَبْلُ وَلَا يَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ بِهَا تَمَامُ الدِّينِ، وَصَارَتْ مِزَانُ
مَعْيَارِ قَبُولِ الْأَعْمَالِ.

عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالصَّوْمِ،
وَالْوَلَايَةِ.

قَالَ زُرَّارَةُ: فَأَيُّ ذَلِكَ أَفْضَلُ؟

فَقَالَ: الْوَلَايَةُ أَفْضَلُهُنَّ، لِأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنَّ، وَالْوَالِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ^(١).

فَالْوَالِي هُوَ الْإِمَامُ، وَهُوَ الطَّرِيقُ لِكُلِّ عِبَادَةٍ، لِأَنَّهُ يَنْطِقُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى،
وَالْوَلَايَةُ أَفْضَلُ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِفْتَاحُ كُلِّ عِبَادَةٍ، فَحَقَّ أَنْ تُقَدَّرَ قَبْلَ خُلُقِ آدَمَ، وَسَاغَ
أَنْ تَقْتَرَنَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

وَلَمَّا كَانَتْ حُجَّةُ اللَّهِ التَّامَّةُ سَابِقَةً لِلْخَلْقِ: الْحُجَّةُ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَمَعَ الْخَلْقِ،

وَبَعْدَ الْخَلْقِ^(١)، صَارَ تَقْدِيرُ الْوَلَايَةِ كَذَلِكَ مُتَقَدِّمًا عَلَى الْخَلْقِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ.

أفلا تكون هذه الليلة (ليلة الولاية العلوية)؟!

وإن كانت كذلك، فلا عَجَبَ أَنْ تَنْزَلَ الْمَلَائِكَةُ فِيهَا عَلَى إِمَامِهَا وَإِمَامِ لَيْلَتِهَا، فَهِيَ لَهُ وَلَبْنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ، حَتَّى إِمَامِنَا الْحُجَّةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لقد روي بسند صحيح عن داود بن فرقد أنه سأل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ (إِلَى مَنْ) تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِلَى مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ؟!

إِنَّ النَّاسَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي صَلَاةٍ وَدُعَاءٍ وَمَسْأَلَةٍ، وَصَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ فِي شُغْلٍ، (تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ) إِلَيْهِ بِأُمُورِ السَّنَةِ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِهَا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ لَهُ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ^(٢).

وفي قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِلَى مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ؟!) إشارةٌ في غاية اللطافة، أفهل تَسْأَلُ يَا فَرْقَدُ إِلَى مَنْ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ؟! وهل هناك أَحَدٌ تَنْزِلُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ سِوَى خَلِيفَةِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَحُجَّتِهِ عَلَى عِبَادِهِ؟!

الأخبارُ في هذا المعنى كثيرةٌ، وقد عَبَّرَتْ عَنِ الْإِمَامِ تَارَةً بـ (صَاحِبِكُمْ)، وَآخَرَى بـ (صَاحِبِ الْأَرْضِ).

وورد في النصوص قولهم: إِنَّا لَا يَخْفَى عَلَيْنَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَطُوفُونَ

(١) الكافي ج ١ ص ١٧٧.

(٢) بصائر الدرجات ج ١ ص ٢٢٠.

بِنَا فِيهَا.

وَأَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَاصَّةٌ بِهِمْ عليه السلام: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خُصِّصْنَا بِبَرَكَتِهَا لَيْسَتْ لِغَيْرِنَا. لَكِنَّ اللَّافْتَ أَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ كَانَتْ مِنَ الْوُضُوحِ إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ يَصِيرَ الْجَاهِلُ بِهَا (عَاجِزًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ أَحْمَقًا) عِنْدَ الْإِمَامِ عليه السلام!!

فَفِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ أَنَّ الْإِمَامَ عليه السلام لَمَّا بَيَّنَّ نَزُولَ مُقَادِيرِ السَّنَةِ إِلَى الْأَرْضِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ سُئِلَ عليه السلام: إِلَى مَنْ؟

فَقَالَ: إِلَى مَنْ تَرَى يَا عَاجِزُ، أَوْ يَا ضَعِيفُ؟^(١).

فَاقْتَرَنَ الْجَهْلُ بِحَقِيقَةِ مَنْ تَنْزِلُ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ بِالْعَجْزِ أَوْ الضَّعْفِ، عَجْزٌ عَنْ إدْرَاكِ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْعَظِيمَةِ وَارْتِبَاطُهَا بِآلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، وَضَعْفٌ فِي الْعَقِيدَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَصْلَبَ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، وَأَوْضَحَ مِنَ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ.

وَمَنْ ضَيَّعَ الْعَقِيدَةَ حَالَ كَوْنِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ كَانَ أَسْوَأَ مِنْ ذَلِكَ، فَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ عليه السلام: إِلَى مَنْ تَرَى يَا أَحْمَقُ؟

فَصَارَ بَعْضُ الْجُهَّالِ بِذَلِكَ حَقَمَى، لِأَنَّ الْأَحْمَقَ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ، لَكِنَّ هَذَا الْأَحْمَقَ أَضَرَّ نَفْسَهُ حِينَ بَلَغَ فِي الْجَهْلِ مَتْنَهَا، لَمَّا صَارَ نَبْعُ آلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ بَيْنَ يَدَيْهِ، لَكِنَّهُ أَعْرَضَ عَنْهُ مُسْتَبِدِلًا مَاءَهُمُ الطَّاهِرَ بِالْجَهْلِ وَالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ.

فَلَا يُعْتَنَى لَمَّا قِيلَ مِنْ أَنَّ رَوَايَاتِ تَنْزُلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْإِمَامِ ضَعِيفَةٌ السَّنَدُ، حَيْثُ تَرَجَعَ فِي كِتَابِ الْكَافِي الشَّرِيفِ إِلَى (الْحَسَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحَرِيشِ) وَهُوَ

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٢٢١.

ضعيف.

لأن الروايات لا تقتصر على ما ذكره الشيخ الكليني، وإن نَقَلَ رحمه الله روايات (الحريش) هذه، فإن هذه العقيدة ثابتة بأدلة لا تقبل النقاش، ومروية بأسانيد صحيحة كما في بصائر الدرجات، وموافقة للكتاب وأحاديث آل محمد عليهم السلام، وقد قامت القرائن على صحتها، وصارت مورد قبول عند الشيعة الإمامية. بل روي عن الصادق عليه السلام أن من قامت عليه الحجة في ذلك بنقل من يثق به ثم أنكر ما ينتزل على الأئمة في ليلة القدر فهو كافر! فعنه عليه السلام: **أَمَّا إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ مِنْ [مَنْ] يَثِقُ بِهِ فِي عِلْمِنَا فَلَمْ يَثِقْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ!**^(١).

وأما من لم تقم عليه الحجة فهو في عذر، لكن الجحود والإنكار باب من أبواب الرد عليهم وتكذيبهم عليهم السلام، أعاذنا الله من ذلك. إذاً... ما صار الشيعة من أهل الغلو لما عدوا ليلة القدر ليلتهم! ولا من أهل المبالغة في معرفة قدر إمامهم، بل أقروا بالتقصير والقصور، فمعرفة الإمام أعظم من أن تُحيط بها العقول.

وهذه الليلة ليلة ولاية إمامهم، ليلة قبول الأعمال، وتقدير الأرزاق، ولكن الأعمال لا تُقبل ممن لم يؤمن بالولاية، فعن الصادق عليه السلام في (الإمام): **وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ**^(٢).

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٢٢٤.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٠٣.

بهذا عَرَفَ الشيعة أَنَّهُم المقبولة أَعْمَالُهُمْ، وَأَن مَا يَنْزِلُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِنَّمَا يَنْزِلُ عَلَى إِمَامِهِمْ، الْمَشْفُوق عَلَيْهِمْ، الْمَحِيط لَهُمْ بِرَعَايَتِهِ.

فَأَيُّ خَوْفٍ يَصِيبُ الشَّيْعَةَ بَعْدُ، وَمَقَادِيرُ السَّمَاءِ تَنْزِلُ إِلَى مَوْلَاهُمْ؟!

فَهِيَ لَيْلَةُ الْأَئِمَّةِ مِنْ (عَلِيٍّ) حَتَّى (الْمُهَدِيِّ) عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَلَوْ أَطْبَقَتِ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ، لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَى يَدَيِ إِمَامِهِمْ فَرَجًا وَمُخْرَجًا، فَكُلُّ مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ بِعَيْنِ اللَّهِ صَائِرٌ، وَالْإِمَامُ هُوَ عَيْنُ اللَّهِ! وَهُوَ يَدُ اللَّهِ الْبَاسِطَةُ، وَبَابُ اللَّهِ الَّذِي مِنْهُ يُؤْتَى.

بِهِ نَتَوَجَّهُ إِلَى اللَّهِ فِي لَيَالِي الْقَدَرِ وَسَوَاهَا، بِقُلُوبٍ خَاضِعَةٍ خَاشِعَةٍ مُطْمَئِنَّةٍ.

لَا يُؤْرَقُهَا إِلَّا مَعَاصٍ نَقْتَرُفُهَا، نَسْأَلُ اللَّهَ مِنْهَا التَّوْبَةَ، وَغِيْبَةَ وَلِيٍّ نَسْأَلُ اللَّهَ لَهُ تَعْجِيلَ الْفَرَجِ، ثُمَّ يَصْبِرُ الشَّيْعَةُ عَلَى مَا سِوَى ذَلِكَ، عَسَى أَنْ يَكُونُوا مِمَّنْ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ أَجُورَهُمْ.. بِغَيْرِ حِسَابٍ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١).

٥٣. عيدُ الأُحزان.. لآلِ الرّسول!!

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم.. قَدْ غَدَوْتُ إِلَى عِيدٍ مِنْ أَعْيَادِ أُمَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ .. وَ.. أَتَيْتُكَ خَاضِعاً مُقِرّاً بِذُنُوبِي^(١).

هذه فقرةٌ من دعاءٍ عن الإمام الباقر عليه السلام، يُدعى به في (العيدين) والجمعة، وقد صار هذان العيدان: (الفطر والأضحى) أشهر أعياد أمة النبي صلى الله عليه وآله.

ورغمَ أنَّ للولاية والبراءة أعيادهما: كالغدير يوم الولاية، والغدير الثاني يوم البراءة وفرحة الزهراء، والجمعة الذي جمع الله الخلق فيه لولاية آل محمد، إلا أنَّ الله تعالى جعل لآل محمدٍ في كلِّ عيدٍ نصيباً وِصْلةً، حتى الفطر والأضحى.

كيف لا! وهم أبواب رحمته إلى الخلق، وأبواب الخلق إليه تعالى.

يتجلى ذلك في جهاتٍ ثلاثة:

أولاً: عيدُ أولياء الله!

العيدُ في الإسلامِ يومٌ عظيمٌ، وقد ورد أنَّه: يَوْمٌ مُبَارَكٌ مَيِّمٌ.

وَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حُرْمَتُهُ عَظِيمَةٌ، وَبَرَكَتُهُ مَأْمُولَةٌ^(٢).

وكيف لا يكون كذلك.. وهو عيد أولياء الله تعالى!

ففي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في وداع شهر رمضان: السَّلَامُ عَلَيْكَ

(١) إقبال الأعمال ج ١ ص ٢٨٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٥٢٠.

يَا شَهْرَ اللَّهِ الْأَكْبَرِ، وَ(يَا عِيدَ أَوْلِيَائِهِ).

وسواءُ أرادَ ﷺ بعيدَ أولياءِ الله عيدَ الفطر وكان الأضحى قرينه، أو أرادَ به شهرَ الله حيثُ صارَ عيداً لأولياءِ الله حين لا يعصون الله فيه، فقد دلَّ الدليل على أنَّ العيدَ مختصٌّ بأولياءِ الله الذين يقبل الله منهم أعمالهم.

فعن أمير المؤمنين ﷺ في نهجه الشريف: إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ، وَشَكَرَ قِيَامَهُ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ فَهُوَ يَوْمٌ عِيدٌ!

فصارَ العيدُ عيدَ مَنْ قَبَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ، وهم أولياءِ الله.

وآل محمدٍ هم أولياؤه حقاً وصدقاً، وهم سادة الأنام الذين لا يقبل الله تعالى عمَلٍ عاملٍ إلا بولايتهم، فكانَ العيدُ عيداً لهم قبل سواهم.. بل ما صارَ عيداً لغيرهم إلا ببركتهم، فلا طاعةَ لله إلا بعد معرفتهم وموالاتهم.

ثانياً: العيد.. والشفاعة!

لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَآلُهُ ﷺ هم الوسيلة إلى الله تعالى، والشفعاء إليه.

ولَمَّا كَانَ الْعِيدُ عيداً لهم قبل سواهم.

اقتَرَنَ طَلِبُ الشَّفَاعَةِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْعِيدِ بِهِمْ ﷺ.

فَالْعِيدُ عيدُهُم، والأمر من الله إليهم، فصار المؤمن يدعو الله تعالى في عيد

الأضحى قائلاً:

فَإِنِّي لَمْ أَتَكَ ثِقَةً مِنِّي بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتُهُ، وَلَا شَفَاعَةَ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ إِلَّا شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ سَلَامُكَ!

ويدعو بعد صلاة الفجر يوم الفطر:

اللهم إِنِّي تَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ أَمَامِي، وَعَلَيَّ مِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي،
وَأَيْمَنِي عَنْ يَسَارِي، أَسْتَتِرُ بِهِمْ مِنْ عَذَابِكَ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ زُلْفَى!
فالنَّجَاةُ وَالْعَافِيَةُ وَالسَّيِّئَاتُ وَالْقُرْبَى كُلُّهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى شَفَاعَتِهِمْ لَنَا.
فاتَّخِذْ الشَّيْعَةَ الْعِيدَ، الْيَوْمَ الْمُبَارَكِ الْمَيْمُونِ، الَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ حُرْمَتَهُ، وَأَنْزَلَ
الْبَرَكَةَ فِيهِ.. اتَّخِذْهُ بَابًا لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِالْأُئِمَّةِ الْأَطْهَارِ، وَنِيلِ الشَّفَاعَةِ بِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثالثاً: العيد.. والخلفاء المقهورون!

لقد جعلَ الله تعالى العيد للنبي ﷺ: ذُخْرًا وَمَزِيدًا!

أو: ذُخْرًا وَشَرَفًا [وَكِرَامَةً] وَمَزِيدًا.

والذُّخْرُ هو ما يختاره الإنسان ويتَّخِذُه لنفسه ويحفظه ويبقيه.

والمؤمنون يسألون الله تعالى أن يصلي على محمدٍ وآله بحق هذا اليوم الذي
صارَ يومَ حِفْظٍ للنبي ﷺ، وأن يدخلهم في كُلِّ خيرٍ أدخل فيه محمداً وآله عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وقد صَيَّرَ الله تعالى ما أكرمَ به نبيّه لآله الأطهار من بعده، فصاروا خلفاء
الله في أرضه.

لكنَّ الأُمَّةَ ما حَفَظَتِ النبي ﷺ في آلِه! ولا جعلت ذرية النبي ﷺ
ذُخْرًا وَذَخِيرَةً لَهَا!

يقول الإمام زين العابدين في عيد الأضحى:

اللهم إِنَّ هَذَا الْمَقَامَ لَخُلَفَائِكَ وَأَصْفِيائِكَ، وَمَوَاضِعُ أُمَنَائِكَ، فِي الدَّرَجَةِ

الرَّفِيعَةِ الَّتِي اخْتَصَصْتَهُمْ بِهَا، قَدْ ابْتَزَوْهَا: فَأَيْنَ حِفْظُ الْأُمَّةِ لآلِ الرُّسُولِ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْعِيدَ (ذُخْرًا وَمَزِيدًا)!

أَيْنَ مَزِيدُ الْإِحْتِرَامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِعِزَّتِهِ الطَّاهِرَةِ؟! أَصْحَابُ الْمَقَامِ الرَّفِيعِ الْمَخْصُوصِ مِنَ اللَّهِ.

هَلْ أَمْرُكُمْ اللَّهُ بِأَنْ تَبْتَزُوهُمْ وَتَسْلُبُوهُمْ حَقَّهُمْ؟! هَلْ رَعَتِ الْأُمَّةُ الْمُتَعَوِّسَةُ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ؟!!

يَقُولُ ﷺ: حَتَّى عَادَ صِفْوَتُكَ وَخُلَفَاؤُكَ مَغْلُوبِينَ مَقْهُورِينَ مُبْتَزِينَ! يَرَوْنَ حُكْمَكَ مُبَدَّلًا، وَكِتَابَكَ مَنبُذًا، وَفَرَائِضَكَ مُحَرَّفَةً عَنْ جِهَاتٍ أَشْرَاعِكَ، وَسُنَنَ نَبِيِّكَ مَتْرُوكَةً!

هَكَذَا صَارَتْ أَعْيَادُنَا!

خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ فِيهَا مَقْهُورُونَ! وَأَحْكَامُ اللَّهِ تَعَالَى صَارَتْ فِيهَا شَرْعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ! وَحُرِّفَتِ الْفَرَائِضُ وَنُبِذَ الْكِتَابُ، وَعَصَتِ الْأُمَّةُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ!

أَيْنَ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ كَيْ نَتَّخِذَهُ عِيدًا؟!!

لَقَدْ صَارَ الْعِيدُ سَلْبِيًّا! سَلْبُوهُ لُبَّهُ وَأَسَاسُهُ!

أَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: أَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟!!

لَقَدْ سَلَبَ اللَّعْنَاءُ وَاتَّبَاعُهُمُ الْعِيدَ رَوْنَقَهُ عِنْدَمَا ابْتَزَوْا آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَقَّهُمْ.. وَحَقَّهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَخِلَافَتُهُ! ثُمَّ قَتَلُوهُمْ وَشَرَّدُوهُمْ.. فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَقْتُولٌ أَوْ مَسْمُومٌ!

لَا عَجَبَ إِذَا أَنْ يَقُولَ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ ﷺ:

مَا مِنْ عِيدٍ لِلْمُسْلِمِينَ أَضْحَى وَلَا فِطْرٍ، إِلَّا وَهُوَ يُجَدِّدُ لآلِ مُحَمَّدٍ فِيهِ حُزْنًا!!... لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ حَقَّهُمْ فِي يَدِ غَيْرِهِمْ^(١).

حَقُّ آلِ مُحَمَّدٍ حَقُّ اللَّهِ.. فالإمام منصوبٌ منه تعالى، وهو خليفة له عز وجل، فكأنَّ الجاحدَ للإمامة رادُّ على الله تعالى.

هكذا صار العيد مُجَدِّدًا.. للأحزان!

ينتظرُ الناس العيد ليفرحوا، ويُجَدِّدُ العيدُ أحزان العترة الطاهرة!

فسلام الله عليكم يا آل محمد.. أيها المظلومون المقهورون المحزونون!

أَيُّ عِيدٍ سَتَنْعَمُ بِهِ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ بَعْدَ هَذِهِ الْمَعَاصِي؟! وَأَيُّ فَلَاحٍ وَنَجَاحٍ سَتَنَالُهُ وَقَدْ وَلَّتْ أَمْرُهَا مِنْ آخِرِ اللَّهِ؟! وَهَذَا أَمْرُهَا قَدْ رَجَعَ سَفَالًا.. وَعَادَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا إِلَى مِلَّةِ عَبْدَةِ الْعَجَل!

اللهم: أَنْتَ الْمُقَدِّرُ لِذَلِكَ، لَا يُغَالِبُ أَمْرُكَ: فَمَا عَنْ عَجْزٍ سَلَبُوا حَقَّ أَوْلِيائِكَ، وَلَكِنْ لِيَتِمَّ تَدْبِيرُكَ.

أَمَهَلْتَهُمْ إِلَى يَوْمٍ وَلِيَّكَ الْغَائِبُ، وَنَسَأْلُكَ أَنْ تُنْعِمَ عَلَيْنَا بِهِ، وَنَدْعُوكَ فِي الْعِيدِ كَمَا دَعَاكَ حُجَّتُكَ فِي أَرْضِكَ، الْإِمَامُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عِيدِهِ:

اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ!

السلام عليك يا صاحب الأمر، ها هو عيدك قد أتى مشوباً بالأحزان، مُجَدِّدًا لها، وهو عيدك يا إمام الزمان.

(١) الكافي ج ٤ ص ١٧٠.

اللهم أَلْهِمْنَا الصَّبْرَ عَلَى مَا نَرَى مِنْ سَلْبِ حَقِّهِمْ، وَتَضْيِيعِ أَمْرِهِمْ، وَحُزْنِ
يَتَجَدَّدَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى شِيعَتِهِمْ فِي أَعْيَادِهِمْ، حَتَّى تُخْرِجَ الطَّالِبَ بِالنَّارِ، فَتَقَرَّ بِذَلِكَ
عَيُونُنَا مَعَ أَثْمَتِنَا الْأَطْهَارِ.

اللهم زَيِّنْ بِطَوْلِ بَقَائِهِ الْأَرْضَ، وَاقْصِمْ بِهِ رُؤُوسَ الضَّلَالَةِ.. وَاجْعَلْنَا فِي
زَمْرَتِهِ.. إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١).

(١) عيد الفطر المبارك ١٤٤٢ هـ الموافق ١٣ - ٥ - ٢٠٢١ م.

٥٤. عيدُ الفطر.. يومُ الجائزة!

بسم الله الرحمن الرحيم

ها هي أيام شهر رمضان تَتَصَرَّم.. ولياليه تنقضي.. ويقتربُ (يومُ الجائزة)!

جائزةٌ يُنادى بها مرتان:

١. مرّة إذا طلع هلال شوال.

٢. ومرّة صبيحة يوم الفطر.

فعن النبي ﷺ: إِذَا طَلَعَ هِلَالُ شَوَّالٍ نُودِيَ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ: اغْدُوا إِلَى جَوَائِزِكُمْ، فَهُوَ يَوْمُ الْجَائِزَةِ^(١).

وعن الصادق عليه السلام: إِذَا كَانَ صَبِيحَةُ يَوْمِ الْفِطْرِ نَادَى مُنَادٍ: اغْدُوا إِلَى جَوَائِزِكُمْ^(٢).

هي ليست جوائز الملوك، بل جوائز الله تعالى، الملك العلام.

هي ليست جائزة الدنانير والدراهم، بل جوائز المؤمنين العاملين في شهر الله المبارك.

فكلُّ من عمل في هذا الشهر نالَ جائزته في عيد الفطر!

فالعامل والأجير: إِنَّمَا يُعْطَى أُجْرَتُهُ عِنْدَ فَرَاغِهِ، ذَلِكَ لَيْلَةُ الْعِيدِ^(٣).

(١) الكافي ج ٤ ص ٦٨.

(٢) الكافي ج ٤ ص ١٦٨.

(٣) الكافي ج ٤ ص ١٦٧.

هي ليلةٌ عظيمةٌ إذاً، ويومٌ عظيمٌ، يستثمرهما المؤمن، فيعود إلى ربِّه فيها.
فإن كان من أهل الخير نالَ جائزته فيها، وإن لم يكن كذلك، أمَّلَ أن يرحمه
ربُّه فيها، حيثُ يعتقُ الله في الفطر عباداً من عبيده من النار، لكرمه ورحمته.

فعن النبي ﷺ: **لله فِيهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عِتْقَاءٌ يُعْتَقُهُمُ اللهُ مِنَ النَّارِ**^(١).

وهكذا يتوجَّه المؤمن إلى الله تعالى في عيد الفطر.. فيردُّ كلامَ السجادة ﷺ:
**اللَّهُمَّ إِنَّا نَتُوبُ إِلَيْكَ فِي يَوْمِ فِطْرِنَا، الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِيداً وَسُرُوراً،
وَلِأَهْلِ مِلَّتِكَ مَجْمَعاً وَمُحْتَشِداً:**

يكشفُ هذا الدعاءُ أنَّ الله تعالى هو الذي جعلَ الفطرَ عيداً، وهو الذي
جعله للمؤمنين سروراً، وهو الذي جعله باباً يجتمع ويحتشد فيه المؤمنون، يعايد
بعضهم بعضاً، يأنسُ بعضهم ببعض، ويعودُ كلُّ واحدٍ منهم فيه إلى ربه.

ففيه نتوبُ إلى الله: **مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْنَاهُ، أَوْ سَوْءٍ أَسْلَفْنَاهُ، أَوْ خَاطِرٍ شَرٍّ
أَضْمَرْنَاهُ، تَوْبَةً مَنْ لَا يَنْطَوِي عَلَى رُجُوعٍ إِلَى ذَنْبٍ، وَلَا يَعُودُ بَعْدَهَا فِي خَطِيئَةٍ،
تَوْبَةً نَصُوحاً خَلَصَتْ مِنَ الشَّكِّ وَالْإِزْتِيَابِ، فَتَقْبَلُهَا مِنَّا، وَارْضَ عَنَّا، وَتُبِّتْنَا
عَلَيْهَا.**

هي توبةٌ خالصةٌ، يعزمُ معها المؤمن على مفارقة الذنوب جميعها.. ويسأل
الله تعالى أن يخلصه منها، ومن الشكِّ والارتياب، فالشكُّ والرَّيبة مَرَضُ الروح..
يسعى المؤمن للخلاص منهما في شهر الله، وفي عيد أوليائه.

ولئن كانت شياطين الجنِّ مغلوطةٌ في شهر الله، فإنَّ من شياطين الإنس من

لا يكل ولا يمل عن بث الشكوك في الأيام المباركة.
فيتوجه المؤمن إلى الله تعالى كي يخلصه من كل ريب وشك، لتستحكم عقيدته، ويصلح عمله، فينال جوائز الله تعالى في عيد أوليائه.
يخشى المؤمن أن يكون قد أقدم على ما يودي به إلى الخيبة والخسران، فيدعو الله تعالى في عيد الفطر: وَلَا تَحْتِمْ يَوْمِي بَخِيَّتِي، وَلَا تَجْبِهْنِي بِالرَّدِّ فِي مَسْأَلَتِي!
فإن الرَّدَّ والخيبة هنا لا يعوضها إلا عرفة، أو شهر رمضان القادم.. ومن يضمن بقاءه حتى ذلك الحين؟
فعن الصادق عليه السلام: مَنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ إِلَى قَابِلٍ، إِلَّا أَنْ يَشْهَدَ عَرَفَةَ^(١).

هو شهر يدعو النبي ﷺ على من أدركه ولم يغفر له! فيقول ﷺ:

١. فَمَنْ أَدْرَكَهُ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللهُ!

٢. وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدِيهِ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللهُ!

٣. وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى فَلََمْ يَغْفِرِ اللهُ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللهُ^(٢).

هي أبواب ثلاثة للمغفرة: شهر الله، والوالدين، والصلاة على النبي وآله..
فمن فوتها ما تمنى النبي قربه، ولا مجاورته، ولا دعا له بغفران الذنوب.
يعوذ المؤمن بالله تعالى في آخر ليلاليه، أن يطلع الفجر أو ينتضي الشهر دون غفران ذنوبه.. يطلب المؤمن مغفرة لا يشقى بعدها أبداً.

(١) الكافي ج ٤ ص ٦٥.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٦٧.

يودّعُ أحدنا الشهر، ويخاطب ربه قائلاً: اللهم.. لَا تَجْعَلْ وَدَاعِي شَهْرَ رَمَضَانَ وَدَاعَ خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا وَدَاعَ آخِرِ عِبَادَتِكَ فِيهِ، وَلَا آخِرَ صَوْمِي لَكَ^(١).

لا يستعجل المؤمن الموت والخروج من الدنيا، بل يسأل الله العمر الطويل في طاعته، ليستكثر من العبادة، والتقرب إلى الله عز وجل فيقول: اللهم.. بَلِّغْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ وَأَنَا مُعَافٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَمَحْذُورٍ^(٢).

ثمّ يتعيّد المؤمن في يوم العيد.. ويُسرّ به ويفرح. لكنّه يُميّزُ بين نوعين من الفرح: أوّلهما: الفرح الممدوح، وثانيهما: الفرح المذموم، فيقبل على الأول، ويعرض عن الثاني.

والأول الذي مدحه الله تعالى هو فرح المؤمن بفضل الله ورحمته ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وأبرزُ مظاهر فضل الله ورحمته: الإقرار بنبوة محمدٍ عليه وآله السلام، والايتمام بأمر المؤمنين عليه السلام، كما عن الباقر عليه السلام^(٣)، فيفرح المؤمن بفضل الله، وهو: وَلَايَةُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، كما عن الرضا عليه السلام^(٤).

لذا يفرح الشيعة في العيد.. لأنهم من أهل الولاية، فهي خيرٌ مما يجمع مخالفوهم.. ولأنهم أهل طاعة الله، ومنهم يقبل ربناً عز وجل لا من سواهم.

(١) مصباح التهجد ج ٢ ص ٦٣٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٦٦.

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٢٤.

(٤) الكافي ج ١ ص ٤٢٣.

فالعيد عيد أولياء الله وأحبابه، وهم أتباع سادة الأولياء.

ثمَّ يجتنبُ المؤمن النوع الثاني من الفرح، وهو الفرح المذموم: كالبطر.. والإعراض عن الحق.. واتباع الباطل.. وتضييع العمر في اللهو والقليل والقال.. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾.

لقد نظر الإمام عليه السلام إلى الناس في يوم فطرٍ (يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ)، فخاطب أصحابه قائلاً: الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنَ الصَّاحِكِ اللَّاعِبِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يُثَابُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ، وَيُخِيبُ فِيهِ الْمُقْصِرُونَ!

وأيُّم الله، لو كُشِفَ الْغِطَاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بِإِحْسَانِهِ وَمُسِيءٌ بِإِسَاءَتِهِ^(١). ليس الذمُّ لمطلق السرور والفرح، فإنَّ المؤمن يسرُّ ويأنس بإخوانه، ويفرح في عيد الله، فقد جعله الله باباً للسرور.

لكنَّ المؤمن يحذر من أن يفرح فرح اللهو بالباطل، والخروج عن الصراط المستقيم.

لم يُكشَفِ الْغِطَاءُ لهؤلاء وهؤلاء.. لكنَّ المؤمن ينظر بنور الله، ويعلم أنَّ الله تعالى قد قبل عمله، وأنَّ العيد هو يومُ جائزته، فيتوجه إلى الله تعالى شاكراً، داعياً.. سائلاً دوام النعم.. ومنها نعمة اجتماع المؤمنين في العيد. وأما المسيء، فينسى إساءته، وهو بذكرها أحقُّ، فتظلُّ تبعاتها مقرونةً به إلى يوم القيامة.

اللهم لا تجعلنا من المسيئين، ولا من اللاعبين اللاهين.

اللهم اكشف الغشاوة عن أعيننا، وثبت أقدامنا على ولاية نبيك وآله
الأطهار، وتقبل عملنا، ولا تخرجنا من الدنيا حتى ترضى عنا.

اللهم عجل فرج وليك، كي يكتمل سرور المؤمنين في عيدك وعيد
أوليائك.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الجمعة ٣٠ شهر رمضان ١٤٤٤ هـ الموافق ٢١ - ٤ - ٢٠٢٣ م.

٥٥. الحجّ.. إلى الإمام!

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أكثر البيوت في تاريخ البشر وأقدّمها، لكنّ الله تعالى ميّز بيتاً منها، بناه خليله إبراهيم عليه السلام في بكة، فكان ﴿مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾، من ثمّ صار فيه للخليل عليه السلام مقامٌ عظيمٌ.

وقد أمر الله تعالى المستطيع من النّاس بالحجّ إلى بيته هذا، وجعل الإعراض عن ذلك بمثابة الكفر فقال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

لقد كان الحجّ واحداً من أمور خمسة بُني عليها الإسلام، أحدها الولاية لمن وُلد في البيت العتيق، ورغم عظمة الحجّ، فإنّه: لَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالْوِلَايَةِ^(١). وهكذا صارت الولاية للإمام المعصوم أسّ الإسلام، وشرطاً في قبول الحجّ وسائر الأعمال.

وكان لآيات الحجّ باطنٌ يُفسّر بالإمام، فكأنّ الحجّ صار في الظاهر إلى البيت، وفي الباطن إلى إمام البيت المولود فيه، وذريته المطهّرين عليه السلام، ولم يكن جحود الحجّ أهون من جحود الولاية.

وبذلك تجلّت جملة من المراتب السامية لهم عليه السلام في الحجّ منها:

١. الأمان في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى عن بيته المبارك: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾، لكنّه قرّن الأمان

(١) الكافي ج ٢ ص ١٨.

المُطْلَقَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمَوَالَاةِ أَوْلِيَائِهِ، فَقَدْ رَوَى الْمُحَمَّدُونَ الثَّلَاثَةُ (الكليني والصدوق والطوسي) رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي الْكَافِي وَالْفَقِيهِ وَالتَّهْذِيبِ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهُ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْآيَةِ: مَنْ أَمَّ هَذَا الْبَيْتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ الْبَيْتُ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، وَعَرَفْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ حَقَّ مَعْرِفَتِنَا، كَانَ آمِنًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(١).

لَيْسَ دُخُولُ الْبَيْتِ مُحْتَصًّا بِأَهْلِ الْإِيمَانِ، لَكِنَّ مَعْرِفَةَ حَقِّهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرٌ مُخْتَصٌّ بِشِيعَتِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ، فَكَفَاهُمُ اللَّهُ (هَمَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، رَغْمَ كُلِّ مَا يَقَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ ظُلَامَاتٍ، فَالْمُؤْمِنُ وَإِنْ ابْتُلِيَ وَظُلِمَ يَظُلُّ غَيْرَ مُهِمُومٍ لِلدُّنْيَا وَهُوَ فِيهَا، وَلَا لِلْآخِرَةِ عِنْدَ بُلُوغِهَا، فَفِي الدُّنْيَا يَكْفِيهِ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ، وَفِي الْآخِرَةِ تَقَرَّرُ عَيْنُهُ بِلِقَا إِمَامِهِ وَجَوَارِهِ، وَرِضْوَانِ رَبِّهِ.

وَهَكَذَا يَظُلُّ الْحَاجُّ لِبَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ فِي أَيَّامِنَا، تَمَّ عَرَفَ حَقِّهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُتَنْظِرًا ظُهُورَ الْإِمَامِ الْمَذْخُورِ مِنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُ حِينَهَا فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ مِنْ طَرَزٍ آخِرِ رِيعَاةِ الْحُجَّةِ مِنْهُمْ، فَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقَائِمِ عَجَلَ اللَّهُ فَرَجَهُ: أَمَّا قَوْلُهُ ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ فَمَنْ بَايَعَهُ وَدَخَلَ مَعَهُ، وَمَسَحَ عَلَى يَدِهِ، وَدَخَلَ فِي عَقْدِ أَصْحَابِهِ كَانَ آمِنًا^(٢).

هَذَا حَالُ الْمُؤْمِنِينَ بِآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمَّا أَعْدَاؤُهُمْ فَهُمْ مُصْداقُ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي الْبَيْتِ بِظُلْمِ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣)، وَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَزَلَتْ فِيهِمْ حَيْثُ دَخَلُوا

(١) الكافي ج ٤ ص ٥٤٥.

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ٩١.

(٣) الحجج ٢٥.

الْكَعْبَةَ فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقِدُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِمَا نُزِّلَ فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالْحُدُوا فِي الْبَيْتِ بِظُلْمِهِمُ الرَّسُولَ وَوَلِيَّهٖ، فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(١).

وهكذا صار البيت ميزاناً لأولياء آل محمد وأعدائهم، فأولياؤهم يأتونه عارفين بحقوقهم فينالون ثواب الحجيج الداخلين بيته، وأعداؤهم يدخلون البيت فيخرجون منه أعداء لله، مُبْعَدِينَ عن رحمته تعالى لجحودهم وظلمهم.

وبهذا يظهر أن ثمرة الحج إنما تتم بموالاته الإمام، فكان الحج كان إليه، ألم يأمر الله تعالى خليله إبراهيم بتطهير البيت لآل محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!

قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٢).

وفسرها الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: يَعْنِي بِهِمْ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣).

لَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بَيْتَهُ فِتَّةً مِنَ النَّاسِ تَتَّصِفُ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَطَهَّرَهُ لِأَجْلِهِمْ، فَصَارَ وَلِيدُهُمْ فِي الْكَعْبَةِ إِمَاماً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!

فلأَيِّ شَيْءٍ طَهَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْتَهُ؟ لِأَجْلِ طَوَافِهِمْ وَقِيَامِهِمْ وَرُكُوعِهِمْ وَسُجُودِهِمْ فَقَطْ؟ أَمْ لِكَيْ يَسْتَقْبَلَ فِيهِ أَيْضاً مَوْلوداً لَا يَكْتَمِلُ طَوَافُ الْبَيْتِ وَالْحَجُّ إِلَيْهِ إِلَّا بَوْلَايَتِهِ؟!

هل يُوجَرُّ الْعَبْدُ عَلَى الْحَجِّ الَّذِي لَا يَقْتَرَنُ بِمُوَالَاةِ الْإِمَامِ؟! أَمْ يَظُلُّ قَبُولُهُ

(١) الكافي ج ١ ص ٤٢١.

(٢) الحج ٢٦.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ص ٣٣١.

معلّقاً حتى يتوجّه إلى مَنْ أُمِرَ بالتوجّه إليه فصار من معاني الحجّ الباطنة؟
لقد اختبر الله تعالى الناس: بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا
تَسْمَعُ.. لكي يمتاز الصادقون المنقادون لأمره تعالى عمّن سواهم، وليس من
هوّلاء مَنْ جَحَدَ إمامة الأطهار، فإنّه رأس الكذب والشقاق.

٢. الحجّ.. ولقاء الإمام

إِنَّ الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ لَيْسَ أَمْرًا مُخْتَصًّا بِالْمُؤْمِنِينَ، وَلَا الْإِيْفَاءَ بِالْذُّمِّ، فَلَمَّا ذَا
أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ؟ فَقَالَ: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا
بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(١).

لقد أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَأْتَمَرُوا بِأَمْرِ وَلِيِّهِ، فَأَلْزَمَهُمُ بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ
وَالْأَخْذِ عَنْهُ بَعْدَ الطَّوْفِ بِبَيْتِ اللَّهِ، فَقَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْحَجِّ وَهُوَ مَنْسَكٌ عَامٌّ
وَشَعِيرَةٌ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْحَجَّاجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَبَيْنَ نُصْرَةِ الْإِمَامِ الَّذِي افْتَرَضَ
طَاعَتَهُ، فَأَمَرَهُمُ بِالْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِهِ.

وَلَقَدْ نَظَرَ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ عليه السلام إِلَى النَّاسِ يَطُوفُونَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ فَقَالَ:
هَكَذَا كَانُوا يَطُوفُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِنَّمَا أُمِرُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهَا ثُمَّ يَنْفِرُوا إِلَيْنَا
فَيَعْلَمُونَا وَلَا يَتَّهِمُونَ وَمَوَدَّتْهُمْ، وَيَعْرِضُونَ عَلَيْنَا نُصْرَتَهُمْ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَاجْعَلْ
أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾^(٢).

لقد استجاب الله تعالى دعاء إبراهيم عليه السلام، وجعل أفئدة من الناس تهوي

(١) الحج ٢٩.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٩٢.

إليهم عليه السلام، وتعرض عليهم النصرة، فلو أن الإمام استضعف في وقت من الأوقات ولم تكن أمة المسلمين بأطرافها المتقاربة والمتباعدة شريكة في الحدث، أو كانت غافلة عن معرفة ما جرى عليه ونصرته، فإن الله تعالى قد أوجب عليها عند اجتماع حجيجها أن يهبوا لعرض النصرة على الإمام بمبادرة منهم، وهذا حق للإمام على الأمة، فإن وجد كلمتهم مجمعة على نصرته، ورأى الصلاح في استنصارهم استثمر ذلك بأمر الله.

وهكذا كانت ثمرة النذر أيضاً، فعنهم عليه السلام: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ فيمروا بنا فيخبرونا بولايته، ويعرضوا علينا نصرته^(١).

وفي حديث آخر: ﴿لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ قال: هو لقاء الإمام عليه السلام^(٢).

وهكذا صار المؤمن يعرض النصرة على إمامه عند حضور شخصه، ويخاطبه بقلبه عند غيابه، مُبدياً له الاستعداد صدقاً وحقاً لنصرته.

لكن الأمة منذ أول أيامها أعرضت عن إمامها، حتى آل الأمر بها أن سعت لقتل حسينها! في البيت الحرام نفسه!

فخرج الإمام من بيت الله وحفظ حرمة، فنظر الله تعالى إلى زوار قبره قبل أن ينظر إلى حجاج البيت الحرام! وأهل الموقف في عرفات! ففي هؤلاء من تولد من نطفة طاهرة وأخرى نجسة، أما زوار الحسين عليه السلام فقد خلقوا من فاضل الطينة الطاهرة.

(١) الكافي ج ١ ص ٣٩٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ص ٣٣١.

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام لبعض أصحابه: لَوْ لَا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَدَعَ النَّاسُ الْحَجَّ لَحَدَّثْتُكَ بِحَدِيثٍ لَا تَدْعُ زِيَارَةَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَبَدًا^(١).

هكذا صارَ وفاءُ نَذْرِ الْحَجَّيجِ بِلِقَائِهِمْ إِمَامَهُمْ، وإبرازُ نُصْرَتِهِمْ لَهُ إِنْ قَدَرُوا، وإلا فالعزمُ على ذلك، وهو حالُ الشيعة كُلِّ يومٍ.

وصارَ الْحُجُّ حَجًّا إِلَى الْإِمَامِ بَعْدَ الْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، وَمَنْ لَمْ يُوفِّقْ لَذَلِكَ سَعَى لَزِيَارَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، لِنِالِ نَظَرَةٍ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ الْحَجَّيجِ فِي عُرْفَاتٍ.

٣. حُرْمَةُ الْبَيْتِ.. وَالْإِمَامِ

لَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى تَعْظِيمَ حُرْمَاتِهِ، وَقَالَ بَعْدَ بَيَانِ أَحْكَامِ الْحَجِّ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(٢)، وَصَارَ انْتِهَاكُ هَذِهِ الْحُرْمَاتِ أَوْ قَطْعُهَا بِمِثَابَةِ الشَّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَتِ الْحُرْمَاتُ ثَلَاثَ، وَكَانَ مِنْ مَصَادِيقِ انْتِهَاكِهَا مَا بَيَّنَّهُ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ عليه السلام:

١. انْتِهَاكُ حُرْمَةِ اللَّهِ فِي بَيْتِهِ الْحَرَامِ: وَمِنْ ذَلِكَ مَا فَعَلَهُ قَوْمٌ دَخَلُوا الْكَعْبَةَ وَهَتَكُوا حُرْمَتَهَا بِجَحْوِدِ حَقِّ الْإِمَامِ الْمَوْلُودِ فِيهَا! ثُمَّ بَلَغَ الْحَالُ بِآخِرِينَ أَنْ أَرَادُوا قَتْلَ الْإِمَامِ فِيهَا! وَغَيْرَهُمْ هَدَمُوا حِجَارَتَهَا! وَلَا يَزَالُ بَعْضُهُمْ يَنْتَهِكُ حُرْمَتَهَا بِالتَّسَلُّطِ عَلَيْهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَمْنَعُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِقَامَةِ شَعَائِرِهِمْ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا!

٢. تَعْطِيلُ الْكِتَابِ وَالْعَمَلِ بِغَيْرِهِ: فَالْكِتَابُ يُتْلَى عَلَى مَنَابِرِ الْمُسْلِمِينَ آثَاءَ

(١) مصباح التهجد ج ٢ ص ٧١٦.

(٢) الحج ٣٠.

الليل وأطراف النهار، لكن حدوده مُضيَّعةٌ، والعمل به صارَ ترفاً عند المنتهكين لحرمة!

٣. وَالثَّالِثَةُ: قَطِيعَةٌ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ مِنْ فَرَضٍ مَوَدَّتَنَا وَطَاعَتِنَا^(١).

وبهذه القطيعة خَرَجَتِ الأُمة عن ولاية الله ودخلت في ولاية الشيطان، فنُقِضَ عهدُ الله تعالى، وَعَمَّ الفسادُ الأرض ولا يزال! فَجَنَّتِ الأُمَّةُ ثَمَارَ جحودها للإمام.

لقد أدرك المؤمنون أَنَّ الْحَجَّ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ اللَّهِ لِإِرشَادِ الْعِبَادِ إِلَى الْإِمَامِ إِنْ جَهِلُوهُ، وَإِلْزَامِهِمْ بِاتِّبَاعِهِ وَنُصْرَتِهِ إِنْ غَفَلُوا عَنْ ذَلِكَ، لَكِنَّ الأُمَّةَ ابْتُلِيَتْ بِقَوْمٍ صَدُّوْهَا عَنْ دِينِ اللَّهِ فِي بَيْتِ اللَّهِ وَغَيْرِهِ، فَاتَّبَعْتَهُمْ!

لقد نظر الباقر عليه السلام بعدما استقبل القبلة يوماً إلى حلقاتٍ في المسجد الحرام، فيها أبو حنيفة وسفيان الثوري، ثم قال عليه السلام:

هَؤُلَاءِ الصَّادُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ بِلَاهُدًى مِنَ اللَّهِ وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ!
إِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَخَابِثَ لَوْ جَلَسُوا فِي بُيُوتِهِمْ فَجَالَ النَّاسُ فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا
يُخْبِرُهُمْ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَأْتُونَا فنُخْبِرَهُمْ عَنِ اللَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

لقد سعى هؤلاء الخُبثاء إلى منع الناس من التوجُّه إلى الإمام ولقائه، فاستجابوا لهم.

(١) تأويل الآيات الظاهرة ص ٣٣٢.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٩٣.

ولقد كان وفاء النذر هو (لِقَاءُ الْإِمَامِ)، وهؤلاء يصدُّون الناس عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ،
حاضراً كان أو غائباً.

فعند حضوره يمنعون الناس من الرجوع إليه والتعلُّم منه، وعند غيابه
يمنعون أتباعه من ذكره في البيت الذي طَهَّرَهُ اللهُ لأجله! ووُلِدَ جدُّه فيه! وأمر الله
تعالى الناس بالطواف إليه! ومبايعته عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه!

يستوي في الصّدِّ عن دين الله كلُّ مَنْ نَسَبَ الإمامة لغير أهلها، وزعم أنَّها
صارَتْ أو تصيرُ في غير الإثني عشر المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

لقد استحقَّ هؤلاء الصّادُّون أن يحملوا أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم،
وانفرد المؤمنون بنيلِ ثواب حج البيت، لأنَّهم أدوا ما ظهر من المناسك وما بطن،
وأطاعوا الله في أحبِّ الأشياء إليه، وامثلوا أمره على النحو الذي شَرَطَهُ تعالى
عليهم.

جعلنا الله منهم، وعَجَّلَ لنا في فَرَجٍ ولينا، وجَعَلْنَا ممن يحجُّ إليه غائباً،
ويعرُضُ عليه النُّصرة في بيت الله حاضراً فيقبلها، ورزقنا الشهادة بين يديه، أو
التمكين في دولته، إنه سميعٌ مجيب.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الجمعة ٨ ذو الحجة ١٤٤٣ هـ، الموافق ٨ - ٧ - ٢٠٢٢ م.

٥٦. الحج جهادُ الضعفاء!

بسم الله الرحمن الرحيم

المبالغة والمغالاة: سَمَتَانِ غَرِيبَتَانِ، يَتَّصِفُ بِهِمَا أَقْوَامٌ، يَنْسِبُونَ لَأَنْفُسِهِمْ مَكَانَةً لَيْسَتْ لَهُمْ، ثُمَّ يَطْعَنُونَ بِأَصْحَابِ الْكَمَالِ، وَسَادَةِ الْخَلْقِ، أَوْ يُظْهِرُونَ الْحِرْصَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ رَجُلٌ لِلْإِمَامِ السَّجَادِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَما خَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ: تَرَكْتَ الْجِهَادَ وَخُشُونَتَهُ؟! وَلَزِمْتَ الْحَجَّ وَلِينَهُ؟! كَانِ الْإِمَامُ مَتَكِّئًا فَجَلَسَ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ: وَيْحَكَ، أَمَا بَلَغَكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ؟

.. إِنَّ رَبَّكُمْ تَطَوَّلَ عَلَيْكُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَغَفَرَ لِحُسْنِكُمْ، وَشَفَعَ مُحْسِنَكُمْ فِي مُسِيئِكُمْ، فَأَفِيضُوا مَغْفُورًا لَكُمْ.. إِنَّ اللَّهَ عَدْلٌ يَأْخُذُ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ^(١).

يتساءل المؤمن: ما الرِّبْطُ بين سؤال السائل وجواب الإمام؟

إذا كان الله تعالى يغفر للحجيج، فهل يعني هذا تقديم الحج على الجهاد؟ بل ترك الجهاد رأساً وملازمة الحج؟!

هل يصح تعطيل فريضة واجبة لنيل الثواب عبر فريضة أخرى؟!

لقد كان القائل صوفياً يُدعى عَبَّاداً! والمتصوفة أبعد الناس عن الجهاد! وأجهلهم بكتاب الله، رغم ذلك يحتجُّ أحدهم على الإمام بآيات القتال في سبيل

(١) الكافي ج ٤ ص ٢٥٨.

الله، لكنّه مجهل أنّ لهذا القتال شروطاً، فَيُبَيَّنُ له الإمام أنّ الجهاد لا يكون مع أيّ أحد، بل مع مصداق آية: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ..﴾، ويقول له: إِذَا رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ فَالْجِهَادُ مَعَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَفْضَلُ مِنَ الْحَجِّ^(١).

فما الصلة بين الحج والجهاد؟

إنّ الجهاد على أقسام، فمنه جهاد النفس الأكبر الذي يجب في كلّ حين، ومنه الجهاد مع العدوّ بالسلاح عند توفّر شروطه، ومتى لم تتوفّر الشروط سقط وجوب الجهاد هذا، وكان الحجّ باباً من أبواب الجهاد فتّحه الله تعالى للضعفاء من عباده، الذين لا يقدرّون على الجهاد.. لذا استشهد الإمام عليه السلام بحديث النبيّ يوم عرفة: إِنَّ اللَّهَ عَدْلٌ يَأْخُذُ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ..

فمن هو الضعيف؟

قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢).

أهل الآية أئمةٌ ضُعفاء! فقد نزلت هذه الآية في آل محمد عليه السلام، فكان الأئمة الأطهارُ مُستضعفون في الأرض ولا يزالون، وقد قال النبيّ ﷺ: الْحَجُّ جِهَادُ الضَّعِيفِ!

وقال الصادق عليه السلام: نَحْنُ الضُّعَفَاءُ، وَنَحْنُ الضُّعَفَاءُ^(٣).

(١) الفقيه ج ٢ ص ٢١٩.

(٢) القصص ٥.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٢٥٩.

لقد استضعفت الأمم أنبياءها، ثم أوليائها، ومنهم الأئمة الأطهار عليهم السلام، لا عن عجزٍ.. كما لم يُعص الله مغلوباً، ولكن لتتم مقادير الله في خلقه، ويُمتحن الخلق المتعوس بالأنبياء والأولياء.

لقد أوجب الله تعالى على الأمة أن توالي وليه، فإذا انقادت له وخضعت حثها على الجهاد حيث يجب، فالجهاد الذي يستلزم سفك الدماء لا بد أن يكون تحت إشراف إمام معصوم، وبأمره وتوجيهه، وإلا ساد الهرج والمرج في الأمة، أو الظلم والقهر والاستبداد.

ولقد تخاذلت الأمة عن أول الأئمة دهرًا، ثم تذبذبت في أتباعه بعدما انقضت أيام الثلاثة، فدعا الناس إلى الجهاد ليلاً ونهاراً، سرّاً وإعلناً، لكنهم تخاذلوا عن نصرته مراراً، ثم جاء بعضهم يدعو حفيده السجّاد للجهاد وهو مكبل اليدين، مُستضعفاً من أمة ظالمة قتلت أباه الشهيد!

يا لهوان الدنيا على الله!

يُسلبُ الأئمة فيها حقهم، ويُجار عليهم، ويُمنعون من بيان ظلامتهم، ويُحجبون عن شيعتهم، ثم يُعيرون بترك الجهاد!

أي دناءةٍ وحقارةٍ يواجهها المعصومون في هذه الأمة؟! ثم شيعتهم من بعدهم.

ولقد كان أصحاب الأئمة يسألونهم عن ذلك فيبيّنون لهم حكمهم، ومن ذلك ما قيل لبعض الأئمة:

إِنَّ فِي بِلَادِنَا مَوْضِعَ رِبَاطٍ يُقَالُ لَهُ قَرْوِينُ، وَعَدُوٌّ يُقَالُ لَهُ الدَّيْلَمُ، فَهَلْ مِنْ

جَهَادٍ؟ أَوْ هَلْ مِنْ رَبَاطٍ؟

فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْبَيْتِ فَحُجُّوهُ! .. أَمَا يَرْضَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِهِ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالِهِ يَنْتَظِرُ أَمْرَنَا:

١. فَإِنْ أَدْرَكَهُ كَانَ كَمَنْ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا.

٢. وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْهُ كَانَ كَمَنْ كَانَ مَعَ قَائِمِنَا فِي فُسْطَاطِهِ! ^(١).

لقد صارَ الميزانُ حتى في القتال وتركه هو آل محمدٍ، فولايتهُم هي التي لم ينادَ في الإسلام بشيءٍ مثلها، فإذا نُحِّيَ آلُ محمدٍ عن حقِّهم حرِّمَ الجهادُ مع مَنْ سواهم، لذا اعتقدَ الشيعةُ أنَّ: الْقِتَالُ مَعَ غَيْرِ الْإِمَامِ الْمَفْرُوضِ طَاعَتُهُ حَرَامٌ مِثْلَ الْمَيْتَةِ وَالْدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ ^(٢).

إلا أن يكون ذلك دفاعاً عن النفس، أو كان فيه حفظُ الإسلام من الإندراس، فإن المؤمن: إِنْ خَافَ عَلَى بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ قَاتَلَ، فَيَكُونُ قِتَالُهُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ لِلسُّلْطَانِ.. يُقَاتِلُ عَنْ بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ لَا عَنْ هَوَآءٍ، لِأَنَّ فِي دُرُوسِ الْإِسْلَامِ دُرُوسَ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ ^(٣).

وبهذا ينقسمُ النَّاسُ إلى فئتين:

١. فِئَةٌ اتَّبَعَتْ سُلَاطِينَ الْجَوْرِ، فَسَوَّغَتْ الْجِهَادَ وَلَوْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

٢. وَفِئَةٌ عَلِمَتْ أَنَّ فِي ذَلِكَ تَقَدُّمًا عَلَى الْمَعْصُومِ، وَالتَّوَقُّفَ لِمَنْ مَارَقَ مِنَ الدِّينِ.

(١) الكافي ج ٤ ص ٢٦٠.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٢٣.

(٣) الكافي ج ٥ ص ٢١.

وليس يشفعُ جهادٌ ولا حجٌّ لأحدٍ ممن لم يتَّبعهم! فمن قُتِلَ في الثغور منهم كان ممن: يَتَعَجَّلُونَ قَتْلَهُ فِي الدُّنْيَا وَقَتْلَهُ فِي الْآخِرَةِ! ^(١).

ومن ذهبَ لبيت الله الحرام ولَبَّى حول الكعبة كان ممن: أَصَوَاتُهُمْ أَبْغَضُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَصَوَاتِ الْحَمِيرِ! ^(٢).

فإن قال قائل: ما السرُّ في ذلك؟

أليس في هذا الأمر مبالغةٌ من قبلكم أيُّها الشيعة؟ أتزعمون أنَّ الحقَّ منحصرٌ فيكم دون سواكم؟ وأنَّ القتل والحجَّ من سواكم غيرُ مقبول؟!!

قلنا: هذه سنةُ الله في الأولين والآخرين، ألم يقدم قابيلٌ وهابيلُ قرباناً ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾، ولما أراد الأول قتل الثاني قال له: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

إنَّ المتَّقِينَ هم الذين حفظوا ميثاق الله الذي أخذه عليهم، وهم الذين يحجون حجَّ الضُّعفاء اليوم، ويستلمون الحجر الأسود، ويعلمون أنَّ: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ، وَهِيَ جَوْهَرَةٌ أُخْرِجَتْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوُضِعَتْ فِي ذَلِكَ الرُّكْنِ لِعِلَّةِ الْمِيثَاقِ!

إنَّ من أهمِّ ثمارِ الحجِّ تجديدُ الميثاق للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأكثرُ الأمة تحجَّ جاحدةً لإمامته! متنكِّرةً لميثاق الله في لزوم اتِّباعه، إلا قلةً قليلةً قال فيهم الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ مَا يُؤَدِّي ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُ شِيعَتِنَا، وَلَا حَفِظَ ذَلِكَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَحَدٌ غَيْرُ

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٢٦.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٥٤١.

شِيعَتِنَا، وَإِنَّهُمْ لَيَأْتُوهُ فَيَعْرِفُهُمْ وَيُصَدِّقُهُمْ، وَيَأْتِيهِ غَيْرُهُمْ فَيُنْكِرُهُمْ وَيَكْذِبُهُمْ.
 لقد أخذ الله: الميثاقَ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلِحَمْدِ ﷺ بِالنُّبُوَّةِ، وَلِعَلِّيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 بِالْوَصِيَّةِ.. فَعَمِلَ الْمُؤْمِنُونَ بِالميثاقِ، وَجَحَدَ المُخَالِفُونَ أَوْ أَنْكَرُوهُ، فَشَهِدَ الْحَجَرُ
 وَهُوَ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ هُوَ لَاءٌ بِالمُؤَافَاةِ، وَعَلَى هُوَ لَاءٌ بِالكُفْرِ.
 وسيظلُّ الحالُّ كذلك، إِلَى أَنْ يَظْهَرَ المُسْتَضْعَفُ المَذْخُورُ لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ، وَفِي
 تِلْكَ البَقْعَةِ: وَإِلَى ذَلِكَ المَقَامِ، يُسْنَدُ القَائِمُ ظَهْرُهُ!
 فيكون الحجرُ هو: الحُجَّةُ وَالدَّلِيلُ عَلَى القَائِمِ، وَهُوَ الشَّاهِدُ لِمَنْ وَافَاهُ فِي ذَلِكَ
 المَكَانِ^(١).

وهكذا يتميَّزُ المؤمنُ عن غيره، فَإِنَّ إِقْدَامَهُ وَإِحْجَامَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ أَمْرِ
 اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَوَلِيِّهِ، فَيَقْبَلُ اللَّهُ القَلِيلَ مِنْ عَمَلِهِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَفِ بِالمِيثَاقِ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ
 مِنْ أَهْلِ الجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ الَّذِينَ ﴿لَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
 افْتَدَى بِهِ﴾.

وَقَفَّنا اللَّهُ تَعَالَى لِجَهَادِ النَّفْسِ الْأَكْبَرِ، وَجَهَادِ الضُّعْفَاءِ فِي الْحَجِّ زَمَنِ الْغِيْبَةِ،
 ثُمَّ الْجَهَادِ بِالسَّيْفِ مَعَ الإِمَامِ الْمُنتَظَرِ، لِيَشْهَدَ لَنَا الْحَجَرُ أَنَّا قَدْ وَفَيْنَا المِيثَاقَ.
 عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَ وَلِينَا، وَسَهَّلَ مَخْرَجَهُ.
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢).

(١) الكافي ج ٤ ص ١٨٥.

(٢) الثلاثاء ١٢ ذو الحجة ١٤٤٣ هـ الموافق ١٢ - ٧ - ٢٠٢٢ م.

الفهرس التفصيلي

مقدمة	٥
الفصل الأول: عَلِيٌّ.. نور الله	٩
١. عَلِيٌّ.. نورُ الله المبین!	٩
١. عَلِيٌّ وأبو طالب	١٠
٢. عَلِيٌّ وفاطمة بنت أسد	١٠
٣. عَلِيٌّ ساعة الولادة	١٢
٤. عَلِيٌّ بابُ الهداية	١٣
٢. عَلِيٌّ.. مُعْجَزَةُ الرَّسُول!	١٥
أولاً: عَلِيٌّ أعظم آيات الله!	١٥
ثانياً: عَلِيٌّ معجزةُ الرَّسُول!	١٦
ثالثاً: عَلِيٌّ كتابُ الله الناطق!	١٨
٣. يومَ بُعثَ محمدٌ.. وعليٌّ!!	٢٠
٤. عَلِيٌّ.. رَمَزُ (الوحدة الإسلامية)!!	٢٥
١. عَلِيٌّ إمام الجماعة!	٢٥
٢. لا تفرّقوا عن عليٍّ!	٢٦

٣. عَلِيٌّ ودُّعَاةُ الْوَحْدَةِ!..... ٢٧.
٤. مَجَالِسَةُ أَهْلِ التُّهْمَةِ!..... ٢٨.
٥. الْإِمَامُ عَلِيٌّ.. بَيْنَ (بَطْرُس) وَ(الْخُلَفَاءِ)!..... ٣٠.
- الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: مَخَالَفَتُهُمْ لِنَصِّ الْإِنْجِيلِ..... ٣١.
- الْأَمْرُ الثَّانِي: تَوْسِيعَةُ دَائِرَةِ الْعَصْمَةِ..... ٣٢.
٦. عَلِيٌّ.. وَتَجَارُ الضَّلَالِ!..... ٣٦.
- النَّمُودَجُ الْأَوَّلُ: مَنْ يَشْتَرِي بَآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا..... ٣٨.
- النَّمُودَجُ الثَّانِي: الَّذِينَ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَهَ..... ٣٨.
- النَّمُودَجُ الثَّلَاثُ: الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ..... ٣٨.
٧. ضَجِيجٌ فِي السَّمَاءِ! لِقَتْلِ إِمَامِ الْأَوْصِيَاءِ!..... ٤١.
- أَوَّلًا: عَلِيٌّ.. وَسِلْسَلَةُ الْأَنْبِيَاءِ.. وَالْأَوْصِيَاءِ!..... ٤١.
- ثَانِيًا: ضَرْبَةٌ تَرْتَجُّ لَهَا الْأَرْضُ!..... ٤٣.
- ثَالثًا: دِمَاءٌ فِي السَّمَاءِ!..... ٤٥.
- رَابِعًا: عَلِيٌّ أَعْظَمُ الْعُظَمَاءِ!..... ٤٦.
٨. مَا لِي وَلَكَ يَا عَلِيٌّ!!..... ٤٧.
٩. عَلِيٌّ.. كَهْفُ الزَّائِرِينَ!..... ٥٣.
١٠. أَبُو طَالِبٍ.. نَاصِرٌ حَيْثُ لَا نَاصِرَ!..... ٥٨.
- الْأَوَّلُ: نَصْرُهُ النَّبِيَّ بِنَفْسِهِ!..... ٦٠.
- الثَّانِي: نَصْرُهُ النَّبِيَّ بِعَلِيٍّ!..... ٦٢.
١١. أَبُو طَالِبٍ.. نَوْرٌ مِنْ نَوْرِ اللَّهِ!..... ٦٤.

- أولاً: محمدٌ وآله ميزانُ التفاضل! ٦٥
- ثانياً: معرفة أبي طالب بالنبي! ٦٦
- ثالثاً: معرفته وبشارته بأمير المؤمنين! ٦٧
١٢. أبو طالب.. شفيعُ الأُمَّة! ٧٠
- أولاً: لتحذونَ حذو الأُمم السابقة ٧٠
- ثانياً: تكذيب الأنبياء وقتلهم ٧١
- ثالثاً: الطَّعن في الحواريين ٧٢
- رابعاً: الطعن في أبي طالب ٧٤
- الفصل الثاني: الإمام.. عين الحياة ٨١
١٣. الإمامُ عَيْنُ الحَيَاة ٨٢
- من آثار الماء ٨٣
- طعم الماء طعم الحياة! ٨٤
- الإمام السحاب الماطر ٨٥
- فَضْلُنَا كفضل الماء ٨٦
- نحن عين الحياة ٨٨
- ولايتنا أعظم نعم الله ٨٨
- بدّلوا نعمة الله كفرّاً ٨٩
- أحيا الناس جميعاً ٩٠

- ٩١..... الطهارة بالإمام
- ٩٢..... العيونُ الكدِرةُ والعيون الصافية
- ٩٤..... ١٤. الإمامُ واحدٌ دهرِه
- ٩٥..... أيُّ مغالاة هذه؟
- ٩٦..... أيُّ فرق بينكم وبين النصارى؟
- ٩٦..... الجواب: قال النصارى بألوهية عيسى
- ٩٩..... قلنا بأن الأئمة مخلوقون مربوبون
- ١٠١..... تنزيه الإله يثبت لزوم بعثة الأنبياء
- ١٠٤..... ١٥. عليٌّ وعيسى.. وحيرةُ الألباب!
- ١٠٧..... التساؤل الأول: هل يدلُّ العقلُ على لزوم الإمامة؟
- ١١٠..... التساؤل الثاني: هل تُدرِك حقيقة الإمامة؟
- ١١٤..... الإمام الماء العذب على الظما!
- ١١٥..... ١٦. الأئمة المحسودون!
- ١١٦..... ١. ما هو الحسد؟
- ١١٨..... ٢. متى بدأ الحسد؟ ومتى كان أوله؟
- ١١٩..... ٣. آثار الحسد وخطورته
- ١٢٠..... ٤. لماذا صار الحسدُ أصل الكفر؟
- ١٢١..... ٥. داء الأمم دب في هذه الأمة
- ١٢٢..... ٦. تسعة أعشار الحسد في قريش
- ١٢٤..... ٧. نحن المحسودون

٨. لماذا هم المحسودون؟ ١٢٥
١٧. حُسَّادُ الإمامة.. مُحَالِفٌ ومُؤَالِف ١٢٧
١. حُسَّادُ النَّبِيِّ في حياته ١٢٩
٢. حَسَادُ الأئمة بعد النَّبِيِّ ١٣٠
٣. حُسَادُ مؤالفون ١٣٥
- البراءة منهم ١٣٧
١٨. عرفاء حُسَّاد! للإمام وشيعته! ١٣٩
١. موقف المتصوفة والعرفاء من الشيعة ١٤٢
٢. حسد أئمة التصوف للمعصومين ١٤٤
- خلاصة القول وختامه ١٥٦
١٩. المسيح.. والإمام الظالم! ١٥٩
- المحور الأول: هل يقول عيسى والنصارى بالبراءة أم لا؟ ١٦٠
- المحور الثاني: هل يقول النصارى بسقوط العقاب؟ ١٦٣
- المحور الثالث: ما هو موقف المسيح من الإمام الظالم؟! ١٦٦
٢٠. الإمامة والاستقامة.. الغاية لا تبرر الوسيلة ١٧٠
- الصراط المستقيم هو الولاية ١٧٢
- المحور الأول: هل تشمل الاستقامة إثبات الحق بالباطل؟ ١٧٥
- المحور الثاني: هل تشمل الاستقامة تثبيت الحق بالباطل؟ ١٧٩
٢١. الإمام نظام الدين! ١٨٧
- لماذا صار الإمام نظام الدين؟ ١٩١

- ١٩٦..... عليٌّ في كلام الرّسول
- ٢٠١..... ٢٢. الأئمة مختلف الملائكة!
- ٢٠٢..... المحور الأول: بماذا تختلف الملائكة؟ وما الفضل في ذلك؟
- ٢٠٦..... ما قصة غلوّ الناس بالملائكة والنبين والأوصياء؟
- ٢١٤..... ٢٣. الإمام والعصية.. وحمية الجاهلية!
- ٢٢١..... كيف النجاة من العصية؟
- ٢٢٣..... علامة العصية
- ٢٢٥..... فليكن تعصبكم لمكارم الخصال
- ٢٢٦..... ٢٤. الإمام الغضوب.. في ذات الله!
- ٢٢٧..... المحور الأول: لماذا صار الغضب مفتاح كلّ شر؟
- ٢٢٩..... المحور الثاني: هل يغضب النبيّ والإمام؟ ولماذا؟
- ٢٣٥..... المحور الثالث: كيف يغضب الله تعالى؟!
- ٢٣٧..... الشجرة
- ٢٣٩..... ٢٥. الإمامة.. وتقديم الفضول!
- ٢٤٠..... الشيعة أولو الالباب!
- ٢٤١..... الأئمة وتقديم الفضول!
- ٢٤٣..... أين العقل من ذلك؟!
- ٢٤٥..... أولاً: فساد الأمة
- ٢٤٥..... ثانياً: فساد العقل
- ٢٤٧..... ثالثاً: نسبة النقص لله تعالى

٢٦٠. ما أعجز أئمتكم أيها الشيعة!..... ٢٥٠
- الحديث الأول: مع المخالف في الدين..... ٢٥١
- الحديث الثاني: مع المخالف في المذهب..... ٢٥٦
- الحديث الثالث: مع المؤمن بالولاية..... ٢٦٠
٢٧. الإمام.. وبيت الرأفة..... ٢٦٥
٢٨. أتريد أن تكون إماماً؟!..... ٢٧٣
- الفصل الثالث: قبسات من نور الأئمة الأطهار..... ٢٨١
٢٩. الإمام الحسن.. وَعَتَرِيَّاتُ زَمَنِ الْغِيَّةِ!..... ٢٨١
٣٠. انزل عن منبر أبي!..... ٢٨٧
٣١. السَّجَّاد.. إمام الأحزان!..... ٢٩٤
٣٢. السَّجَّاد.. إمام الرَّحمة!..... ٣٠١
٣٣. السَّجَّاد.. إمام الرَّجاء!..... ٣٠٨
- الأول: القضاء لا يجري إلا بالخير!..... ٣١٢
- الثاني: كلُّ مكروه يسيرٌ في رضا الله!..... ٣١٣
- الثالث: القناعة بتأخير عقاب الظالمين!..... ٣١٣
٣٤. ما أفسى قلبك.. أيُّها السَّجَّاد!..... ٣١٦
٣٥. الإمام الباقر.. والشيعة الأشداء!..... ٣٢٣
- أولاً: الحق لا يُترك لاختلاطه بالباطل..... ٣٢٥

- ثانياً: لِيَقْوْ شَدِيدُكُمْ ضَعِيفَكُمْ..... ٣٢٦
- ثالثاً: لَيْسَ بَعْدَ مُلْكِنَا مُلْكٌ..... ٣٢٧
٣٦. أَلِثْلُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ يَقَالُ هَذَا؟!..... ٣٣٠
٣٧. الْإِمَامُ الصَّادِقُ.. خَيْرُ الْبَرِيَّةِ!..... ٣٣٦
- أولاً: عِلْمُ الْإِمَامِ.. عِلْمُ اللَّهِ!..... ٣٣٦
- ثانياً: الْإِمَامُ حُجَّةُ اللَّهِ!..... ٣٣٨
- ثالثاً: الْإِمَامُ نُورُ اللَّهِ!..... ٣٣٨
- رابعاً: الْجَاهِلُ بِالْإِمَامِ شَقِيٌّ!..... ٣٣٩
٣٨. هَلِ (الصَّادِقُ) خَيْرٌ مِنْ (رَسُولِ اللَّهِ)؟!..... ٣٤١
١. هَلِ هَذَا مِنَ الْغُلُوِّ؟!..... ٣٤٢
٢. هَلِ الْإِمَامُ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ؟!..... ٣٤٣
٣. لِمَاذَا ظَلَّ جُلُّ الشَّيْعَةِ فَقَرَاءً؟!..... ٣٤٤
٣٩. جَعْفَرُ الصَّادِقِ.. إِمَامٌ لَمْ يَطْلُبِ الْمُلْكَ!..... ٣٤٦
١. لِمَاذَا لَمْ يَطْلُبِ الْإِمَامُ الْحُكْمَ؟!..... ٣٤٧
٢. أَلَيْسَ فِي هَذَا إِسْقَاطٌ لِلتَّكْلِيفِ؟!..... ٣٤٨
٣. مَا حَالُ الشَّيْعَةِ فِي زَمَنِ الْغِيْبَةِ؟!..... ٣٥٠
٤٠. جَعْفَرُ الصَّادِقِ.. (إِلَهٌ) أَمْ (إِمَامٌ)؟!..... ٣٥٢
١. الْإِمَامُ الصَّادِقُ وَالْأُلُوْهِيَّةُ!..... ٣٥٣
٢. هَلِ الْإِمَامُ كَسَائِرِ الْخَلْقِ؟!..... ٣٥٥
٤١. الْإِمَامُ الصَّادِقُ.. وَارِثُ الْأَنْبِيَاءِ..... ٣٥٨

١. إحياء الطير! ٣٥٩
٢. إحياء الموتى! ٣٦١
٤٢. الزَاهِدُونَ.. في خِدْمَةِ الإمام! ٣٦٣
١. المراقبة على ثغور إبليس ٣٦٦
٢. إحياء أمرهم وذكرهم ٣٦٧
٣. الإحسان إلى ذريتهم ٣٦٨
٤. رعاية فقراء شيعتهم ٣٦٨
٤٣. لماذا هُدمَت (قبور البقيع)؟! ٣٧٠
- أولاً: قبورهم من بقاع الجنة! ٣٧٢
- ثانياً: عمارة قبورهم علامة المودة! ٣٧٣
- ثالثاً: قبور الأئمة.. وَحُوض القيامة! ٣٧٤
٤٤. وخافوا الدموع.. في البقيع! ٣٧٦
- أولاً: زيارة القبور وآثارها ٣٧٧
- ثانياً: بكاء النبي عند القبور ٣٧٩
- ثالثاً: زيارة البقيع وسائر القبور ٣٨١
- رابعاً: فاطمة وقبر النبي! ٣٨٢
٤٥. الإمام الكاظم.. وَفِتْنَةُ المال! ٣٨٥
٤٦. الكاظم.. إمامٌ يَتَّقِي السُّلْطَان! ٣٩٢
- النافذة الأولى: العمل مع السلطان ٣٩٦
- النافذة الثانية: الهداية من الضلال ٣٩٨

٤٧. الكاظم.. إمامٌ ليس بينه وبين الله حجاب! ٤٠١
١. صفوة الله..... ٤٠١
٢. موضع سرِّ الله..... ٤٠٤
٣. خليفة الله..... ٤٠٥
٤٨. أعظمُّ الجُود.. في ذكرى الجواد! ٤٠٦

٤١٣ الفصل الرابع: أعياد الولاية.. ومناسكها

٤٩. عيدُ الغدير.. قَمَرٌ بين الأعياد! ٤١٣
١. يومُ مَرْغَمَةِ الشَّيْطَان! ٤١٤
٢. يوم البرهان..... ٤١٧
٣. عيدٌ للأنبياء والمؤمنين..... ٤١٨
٥٠. الجُمُعَة.. عيد الولاية المظلوم! ٤٢٠
٥١. الجُمُعَة.. (براءة) بعد الولاية! ٤٢٥
- أولاً: الاهتمام الخاص ب(صلاة الجمعة) ٤٢٧
- ثانياً: الاهتمام الخاص ب(سورة الجمعة)..... ٤٢٧
- ثالثاً: استحباب قراءة سورة (المنافقين) ٤٢٩
٥٢. ليلة القدر.. ليلة (آل محمد)! ٤٣٢
٥٣. عيدُ الأُحْزَان.. لآل الرّسول!! ٤٣٧
- أولاً: عيدُ أولياء الله! ٤٣٧

- ٤٣٨..... ثانياً: العيد.. والشفاعة!
- ٤٣٩..... ثالثاً: العيد.. والخلفاء المقهورون!
٥٤. عيدُ الفطر.. يومِ الجائزة! ٤٤٣
٥٥. الحجُّ.. إلى الإمام! ٤٤٩
١. الأمانُ في الدنيا والآخرة ٤٤٩
٢. الحجُّ.. ولقاء الإمام ٤٥٢
٣. حُرمة البيت.. والإمام ٤٥٤
٥٦. الحجُّ جهادُ الضُّعفاء! ٤٥٧
- ٤٦٣..... الفهرس التفصلي
- ٤٧٥..... الفهرس الإجمالي
- ٤٧٧..... كُتِبَ للمؤلف

الفهرس الإجمالي

مقدمة	٥
الفصل الأول: عَلِيٌّ.. نور الله	٩
الفصل الثاني: الإمام.. عين الحياة	٨١
الفصل الثالث: قبساتٌ من نور الأئمة الأطهار	٢٨١
الفصل الرابع: أعياد الولاية.. ومناسكها	٤١٣
الفهرس التفصيلي	٤٦٣
الفهرس الإجمالي	٤٧٥
كُتِبَ للمؤلف	٤٧٧

كُتُبُ الْمُؤَلِّفِ

كُتُبُ الْمُؤَلِّفِ مِنْ سِلْسِلَةِ (الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ):

١. عِرْفَانُ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ.
٢. الإِلْحَادُ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ.
٣. قِبَسَاتُ الْهُدَى: وَقَفَاتُ مَعَ فِكْرِ الدُّكْتُورِ شَرِيعَتِي.
٤. تَنْزِيهُهُ التَّشْيِيعُ مِنْ خِرْقَةِ التَّصَوُّفِ.
٥. الثَّالُوثُ وَالْكُتُبُ السَّامِيَّةُ.
٦. الثَّالُوثُ صَلِيبُ الْعَقْلِ.
٧. أَنْوَارُ الْإِمَامَةِ.
٨. الْوَدِيعَةُ الْمَقْهُورَةُ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ.
٩. عَيْنُ الْحَيَاةِ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ.

وَأَبْحَاثُ أُخْرَى قِيدَ الْإِعْدَادِ، يُمَكِّنُ مُتَابَعَتَهَا عِبْرَ مَوْقِعِ (الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ):

www.aliiman.net

في هذا الكتاب

أكثر من خمسين مقالاً وبحثاً.. حول أمير المؤمنين عليه السلام..

حول الإمام.. والإمامة.. والأئمة الأطهار عليهم السلام..

حول الولاية وأعيادها.. والبراءة.. وأسبابها..

هي قبساتٌ من نور الأئمة الأطهار..

مَنْ أَلْبَسَهُمُ اللهُ تَاجَ الْوَقَارِ..

وَعَشَّاهُمْ مِنْ نُورِهِ الْجَبَّارِ..

